قام الطالب باجراء الملاحظات وتنفيذ التصويبات التي ابدتها لجنة المناقشة وبالله التوفيق

د. علي محمد عوده الغامدي

د. عبد الشكور العروسي

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

العلاقات بين المسلمين والنصارى
زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في التاريخ الإسلامي

إعداد الطالب
خميس صالح محمد الغامدي

إشراف
الأستاذ الدكتور/ علي محمد عوده الغامدي

١٤١٤هـ

• بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده

« ملخص رسالة ماجستير »

عنوان الرسالة « العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم »

اسم الطالب : خميس صالح محمد الغامدي .

تقع الرسالة في مجلد واحد ، وعدد صفحاتها (٤٥٦) صفحة . وهدف الدراسة فيها هو: « بيان أن الواقع التأريخي للعلاقات مع النصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كان تطبيقا عمليا للأسس التي أقرها الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم مما يجب على المسلمين العمل به »

تتكون الرسالة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، تضمنت المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره ، ودراسة تحليلية لأهم مصادر ومراجع البحث . أما التمهيد فهو لمحة مؤجزة عن عوامل تحريف النصرانية ، والنصرانية في ظل الإمبراطورية الرومانية ، والنصرانية في جزيرة العرب . أما الفصل الأول فهو عن العلاقات بين المسلمين والنصارى في العهد المكي ويتناول بالدراسة حقيقة علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النصارى قبل البعثة ، وموقف النصارى من دعوة الرسول في العهد المكي ، وأثر الحرب الرومية الفارسية على المسلمين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الفصل الثاني فهو عن العلاقات السلمية بين الدولة الإسلامية والنصارى و يتضمن لمحة مؤجزة عن قيام الدولة الإسلامية ، وأسس الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم ؛ ودراسة مبسطة لمكاتبات ومعاهدات الرسول مع النصارى أما الفصل الثالث فهو عن العلاقات الحربية بين الدولة الإسلامية والنصارى ويتضمن لمحة مؤجزة عن مفهوم الجهاد في الإسلام ؛ ودراسة شاملة لأهم أسباب عداء النصارى للإسلام ومظاهره في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الفصل الرابع فخصص لدراسة الآثار المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم (الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية) ، وفي الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث ويتلخص بعض منها في النقاط التالية :

١- أن تحريف النصرانية أورث أتباعها تعصبا وعداء لمن خالفها وبخاصة دين الاسلام .

٢- أن الديانة النصرانية لم تتسرب إلى وسط الجزيرة العربية .

٣- بطلان الروايات التي تدور حول تأثر الرسول باليهود والنصارى ومنها روايات قصة الراهب بحيرى

٤- أنه لاعلاقة بين موقف نصارى الروم من دعوة الإسلام في العهد المكي ، وبين فرح المسلمين الذي ورد ذكره في أوائل سورة الروم .

٥- أن معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى أدت إلى إتاحة الفرصة لهم للتعرف على حقيقة الإسلام .

٦- أن العلاقات الحربية مع النصارى أدت إلى إظهار دين الإسلام ، وإسلام أقرب الناس مودة للمؤمنين من الذين قالوا إنا نصارى .

٧- أن الروم هم العدو الأبدي اللدود للإسلام وأهله .

٨- أن الجهاد في سبيل الله هو القاعدة العامة لفتح بلاد النصارى .

الطالب	المشرف	عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
خميس صالح محمد الغامدي	د/ علي محمد عودة الغامدي	د/ عابد بن محمد السفياني

المُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون أما بعد:

فإن موقف غير المسلمين من دعوة الإسلام هو الذي يحدد علاقات المسلمين معهم ، وقد أبرزت الدراسات الإسلامية قديما وحديثا الجانب التشريعي لذلك ، ونذكر على سبيل المثال من الكتب الجامعة في ذلك كتاب أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ، وكتاب أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام للدكتور عبد الكريم زيدان ومن الكتب التي اختصت بجانب معين كتاب المعاهدات الدولية في الإسلام للدكتور إياد بن كامل هلال ، وكتاب الإستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي للدكتور عبدالله بن إبراهيم الطريقي .

أما الأبحاث التاريخية فقد تعرضت لبعض جوانب التطبيق العملي للعلاقات بين المسلمين وغيرهم في صدر الإسلام ومن أهم المؤلفات في ذلك كتاب السياسة الخارجية للدولة الإسلامية في عهد النبوة لعبدالله بن ناصر السحيباني ، وكتاب جوانب من علاقات الدولة الإسلامية بغيرها من الدول لعلي بن عبد العزيز المحمود، وكتاب المعاهدات النبوية لعبد السميع الصائغ ، وماكتبه عماد الدين خليل عن العلاقات بين الإسلام والجبهة النصرانية ضمن كتابه دراسة في السيرة، وكتاب الحدود الإسلامية البيزنطية للدكتور فتحي عثمان ، ورسالة العلاقات بين المسلمين والروم من صدر الإسلام إلى نهاية عصر بني أمية للدكتور علي بن محمد حمودة .

وقد لاحظت أن موضوع العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بحث في هذه المؤلفات وغيرها على وجه الإجمال ، ولم يدرس بالتفصيل تحت هذا العنوان ، وكتاب سياسة الرسول صلي الله عليه وسلم مع النصارى ونتائجها للدكتور محمد أمين بدوي الذي يشابهه في مسمى العنوان لم يستوعب جوانب الموضوع ولم يستقص مباحثه المختلفة وإنما هو كما قال مؤلفه في مقدمته : «عجالة من واقع السيرة العطرة للرسول صلى الله عليه وسلم ونهجه في سياسته مع النصاري » .

ومن هنا وجدت أن موضوع العلاقات بين المسلمين والنصاري زمن الرسول صلى الله عليه وسلم بحاجة إلى بحث مستقل قائم بذاته يستوعب كل أطرافه وجوانبه

في دراسة موضوعية مستفيضة لما له من أهمية بالغة في معالجة واقع المسلمين وخاصة في الفترة التاريخية الراهنة حيث علا فيها شأن النصارى عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، فأشتد تأثيرهم على المسلمين في شتى المجالات حتى أصبحت وسائل الإعلام ــ المقروءة والمسموعة والمرئية ــ في كثير من البلاد الإسلامية تحاول إقناع شعوبها بصداقتهم وأنهم ليسوا أعداء لهم ، وفي مقابل هذا وقع اختياري ودراستي لهذا الموضوع محاولة لإظهار الصورة الحقيقية لواقع العلاقات مع النصارى زمن الرســـول صلى الله عليه وســـلم ؛ لأنها الحجة على ما يحدث بعدها من صواب أوخطأ في التطبيق ، والتي يصعب على القارىء الوقوف عليها كاملة واضحة في الدراسات السابقة .

وتجدر الإشارة إلى أن من أسباب اختياري لهذا الموضوع هو محاولتي إظهار الحقائق لبعض القضايا التي تدخل في إطار هذا الموضوع والتي لم تشر إلى بعضها الدراسات السابقة ، أو لم تأخذ حقها من البحث والدراسة ومن ذلك على سبيل المثال: أسباب عداء النصاري ومظاهره في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النصارى قبل البعثة ، ومزاعم المستشرقين حولها ، وقضية مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى عامة ، وهرقل ملك الروم خاصة ، والشكوك التي تدور حولها ، والهدف منها ، وموقف نجاشي الحبشة أصحمه ، والأحباش من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك موقف نصارى الروم منها في العهد المكي ، ودراسة أثر الحرب الفارسية الرومية على المسلمين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومدى ارتباطها بالعلاقات بين المسلمين والنصارى في العهد المكي وما بعده . ودراسة الآثار المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وتبعا لأهمية الموضوع من الناحيتين التشريعية والتاريخية فقد تكونت مادة البحث من مصادر كثيرة ومتنوعة ، معظمها من المصادر الأصلية للسيرة النبوية . فكان التركيز على الاستدلال بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والأخبار الواردة في كتب السيرة المختصة والمغازي والتفسير والتواريخ العامة هو الأساس الذى بنيت عليه دراستي لهذا الموضوع ، ولم أدخر جهدا في محاولة تقصي حكم المختصين من أهل الحديث وغيرهم على ما أذكر من الأحاديث الواردة في غير الصحيحين ، والروايات التاريخية ، مع الاستشهاد عليها أحيانا بآراء المحققين من أهل العلم

وتوثيق ذلك من مصنفاتهم .

ومع ما سبق فقد اجتهدت في تحليل ونقد بعض الأخبار التاريخية ذات العلاقة بالأمور الشرعية بغية الوصول إلى الحقيقة المجردة التي لاتتعارض مع النصوص الصريحة في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ومعظم المصادر التي أفاد منها البحث مشهورة ومعروفة وسبق أن تناولها النقاد والمحللون قبلي بالنقد والتحليل ؛ ولذا فاني سأقتصر على عرض أهمها وأكثرها استيعابا لموضوع البحث بصورة مؤجزة، مركزا على بيان مدى وموضع الاستفادة منها في البحث وهي كالتالي :

١- كتاب سيرة ابن هشام لمحمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري النحوي المتوفى سنة ٢١٣هـ وكتابه من أبرز المصادر التي وصلت إلينا في السيرة وهو تهذيب لسيرة ابن اسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ والذي كان أحد أوعية العلم وحبرا في معرفة المغازي والسير ، والذي يذكر أن مصنفه في السيرة كان كبيرا واسعا يشمل التاريخ الجاهلي ، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم في مكة والمدينة ، وفيه كثير من الأساطير والإسرائيليات والأشعار المنتحلة وقد قام ابن هشام عند تهذيبه لها بحذف كثير منها _ مع تحقيق ماتوهم ابن اسحاق فيما تذهب إليه بعض الروايات _ وإضافة معلومات أخرى في السيرة واللغة والأنساب ، الأمر الذي أكسبها رضا جمهور العلماء ، وأصبح لا غنى لكل من يبحث في السيرة والمغازي من الإعتماد عليها .

ويذكر أحد الباحثين (١) أن ما أورده ابن هشام من مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم مما أورد ابن اسحاق وما أضاف عليه ، يقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة .

وقد أفدت منها في معظم مباحث وفصول الرسالة ولم أهمل الإستفادة من شرح الحافظ السهيلي ت ٥٨١هـ لسيرة ابن هشام في كتابه الروض الأنف وقد أفدت أيضا من القسم المطبوع من سيرة ابن اسحاق الذي قام بتحقيقه محمد حميد الله ، وسهيل زكار

---

(١) أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، الطبعة الأولى (الدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم ١٤١٢هـ _ ١٩٩٢م) ج١ ص ٦٦

٢- كتاب المغازي للمؤرخ محمد بن عمر الـواقـدي المتوفى سنة ٢٠٧هـ والذي لا يستغني عنه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم ، لسعة علمه وغزارة المادة العلمية التي يقدمها رغم أنه متروك الحديث عند المحدثين، ولهذا فإن غالب ما أفدت منه في دراسة مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت ضد النصارى هو أيضا مما حرره المؤرخون من بعده في مصنفاتهم، وقد أشرت إلى ذلك عند التوثيق .

٣- كتاب الطبقات للمؤرخ محمد بن سعد الهاشمي المتوفي سنة ٢٣٠هـ الذي ذكر بعض المحققين (١) بأنه ثقة يتحرى في كثير من رواياته وقد أفدت من المجلدين الأول والثاني من كتابه والتي خصصت لدراسة السيرة النبوية في دراسة مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه التي وجهت إلى النصارى .

٤- كتاب أنساب الأشراف للمؤرخ أحمد بن يحيى بن حابر البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ . وقد أفاد البحث من الجزء المطبوع منه والخاص بدراسة السيرة النبوية وذلك في إكمال وتحقيق بعض الروايات الواردة حول غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت ضد النصارى ، كما أفدت من كتابه الآخر فتوح البلدان في ذكر عهود الرسول صلى الله عليه وسلم للنصارى ، وما يتعلق بها.

٥- كتاب تاريخ الأمم والملوك للمؤرخ محمد بن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠هـ وقد أفدت من الجزء المتعلق بالسيرة النبوية وتـركزت الإفـادة فيما نقل من المصادر المتقدمة مما لايوجد فيما بين أيدينا من المطبوع منها ، وخاصة من ابن إسحاق والواقدي ، وتقع هذه الفائدة الهامة في مسائل متفرقة في مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسراياه .

كما أفاد البحث من تفسيره المعروف بجامع البيان عن تأويل آي القرآن والذي اهتم فيه بتحقيق ما يذكر في تفسير الآيات مع الترجيح وبيان الصواب وقد أفدت منه في تفسير معظم الآيات القرآنية التي تعرضت لبيان مايراد منها مما يخص البحث .

---

(١) أكرم العمري : المرجع السابق ج ١ ص ٦٦

٦- كتاب دلائل النبوة للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفي سنة ٤٥٨هـ الذي كان علامة زمانه في الإتقان والحديث والفقه والتصنيف، وكتابه الدلائل من عيون ما صنف في السيرة والشمائل (١) وقد أفدت منه في معظم فصول ومباحث الموضوع .

٧- كتاب تاريخ مدينة دمشق للمؤرخ علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر المتوفي سنة ٥٧٢هـ ، وهو تاريخ شامل لمدينة دمشق من حيث فضائلها ، وخططها وعمائرها، ورجالها وغير ذلك . وقد خصص الجزء الأول منه لدراسة السيرة النبوية، وأفدت منه كثيرا في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه في جهات الشام، التي حاول ابن عساكر استقصاءها بجمع الروايات المتعددة في أخبارها كما أفدت منه في إيضاح بعض ما ذكرت عن الآثار السياسية المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

٨- كتاب الكامل في التاريخ للمؤرخ عز الدين علي بن محمد الشيباني المشهور بابن الأثير الجزري . المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، ويتميز كتابه بجمع روايات الخبر الواحد وما يتصل بها ، عند بداية حديثه عن الحادثة التاريخية المراد ذكرها، ورغم أنه ترك الإسناد في رواياته إلا أنه اهتم بالنقد والتحقيق لمضمونها، ولهذا أفدت منه في الكثير من الحوادث التي يختلط فيها الغث بالسمين، ومن ذلك تحقيقه لنص معاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران .

٩- كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ت ٧٢٨هـ . وقد صنف كتابه المذكور ردا على رسالة وردت إليه من قبرص وتنسب إلى بولس أسقف صيدا الأنطاكي ، وكان قد كتبها إلى بعض أصدقائه وفيها حاول الاحتجاج على صحة دين النصارى، والطعن في صحة النبوة المحمدية، وصحة القرآن الكريم ، وقد فندها ابن تيمية في كتابه الجواب الصحيح، وبين بالأدلة النقلية والعقلية فساد ما استدل به على صحة دينهم

---

(١) هذا القول ذكره المحقق لكتاب الدلائل عبد المعطي قلعجي في المقدمة ص ٧ نقلا عن ابن كثير .

بعد التحريف ، كما انتصر لدين الإسلام . وإذا كان الكتاب له أهميته لموضوع البحث لأن فيه استعراضاً لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للنصارى وعلاقته بهم، فإنه كتاب فريد في الرد على النصارى، ولهذا عولنا عليه كثيرا في دراسة بعض عوامل تحريف النصرانية ، ويكاد كتاب هداية الحيارى في الرد على النصارى للعلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيِّم الجوزية ت ٧٥١هـ يكون اختصارا لبعض ما أورده شيخه ابن تيمية في بيان عدم صحة دين النصارى بعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا فقد قرنت بينهما غالبا عند التوثيق إلى جانب الإفادة من كتاب ابن القيم في معالجة أسباب عداء النصارى .

وقد أفاد البحث من كتب ابن تيمية الأخرى مثل كتاب السياسة الشرعية في إصلاح اراعي والرعية الذي يبحث في العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبيان الحقوق والواجبات لكل منهما، وتتركز الاستفادة منه لموضوع البحث في دراسة قيام الدولة الإسلامية كما أفدت من كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم في بيان الآثار الدينية للعلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما كتابه مجموع الفتاوى فقد أفدت منه فائدة كبيرة في معالجة بعض المسائل الفقهية المتناثرة في ثنايا البحث .

كما أفدت من كتب ابن القيم الأخرى مثل كتابه أحكام أهل الذمة الذي يعد موسوعة فقهية لأحكام المعاملات مع أهل الذمة وفيه عرض رائع للصورة الحقيقية التي تبين عزة المسلم وذلة الكافر، وإظهار دين الله تبعا لذلك.

وتقع الفائدة الكبيرة منه بالنسبة لموضوع البحث في إيضاح أسس الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم .

أما كتابه زاد المعاد فلا مثيل له في بيان فقه السيرة النبوية ولهذا أفدت منه في استخلاص بعض الأمور التشريعية من الحوادث التي تعرضت لها في السيرة النبوية إلى جانب أهميته في تزويد البحث ببعض النصوص المفقودة في المصادر المتقدمة المطبوعة ، ومن ذلك بعض نصوص مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى .

والملاحظ أن ما يقدمه ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في مصنفاتهم يهدف إلى

إيضاح طريق الحق الذي أبانه الرسول صلى الله عليه وسلم وسار عليه السلف الصالح .

١٠- كتاب السيرة النبوية للمؤرخ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤هـ الذي يعد من الأئمة الثقات المحققين وما كتب في السيرة يقع ضمن كتابه البداية والنهاية وقد أفردها الدكتور مصطفى عبدالواحد في مؤلف مستقل يقع في أربعة أجزاء وهو ما اعتمدنا عليه في البحث وقد فاق ابن كثير من سبقه من المؤرخين وكتاب السير في التثبت من الأخبار ونقد الأسانيد والحكم عليها وترجيح بعض الروايات على بعض ، وقد فعل مثل هذا في تفسيره مما كان لهما الأثر الواضح في إثراء قضايا البحث بما يظهر الحقائق ومن ذلك ما ورد حول رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نجاشي الحبشة وما ورد في تفسيره حول غلبة الفرس وانتصار الروم والسبب الحقيقي في خروج الرسول صلى الله عليه وسلم لغزو الروم في غزوة تبوك .

١١- كتاب الخراج لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٨٢هـ والذي ألفه بناء على طلب الخليفة هارون الرشيد ليعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات وغير ذلك مما يهدف إلى رفع الظلم عن الرعية وإصلاح أمرهم ، وقد أفدت منه في دراسة عهود الصلح والجزية مع النصارى في العهد النبوي كما أفدت أيضا في الموضع نفسه من كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ . وكتاب الأحكام السلطانية للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ .

١٢- كتاب الإصابة في معرفة الصحابة ، وكتاب التهذيب ، وكتاب تقريب التهذيب للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ

وقد أفدت منها كثيرا في تراجم الأعلام الوارد ذكرهم في البحث ، وقد أفدت أيضا من كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري في الجمع والترجيح بين الروايات إلى جانب استنباط الأحكام الفقهية .

١٣- كتاب معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦هـ . وقد أفدت منه بالتعريف بمعظم البلدان التي تناولها البحث .

وهناك مصادر عديدة ذات أهمية ثانوية لأنها اعتمدت إلى حد كبير على المصادر الآنفة الذكر بالنسبة لبحثي ، والتي رجعت إليها وهي مثبتة بقائمة

المصادر والمراجع ، واعتمد البحث إلى جانب المصادر على عدد من المراجع والأبحاث الحديثة العربية والمعربة ومن أهمها:

- الدولة البيزنطية في عهد هرقل للدكتورة ليلى عبد الجواد وفيه دراسة تفصيلية على ضوء المصادر الأصلية للحرب الفارسية الرومية ولهذا أفدت منه كثيرا عند تعرضي لدراسة الحرب بين الفرس والروم زمن البعثة النبوية ، لأنه لم يتيسر لي الاطلاع على تلك المصادر التي اعتمدت عليها .
- مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله وأفدت مما جمع فيه من مكاتبات وعهود الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى .
- كتاب السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم ضياء العمري ، وقد أفدت منه في الحكم على بعض الأحاديث والآثار الواردة في البحث.
- كتاب الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي للدكتور عبد الله الطريقي، وقد أفدت منه في دراسة أسس الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، وذلك بالرجوع إلى المصادر التي اعتمد عليها في الفصل الأول من كتابه .

وقد أفدت من بعض البحوث التي تعالج بعض جوانب الموضوع الذي أقوم بدراسته ومن أهمها :

- بحث الدكتور علي عودة الغامدي «الحرب بين الروم والفرس في ضوء سورة الروم » ، وقد أفدت منه في دراسة أثر الحرب الرومية الفارسية على المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .
- بحث الدكتور عز الدين إبراهيم « الدراسات المتعلقة برسائل النبي صلى الله عليه وسلم »

ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول (تحت كل فصل عدة عناوين)، وخاتمة .

في المقدمة أشرت إلى أهمية الموضوع ، وسبب اختياره، ثم دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

أما التمهيد فيتضمن دراسة لأهم عوامل تحريف النصرانية وقد سبقتها بلمحة موجزة عن النصرانية قبل التحريف، اشتملت على بيان حقيقة عيسى عليه السلام، وما دعا إليه ، وموقف قومه من دعوته .

أما أهم عوامل تحريف النصرانية، فأشرت فيها إلى دور اليهود الذي يمثله بولس اليهودي حيث قام بتحريف ما جاء به عيسى عليه السلام، لما دعا إلى ما زعم من أن عيسى ابن الله الوحيد الذي أرسله ليتجسد ويقتل وبذلك يخلص البشرية من آثار الخطيئة ، وقد استفاد في تكوينه لهذه الفكرة الخبيثة من تراثه اليهودي ، ومن الفلسفة اليونانية ، والديانات الوثنية السابقة وبخاصة الديانة المصرية القديمة التي كان لها الأثر الواضح في إكمال صورة التحريف بفكرة التثليث التي انتصرت لها المجامع الدينية الخاضعة لسلطة الإمبراطورية الرومية بعد اعترافها بالديانة النصرانية التي أصبحت توافق أهواءها بعد التحريف.

وقد تناولت في التمهيد أيضا النصرانية في ظل الإمبراطورية الرومانية، وأشرت إلى حقيقة مهمة غابت عن أذهان الباحثين وكانت سببا في وقوع التحريف في الديانة النصرانية، وهي أثر بقاء الديانة النصرانية في ظل الإمبراطورية الرومانية، وعدم قيام دولة لها من ذاتها.

وفي التمهيد أيضا تعرضت لتاريخ النصرانية في جزيرة العرب، حيث ألقيت الضوء على تسرب النصرانية إلى أطراف الجزيرة العربية، والأسباب التي دفعت القبائل العربية في تلك الجهات إلى اعتناقها إلى جانب الديانة الوثنية الراسخة في نفوسهم، ثم قمت بدراسة مهمة ـ لم تركز عليها الدراسات السابقة ـ للأسباب التي أدت إلى عدم تسرب النصرانية إلى داخل الجزيرة العربية .

وإذا كان من الملاحظ الإطالة في التمهيد فإن الذي اقتضى ذلك هو كثرة المسائل المطروحة فيه، مع أهميتها كمدخل إلى موضوع البحث .

أما الفصل الأول وعنوانه « العلاقات بين المسلمين والنصارى في العهد المكي » فقد تضمن دراسة نقدية لأسانيد ومتون الروايات التي أشارت إلى علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النصارى قبل البعثة ، وخاصة الراهب بحيرى، كما ناقشت آراء بعض المستشرقين حول تلك العلاقة، وقد أوضحت الدراسة ما يستدل به على الحقيقة في ذلك ، مما غفلت عنه الدراسات السابقة.

كما تناول الفصل موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي ، وأشرت فيه إلى الشبهات التي أثيرت حول هدف هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة، وبينت الهدف الحقيقي منها ، ثم تعرضت إلى أثر الهجرة في تبليغ

نصاري الحبشة حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما ترتب على ذلك من إسلام ملكها النجاشي وأساقفته لأسباب شرحتها الدراسة، وعدم رضا البطارقة وبقية نصارى الحبشة بذلك، فضلا عن عدم قبولهم بدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بدافع نصرانيتهم المحرفة الحاقدة .

وفي الفصل دراسة متأنية لأثر الحرب الرومية الفارسية على المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتشتمل على عرض مجمل للحرب التي وقعت بين الفرس والروم زمن البعثة، والتي أشار إليها القرآن الكريم في أوائل سورة الروم، مع بيان مدى علاقتها بالحق والباطل ، وارتباط ذلك بموقف المشركين في مكة ، وفرح المسلمين المذكور في أوائل سورة الروم.

ومن الأمور المهمة التي كشفت عنها الدراسة في هذه الحرب، أثر المشاعر الدينية التي ترتبط بنصرة المسيح واستعادة الصليب، والتي ابتدأت بها حرب الروم للفرس، على عقيدة النصارى فيما بعد في حروبهم مع غيرهم وخاصة مع المسلمين .

أما الفصل الثاني: وعنوانه: «العلاقات السلمية بين الدولة الإسلامية والنصارى في العهد المدني» فقد أشرت فيه إلى قيام الدولة الإسلامية وأنها وسيلة من وسائل حفظ دين الإسلام من التحريف والتبديل، ثم تناولت بصورة عامة أسس الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم، أبرزت فيها موقف الإسلام من أهل الذمة .

كما تضمن الفصل دراسة تفصيلية لمكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى ، والتي يدعوهم فيها إلى الإسلام، وقد ناقشت أثناء دراستها الشكوك والشبهات التي يثيرها بعض المستشرقين حول صحتها، وما تهدف إليه، ثم ركزت على بيان موقف هرقل من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن بعض الباحثين تخبط في إيضاح حقيقة موقفه بشكل جانب فيه الصواب ، وختمت دراسة المكاتبات بأهم النتائج التي تمخضت عنها.

وفي الفصل أيضاً دراسة نقدية للمعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم، وما اشتملت عليه من أحكام، ومن ذلك مثلا الجزية مقدارها والهدف منها، وتحريم تعامل النصارى بالربا، ودلالته .

أما الفصل الثالث وعنوانه : «العلاقات الحربية بين الدولة الإسلامية والنصارى »

فيشتمل على فكرة مؤجزة عن الجهاد في سبيل الله ومراحله، ثم دراسة شاملة لأهم أسباب عداء النصارى للإسلام وأهله، ومظاهره في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، ضمنتها الكثير من الأدلة والاستنتاجات التي تقطع بأن عداءهم للمسلمين عقيدة راسخة في نفوسهم تنبع من ديانتهم المحرفة.

وفي هذا الفصل أيضا تتبعت بالشرح والتحليل المعارك والغزوات التي وقعت بين الدولة الإسلامية والنصارى ، وختمتها بأهم النتائج التي تمخضت عنها.

أما الفصل الرابع فخصصته للآثار المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وتناولت فيها الآثار الدينية ، والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية، بالصورة التي توضح للمسلمين مستقبل علاقاتهم مع النصارى وما يجب عليهم لمواجهة تأثيرهم على عقيدة المسلمين التي هي مصدر العز لأتباعها في كل زمان ومكان .

أما الخاتمة فضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

وفي نهاية البحث عدد من الملاحق والخرائط الجغرافية ، والفهارس المتعددة التي تسهل الكشف عن موضوعاته .

ولايفوتني أن أقدم شكري لكل من قدم لي عوناً أو توجيهاً من أهل العلم ، وأسال الله عز وجل أن يثيبهم بحسن الجزاء ، وأخص هنا فضيلة الدكتور علي عودة الغامدي الذي كان له فضل كبير في إتمامها بما بذله من وقت كثير في مراجعة فصولها ، وبما أبداه من توجيهات وملاحظات قيمة منذ اختيار هذا الموضوع وإعداد خطته حتى الفراغ من دراسته .

ربنا لاتؤخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، واجعل عملنا خالصاً لوجهك الكريم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

تمهيد

ويشتمل على المسائل التالية :

- عوامل تحريف النصرانية (دور اليهود ، أثر الفلسفة اليونانية ، والعقائد الوثنية السابقة ، المجامع الدينية)
- النصرانية فى ظل الإمبراطورية الرومانية
- تاريخ النصرانية فى جزيرة العرب .

عوامل تحريف (١) النصرانية (٢)

ولد المسيح(٣) عيسى بن مريم عليه السلام زمن الإمبراطور الروماني أغسطس (٢٧ ق . م - ١٤م) ، في بيت لَحْم بِفِلسْطِينَ، في وقت كان فيه العالم يعاني من الفراغ والجدب الروحي(٤)

والقول الحق في ولادة عيسى بن مريم من عذراء بلا أب لايمكن إثباته إلا بالقرآن الكريم(٥)قال تعالى:﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ

---

(١) **التحريف في اللغة** : من حَرَفَ عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفًا ، وانْحَرَفَ ، وتَحَرَّفَ ، احْرورف ، عَدَلَ ، وإذا مال الإنسان عن الشيء يقال : تَحْرفً وانحرف ، واحرورف ، وتحريفُ القلم قَطُّه مُحَرَّفًا ، وتَحْرِيَفُ الكلِم عن مواضعه تغييره .

والتحريف في القرآن ، والكلمة : تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها ، انظر : ابن منظور : لسان العـرب (بيروت : دار صادر ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م) مادة : حرف

(٢) **النصرانية** : نسبة إلى نَاصِرة ـ وتسمى سَاعِير ـ وهي قرية المسيح من أرض الجليل بفلسطين ، والنصرانية دين النصارى المدعوون أتباع عيسى عليه السلام ، والمنتسبون للإنجيل ، انظر : الشهرستاني : الملل والنحل بهامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم (مكتبة المثنى ببغداد) ج ٢ ص٥٩ ؛ خطط المقريزى ، طبعة بولاق ج ٢ ص ٤٨١ ، ٤٨٢ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الطبعة الثانية (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٧٨م) ج٦ ص ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٦٨٦ .

(٣) **سمي بالمسيح قيل** : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لها ، بينما المسيح الدجال ممسوح العينين ، وقيل : لأنه إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء بإذن الله ، وأصح ماقيل في معنى المسيح على كثرة الأقوال في ذلك أنه الصديق بلغتهم ، انظر : أبو حاتم الرازى : « تفسير سورة آل عمران والنساء » تحقيق حكمت بشير ياسين (رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ ـ ١٤٠٥هـ) ج ٢ ض ٤٥ ؛ السهيلي : الروض الأنف (مكتبة الكليات الأزهرية) ج ٤ ص ٢٤٩ ؛ ابن كثير: تفسير (طبعة الشعب)ج ٢ ص ٣٤

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى (القاهرة ١٩٨١م) ج١ ص ٤٧

(٥) ورد تكريم عيسى عليه السلام في القرآن الكريم في ١٣ سورة في ٣٣ آية ، وورد تكريم أمه مريم في أحد عشر موضع

يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(١)

ولاشك أن مولد عيسى عليه السلام معجزة(٢) فاقت في سموها وحقيقتها سائر القصص الديني السائد في ذلك العصر ، وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تبرز إظهارا لكمال قدرته ، وشمول كلمته ، وأشار إليها سبحانه في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً... ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾(٤)

ومهما يكن من أمر فإن ولادة عيسى عليه السلام من أم عذراء بلا أب لاتجعله إلها ، ولاتخرجه عن إنسانيته ، فهو في خلقه من غير أب كمثل آدم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٥)

فهو عبد من عباد الله أنطقه الله بذلك وهو في المهد قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾(٦)

---

(١) سورة آل عمران : الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

(٢) **المعجزة** : لغة اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو ضد القدرة ، تقول : أَعجَزَهُ الشيء فاته ، وفلانا وَجَدَهُ عاجزا وصَيَّرَهُ عاجزا ، والتَّعجيز التَّثبيط والنسبة إلى العَجْز وَمُعْجِزَةُ النبي صلى الله عليه وسلم ما أعجز به الخصم عند التَّحدّي والهاء للمبالغة ، انظر : الفيروز آبادى: القاموس المحيط، الطبعة الثانية (المطبعة الحسينية المصرية ١٣٤٤هـ)ج٢ ص١٨١

قال الفخر الرازي : " والمعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة" ، انظر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين تقديم طه عبد الرؤوف سعد(مكتبة الكليات الأزهرية) ص ٢٠٧

(٣) سورة المؤمنون : آية ٥٠

(٤) سورة مريم : آية ٢١

(٥) سورة آل عمران : آية ٥٩

(٦) سورة مريم : الآيات ٣٠ - ٣٣

وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(٢)

وما كان عيسى عليه السلام بدعا من الرسل، بل هو رسول قد خلت من قبله الرسل، قال تعالى ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾(٣)

ويُعدّ عليه السلام من أولي العزم من الرسل قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ (٤)

وهو عليه السلام - آخر أنبياء الله ورسله من بني إسرائيل. ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :« أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بابنَ مريمَ، الأنبياءُ أولادُ عَلَّاتٍ(٥) ولَيْسَ بَيْنِي وبَيْنَهُ نبيٌّ » (٦).

وعن سلمان (٧) رضي الله عنه : « فَتْرَةٌ بَيْنَ عيسى ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم سِتُّمائةِ سنَة » (٨)

---

(١) سورة النساء : آية ١٧٢

(٢) سورة الزخرف : آية ٥٩

(٣) سورة المائدة : آية ٧٥

(٤) سورة الأحزاب: آية ٧

(٥) **العَلَّات** بفتح المهملة: الضرائر وأصله من تزوج امرأة ثم تزوج بأخرى كأنه علَّ منها ، والعلل الشرب بعد الشرب ، وأولاد العلات الأخوة من الأب وأمهاتهم شتى ، انظر: ابن حجر: فتح الباري الطبعة الثالثة ، (المكتبة السلفية ١٤٠٧هـ) ج٦ ص ٥٦٤ .

(٦) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ...﴾ ح (٣٤٤٣) فتح الباري ج ٦ ص ٥٥١ ؛ وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل عيسى بن مريم صحيح مسلم بشرح النووي ، الطبعة الأولى (المكتبة المصرية ١٣٤٧هـ - ١٩٢٩م) ج ١٥ ص ١١٩ ، واللفظ له.

(٧) **سلمان الفارسي** : أبو عبد الله ، أسلم عند قدوم الرسول المدينة ، وشهد الخندق ومابعدها توفى سنة أربع وثلاثين ، انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف (بيروت : دار المعرفة) ج ١ص ٣١٥

(٨) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ح (٣٩٤٨) فتح الباري ج ٧ ص ٣٢٤.

وابتداء نبوته عليه الصلاة والسلام وكيفتها لم يـرد لها ذكر في القـرآن الكريم ولا الآثـار والصّحاح ، والـذي ثبت هو أن الله بعثـه رسولا إلى بني إسرائيـل خاصة لما اختلفوا في شأن دينهم وتقطعوا أمرهم بينهم فأراد جمعهم على الدين الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل جميعا من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو عبادة الله وحده لاشريك له ، والنهي عن عبادة ما سواه ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ (١) ، وقال تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾(٢) وفى الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاء قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بيتاً فَأَحْسَنَهُ وأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وِ يَعْجَبُونَ لَهُ ، ويَقُولُونَ هَلاَّ وضِعَتْ هذِهِ اللَّبِنَةُ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيينَ »(٣) ، وجاء في الإنجيل أن المسيح قال : " لم أرسل إلاَّ إلى خراف بيت إسرئيل» (٤) ، وقال :" لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل"(٥) وقال : " الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه أول كلِّ الوصايا"(٦) ٠

وقد أنزل الله تعالى على عيسى عليه السلام الإنجيل، وأجرى على يديه المعجزات تصديقا لنبوته، وتأييدا لرسالته التي جاءت امتدادا لرسالة موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ

---

(١) سورة الأنبياء : آية ٢٥

(٢) سورة الزخرف : الآيتان ٦٣ ، ٦٤

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ح (٣٥٣٤) فتح الباري ج٦ ص ٦٤٥، واللفظ له ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٥١

(٤) الكتاب المقدس: العهد الجديد(القاهرة: دار الكتاب المقدس ١٩٨٣م) إنجيل متى الاصحاح ١٥ :٢٨

(٥) إنجيل متى : الإصحاح ٥ : ١٧

(٦) إنجيل مرقص: الإصحاح ١٢ : ٣٠، ٣١

فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(١)، وقال تعالى ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢)

والملاحظ أن الشريعة التي جاء بها عيسى عليه السلام لاتخرج عن القواعد العامة التي دلّت عليها التوراة المنزلة على موسى عليه السلام إلا ما أراد الله نسخه من الأحكام المفروضة فيها على لسان عيسى عليه السلام، قال تعالى : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾(٣)

ولقد بشر عيسى عليه السلام قومه بشارة صريحة ببعثة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤)

وفي الحديث عن العرباض بن سَارِيَةُ (٥) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنّي عبد الله وَخَاتَمُ

---

(١) سورة المائدة : آية ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران : الآيتان ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة آل عمران : اية ٥٠ .

(٤) سورة الصف : آية ٦ .

(٥) **العرباض بن سَارِيَةُ السُلَمي** : أبو نجيح من أوائل الصحابة إسلامــاً ومن أهل الفقه ، وممن نزل فيهم قوله تعالى : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهــم ﴾ نــزل حمص بعد الفتوح توفى سنة ٧٥هـ ، انظر ابن حجر : الإصابــة (بيروت : دار الكتب العلمية طبق السخة المطبوعة فى كلكتا ١٨٥٣ م) جـ ٤ ص ٢٣٤ .

النَّبِّيين وسأخبركم عن ذلك دَعْوَةَ أبي إبراهيم وبِشَارة عيسى قَوْمَه...» (١)

ورغم وقوع التحريف في نسخ الإنجيل المتداولة وحذف التصريح باسم النبي صلى الله عليه وسلم منها ، بل وحذف النصوص الواضحة الدالة على صفاته ، فقد وجد مصرحاً به فى إنجيل برنابا(٢) ــ الذى حرمت الكنيسة تداوله فى أواخر القرن الخامس الميلادي(٣) - في مواضع كثيرة منه مثل قوله :" ولكن تعزيتي هي في مجيء الرسول الذي سيبيد كل راءٍ كاذبٍ فيّ، وسيمتد دينه ، ويعم العالم بأسره، لأنه هكذا وعد الله أبانا إبراهيم وإن ما يعزيني هو أنه لانهاية لدينه لأن الله سيحفظه صحيحا...... إن اسمه المبارك محمد" (٤)

وتذكر بعض المصادر أن في إنجيل يوحنا قول عيسى للحواريين : "وابشركم بنبي يأتي من بعدي اسمه بارقليط " ، وهذا الاسم هو باللسان اليوناني وتفسيره بالعربية أحمد(٥) وورد في موضع آخر قوله لهم : " ويخبركم بامور آتية " (٦)

أما موقف بني إسرائيل من دعوته فيتلخص كما بينه القرآن الكريم في أن طائفة منهم آمنوا به وصدقوه فيما جاء به من عند الله وناصروا دعوته وهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده « بيروت : دار الكتب العلمية » جـ ٤ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ الحاكم في مستدركه « الرياض : مكتبة ومطابع النهضة الحديثة » جـ ٢ ص ٦٠٠ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ٠

(٢) ورد التصريح بأن برنابا أحد تلاميذ المسيح ففي أعمال الرسل ٤ : ٣٧ ورد ما نصه : « ويوسف الذي دعي من الرّسل (برنابا) الذي يترجم ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنس ٠٠٠٠»٠

(٣) عثر على هذا الانجيل حديثاً فقد عرفت أقدم نسخه له عام ١٧٠٩م ، ولم تعترف به الكنيسة وأنكرته وقد أبدت المخطوطات التي عثر عليها في منطقة البحر الميت حديثاً على أنه موجودٌ قبل الاسلام ، انظر : محمد أبو زهره : محاضرات في النصرانية الطبعة الثالثة (القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٨١هـ - ١٩٦٦م) ص ٥٦ وما بعدها ؛ أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ، الطبعة الاولى (المدينة المنورة : دار العلوم والحكم ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) جـ ١ ص ١١٨ ٠

(٤) **إنجيل برنابا**: ترجمة خليل سعاده (مطبعة المنار ١٩٥٨م) الفصل٩٧ص ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩

(٥) عبدالله الترجمان : تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب تحقيق محمود على حماية الطبعة الثانية(القاهرة : دار المعارف ١٩٨٤م) ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ولم أجده في نسخة العهد الجديد التي اعتمدت عليها في اخراج نصوص الأناجيل بهذا اللفظ

(٦) انجيل يوحنا : الإصحاح ١٦ : ١٤ ؛ وانظر ماورد ايضا في انجيل متى الاصحاح ٧ : ١٧-٢٠

الحواريون(١) الذين جعل الله في قلوبهم رأفة ورحمة ، وجعل منهم قسيسين ورهبانا قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾(٢) ، أما الطائفة الأخرى فهي التي ورد ذكرها في الآية الآنفة الذكر بانها كفرت ، وهي التي تآمرت على صلبه ، وقتله ، فنجاه الله منها ورفعه إليه. قال تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٣).

وخلاصة القول في عيسى عليه السلام أنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأنه لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه ، وأنه سينزل في آخر الزمان حاكما بشريعة الإسلام التي جاء بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . هذا هو اعتقاد المسلمين في أمره(٤) ، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(٦)

---

(١) **الحوارى** : معناه الناصر ، و الحواريون : هم أتباع أو تلاميذ عيسى عليه السلام وهم ليسوا أنبياء أو رسلاً كما يدعى النصاري انظر : ابن أبي حاتم : « تفسير سورة آل عمران والنساء » تحقيق حكمت بشير ج ٢ص ٤٥ ؛ ابن كثير: تفسير ج ٣ص ٢٢٠

(٢) سورة الصف : آية ١٤

(٣) سورة النساء : آية ١٥٧ ، ١٥٨

(٤) أما معظم النصارى فيعتقد ماتذهب إليه الرواية النصرانية من أن عيسى قتل على يد اليهود ثم قبر ، ثم رفع إلى السماء بعد أربعين يوما ، وعلى هذا أقاموا مكان القبر ـ على زعمهم ـ كنيسة القيامة .

(٥) سورة مريم : آية ٣٤ .

(٦) سورة النساء : آية ١٧١ .

وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ شَهِدَ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ الله وحدَهُ لاَ شَرِيكَ لهُ، وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُوله ، وَأنَّ عيسى عَبدُ الله ورسُـوله وكلمتهُ ألقاها إلى مريمَ وُروحُ منهُ ، والجنّةُ حَقٌ والنّارُ حقٌ ، أدخلَهُ الله الجنَّةَ على مَا كانَ مِنْ العَمل » (١)

والملاحظ أن تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم على حقيقة عيسى عليه السلام في هذا الحديث إشارة إلى ما كان يتقاذف العالم النصراني حينذاك من آراء متباينة ، وفرق متناحرة حول طبيعة المسيح عليه السلام .

وأختم القول في أمر عيسى عليه السلام بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَماً مُقْسطاً فَيَكِسرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ حَتَّى لاَيقْبَلَهُ أحَدٌ »(٢)

وبعد هذه اللمحة الموجزة عن حقيقة ما جاء به عيسى عليه السلام ، ننتقل إلى إلقاء الضوء على عوامل تحريف النصرانية وهى :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى : « يأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ٠٠٠٠» ح (٣٤٣٥) فتح الباري جـ ٦ ص ٥٤٦ ٠

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المظالم ، باب كسر الصليب وقتل الخنزير ، ح (٢٤٧٦) فتح الباري ج ٥ ص ١٤٤ ؛ ومسلم في كتاب الايمان، باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً صحيح مسلم بشرح النووي جـ٢ص١٨٩ ،١٩٠

١ـ دور اليهود(١) :

من الثابت في التاريخ أن اليهود مروا بمرحلة قاسية من الفرقة والانقسام سياسيا، والردّة ، وعبادة الأوثان دينيا بعد عهد نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنهم نسوا في أثنائها أمر التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام ، وكانت لهم هدى ونوراً فيها توحيد الله وتنزيهه عن كل مظاهر النقص ، وفيها كل ما يحتاج إليه بنو إسرائيل من عقائد وشرائع وأخلاق ، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ... ﴾ (٢)

وقال تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾.(٣)

وقد عمد أحبار اليهود إلى كتابة الكتاب المتداول اليوم والمعروف بالعهد القديم وهم على ضفاف الفرات بعد وقوع السبي البابـــلي عليهم سنة ٥٨٧-٥٣٩ ق . م

---

(١) **اليهود** : من الهوادة : وهي المودة أو الهود : التوبة وقيل : أنهم سموا يهوداً حين تابوا من عبادة العجل زمن موسى عليه السلام ثم لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام : « إنا هدنا اليك » ، وقيل : إنهم سموا بذلك لانهم يتهوّدون : أي يتحركون عند قراءة التوراة ، ويرجح بعض العلماء نسبة يهودي إلى يهوذا رابع أبناء يعقوب أو إلى مملكة يهوذا التي دمرها نبوخذ نصر ، وعليه قيل للواحد منهم يهودي ، ثم أصبح علماً على كل من يعتنق دين اليهود سواء من بني إسرائيل -الاسم البديل ليعقوب عليه السلام- أومن غيرهم، وكلمة يهودي تختلف عن كلمة إسرائيلي ، فهي لاتدل على الايمان بالله او الفخر الشخصي كإسرائيل ، بل لفظ يهودي يدل على ذلة الشعب وخضوعهم لحكام البلاد التي قطنوها ومن هنا لانجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم إطلاق لفظة اليهود على سبيل المدح ٠

والصحيح أنهم - كما بينت الايات القرآنية التي نزلت فيهم - لم يعرفوا في عهد موسى عليه السلام إلاّ ببني إسرائيل ، انظر : محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم « أسرائيل » (مطبعة الأمانة بمصر ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) جـ ٢ ص ٦ - ١١

(٢) سورة المائدة : آية ٤٤

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٥

وادعوا كذبا أن هذا هو التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...... ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(٢)

وسجل أحبار اليهود في كتابهم(العهد القديم) تاريخهم منذ بَرأ الله الخليقة وحتى القرن ٢ ق . م ، ورغم هذا فهو ليس من التاريخ في شيء، وإنما هو مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة مجافٍ للعقل والمنطق ملىء بالمتناقضات مشبع بالسخف مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء.(٣)

والمهم أن العهد القديم " التوراة الحالية " وكتابهم الآخر التلمود(٤) جاءا ليبينا لنا ما بينه القرآن الكريم من كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم وإيذائهم لأنبياء الله تعالى، وأتباعهم بالقول والفعل ، قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۞ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ ﴾(٦)

---

(١) سورة النساء : آية ٤٦ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ .

(٣) محمد بيومي مهران : المرجع السابق جـ ٤ ص ٢٦٣ ، ٥٦٥ .

(٤) **التلمود** : لفظه مشتقة من لفظه عبرية (Lamad) ومعناها تعليم وهو مجموعة من الروايات الشفوية ، دعا إليها حكماؤهم ، وكانت تنقل من جيل إلى جيل على ألسنة الأحبار هي من شئون العقيدة والشريعة والتاريخ والسير ، وله عند اليهود قداسة أكثر من الكتاب المنزل ، وتم تدوينه منذ مطلع القرن ٣ م وحتى نهاية القرن ٤ م ، انظر : محمد مهران : المرجع السابق (طبعة عام ١٣٩٩هـ) جـ ٣ ص ٢٩٦ ، ٢٩٧

(٥) سورة البقرة : آية ٨٧ ، ٨٨ .

(٦) سورة المائدة : آية ٨٢ .

وحسبنا في هذا المبحث مما ورد من الآيات القرآنية، وأسفار اليهود مما يبين حقيقة انحراف اليهود الديني والخُلُقي ما أحدثوا في عقيدة التوحيد وظهر بعد ذلك في النصارى فكان سبب ضلالهم وكفرهم. وذلك كالتالي :

١- فكرة اليهود عن الله تعالى

يزعم(١) اليهود أن لبني إسرائيل إلهًا خاصاً لايشاركهم فيه غيرهم ويعد أعظم الآلهة ويدعى"يهوه"، ومع هذا فقد جاء على صورة تأباها النفس ويمجها الذوق صورة أقرب إلى المادية منها إلى الروحية، فهو عندهم موصوف بالقسوة والتدمير(٢)، وعدم العلم(٣)، وأنه يأمر بالسرقة(٤)، ويخطىء ويندم(٥) ويتعب(٦) ويكذب(٧)، وأنه فقير(٨)(٩).

وضل النصارى بسببهم في تصور الإله فقالوا مكايدة لليهود: إن إله بني إسرائيل الذي خُلق الانسان على صورته، قد هيّأ أيضا وسيلة للخلاص لخلائقه، بأن تجسّد بذاته في صورة إنسان هو المسيح.(١٠)

٢_ كَذَبَ اليهود وافتروا على الله وقالوا في التوراة المحرفة: " إن الرب قال لموسى

---

(١) **الزعم** : القول بالظن ويطلق على الكذب، وقال شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا ، انظر: الشوكاني: فتح القدير ، الطبعة الثانية (مطبعة مصطفى الحلبي١٣٨٣هـ)ج ٥ ص٢٣٦

(٢) محمد مهران : المرجع السابق جـ ٤ ص ٤٧ .

(٣) انظر النص الذي ورد فيه في الكتاب المقدس (القاهرة : دار الكتاب المقدس ١٩٨٣م) العهد القديم سفر التثنية الاصحاح ٧ : ١ - ٢

(٤) انظر النص في المصدر نفسه سفر الخروج : الإصحاح ١٢ : ١٢ - ١٣

(٥) انظر النص في المصدر نفسه سفر الخروج : الإصحاح ١١ : ٢

(٦) انظر النص في المصدر نفسه سفر الخروج : الإصحاح ٣٢ : ١٤

(٧) انظر النص في المصدر نفسه سفر الخروج : الإصحاح ٣١ : ١٧

(٨) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل جـ ١ ص ١٢١ .

(٩) أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ..... ﴾ سورة آل عمران آية ١٨١ .

(١٠) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلينية ترجمة رمزي عبده جرجس (مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م) ص ٢٠ .

انظر أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيا "(١)

والله تعالى يقول على لسان موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾(٢)

وفعل النصارى مثل فعل اليهود فقالوا إن الله هو المسيح بن مريم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا. فالله تعالى يقول على لسان عيسى ابن مريم: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ .... ﴾(٣)

٣_ ورد أن اليهود اتخذوا في عصر الملوك معبودات كثيرة منها يهوه، وبعل، وعشتارت . (٤)

فتابعهم النصارى بأفحش مما فعلوا فجعلوا الإله الواحد ثلاثة آلهة وجعلوا الثلاثة إلها واحدا، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾(٥)

٤- يعتقد اليهود أن لله بنين وأنهم اتخذوا من بنات الآدميين خليلات فأنجبوا منهن الذين يعرفون بالجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان(٦)

ومن هنا ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه فتابعهم النصارى في ذلك ، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ ... ...﴾(٧)

٥- زعم اليهود أن موسى عليه السلام هو ابن الله البكر(٨) - تعالى الله عما

---

(١) انظر : خروج : الاصحاح ٧ : ١

(٢) سورة طه : آية ٩٨ .

(٣) سورة المائدة : آية ١١٧ .

(٤) محمد مهران : دراسات في تاريخ الشرق القديم جـ ٤ ص ٢٢ .

(٥) سورة المائدة : آية ٧٣ .

(٦) انظر : التكوين الإصحاح ٦ : ٤ ؛ ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ١٢١

(٧) سورة المائدة : آية ١٨ .

(٨) محمد مهران : المرجع السابق جـ ٤ ص ٧ .

يقولون علوا كبيرا _ وقالوا باطلا إن عزير ابن الله ، فحذا النصارى حذوهم وقالوا المسيح ابن الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

٦_ **اتخذ اليهود أحبارهم أربابا من دون الله** فسلك النصارى طريقهم فاتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله، قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٢)

وفي الحديث عن عَدِيَّ بن حَاتِمَ (٣) رضي الله عنه قال:" أَتَيْتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم .... وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ سُورَةِ بَرَاءَةَ: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال: « أَمَا إِنَّهُمْ لم يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوه ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِم شَيْئاً حَرَّمُوهُ ».(٤)

وهكذا يتبين أن اليهود سبقوا النصارى زمنا، وسبقوهم كفرا بتحريفهم عقيدة التوحيد التي أدخلوا فيها الشرك والوثنية، وأصبح هذا العمل سجية لهم طوال فترة التاريخ البشري.

ولذا فإن متابعة النصارى لهم في الكفر ما كان تقليداً فقط بل عملاً يهودياً متعمداً، ويتضح هذا في موقفهم من عيسى عليه السلام الذي أرسله الله تعالي لينقذهم من الهلاك والدمار الذي سيلحقهم بسبب ذنوبهم، فقد كفروا به وجحدوا ما عرفوا من حقيقة أمره ؛ لأنه جاءهم بما لاتشتهي أنفسهم فزعموا أنهم لم يجدوا فيه

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٠ .

(٢) سورة التوبة : آية ٣١ .

(٣) **عدى بن حاتم** بن عبد الله بن سعد الطائى ، كان نصرانيًا ثم أسلم فى سنة تسع ، وقيل سنة عشر من الهجرة، وثبت على الإسلام لما وقعت الردة زمن ابى بكر رضى الله عنه، شهد فتوح العراق ، وشهد صفين مع على رضى الله عنه، مات بعد الستين بقليل، انظر، ابن حجر : الإصابة ج ٤ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

(٤) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب في تفسير سورة التوبة ح (٥٠٩٣) ، تحفة الأحوذي الطبعة الثانية (مطبعة المعرفة ١٣٨٤هـ -١٩٦٤م) جـ٨ ص ٤٩٢ ، ٤٩٣

ما كانوا ينتظرون من أنه سيرسل إليهم المسيح المخلص في صورة ملك وليس على صورة نبي(١)

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾(٢)

ويبين الحق سبحانه هوى اليهود وطابعهم المميز في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾(٣)

لقد افتروا على عيسى عليه السلام فقالوا إنه كافر مرتد وثني عدو لله ولليهود وأنه ساحر مجنون ولد زانية أتت به أمه مريم من العسكري "باندرا" عن طريق الخطيئة(٤) ؛ فكان هذا من جملة الأسباب التي لعنوا من أجلها قال تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾ (٥) ، ولما فشلوا في تشويه حقيقة عيسى عليه السلام، وصد الناس بذلك عن اتباعه، أجازوا قتله هو وأتباعه واعتبروا ذلك من الأفعال التي يكافىء الله عليها، وبهذا الاعتقاد الباطل والمفترى على الله تعالى، تآمروا على نبي الله المسيح عليه السلام وشرعوا في محاولة قتله ، بتحريض الحاكم الروماني في فلسطين ، زاعمين في قولهم له أن عيسى عليه السلام يعمل على تقويض حكم الرومان ليعلن نفسه ملكا على البلاد، فأثاروا بذلك حفيظته، فأصدر أمره بالقبض على عيسى عليه السلام، ليعدمه صلبا، فتجلت قدرة الله

---

(١) سعيد أيوب : المسيح الدجال الطبعة الأولى (القاهرة : دار الاعتصام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م) ص ٣١

(٢) سورة البقرة : آية ٨٧ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٤ .

(٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (القاهرة : مطبعة المدني) جـ ١ ص ٢٣ ، ٢٣٥ ؛ ابن القيم الجوزية : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى الطبعة الثانية (جدة : مكتبة السوادي للتوزيع ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ؛ محمد مهران : المرجع السابق جـ ٣ ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(٥) سورة النساء : آية ١٥٥

سبحانه وتعالى فأنجى عيسى من القتل والصلب ورفعه إليه وأوقع الشبه على شخص آخر يذكر إنه يهوذا الأسخريوطي الذي دلّ عليه (١)

وهذه الحقيقة لم تظهر لليهود فظنوا ولم يكونوا على يقين أنهم قتلوه وصلبوه فظل كثير من النصارى بقولهم هذا وأصبح من معتقدهم تقديس الصليب وعبادته.

يقول الله تعالى عن اختلافهم في نهاية عيسى عليه السلام : ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٢)

وتفرّق أتباع عيسى عليه السلام بعد رفعه في البلدان المجاورة لفلسطين هرباً من بطش اليهود، واستمروا في نشر دعوة التوحيد بين قبائل اليهود، والرومان الوثنيين، فاستجاب لهم بعض منهم، فزاد هذا من حقد اليهود عليهم حيث تعاونوا مع الرومان حكام تلك المناطق في حركة الاضطهاد لهم في محاولة لمقاومة دعوتهم(٣)

والواقع أن ذلك لم يزد النصارى إلا تمسكا بدينهم، وإخلاصا في العمل على نشره. فلم يملك اليهود بعد هذا إلا التآمر على تحريف وإزالة دين الله الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام، وانبرى للقيام به رجل منهم يدعى بولس" شاول اليهودى" اعتنق النصرانية نفاقا ليعمل على هدمها من الداخل والملاحظ أن شخصية بولس اليهودي والدور الذي قام به لتحريف النصرانية قد استرعى انتباه الكثير من العلماء ونال في كتاباتهم أهمية بالغة ؛ لأنه يكشف حقيقة دور اليهود في تحريف النصرانية.

وتتلخص ترجمته في أنه وُلِدَ في طرسوس من أعمال قليقية في حوالي السنة

---

(١) محمد ضياء الرحمن الأعظمي : اليهودية والمسيحية ، الطبعة الأولى (المدينة المنورة : مكتبة الدار ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ص ٢٥٣ .

(٢) سورة النساء : آية ١٥٧ ، ١٥٨ ؛ وانظر تفاصيل فساد معتقدهم في نهاية عيسى ، ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تحقيق محمد حامد الفقي (بيروت : دار المعرفة) ج ٢ ص ٢٩٥ ، ٢٩٦

(٣) الأعظمي : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

العاشرة من التاريخ الميلادي، وكان أبوه من الفريسيين (١) فنشأ ابنه على مبادىء هذه الفرقة اليهودية ، وظل يعتز بانتسابه إليها طوال حياته ، وتربى في أورشليم ، وتعلم على أيدي الأحبار اليهود، وكان والده يتمتع بحقوق المواطن الروماني فورث ابنه هذا الحق(٢).

ويذكر أنه تعلم اللغة الإغريقية، وأنه تبحر في لاهوتيات الاسكندرية الهيلينية(٣).

كان قبل تظاهره بالدخول في النصرانية من أكبر أعداء النصارى يسعى لاضطهادهم وتسليمهم إلى السلطة الرومانية(٤)، وفي أثناء عمله هذا تبرز خرافة كيفية دخوله في النصرانية، ففاجأه وهو يسير مع جملة فرسان إلى دمشق ليكشف أتباع النصرانية ويسوقهم موثقين إلى أورشليم، وإذا به ينظر إلى ضوء كشعاع الشمس إذ سمع صوتا من الضوء يقول:" لأى شىء يا شاأول تضرني" ؟ فقال له شاأول: ومن تكون أنت يا سيدي ؟ فقال له : أنا عيسى المسيح .... ثم قال له شاأول : يا سيدي وما تأمرني به ، فقال له سر إلى مدينة دمشق فابحث عن رجل اسمه " أنانيا " فهو يعرفك ما يكون عملك عليه فسار إلى دمشق وتنصّر على يد "

---

(١) **الفريسيون** : لفظ مأخوذة من العبرية « فروشيم » التي تعني المفروزين الذين امتازوا عن غيرهم بأنهم أقدم نشأة ، وأكثر معرفة بشريعة الله في نصوصها المقدسة ، وقد أطلقوا على أنفسهم الأتقياء، وأطلق عليهم الربانيون والأحبار ؛ تزعموا غيرهم من طوائف اليهود ، وابتدعوا قوانين وفرضوها على الناس ، وهم أوسع الفرق اليهودية انتشاراً وأكثرها عدداً ، شكلوا حزباً سياسياً دينياً أيام المسيح عليه السلام ، فكانوا من أشد أعدائه ، نُسب إليهم أنهم هم الذين أغروا حاكم فلسطين بيلاطس النبطي بإهدار دم المسيح عليه السلام ، انظر محمد بيومي مهران : المرجع السابق جـ ٣ ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٤م) جـ ١١ ص ٢٤٩ .

(٣) هـ .ج . ولز : معالم تاريخ الانسانية ترجمة عبدالعزيز توفيق الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٧٢) جـ ٣ ص ٧٠٥ . والهيلينية : نسبة إلى هيلين بن ديوكا لين جد اليونان الأول ، وهي تعني حضارة الأغريق ومثلهم وطرق معيشتهم ، وقيل توصف بالهيلينية كل محاولة حديثة لإحياء المثل الأغريقية القديمة ، انظر : الموسوعة العربية الميسرة (مصر : دار الشعب ١٩٦٥م) ص ١٩٣١

(٤) انظر : رسالة بولس إلى غلاطية ، الإصحاح ١ : ١٣ ؛ وإلى تيمانوس ، الإصحاح : ١ : ١٣ ؛ أعمال الرسل : الاصحاح ٨ : ٣ .

أنانيا "(١)

يقول عبد الله الترجمان: هذه الحكاية كذب أوهي من خدع الشيطان(٢) .

هكذا زعم بولس أنه تنصّر ، وأنه تـعلم من عيسى عليه السلام رغم أنه لم يُدركه ، ولارآه أبدا، بل لم يسمع من تلاميذ عيسى أى موعظة أو تعليم(٣)

وقد بدأ بولس بتحريف ماجاء به عيسى عليه السلام، بزعمه أن عيسى ابن الله الوحيد الذي أرسله ليتجسد ويقتل ويصلب وبذلك يخلص البشرية من آثار الخطيئة(٤).

ولا غرابة في هذا القول بالنسبة لبولس لأنه معلوم في عقيدته اليهودية وثقافته اليونانية قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ (٥)

ويذكر أيضا أن اليهود يعتقدون أن المسيح المنتظر قبل بعثة عيسى عليه السلام هو ابن الله.(٦)

وإلى جانب ما ذكرنا من الآيات القرآنية التى توضح بصورة قاطعة حقيقة عيسى عليه السلام فقد جاء فيما كتبوه في أناجيلهم أن عيسى قال وهو على خشبة الصلب: بزعمهم" إلهي إلهي لم خذلتني "؟ وذلك أخر ما تكلم به في الدنيا، وحاشا أن يكون الله خذله، أو مكن اليهود من صلبه، وإنما احتججنا على النصارى به ؛ لأنهم قد رضوه من نصوص أناجيلهم وهم مصدقون به، وفيه التصريح بأن عيسى قال إلهي إلهي فأقر بأن له إلها يدعى في الشدائد، وتبرأ من إدعاء الألوهية لنفسه.(٧)

---

(١) عبدالله الترجمان : المصدر السابق ص ٦٥ ؛ وورد في أعمال الرسل الاصحاح ٩ : ١٠ بدل « أنانيا » « حنانيا »

(٢) عبدالله الترجمان : المصدر السابق ص ٦٥

(٣) عبد الله الترجمان : المصدر السابق ص ٦٥

(٤) انظر : رسالة بولس إلى أهل رومية الاصحاح ٣ : ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦

(٥) سورة التوبة : آية ٣٠

(٦) محمد فتحى عثمان : « التثليث والنصرانية » مجلة هذه سبيلى (الرياض : جامعة الامام محمد بن سعود ، العدد الأول ، السنة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م)ص ٣٥٠

(٧) انظر : عبدالله الترجمان : المصدر السابق ص ١٠٤ ، وقال في الموضع نفسه : « وإذا كان عيسى قال للحوارين إني ذاهب الى ابي وأبيكم كما يزعمون - فإنه يعني بأبي وأبيكم المالك لي ولكم وهو اصطلاح أهل ذلك الزمان »

والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين تبين أيضاً أن عيسى عليه السلام لم يدع قط أنه المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه أنه ابن الله(١).

يقول ابن تيمية :« وليس فى كلام المسيح ولا فى كلام سائر الأنبياء ولاكلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً ، ولاروح قدس ، ولا تسمى صفته القديمة ، ابنا، ولاروح قدس ، ولايوجد قط فى كلام الأنبياء اسم الابن واقعا إلا على مخلوق ....، والمراد به فى تلك اللغة أنه مصطفى محبوب لله ..»(٢)

ويذهب أحد الباحثين إلى أن تعبير ابن الله لم يكن في الواقع ليمثل بالنسبة إلى اليهود سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين، وكذلك لايسمحُ أيٌّ نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير ابن الله على عيسى لأن هذه لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية بل هي اللغة التي استخدمها بولس، ومؤلف الإنجيل الرابع لتطلق على المسيح حقيقة(٣)

أمّا عقيدة التضحية والفداء التي أضافها إلى المسيح بزعمه أنه ابن الله، فهي سنة يهودية وثنية اعتقدهـــا اليهود سابقاً عندما قالوا إن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم وأن لاشيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله؟! ليكفر بموته عن خطيئته(٤)

وبتأثير من الفلسفة اليونانية والديانة الوثنية الهيلينية أضاف بولس إلى العقيدة الكاذبة جرما آخر يتمثل في زعمه أن الله تجسد في صورة إنسان عرض نفسه للشقاء الذي هو المصير المحتوم لكل إنسان(٥).

هذه هي صورة تأليه المسيح التي ابتدعها بولس ودعا إليها ، وطاف البلاد، ووعظ

---

(١) شارل جنيبير : المسيحية نشأتها وتطورها • ترجمة عبدالحليم محمود (بيروت : منشورات المكتبة العصرية) ص ٣٩ •

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٢ ص ٦٨

(٣) شارل جنببير : المرجع نفسه ص ٣٩ •

(٤) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ١١ ص ٢٦٤ •

(٥) أرنولد توينبى الحضارة الهيلينية ص ٢٠

وألقى الخطب في المجامع ، وأنشأ الكنائس، وكتب وأرسل الرسائل إلى أصدقائه (١) وسلك كل طريق من أجل كسب الأتباع المؤيدين لها.

يقول بولس في إحدى رسائله :" فإني اذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس... وصرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء، صرت للكل كل شيء لأخلص على كل حال قوما ، وهذا أنا أفعله لأجل الإنجيل لأكون شريكا فيه "(٢)

وهكذا كان دهاؤه ونفاقه في محاولة إيصال ما ابتدعه من عقائد فاسدة لجميع الأجناس ، ورغم هذا فإنه لم يجد له آذاناً صاغية في الشرق إلا عددا ضئيلا من ضعفاء النفوس والإيمان الذين دخلوا في النصرانية حديثا.

أما تلاميذ المسيح وأتباعه فقد أنكروا وقاوموا ما أحدثه بولس في عقيدتهم من تحريف .

وبرر بولس فشله هذا في فلسطين وما جاورها بالزعم أنه سمع صوتا إلهيا يحث النصارى على الخروج من أورشليم إلى بلاد الأمم الأخرى ويقول لهم :" ألستم تعلمون أن القديسين سيدنون العالم "(٣)

وقد اتجه بولس بعد فشله في إقناع الشرقيين بما أحدثه في النصرانية من تحريف إلى الغرب حيث الرومان الوثنيون ، والفلاسفة اليونانيون ، فوافق كفره كفرهم واستجابت له الغالبية منهم ، وتحمسوا للعمل على نشر أفكاره فداخلوا الأمم وتخلقوا بأخلاقهم -وألفوا الأناجيل التي تتعارض مع دعوة التوحيد التي اشتمل عليها الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام .

والواقع أنه رغم اتفاق الأناجيل المؤلفة مع ما خططه لهم بولس في رسائله إلا

---

(١) هذه الرسائل التي كتبها بولس وأرسلها الى أصدقائه تسمى عند النصارى الرسائل التعليمية ، لأنها تشرح في صورة مفصلة عقائد الديانة النصرانية المحرفة « شرائعها وشعائرها وأخلاقها » وأعظم ما فيها النص على ألوهية المسيح وبنوته لله ، يقول ابن حزم عنها : « وهي خمس عشرة رسالة مملوءة حمقاً ورعونه وكفراً » انظر الفصل في الملل والنحل جـ٢ ص ٣

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الاصحاح ٩ : ١٩ - ٢٣

(٣) نقلاً عن سعيد أيوب : المسيح الدجال ص ٥٠ .

أن التناقض وزيادة التحريف ظاهر فيها، ويرجع السبب في ذلك إلى الخلافات والمنازعات الدينية التي وقعت بين المؤيدين والمعارضين لها .

ومهما يكن من أمر فإن كلمة ابن الله هي التي غيرت مجرى التاريخ النصراني، فكانت بمثابة بذرة خبيثة ألقيت فى جوف الأرض فأعطت ثمارها الخبيثة في مجمع نيقية (١) وما بعده من المجامع كما سيأتي بيانه لاحقا(٢) .

---

(١) نيقية : Nicaea مدينة قديمة تقع في آسيا الصغرى شرق بحر مرمرة يذكر أنها أُسست فى القرن ٤ ق . م ، كانت مركزاً تجارياً مزدهراً فى ظل الحكم الرومانى ، ومقراً لبعض المجامع الكنسية ، أصبحت عاصمة للإمبراطورية البيزنطية ١٢٠٤ـ ١٢٦١م ،وفي القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر الميلادي تمكن سلاجقة الروم من الاستيلاء عليها واتخاذها عاصمة لدولتهم حتى اخرجوا منها في الحملة الصليبية الأولى ، ثم استولى عليها السلطان العثماني أورخان من الروم ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو أزنيق وهي اليوم بجمهورية تركيا ، انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ص ١٧٢ ، ١٩٠ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ص ١٨٦٧

(٢) انظر : مايلى ص ٤٢ - ٤٨

٢ـ أثر الفلسفة (١) اليونانية في الديانة النصرانية :

سبق الإشارة إلى أن رجل الثقافة واللغة اليونانية ـ بولس اليهودي ـ قد وجد في الفلسفة اليونانية فكرة التجسّد، فبلورها عند تحريفه للنصرانية، حتى تتقبلها الأقلية المثقفة بالفلسفة اليونانية في المجتمع .

وأيا كان الأمر فبهذه الفكرة أصبح إله النصارى مثله مثل الآلهة اليونانية "أبولو، أبيقور، أغسطس"- شخصا يمكن للبشر أن يتقابلوا معه، ويتصلوا به، وهو في تصورهم إله المحبة" الأب" ، وفي الله الابن تصافح الرب مع عباده فى شخص المسيح الذي ظهر على صورة بشر وبدافع من حبه لخلقه ضحى الله الابن بنفسه مثله مثل إله الزرع المقتول المعروف بأسماء" أوزيرس ، آدونيس ، آتيس " الذي تغلب على الموت بأن بعث إلى الحياة من جديد ، ويشبه إله النصارى المزعوم الإله ميتراس في تغلبه على طبيعته الدنيا ومقاومته للإغراء الأكبر في عدم ارتداده أمام محنة الصلب، وأنه سيعود مرة أخرى، آتيا على سحاب بقوة ومجد كثير مثل الإله هداد إله الزوابع في دوليكي ، وهو مع هذا كله " العقل الخلاق السرمدي لوجوس Logos " الكلمة التي عرف فيها المفكرون اليونانيون منذ جيل أناكساجوراسAnaxagras الحقيقة المطلقة وراء مظاهرالكون فعبدوها . (٢)

وقد ظهر أثر هذا المفهوم الأخير للكلمة في النصرانية عندما وضعت التحليلات والتفسيرات لولادة المسيح بلا أب، حتى أصبحت تؤدي الكلمة معنى ابن الله الذي به خلق كل شيء وجاء التعبير عن هذا القول الفلسفي في إنجيل يوحنا بقوله: " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان، كان النور الحقيقي الذي ينير

---

(١) **الفلسفة** : كلمة يونانية معربة معناها الحكمة ، والفيلسوف : هو صاحب الفسلفة ومعناه « محب الحكمة » وتعرف : بأنها علم يبحث في الوجود كما هو ، انظر : طاهر أحمد الزاوي : ترتيب القاموس المحيط ، الطبعة الثانية (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر) جـ ٣ ص ٥٤٥ ٠

(٢) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلينية ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ٠

...

كل إنسان آتيا إلى العالم كان في العالم ،وكون العالم به ولم يعرفه العالم ."(١)

إن هذه الصورة الفلسفية والمغذاة بالوثنية(٢) أو العكس والتي يحار الفكر في كشف مكنونها الله متجسدا في يسوع - كما يزعمون - هي التي طعمت الديانة النصرانية بما يكفي لإغراء النفوس الرومانية الجوعى التي تبحث عن الغذاء الروحي.

فلما دخل الفلاسفة اليونانيون في النصرانية المحرفة ، وتقلدوا أكبر المناصب الدينية ، تعاظم أثر الفلسفة في النصرانية بانتقال أفكارهم الفلسفية التي كانوا يعتنقونها إلى هذه الديانة الجديدة .(٣)

وأهم نقطة أثروا بها هي فكرة التثليث وأكبر شاهد يدل على ذلك هو التشابه الكبير بين اللاهوت النصراني والفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي تأثرت بالفلسفة اليونانية السابقة عليها - فعقيدة التثليث التي استقرت عليها النصرانية في أن الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية فى الجوهر (٤) إذا قارناها بالفلسفة الإفلاطونية

---

(١) انظر : انجيل يوحنا : الاصحاح ١ :١٠

(٢) **الوثنية لغة** : من الوَثْنُ ، والوَاثِنُ المقيم الراكد الثابت ، والوَثَنُ هو الصنم ما كان ، والوثن شرعا : اسم جامع يتناول كل معبود من دون الله سواء أكان ذلك المعبود قبراً او مشهداً ، او شجراً ، او طاغوتاً ، او نبيا مرسلا ، او ملكا مقربا ، فمن دعا غير الله أو عبد غير الله فقد أتخذ من ذلك وثناً و **الوثنية في عرف الفلسفة** : هي إقامة الأوثان وعبادتها ، انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة وثن ؛ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ : فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد تحقيق محمدحامد فقي ، الطبعة السابعة (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م) ص٢٢٠ ؛ محمد فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين(طبع بدائرة معارف القرن العشرين ١٣٣٧هـ -١٩١٩م) جـ١٠ص ٦٣٩

(٣) أرنولد توينبي : المرجع السابق ص ٢٥٦ .

(٤) في إنجيل متى ورد نص التثليث كالتالي : « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » الاصحاح ٢٨ : ١٩ ؛ وفي رسالة يوحنا الأولى : « فإن الذين يشهدون في السماء ثلاثة الآب والكلمة وروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم في واحد » الاصحاح ٥ : ٧ ، يقول ابن تيمية عن النص الأول : " وهذا إذا قاله المسيح فإنه يفسر بلغته ، وعادته فى خطابه ، وعادة سائر الأنبياء ، وليس فى كلام المسيح ، ولا فى كلام سائر الأنبياء ولاكلام غيرهم أن كلمة الله القائمة بذاته سبحانه وتعالى تسمى ابناً ، ولا روح قدس ، ولايوجد قط فى كلام الأنبياء اسم الابن واقعاً إلاّ على مخلوق ..... ، والمراد فى تلك اللغة أنه مصطفى محبوب لله ...." انظر الجواب الصحيح ج ٢ ص ٦٧ ، ٨

الحديثة التي ترى أن الحقائق والأقانيم(١) ثلاثة : الأولى : الواحد، والثانية : العقل العام، والثالثة النفس الكلية . (٢) تبين لنا وضوح الشبه بينهما، ويعبر بعض الباحثين عن هذا بقوله: " إن خيوط الثالوث المقدس حِيكت في الإسكندرية(٣) " التي كانت دائما رائدة في التوفيق بين الآراء ولو كانت متناقضة .

والخلاف اليسير بين الثالوث النصراني والثالوث الأفلاطوني هو أن عناصر الثالوث النصراني متساوية أما الثالوث الأفلوطيني فلا يرى التساوي بين هذه الأقانيم بل يرى أن الأول هو أكملها، والثاني أقل كمالا والثالث أقل من الأثنيين الأولين .

والحق أنه لافائدة ترجى من تفسير هذه الخزعبلات فالنهاية حيرة اعترف بها المنصفون منهم يقول بوطر: صاحب رسالة الأصول والفروع، بعد بيان عقيدة التثليث :" قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا، ونرجو أن نفهمه فهما أكثر جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات وما في الأرض وأما في الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية "(٤). وفي هذا تبرير للتمسك بعقيدة التثليث المتهالكة .

---

(١) **الأقانيم** ـ لفظاً ومعنى ـ لايوجد فى كلام الأنبياء ، بل قيل إنها لفظة رومية يفسرونها تارة بالأصل وتارة بالشخص ، وتارة بالذات مع الصفة ، وتارة بالخاصة ، وتارة بالصفة . ابن تيمية : المصدر السابق ج ٣ ص ١٦٥

(٢) انظر : محمد البهي : الجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية (مصر : دار الكتاب العربي ١٩٦٧م) ص ١٥٠ وما بعدها ؛ يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية (الطبعة الخامسة ١٣٨٩هـ)، ص ٢٨٨ وما بعدها .

(٣) نقلاً عن : محمد الغزالي : التسامح والتعصب (القاهرة : دار الكتب الحديثة) ص ١٨٤

(٤) نقلاً عن محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٠٣ .

٢- أثر العقائد الوثنية السابقة في الديانة النصرانية :

لم يقتصر تأثر النصرانية بالفلسفة اليونانية التي كانت سائدة في البلاد التي ظهرت فيها النصرانية، بل تأثرت أيضا بالعقائد الوثنية السابقة، ولاسيما العقائد المصرية القديمة وغيرها وقد أشار إلى هذه الحقيقة القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(١)

وقد أكدت الكشوف الأثرية والبحوث التاريخية الحديثة هذه الحقيقة ، فعقيدة التثليث في النصرانية(أى القول بالأب والابن وروح القدس) كانت معروفة في كثير من الديانات الوثنية السابقة للنصرانية وبخاصة الديانة المصرية القديمة فقد كان كهنة معبد ممفيس في مصر يشيرون للثالوث المقدس عند تعليم التلاميذ بقولهم :"إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث المقدس "(٢) وترجم شمبليون ما يأتي عن الخط الهيروغليفي المصري القديم:أنت الإله المنتقم وابن الإله أنت حورس المنتقم أنت الذي أعلن عنك أوزيرس أنك المولود من الالهة إيزيس"(٣)

وأسطورة الثالوث في الديانة المصرية تتلخص تفاصيلها في أن الإله أوزيريس نـزل من السماء على هيئة إنسان كي يعلم الناس ويرشدهم إلى ما يحقق لهم المحبة والسعادة، فأحبت إيزيس الإلهة المصرية هي الزوجة المخلصة للإله أوزيرس فأنجبت له ابنا هو الإله حورس الذي انتقم لأبيه من قاتله ، وأصبح بعد ذلك إلى قلوب الناس أقرب لأنه يمثل العاطفة والحنان ويعيد شمس الصلاح والبر ، ويعتقد عندهم أنه صعد إلى الرب وأصبح والأب واحدا ، أما الزوجة إيزيس فقد قامت بتجميع أشلاء

---

(١) سورة التوبة آية : ٣٠ ٠

(٢) محمد طاهر التنير : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، الطبعة الأولى (الكويت : مكتبة ابن تيمية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ، ص ٣٩ ، ٤٠ نقلاً عن : داون في كتابه : خرافات التوراه والإنجيل وما يماثلها في الديانات الاخرى) ٠

(٣) محمد طاهر التنير : المرجع نفسه ص ٦٦ ٠

زوجها بعد قتله وقرأت عليه التعاويذ فدبت فيه الحياة من جديد، إلا أن أوزيريس رفض أن يعود إلى حكم هذا العالم، وفضل أن يبقى في العالم الآخر يحي الموتي خلال رحلتهم في ذلك العالم، ويكسبهم جانبا من خلوده، ومع هذا يمكنه أن يتجسد في صورة أى إله مصري آخر .(١)

وقد انتشرت هذه الأسطورة بين شعوب البحر المتوسط فكانوا يحتفلون ببعث أوزيريس في كل مدينة كبيرة، وكانت عبارة المبتهجين وهم ينادون " لقد وجدنا أوزيريس من جديد" ، وكانوا يرمزون إلى إيزيس بصور وتماثيل تحمل بين ذراعيها حورس ابنها الإلهي ويسمونها في الأدوار والأدعية ملكة السماء...... أم الإله.......(٢)

وارتضى البطالمة الذين خلفوا المصريين القدماء عبادة ثالوث مكون من الإله سيرابيس، وإيزيس، وهاربوكراتس، وهي صورة معدلة عن أوزيرس وايزيس وحورس"(٣)

---

(١) انظر : سليم حسن : مصر القديمة (القاهرة : مطبعة كوثر الفجالة ١٩٤٠م) جـ ١ ص ٢٢١ وما بعدها ؛ إبراهيم سيف الدين : مصر في العصور القديمة (القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٤١م) ص ١٨٣ وما بعدها : ابراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة (القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٦٠م) جـ ٢ص ١٨٦وما بعدها ؛ أرنولد توينبي ، تاريخ البشرية ترجمة نقولا زيادة (بيروت : الدار الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١م) ج١ص ٢٩٠ ، ٢٩١

ويذكر محمد مجدى مرجان فى كتابه الله واحد أم ثالوث (القاهرة : دار النهضة العربية) ص ٧٨ـ ٨١ ، أن الثالوث المقدس عند قدماء المصريين يتكون من :

١ـ الإله الأكبر" أو سيرى " ، ويسمى الأب ، أو الوالد ، وهو علة ولادة الأقنوم الثانى

٢ـ الإله " هور " وهو الأقنوم الثانى ، ابن الإله أوسيرى ، وهو إله النطق ، والكلام ، وقد شبهوه بالعجل

٣ـ الإله " آيس " وهى الأقنوم الثالث ، وهى أم الأقنوم الثانى ، ورمزوا لها بصورة طائر يشبه العصفور ، وقد رمزوا لها أيضا بصورة امرأة جالسة على عرش ترضع ولدها .

(٢) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٢ ص ١٦٠ • ومثل هذا تماماً فعل النصارى بمريم والدة عيسى عليه السلام فقد عظموها ورفعوها على الملائكة وجميع النبيين والمرسلين وسألوها ما يُسأل الإله من العافية والرزق والمغفرة لأنها بزعمهم أم الإله • انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٣ ص ٤٣ ، ١٩٣ ؛ ابن القيم : هداية الحيارى ص ٢٦١•

(٣) إبراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة جـ ٢ ص ١٨٦ وما بعدها •

والواقع أن هذه الديانة لم تقتصر على مصر وشعوب البحر المتوسط، بل انتقلت منها إلى جميع أجزاء الإمبراطورية الرومانية ما بين القرن ٨ ق . م والقرن ٢ ق . م (١) ، فنجد أن اليونانيين القدماء يقولون إن الإله مثلث الأقانيم، ثم اعتقد هذا من بعدهم الرومانيون الوثنيون القدماء.(٢)

ويظهر أن تفسير الكلمة عند النصارى إلى جانب ما ذكرنا في الفلسفة- جاء موافقا لما في العقائد الوثنية ففي ديانة المصريين القدماء يقال اللاهوت الكلمة . وأن كل شيء صار بواسطتها وقد ورد في كتبهم المقدسة ما نصه:" إني أعلم بسر لاهوت الكلمة ، وهي كلمة رب كل شيء وهو الصانع لها" فالكلمة هي الأقنوم الأول بعد الإله وهي غير مخلوقة وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات" .(٣)

ويحتمل أن الأشوريين أخذوا من المصريين المفهوم السابق للكلمه فقالوا إن مردوك هو ابن الله وكلمته خلق السموات والأرض وماعليها وأنه الرحيم الواهب للحياة .(٤)

هكذا شاعت عقيدة التثليث ومفهوم الكلمة في الديانات القديمة ثم تسربت إلى الديانة النصرانية، حتى أصبحت النصرانية التقليدية السائدة لاتمت بصلة إلى عقيدة التوحيد التي جاء بها عيسى عليه السلام، بل هى نصرانية الثالوث التي لايمكن فهمها أو تفسيرها، كما وردت في قانون الإيمان الذي سيأتي بيانه والنصارى أنفسهم يرددون لإقناع الناس بها قول أوغسطين أحد كبار آباء الكنيسة: " لاتحاول أن تفهم لكي تفهم بل آمن لكي تفهم "(٥)، هكذا بلغة المستحيل تفهم الأساطير !!!

---

(١) ول ديورانت : المرجع السابق جـ ٢ ص ١٨٦ ، إدوارد بروي : تاريخ الحضارات العام تعريب يوسف داغر ، الطبعة الأولى (بيروت : منشورات عويدات ١٩٦٨م) ج ١ ص ٢٧٩-٢٨٩

(٢) محمدطاهرالتنير : المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ نقلاً عن فسك في كتابه الخرافات ومخترعوها.

(٣) محمد طاهر التنير: المرجع السابق ص ٤١ نقلاً عن يونك في كتابه أعتقاد المصريين .

(٤) محمد طاهر التنير : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٥) ول ديورانت : المرجع السابق جـ ٤ ص ١٤٢ .

قال تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥ.......... ﴾(١)

يقول ابن تيمية في تبرئة عيسى عليه السلام مما نسب إليه :"فإذا كان بعضهم - يعني النصارى- قد غلط في النقل عنه أو في تفسير كلامه أو تعمد تغيير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك، وإنما هو رسول البلاغ المبين ."(٢)

والجدير بالذكر أن الذي مر بنا من مضاهاة النصارى للذين كفروا من قبل إنما هو غيض من فيض، فالروح الوثنية في مظاهر العبادة العملية تسربت إلى النصرانية شيئا فشيئا حتى أصبحت شاملة لكل احتفالاتها.(٣)

ويذكر أحد الكتاب الغربيين المحدثين كيفية دخول العقائد الوثنية في الديانة النصرانية بقوله :" ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير دخول المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ، ومناصب عالية في الدولة الرومية ، يتظاهرون بالنصرانية ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ، ولم يخلصوا له يوما من الأيام..."(٤)

ويقول في موضع آخر عن مدى تأثر النصرانية بالوثنية: " إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الفتنة وتقتلع جرثومتها ، وكان نتيجة كفاحها أن اختلطت مبادئها، ونشأ من ذلك دين جديد، تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء ..."(٥)

---

(١) سورة النساء : آية ١٧١ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج ٣ ص ٢٨١ .

(٣) شارل جنيبر : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٢٦ .

(٤) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، الطبعة الثانية عشر (الكويت ، دار القلم ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م) ص ١٨٣ نقلاً عن درابر في كتابه الدين والعلم .

(٥) الندوى : المرجع نفسه ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

٢ـ المجامع(١) الدينية :

مر بنا دور اليهود في تحريف النصرانية وما خلفه من خلافات دينية بين طوائف النصارى فمن مؤله للمسيح إلى قائل بأنه بشر رسول.

وفي ما بين سنتي ٣١٣، ٣١٨ أو ٣١٩م نشط أريوس السكندري(٢٧٠-٣٣٦م) أشهر وأقوى داعية إلى التوحيد المجرد في تاريخ النصرانية، في نشر مذهبه الذي ينكر فيه القول بتأليه المسيح.(٢)

والحق أن عقيدة آريوس وما دعا إليه هو وأتباعه الذين عرفوا بالأريوسيين، وصلت إلينا كما كتبها خصومهم، ولم يبق شيء من كتابات الآريوسيين أنفسهم بعد التآمر على حرقها.

ومن هنا فمن المؤكد أن الخصم لن يعرض آراء خصمه بأمانة وصدق بل سيعمل على تشويهها لأنها لاتخدم هدفه من جانب، ولكي ينفر الناس من اعتناقها من جانب آخر ، وهذا هو ما حدث بالنسبة للأريوسيه التى قدم لنا خصومهم عقيدتهم وقد اصابها التحريف والتشويه(٣) والذى يؤكد هذا شهادة خصوم آريوس المعاصرين له الاسناسيوسيون الذين يجمعون على أن أقوال آريوس كانت تناقض أقوال خصمه أثناسيوس تماما، وأنه يمثل أشد إعصار زلزل عقيدة القائلين بتأليه المسيح أو بنوته لله.(٤)

---

(١) **فكرة المجامع** وجدت منذ فجر النصرانية ، فقد كان تلاميذ المسيح - بعد أن رفع الله نبيهم - يجتمعون كلما أرادوا بحث أمر مستجد أشكل عليهم ، أما بعد التحريف فقد أصبحت المجامع مركزا للسلطة التشريعية بغير ما أنزل الله ، وتقسم المجامع عند النصارى الى ثلاثة أقسام :

١ - مجامع عامه وهي التي تعرف بالمجامع المسكونيه وأول من سنها الإمبراطور قسطنطين

٢ - مجامع محلية : أي خاصة بطائفة دون غيرها ·

٣ - مجامع إقليمية: أي خاصة بإقليم مخصوص، انظر: أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٢١

(٢) حسنى الأطير : عقائد النصارى الموحدين ، الطبعة الأولى (بيروت : دار الأنصار ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص ١٩٥ ، ١٩٦ ·

(٣) انظر مثلاً ما نقل منها : ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٣ ص ١٦ ، ابن القيم : هداية الحيارى ص ٣١٨ ،٣٢١ ؛ الأطير : المرجع نفسه ص ١٩٦·

(٤) الأطير : المرجع نفسه ص ٦٦ وما بعدها ·

وعلى هذا فالراجح أن آريوس لم يزد في القول عن عيسى بأنه بشر رسول شيئاً إطلاقا، فما سواه هو ما تخبط فيه خصومه وبالتالي يناقض ما شهدوا به ، والله أعلم .

والذي يهمنا أن مذهب آريوس لاقى قبولا كبيرا في الأقاليم الشرقية ولا سيما الحبشة (١) التي كانت بعيدة عن مهد الفلسفات القديمة، والتي بقيت على هذا المذهب حتى القرن السابع الميلادي .(٢) وعلى هذا يمكن القول بإن النصرانية التي انتشرت في نجران(٣) عن طريق الحبشة كانت على المذهب الآريوسي، ومما يزكي هذا مايرويه بعض المفسرين من أن ما قصه الله تعالى في سورة البروج هو في خبر نصارى نجران كما سيأتي بيانه .

ومهما يكن من شيء فقد زادت حدة الخلاف بين آريوس ومخالفيه حتى شملت الجناح الشرقي من الإمبراطورية الرومانية ، وهنا رأى الإمبراطور الروماني قسطنطين(٤) أن تفاقم هذا الخلاف ربما يؤدي إلى زعزعة أركان الدولة،

---

(١) الحبشة : اسم لبلاد تقع في افريقيا الشرقية ، واطلقه العرب للدلالة على أرض اثيوبيا وشعوبها ، انظر : دائرة المعارف الإسلامية (تهران : مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان) مجلد ٧ ص ٢٨٢ ومابعدها .

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ترجمة السيد الباز العريني الطبعة الاولى (بيروت ، دار الثقافة ١٩٦٧م) ص ٢٠

(٣) **نجران** : مدينة قديمة تقع شمال صنعاء من ناحية مكة سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو أول من بناها في الغالب من أشهر آثارها الآن مدينة الأخدود ٠ وتتبع اليوم المملكة العربية السعودية . انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٦٦ ؛ البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، الطبعة الأولى (دار مكة للنشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ص ٥٧٣

(٤) **قسطنطين** : هو ابن زنا من امرأة ساقطة صاحبة حانة تدعى هيلانه ، واقعها الضابط الروماني قسطنطيوس بعلاقة غير شرعية في مدينة نيش بالصرب الحالية فأولدها قسطنطين الذي تولى حكم الامبراطورية الرومانية بالأسلوب الدموي ٠

ويُذكر أن هيلانه اعتنقت النصرانية على يدي أسقف الرها ، ثم زارت الأماكن المقدسة في فلسطين فعرفت بالقديسة هيلانه ، ولذا يحتمل أنها هي التي نصحت ابنها قسطنطين بالتسامح مع النصارى ، فأدرك هو بدوره ما تحقق له تلك النصيحة من مجد فعمل بها ٠

انظر : فشر : تاريخ أوربا في العصور الوسطى ترجمة محمد مصطفى زيادة ، والسيد العريني ، الطبعة الثانية (مصر : دار المعارف ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م) جـ ١ ص ٤ ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٣ ص ١٧ ، ١٨ ٠

ويسهل للغزاة اقتحام البلاد، فأراد أن ينهي الخلاف بحسن نية أو بغيرها ، فأمر - لأول مرة- أن يعقد مجمع مسكوني في نيقية سنة ٣٢٥م ، فتم ذلك ، واجتمع فيه ألفان وثمانية وأربعون أسقفا وبطريقا وكانوا مختلفي الآراء مختلفي الأديان، وحضر قسطنطين المجمع وسمع مقالاتهم، فتعجب من كثرة اختلافهم ، وأخلى لهم دارا وتقدم لهم بالإكرام والضيافة ، وأمرهم أن يتناظروا فيما بينهم لينظر من معه الحق فيتبعه.(١)

ويبدو أن بطريرك الإسكندرية الكسندروس والشماس الإسكندري اثناسيوس اللذين تحمسا لإقرار القول بتأليه المسيح(٢) بحكم نشأتهما في البيئة التي ساد فيها مذهب الفلسفة الأفلاطونية هما أيضا اللذان أقنعا الأساقفة، الذين اتفقوا على القول بتأليه المسيح وعددهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا ولانستبعد أن الإمبراطور قسطنطين الذي اعترف بالنصرانية كديانة من الديانات تدخل بطريق غير مباشر في إيقاع الاتفاق بين الأساقفة القائلين بتأليه المسيح؛ لأن هذا القول هو في نظره الذي يحقق مصلحته السياسية وميوله الوثنية، في الوقت الذي لاتزال عاصمته وقوته في الغرب الذي يدين بالوثنية والنصرانية المحرفة والتي تتشابه طقوسهما وأسرارهما إلى حد كبير فالقول بوجود واسطة بين الله والناس مثلا أمر مألوف لدى الوثنيين(٣)

ومهما يكن من أمر فقد أعد الإمبراطور مجلسا عظيما للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا، وجلس في وسطه وأخذ خاتمه، وسيفه وقضيبه، فدفع ذلك إليهم وقال قد سلطتكم اليوم على المملكة فاصنعوا ما بدا لكم، وما ينبغي أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وإصلاح الأمة، فباركوا على الملك وقلدوه سيفه وقالوا له أظهر دين النصرانية وذب عنه ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن والشرائع وفيها ما يصلح أن يعمل به الأساقفة وما يصلح للملك أن يعمل بما فيها (٤) وبهذا تآمرت القلة

---

(١) انظر : ابن تيمية : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢١ ومابعدها ؛ ابن القيم : هداية الحيارى ص ٣٢٣ وما بعدها .

(٢) الأطير : عقائد النصارى الموحدين ص ٨٠ .

(٣) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهلينية ص ٢٠ ، ٢١ .

(٤) انظر : ابن تيمية : المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٤ ؛ ابن القيم : المصدر نفسه ص ٣٢٤ .

مع السلطة في إقرار ألوهية المسيح ، وأنه من جوهر الله قديم بقدمه وأصدروا بهذا قرارا اعتبروه أصل الأصول عند جميع طوائفهم، لايتم لأحد نصرانية إلا به، ويسمى الأمانة، وهو في الحقيقة خيانة عظمى لله ورسله فقد بدلوا وحرفوا ما أنزل الله، وجاءوا فيه بأمور مخالفة لجميع الكتب السماوية، بل مخالفة للعقل الصريح ونصه:" نؤمن بالله الواحد خالق مايرى وما لايرى، وبالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله بكر أبيه وليس بمصنوع، إله حق من إله حق، ومن جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم وخلق كل شيء الذي من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم البتول، وحبلت به مريم البتول وولدته، وأخذ وصلب وقتل أيام بيلاطس البنطى ومات ودفن، وقام في اليوم الثالث كما هو مكتوب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء، ونؤمن بالروح القدس روح الحق الذي يخرج من أبيه روح محبتة وعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسة مسيحية جاثلقيه وبقيام أبداننا وبالحياة الدائمة إلى أبد الآبدين"(١) ولسنا في موضع الرد عليهم (٢) ولكن من نظر إلى قولهم علم فساده وبطلانه.

والجدير بالذكر أن المجمع أصدر قرارا بلعن أريوس وأتباعه وأمر بنفيه وإحراق كتبه(٣)، ولكن قوة الأريوسية في الشـــــرق حالت دون ذلك، بل جعلت الإمبراطور

---

(١) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل بهامش الفصل جـ ٢ ص ٦٣ ، ٦٤ ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ١١٥ ، ابن القيم الجوزية : هداية الحيارى ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن حزم : الفصل في الأهواء والملل والنحل؛ القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ابن القيم ؛ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

(٣) أقر المجمع أربعة أناجيل وهي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، واستبعد بقية الأناجيل الأخرى وحرم تداولها وخاصة تلك التي تتعلق بالأريوسية .وتعدد الأناجيل وتناقضها أكبر دليل على تحريفها فقد أشرنا إلى أن عيسى لم ينزل عليه إلاّ إنجيل واحد فيه هدى ونور قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَافاً كَثِيراً ﴾ سورة النساء : آية ٨٢

...

قسطنطين يغير رأيه عندما أراد نقل عاصمته إلى القسم الشرقي ويستدعي أريوس، سنة ٣٢٧م ويعفو عنه، ويأمر بعقد مجمع في صور سنة ٣٣٤م يلغي قرار نفي أريوس، والأهم من هذا أن الإمبراطور مال إلى المذهب الأريوسي فاعتنقه وهو على فراش الموت سنة ٣٣٧م فعمّد وفق مبادىء هذا المذهب.(١)

وخلفه ابنه قسطنطيوس (٣٥٣-٣٦١م) ففرض المذهب الأريوسي على جميع أجزاء الإمبراطورية شرقا وغربا.

ومن الطبعي أن يبقى الخلاف مستمرا طالما بقي التحريف وبالتالي تستمر المجامع في الانعقاد، وفي إصدار القرارات الباطلة الفاسدة لأن ما بني على باطل فهو باطل ، ولاشك أن مجمع نيقية يمثل أول خطوة في إقرار عقيدة التثليث أما الخطوات التالية لإكماله فقد أتمتها المجامع الدينية اللاحقة لهذا المجمع وأهمها:

١- مجمع الْقُسْطَنْطِينِيَّة(٢) الأول عام ٣٨١م

ازداد انتشار الأريوسية بعد وفاة آريوس سنة ٣٣٦م، وأوشك العالم أن يكون كله أريوسيـــا كما يقول الخصوم أنفسهم(٣)، فلما تولى ثيودوسيوس الأول عرش الإمبراطورية سنة ٣٧٩م سعى لإضعاف هذا المذهب ، فدعا إلى عقد مجمع في القسطنطينية سنة ٣٨١م أُعلنِ فيه التأكيد على المذهب الاثناسيوسي، وعدم شرعية المذهب الآريوسي، وفرض عقوبات مشددة على أتباع هذا المذهب في جميع أنحاء

(١) رؤوف شلبي : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ، الطبعة الثانية (القاهرة : دار الاعتصام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ص ٢١٠ نقلاً عن

Hasi : History of the by Zantine Empire .

(٢) **القسطنطينية** : سميت بذلك نسبة إلى الإمبراطور قسطنطين الأول ، كان اسمها بيزنطية فبنى عليها سورا وسمّاها بهذا الأسم ، وجعلها عاصمة للإمبراطورية الرومانية ، فتحها السلطان العثمانى محمد الثانى عام ١٤٥٣م ، وأصبحت عاصمة للدولة العثمانية ، وفى عام ١٩٢٣م حلّت أنقرة محلها كعاصمة لتركيا ، انظر ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت : دار صادر ١٣٧٤هـ -١٩٥٥م) ج ٤ ص ٣٤٧ ؛ الحميرى : الروض المعطار تحقيق إحسان عباس ، الطبعة الثانية (بيروت : مكتبة لبنان ١٩٨٤م) ص ٤٨١ ؛ الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨١ .

(٣) حسنى الأطير : عقائد النصارى الموحدين ص ٨٤ .

الإمبراطورية باعتبار أنهم هراطقة(١).

وقدم المجمع خطوة في عقيدة التثليث عندما قرر أن روح القدس إله ردّاً على مقولة مكدنيوس وأشياعه الأريوسيين الذين يقولون " إن روح القدس ليس بإله ولكنه مصنوع ومخلوق لله" .(٢)

٢- مجمع أفسس(٣) الأول ٤٣١م وفيه تقرر أن للمسيح طبيعتين إحداهما : لاهوتية والأخرى ناسوتية . ورفضت مقالة نسطور:" أن المسيح ليس إلها ولكنه مبارك وملهم من الله وأنه ليس الابن، ولكنه متحد مع الابن بالموهبة والتقديس"(٤)

والواقع أن قرار هذا المجمع هو الذي أحدث الجدل الكنسي فيما بعد وأثر على مجريات الأمور في الدولة الرومية، ففي مجمع خلقدونية(٥) سنة ٤٥١م دار الجدل حول علاقة الطبيعة البشريـــة في المسيح بطبيعته الإلهية وتقرر فيه أن له طبيعتين منفصلتين إحداهما: لاهوتية ، والأخرى ناسوتية يلتقى بها المسيح مع الله ، ومع الناس ، ورفضت مقالة ديوسقورس بطريرك الإسكندرية القائل بالطبيعة

---

(١) انظر : سعيد عبدالفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى ج ١ ص ٥٩ ؛ حسنين ربيع دراسات في تاريخ الدولة البيزنطيـــة (القاهــرة : دار النهضـة العربية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ٤٨ .

(٢) ابن القيم : هداية الحيارى ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣) **أفسس** : Ephesus ، مدينة قديمة على بحر إيجة كانت مركزاً تجاريا هاماً منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، أقام فيها يوحنا الانجيلى ، ووجه إليها بولس إحدى رسائله ، واشتهرت هذه المدينة لانه يذكر أن فيها كهف أصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم في القرآن الكريم ، ويذهب أحد الباحثين إلى أن ما ذكر عن وجود الكهف بمدينة أفسس لايعدو عن كونه أحد الأراء التسعة التي ذكر وجود الكهف بها والتي لايمكن ترجيح أحده على الآخر ، وقد عرفت مدينة أفسس بعد ذلك باسم ايا سلوق وهي اليوم من مدن تركيا ، انظر : كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٨٨ ، المنجد فى الاعلام ، الطبعة العشرون (بيروت : دار المشرق ١٩٨٦م) ص ٤٢ ، وانظر مقال الكهف والرقيم في التاريخ والآثار للدكتور أحمد رمضان أحمد ، مجلة الدارة ، العدد الثاني السنة الرابعة رجب ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ ص ١١٤-١٣٠

(٤) أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٥) **خلقدون** : ويقال لها خذقدونه ، وهي الثغر الذي فيه المصيصة وطرسوس وأذنه وعين زربه انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ٢ ص ٣٨٤

الواحدة ، وأن اللاهوت والناسوت اجتمعا في السيد المسيح (١) ، وبهذا المجمع اكتملت عقيدة التثليث الموجودة حاليا عند النصارى ، بل وجميع عقائد النصارى اليوم تقريبا . (٢)

أما مشكلة طبيعة المسيح فقد بقيت سببا في وقوع الخلاف الديني والتباعد بين الشرق والغرب النصراني (٣) وبالتالي استمرار عقد المجامع التي تبحث عن حل لها الأمر الذي لايهمنا التعرض له كثيرا لأنه يخوض في قضية فلسفية وثنية أكثر منها عقيدة دينية .

والجدير بالملاحظة أن بعض الأباطرة الرومان حاول أن يوفق بين الآراء المتناقضة في تلك القضية بما يخدم أغراضه الشخصية وهذا ما سنعرض بعضا منه في المبحث التالي :

---

(١) رؤوف شلبي : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، ويذكر أنه رغم هذا القرار فقد تمسك معظم سكان مصر والشام بمذهب الطبيعه الواحدة أي المذهب المونوفيزتي ، وتسمت الكنيسة القبطية بمصر باسم الكنسية الأرثوذكسية .

(٢) إدوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ترجمة لويس أسكندر (دار الكتاب العربي للطباعة والنشر) جـ ٢ ص ٩٩ .

(٣) حسنين ربيع : المرجع السابق ص ٥٤ ، ٥٥ .

النصرانية في ظل الإمبراطورية الرومانية

بدأت روما(١) حركتها التوسعية في العهد الجمهوري من سنة ٥٠٨ ق . م وحتى ٢٧ ق . م ، واستطاعت فيما بين سنة ٣٢٤ ق . م و ١٤٦ ق . م أن تقضي على ممالك مقدونيا والقرطاجيين والإغريق ، وأن تستولي على ممتلكاتهم، وقد كان لهذه السياسة أثر كبير في ترسخ حب الاستعمار في نفوس الرومان الذين اعتبروا إن كان هناك شيء يستحق العبادة فهو القوة، الأمر الذي دفعهم إلى محاولة إخضاع العالم بأسره لسيطرتهم، وبهذا فاقوا أسلافهم اليونان في اتساع الدولة، وأدخلوا لأول مرة بعض بلدان الشرق تحت نفوذهم ، فقد توجه القائد الروماني المظفر بومبي Pompia من آسيا الصغرى إلى سوريا وفينيقيا وأعلن عن ضمهما كولاية جديدة من ولايات روما، ثم تقدم جنوبا حتى وصل فلسطين فقضى على مملكة يهوذا، وأخضع اليهود لحكم الرومان سنة ٦٣ق . م (٢)

والواقع أن الإمبراطورية الرومانية كانت أعظم وحدة حضارية سياسية عرفها التاريخ ، إذ لم يُقدّر لإمبراطورية أخرى في تاريخ البشر القديم أو الحديث أن تبلغ ما بلغته من قوة واتساع.(٣)

ويذكر المؤرخون أن حركتها التوسعية قد توقفت في سنة ٢٧ ق . م عندما نبذ الإمبراطور أوغسطس فكرة الطمع في إخضاع العالم بأسره، ومال إلى السلام والمحافظة على سلامة الإمبراطورية وأمنها وصالحها العام ، بل ويروي عنه أيضا أنه كتب وصيته لخلفائه من بعده ينصحهم فيها بإبقاء الإمبراطورية داخل تلك الحدود التي تركها أسلافه، فظهر أثر هذا في حياة بعض الأباطرة الذين انصرفوا إلى اللهو والظلم

---

(١) **روما** : أسسها رومولوس سنة ٧٥٣ ق . م وصار أول ملك لها ، وقد ظلت عاصمة للإمبراطورية الرومانية بعد قيامها إلى سنة ٣٣٠ م حيث نقل قسطنطين عاصمة الامبراطورية إلى القسطنطينية ، انظر : سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٨ .

(٢) انظر : سيد أحمد الناصري : تاريخ الرومان من القرية إلى الامبراطوريه (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٧٦م) ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ؛ جيبون : المرجع السابق جـ ١ ص ٦٥ ؛ الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٨٠ .

(٣) انظر : سعيد عاشور : : المرجع السابق جـ ١ ص ٢٥ ، ٢٦ .

والطغيان ، واستغلوا رعاياهم لتحقيق ما انصرفوا إليه(١). ولهذا الغرض فرضت عقيدة تأليه الأباطرة (٢)، ورضوا منها في الغالب بما يظهر التعظيم والتكريم لهم ، وبما يؤكد الولاء لنظام حكمهم(٣).

وقد أدرك الرومان في النهاية أنه ليس باستطاعة الإنسان أن يؤله نفسه ليفلت من القصاص، ومن هنا اعتبروا عبادة الإنسان في أي شكل من أشكالها مكروهة ومنبوذة .(٤)

ومن هنا فلا غرابة أن يعمل الرومان مع اليهود على اضطهاد أتباع الدعوة الجديدة التي قام بها نبي الله عيسى عليه السلام في فلسطين، وقد أشرنا إلى أن الوالي الروماني هو الذي أصدر الأمر ـ بتحريض اليهود ـ بالقبض على عيسى ومحاولة قتله وصلبه ، واضطهاد أتباعه.

والواقع أن النصرانية بعد تحريف اليهود لها وافقت أهواء أصحاب العقائد الوثنية التي شاعت في العالم الروماني الوثني، الأمر الذي أدى مع نشاط الدعاة لاعتناقها إلى انتشارها في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية وخاصة روما(٥).

ورغم أن الخلافات الدينية التي حدثت بين الطوائف النصرانية كانت بلا شك ذات تأثير واضح على أمن واستقرار الإمبراطورية الرومانية ، إلا أنّ خطر النصرانية المحرفة تمثل في تعصبها وحبها السيطرة على غيرها- وهذا مما ورثته من اليهودية-

---

(١) انظر أدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ١ ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) الغالب أن الرومان اقتبسوا تلك العقيدة من فراعنة مصر بعد احتكامهم بالشرق فالفراعنة فرضوا على رعاياهم تأليههم باعتبارهم رمز القوة والبطش والطغيان قال تعالى عن قول فرعون ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ سورة النازعات : الآيتان ٢٣ ، ٢٤ ، وقال تعالى عن قول فرعون لموسى عليه السلام : ﴿ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ سورة الشعراء : آية ٢٩

(٣) نور الدين حاطوم وآخرون : موجز تاريخ الحضارة (مطبعة الكمال ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م) جـ ١ ص ٥٧٧ وما بعدها .

(٤) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلنية ص ١٩ .

(٥) لايعلم متى دخلتها النصرانية

وإعلانها أنها ستعمل على تحطيم الحضارة الرومانية عندما تتهيأ لها الفرصة(١) فكان هذا من أهم الأسباب التي دفعت الأباطرة الرومان للقيام بدورهم المشهور في الاضطهاد الذي دام ثلاثة قرون متوالية حتى بداية القرن الرابع الميلادي .

والملاحظ أن الاضطهاد في هذه الفترة شمل جميع طوائف اليهود والنصارى ويرجع ذلك إلى أن الرومان لم يعرفوا في تلك الفترة من أمر النصرانية إلا أنها امتداد لليهودية التي كانت موضع كراهية واشمئزاز من الرومانيين حكاما ورعايا.

أما بقية أسباب الاضطهاد فيمكن تلخيصها كما أوردها بعض المؤرخين فيما يلي:

١- نَبْذُ النصارى الأوائل جميع مظاهر الشرك والوثنية وكل ماله صلة بآلهة روما وقداسة الإمبراطورية الرومانية، ورفض التحاكم إلى الوالي الروماني، والامتناع عن دفع الجزية وتأدية واجبات الوطن الروماني خاصة الخدمة العسكرية، رغبة من البعض في حياة الزهد والرهبانية.(٢)،(٣)، وإيماناًمن البعض الآخرأن نهاية العالم

---

(١) أرنولد توينبي : المرجع السابق ص ٢٥٥ ٠

(٢) **الرهبانية** في اللغة من رهب خاف ، والترهب التعبد ٠ انظر : الزبيدي : تاج العروس الطبعة الأولى (بيروت : دار مكتبة الحياة ١٣٠٦هـ) جـ ١ ص ٢٨٠ ، والرهبانية ابتدعها النصارى بعد عيسى عليه السلام قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ٠٠﴾ سورة الحديد : آية ٢٧ ، ويذكر ابن تيمية بعد أن عرض الاراء التي قيلت في قوله تعالى (ورهبانية ٠٠) أن أصح الأقوال في هذه الآية أنهم ابتدعوهالانه لايجوز أن يكون المعنى أن الله كتبها عليهم ابتغاء رضوانه فإن الله لايفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه ، ولا أن المعنى أنهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه، أو أنهم لما أبتدعوها كتب عليهم إتمامها .. وقد أخبر انهم ابتدعوا بدعة وأن تلك البدعة مذمومة وعدم رعايتها أعظم ذماً ممن رعاها وإن لم يكن واحداً منهما محموداً . الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ويقال أن السبب في ابتداع النصارى الرهبانية هو شدة الاضطهاد الديني والمذهبي والمغالاة في جباية الضرائب التي وقعت عليهم من الروم ، ويذكر أن صورة الرهبانية التى أبتدعها النصارى كانت معروفة فى نظام الكهنة فى مصر القديمة ، انظر :عمر وفيق الداعوق : الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها (رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص ٢٠ ومابعدها ، وسيأتي مزيد بيان عما ترتب عليها لاحقاً ٠

(٣) انظر : شارل جنيبيز : المسيحية نشأتها وتطورها ص ١٦٦ ، ١٦٩ ٠

وشيكة الوقوع وأنـه ينبغى التطلع بالآمال إلى يوم القيامة(١) وكلا الفريقين أضر بمصالح الوطن الروماني .

٢- اتخاذ النصرانية المحرفة الفنون الرومانية التشكيلية واللغة والفلسفة اليونانية، والأنظمة السياسية الرومانية وسيلة لنشر معتقداتها ومبادئها بين رعايا الإمبراطورية الرومانية من جانب ورفضها اتباع كل ما تراه غير ملائم لها من طرائق الحياة الرومانية من جانب آخر كان في نظر الرومان خطراً يهدّد الحضارة الرومانية(٢).

٣- التعصب والحقد والفساد الذي سلك فيه أتباع النصرانية المحرفة طريقة اليهود في كراهية الأمم الأخرى، الأمر الذي تضجر منه جمهور السكان الوثنيين من الرومان بل بسببه دفعوا حكامهم لمعاقبتهم والانتقام منهم، بل واصبح أسمى واجبات المواطن الروماني أن يَهُبَّ لنجدة الإمبراطوية والحضارة الرومانية من الخراب والدمار الذي ينتظرها على يد أولئك النصارى.(٣)

ومهما يكن من أمر فقد بدت النصرانية في نظر الإمبراطورية الرومانية كثورة اجتماعية خطيرة لها اجتماعاتها السرية الخاصة التي تخطط من خلالها لتقويض الدعائم التي قام عليها المجتمع الروماني(٤).

وعلى هذا كله اعتبرت الحكومة الرومانية اعتناق النصرانية جرما يخل بنظام الإمبراطورية، فمنعت اجتماعات النصارى، ونظمت حملات الاضطهاد لإبادتهم والقضاء عليهم قضاءً مبرما ، وسلك معظم أباطرة الرومان هذه السياسة ضد النصارى خلال الثلاثة القرون الأولى لميلاد المسيح، ولعل أبشع حملة للاضطهاد في القرن الأول تلك التي قام بها نيرون الطاغية في حدود سنة ٦٨م ، حيث روى أنه ألقى بالكثير من النصارى وهم أحياء للوحوش الضارية لتنهش أجسادهم وطلى أجسام البعض بالقار ثم

---

(١) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ١١ ص ٣٧١ ، ٣٧٢ ؛ الأعظمي : اليهودية والنصرانية ص ٢٧٦ - ٢٧٨ .

(٢) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلنية ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(٣) أرنولد توينبي : المرجع نفسه ص ٢٦٠ ومابعدها .

(٤) سعيد عاشور : أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ٥١ .

أشعل فيها النار ، لتصبح مصابيح للاحتفالات التي يقيمها في قصره ، وفي القرن الثاني كان عهد الامبراطور تراجان (٩٨ _ ١١٧م) حافلا بأقسى أنواع التعذيب البدني والمعنوي للنصارى، فقد فعل بهم مثل ما فعل نيرون واستخدم الملعب الروماني"بالكلوسيوم" مكانا يرمي فيه النصارى للوحوش المعدة لتمزيقهم، ليعتبر غيرهم وليتلهى بمنظر المصير الذي آلوا إليه ، ثم أصدر قرارا يعتبر فيه النصارى أنجاسا لايسمح لهم بدخول الحمامات والمحال العامة ، وكان أقسى الأباطرة على النصارى في القرن الثالث الميلادي الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) فقد عقد العزم على ألايكف عن قتلهم حتى تصل دماؤهم إلى ركبة فرسه ، وتشير الروايات إلى أنه تمكن فعلا من تنفيذ عزمه ، وأنه أمر بهدم الكنائس، وحرق كتبها وآثارها، وأودع السجن أعدادا ضخمة من الأطفال والنساء ورجال الدين النصارى، فماتوا تحت تأثير التعذيب ، ويقدر بعض المؤرخين عدد الذين قتلوا من النصارى في هذا الاضطهاد الذي استمر عشرين عاما بمليون قتيل، وقد خلد الأقباط هذا الحدث فبدأوا تقويمهم القبطي بسنة ٢٨٤م ، التي ارتقى فيها دقلديانوس حكم الإمبراطورية(١).

ولقد نال النصارى شيئا من التسامح في فترة من فترات عصور الاضطهاد فقد ورد أن الإمبراطور طيبريوس(١٤-٣٧م) أيد فكرة تأليه المسيح، وحاول أن يحصل على قرار يقضي بذلك من مجلس الأعيان الروماني، ورغم فشله في ذلك فقد ظل متمسكا برأيه ، وبالتالي تسامح مع القائلين به من النصارى ، وهدد المعارضين لهم بالموت وصرح أنه لو أمكنه أن يكون قيصرا ونصرانيا معا لكان آمن به، وتابع سياسته هذه مع النصارى خلفه وأركاديوس(٢)

---

(١) انظر ماذكرت من اضطهاد النصارى : خطط المقريزي جـ ٢ ص ٤٨٥ ومابعدها ؛ ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ١١ ص ٣٧١ ومابعدها ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ ؛ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٢١ ، ٢٢ ٠ وما أصاب النصارى في سبيل التمسك بعقيدتهم في هذا الاضطهاد يعرف بعصر الاستشهاد الأول ، وما اصابهم في القرن ٥، ٦ الميلادي من اضطهاد بسبب الخلاف المذهبي حول طبيعة المسيح فيعرف بعصر الاستشهاد الثاني .

وانظر ما نقله ابن تيمية عن ذلك فى كتابه الجواب الصحيح ج٣ص٧ - ١٧

(٢) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٣ ص ٥ ، ٦ ، نقلا عن ابن البطريق فى كتابه نظم الجوهر ؛ حسني الأطير : عقائد النصارى الموحدين ص ٢٢١ ، ٢٢٥ نقلاً عن لوسابيوس في كتابه تاريخ الكنيسة « الفصل الثاني » ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ٦٢

ومهما يكن من شيء فقد ضاعت أسانيد كتبهم إلى المسيح عليه السلام بسبب الاضطهاد كما يقولون (١) واختلطت التعاليم الصحيحة بالآراء والمعتقدات الوثنية التي أدخلها بولس وأتباعه كما أشرنا سابقا، وقد ألفت فيها كثير من الأناجيل التي نسبت إلى أشخاص ماتوا أو قتلوا قبل التواريخ المقررة لها بعشرات السنين . (٢)

وبسبب الاضطهاد هرب الكثير من النصارى إلى البراري والقفار فرارا بدينهم، وأقاموا الأديرة فيها للانقطاع والعبادة ويذكر أن أول دير عرفته النصرانية شيده القديس باخوم قرب دندرة بمصر في حوالي سنة ٣١٥ - ٣٢٠م ، وقد نظمه على نسق التنظيمات شبه العسكرية المعروفة في الجيش الروماني ففرض الطاعة والهدوء والنظام والعمل اليومي مع مباشرة الطقوس الدينية على جميع أعضاء الدير ، ويبدو أن الراغبين من النصارى في حياة الرهبانية ، استحسنوا هذا النوع الجديد من حياة التعبد، فأقبلوا على الديرية إقبالا شديدا، وانتشرت الأديرة إثر ذلك في كل أجزاء الإمبراطورية الرومانية ، والواقع أن المجتمع النصراني والروماني تأثر إلى حد كبير من جراء ظهور الأديرة، فقد اعتزل الأفراد الذين انخرطوا في سلك الديرية عن الحياة الواقعية وألغوا إيجابيتهم الفاعلة في واقع الأرض، وتخلوا عن دورهم في عمارتها، وانطووا على أنفسهم تحت ستار التدين، ومن جانب آخر فقد تعصبوا لآرائهم الدينية ويقال : إنهم عملوا على فرضها بالقوة على المجامع الدينية، وحاولوا القضاء على ما يعارضها من تقاليد الوثنية الرومانية، الأمر الذي دفع الإمبراطورية الرومانية على سن قانون يحرم دخول الأديرة على اللائقين للخدمة العسكرية . (٣)

والمهم أنه إذا كان لعصور الاضطهاد آثار سيئة على الديانة النصرانية، فإن لاعتراف الإمبراطورية الرومانية بها وجعلها دينا رسميا للدولة ما يعادل ذلك من الآثار السيئة ففي بداية القرن الرابع الميلادي أدركت الإمبراطورية الرومانية أنه لاجدوى للعنف في محاولة القضاء على النصرانية، وأنه لم يعد هناك من مبرر سواء

---

(١) رحمة الله الكيرانوى: إظهار الحق (مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م) جـ ١ص١٠٣

(٢) أحمد عبدالوهاب : المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، الطبعة الأولى (القاهرة : مكتبة وهبه ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ص ٣١ .

(٣) سعيد عاشور : أوربا في العصور الوسطى جـ ١ ص ١٧٢ وما بعدها .

من الناحية الأدبية أم من الناحية القانونية يمنع الاعتراف بديانة بات يدين بها ما يزيد على ثلث رعاياها وإلى جانب هذا فقد ألغى الإمبراطور أورليان(٢٧٠-٢٧٥م) الحجة التقليدية التي كانت تقول بأن النصرانية ديانة تتعارض مع الولاء للدولة الرومانية، وذلك عندما قام بتغيير الأسس النظرية لسلطة الإمبراطور في اعتباره نائبا عن إله غير آدمي لاتستطيع أسلحة الجنود أن تناله وهو إله الشمس، بدلا من كونه إله في حد ذاته .(١)

ويذكر أن الامبراطور جاليروس مرض سنة ٣١١م مرضا عضالا اعتقد أن سببه انتقام إله النصارى منه، فأمر بسياسة التسامح معهم في أواخر عمره(٢) وأخذت هذه السياسة بعين الاعتبار في سنة ٣١٣م عندما اجتمع الإمبراطور قسطنطين وشريكه في الحكم ليكينوس في مدينة ميلان ليعلنا التسامح الديني مع النصارى ويصدرا وثيقة تتضمن الاعتراف بالنصرانية كغيرها من الديانات الوثنية الأخرى المنتشرة في أقاليم الإمبراطورية .(٣)

فلما انفرد قسطنطين بحكم الامبراطورية الرومانية سنة ٣٢٣م (٤) رأى أن المستقبل للنصرانية، فعمل على تطويعها بحيث تخدم أهدافه في وحدة وقوة الإمبراطورية، وأصدر أوامره بمنح رجال الدين النصراني نفس الحقوق التي كان يتمتع بها كهنة الديانة الوثنية، وأعفاهم من الضرائب ، وتأدية الوظائف المدنية، والاحتفالات الوثنية، حتى يتسنى لهم تأدية واجباتهم الدينية ، وفي مجمع نيقيه سنة ٣٢٥م الذي أشرنا إليه استخدم الامبراطور قسطنطين قوة الإمبراطورية في محاولة إنهاء النزاع الذي حدث بين طوائف النصارى، ووجه قرارات المجمع بما يحقق أهدافه ومصالحه، وطلب وهو يحمل لقب الكاهن الأعظم للوثنيين (٥) من القائلين

(١) أرنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلينية ص ٢٦٣ .

(٢) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ٢٣ .

(٣) حسنين ربيع : المرجع نفسه ص ٢٣ ؛ محمود سعيد عمران : معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨١م) ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) انظر : وسام عبد العزيز فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية (طبعة ١٩٨٣م) ص ١٩ .

(٥) سعيد أيوب : المسيح الدجال ص ٥٦ .

بأولوهية المسيح أن يضعوا له كتابا في الأحكام، وأن تكون الصلاة إلى الشرق لأنها مطلع الكواكب النيرة، وأن يصوروا في كنائسهم صورا لها جثث فصالحوه على أن تكون في الحيطان (١) ، بل قام الإمبراطور بنفسه بتغيير عبارة في قانون الإيمان النصراني فأضاف عبارة "مساو في الجوهر(٢)"، وابتدع فكرة الصليب(٣) ، وجمع في بلاطه الأساقفة والقساوسة من مختلف المذاهب النصرانية جنبا إلى جنب مع الكهنة والفلاسفة الوثنيين، وجعل على شعار الدولة والعملة المالية رمزي الديانة النصرانية والوثنية. (٤)

وهكذا هيمن الامبراطور قسطنطين بسلطة الدولة على الديانة النصرانية فأظهر فيها الفساد، وظل هذا سنة متبعة للأباطرة من بعده ، أضعفت بالتدريج النصرانية الحقة المتمثلة في المذهب الأريوسي ، وأبقت المشكلة الكبرى التي قسّمت النصارى بل والعالم الروماني إلى معسكرين متباغضين ومتنافرين وهي مشكلة تحديد العلاقة بين المسيح الابن والإله الأب(٥) ، ورغم أن الكنيسة استغلت ضعف الامبراطورية الرومانية في القرن الخامس الميلادي لتتخلص تدريجيا من تدخلها في شئونها(٦) إلاّ

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، الطبعة الثانية (دار الفكر العربي ١٩٧٨م) جـ ٢ ص ١٥٠

(٢) سعيد أيوب : المرجع السابق ص ٥٦ .

(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٢ ص ٦٥٠ ، وأسطورة ابتداع الصليب تتلخص في أن اله الشمس الذي لايقهر نقش صليب المسيح فوق قرص الشمس مكتوب عليه بهذا تغلب فزعم أنه رآه يقظة أو منام سواء ، وأن هذا يعني أن الله اختاره ونصبه ، خاصة على شئون الكنيسة (الخارجية) وصنع صليباً ، واتخذه شعاراً لحرب خصمه ليكينوس وبالتالي اتخذه الأباطره من بعده لهذا الغرض ، انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٠ ؛ أرنولد توينبي : المرجع السابق ص ٢٦٤ ؛ حسنين ربيع المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦ ؛ سعيد أيوب : المرجع السابق ص ٥٤

(٤) سعيد عاشور : المرجع السابق جـ ١ ص ٥٥ .

(٥) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٥١ .

(٦) محمد رفعت وأحمد حسونه : معالم تاريخ العصور الوسطى الطبعة الثانية (مصر ١٩٢٦م) ص ١٠٢ ، وذكر ايضا أن أول من أعلن فكرة تخلص الكنيسة من سيطرة الإمبراطورية هو أسقف روما ليو الأول أو العظيم (٤٤٠-٤٦١م)، بقوله :" أن العالم تحكمه قوتان قوة الكنيسه وقوة الملك والأولى تفوق الثانية لأن الكنيسة مسئولة أمام الله عن أعمال الجميع حتى الملوك"

أنه إلى زمن بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ظل الأباطرة طرفا في المنازعات الدينية والخلافات المذهبية التي تقع بين طوائف النصارى فقدحاول الإمبراطـور هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) جمع المذاهـب المختلفه فـى طبيعة المسيح ، فأوجد صيغة لتحقيق الاتحاد الديني تتمثل في شهادة الجميع بأن الله الذى هو المسيح _ تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا _ له إرادة واحدة وقضاء واحد ، والكف عن الخوض في الكلام عن كنه طبيعة المسيح، وعما إذا كان له صفة واحدة، أم صفتان وأصدر أمره على جعل هذا المذهب - الذي سمي بالمذهب المونوثلستي - مذهبا رسميا للدولة ومن تضمهم من اتباع الكنيسة النصرانية وحاول أن يفرضه على الجميع بشتى الوسائل ولكن القبط نابذوه العداء وتبرءوا من فعله ، وصمدوا له ، واستماتوا في سبيل مذهبهم رغم ما وقع عليهم من اضطهاد وفشل الإمبراطـور في مسعاه(١)، وبقيت سنة الله جارية فيهم بعد تبديلهم لدينهم ، قال تعالى:﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ (٢)

يقول ابن تيمية عن مدى الاختلاف الذي وقع بينهم في دينهم :" قالت طائفة من العقلاء: إن عامة مقالات الناس يمكن تصورها إلا مقالة النصارى وذلك أن الذين وضعوها لم يتصوروا ما قالوا بل تكلموا بجهل ، وجمعوا في كلامهم بين النقيضين؛ ولهذا قال بعضهم لو اجتمع عشرة نصارى لتفرقوا على أحد عشر قولا وقال آخر : لو سألت بعض النصارى وامرأته وابنه عن توحيدهم لقال الرجل قولا وامرأته قولا وابنه قولا ثالثا " (٣) .

ونخلص من هذا كله إلى حقيقة كبرى ومهمة هي أن الله تعالى جعل حفظ الرسالات السماوية السابقة من التحريف أمانة فى أعناق اتباعها ولكنهم _ بسبب

---

(١) الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٩

(٢) سورة المائدة : آية ١٤ .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ١٥٥ .

الظروف التى احاطت بهم ـ اخفقوا فى حمل تلك الأمانة أما بالنسبة لرسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم التي ختم الله بها الرسالات ونسخ بها الأديان السماوية السابقة وجعلها للناس كافة فقد تكفل بحفظ كتابها القرآن الكريم من التحريف والتبديل قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١)

ومن أهم الوسائل التي هيأها الله لهذه الأمة لحفظ دينها من التحريف هو قيام دولة وكيان لها زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، إضافة إلى اختيار الله سبحانه وتعالى لأمة أمية هى أمة العرب لتكون حاملة لهذه الرسالة ، فقد كانت الجزيرة العربية واهلها في منأى عن الفلسفات السابقة ، ولاتعرف عنها شيئاً ، ولم تتأثر بها ، أى انها كانت أمة على الفطرة ، والفطرة السليمة كفيلة بإيصال اهلها بسهولة إلى طريق الحق قال تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وهذا هو ما افتقدته الديانة النصرانية التي ولدت في ظل الإمبراطورية الرومانية وفى مهد الفلسفات الوثنية السابقة ، ولم يقم لها دولة من ذاتها تحفظها من التحريف والتبديل ، الذي لم يتوقف بعد عصور الاضطهاد ، وإنما تعاظم في عهود السلام التي رضيت فيها النصرانية بحكم وحماية الرومان لتكسب تأييدهم لها ، فقد هان على الأساقفة والرهبان التلاعب بالعقائد والعبادات والشرائع النصرانية لإرضاء الأباطرة ونيل الحظوظ لديهم وفي المقابل اتخذ منهم الحكام ذريعة لفرض ما يحقق مصالحهم وأهدافهم السياسية كل ذلك عن طريق تلك المجامع الدينية الخاضعة لسلطة الإمبراطورية .

وبهذا وغيره اختلط الحق بالباطل وتفشى الشرك والكفر بالله تعالى ودان العالم النصراني بذلك ، ولم يبق على النصرانية القائمة على التوحيد الخالص إلا طائفة قليلة قبل ظهور الاسلام بقليل ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته : « .. **وإنَّ اللهُ نَظَرَ إلى أَهلِ الأرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ** ».(٣)

---

(١) سورة الحجر : آية ٩ .

(٢) سورة الروم : آية ٣٠

(٣) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٧ص ١٩٧ والمقت: أشد البغض .

تاريخ النصرانية في جزيرة العرب (١)

أشرنا فيما سبق إلى أثر الاضطهادات التي مارسها أباطرة الرومان ضد أتباع النصرانية ، من حيث انتشارها وازدياد أتباعها الذين فروا بدينهم إلى البراري والقفار، وأقاموا الأديرة فيها للانقطاع للعبادة ، ومن ذلك بعض مناطق الجزيرة الشمالية لالتى يشبه مناخها مناخ الشام ومصر ، ويمكن أن تقوم بها زراعة ما يتغذى عليه الرهبان في الاديرة .

أمامعظم الجزيرة العربية فكانت قاحله تشكل عامل طرد للأجانب ، فحرّها وجدبها يحول دون إقامة الأديرة ، ولاسيما بلاد تِهامة والحجاز ولذا لم نسمع أن أحداً من النصارى أقام ديرا بالحجاز وماحولها.

وإذا ما تتبع الباحث بإيجاز تسرب النصرانية إلى بعض مناطق الجزيرة العربية وجد أن بعض النصارى الذين بقوا على دين عيسى عليه السلام الذي لم يبدل ، قد لجأوا إليها وانقطعوا في صوامعهم للعبادة ، فأكرم الله تعالى بعضهم بكرامات أدت مع الزمن إلى تأثر بعض الناس بدينهم ومن ثم اعتناقهم له كما سيأتي بيانه. (٢)

أما أولئك الرهبان الذين تابعوا بولس اليهــودي فيما أدخله على ديانتهم من

---

(١) جزيرة العرب : سمّتها العرب جزيرة تجوزاً لإحاطة البحار بها من ثلاث جهات ، من الجنوب يحيط بها بحر الهند ، وهو مايسمى الآن بالبحر العربى ، ومن الغرب يحيط بها بحر القُلْزُم ، وهو ما يسمى الآن بالبحر الأحمر ، ومن الشرق ، يحيط بها بحر فارس ، وهو مايسمى الآن بالخليج العربى .

أما من الشمال فقد رجح ابن تيمية أن الجزيرة العربية لاتدخل فيها الشام ، وعلى هذا يكون حدّها شمالاً هو ساحل البحر الأحمر الشرقى الشمالى وما على مسامَتِته شرقا ؛ من مشارف الشام وأطراره (الأردن حالياً) ، ومنقطع السماوة من ريف العراق ، والحدُّ غير داخل فى المحدود هنا . ويذكر بعض الباحثين أنه لاخلاف بين الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين حول هذا التحديد . انظر ، ابن تيمية اقتضاء الصرط المستقيم ج ١ ص ٤٠٦ بكر أبو زيد : خصائص جزيرة العرب ، الطبعة الأولى (الدمام : دار ابن الجوزى للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ص ١٧ - ٢٦

(٢) انظر مايلى : ص ٦٦ - ٦٧

تحريف ، فقد عملوا على نشر عقيدته بشتى الوسائل في المناطق التي نزلوا فيها من الجزيرة العربية ، فكان تأثيرهم على بعض القبائل العربية قويا ، لعلمهم بوسائل الإقناع والمنطق ، والاحتيال ببعض الوسائل الطبية(١) ، والصبر على المصاعب التي كانوا يتعرضون لها ، فيذكر أنهم رافقوا الأعراب في البراري، وحضروا بعض أسواق العرب في الجاهلية يعظون ويدعون لدينهم ، فأصابوا حظوظا من النجاح في تنصير بعض أحياء العرب(٢)

ويذهب بعض المؤرخين (٣) إلى أن الإمبراطورية الرومانية عملت على نشر الديانة النصرانية بعد الاعتراف بها كدين رسمي لها في المناطق الحيوية والحساسة لها ؛ لأن ذلك يحقق لها الاستقرار والقوة السياسية والاقتصادية ، ويوطد ويرفع مكانة الأباطرة في نفوس الرعية ورجال الدين، وسنبين بعض ما يدل على ذلك مما يخصنا لاحقا.

والوقع أن الصلات التجارية والطرق التجارية هي التي كان لها الأثـــر الفعال في تسرب النصرانية إلى جزيرة العرب ، وذلك من خلال رحلات العرب التجارية إلى الحبشة والعراق والشام، واتصالهم بالرهبان، والتجار النصارى ، والقبائل العربية التى تنصرت ، وخضعت لحكم الروم وشراء البعض منهم لبعض الأرقـاء من بلاد الروم وغيرها ليقومو ابما هـــم في حاجته من الصناعات(٤) ، وفي المقابل عن طريق التجار الروم النصارى الذين كانوا ينزلون على سواحل الجزيرة العربية الشرقية والغربية والجنوبية للتزود بالماء والطعام وللاتجار مع سكانها، وللإقامة الدائمة من البعض(٥).

ويذكر أن بعض الأفراد من العرب تنصر عن طريق الوفادة على ملوك الـــروم

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٦ ص ٥٨٧ ·

(٢) جواد علي : المرجع نفسه جـ ٦ ص ٦١٢ ·

(٣) توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، الطبعة الأولى (دار الفكر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ص ٤٠ ومابعدها ، أدوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها جـ ١ ص ٥٦٨ ، ٥٦٩ ؛ جواد علي : المرجع السابق جـ ٣ ص ٥٣٣ ·

(٤) محمد عزة دروزة : عصر النبي وبيئته ، الطبعة الأولى (دار اليقظة العربية ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ص ١٠١ ·

(٥) جواد علي : المرجع السابق جـ ٦ ص ٦٢١ - ٦٢٢ ·

لنيل الحظوة عندهم أو لطلب الجاه والملك على غيرهم(١).

ومهما يكن من شيء فقد أثبتت المصادر وجود النصرانية في جزيرة العرب. يقول الإمام الشافعي :" وبعث الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وهي بلاد قومه، وقومه أميون وكذلك من كان حولهم من بلاد العرب ، ولم يكن منهم من العجم إلا مملوك أو أجير أومجتاز أومن لايذكر ، ولم يكن بالحجاز علمتة إلا يهودي أو نصراني بنجران "(٢).

ويقول ابن تيمية : " فإن من العرب من النصارى من لايحصى عدده إلا الله تعالى ، وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قوم على دين المسيح الذي لم يبدّل وهم مؤمنون من أهل الجنة "(٣)

وإذا تأملنا ماأوردته كتب السير والتاريخ والبلدان عن انتشار النصرانية بين العرب في الجزيرة العربية ، تبين لنا أنه لاتناقض بين القولين السابقين فقد اتسع نطاق انتشارها في أطراف الجزيرة، وقلّ في الداخل خاصة في الحجاز وما حوله _ كما سيأتي بيانه لاحقا(٤)_، وعلى هذا فأهم المناطق التي انتشرت فيها النصرانية هي :

أولا : شمال الجزيرة العربية وينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : بادية الشام وما يليها من بلاد العرب، وانتشرت فيه النصرانية منذ وقت مبكر، ويرجع ذلك إلى قربها من الموطن الأصلي لهذه الديانة، ولكثرة الداعين لها في تلك الجهات، وخضوع معظمها لحكم الروم .

ومن أشهر القبائل العربية التي تنصرت بها ، قبيلة الغساسنة وهم من الأزد الذين رحلوا من اليمن بعد انهيار سد مَأرِب (٥) ، ونزلوا في اليرموك والجَوْلان

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبرى (بيروت : دار الفكر) جـ ٤ ص ٢٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦

(٢) الشافعي : الأم ، الطبعة الثانية (بيروت : دار المعرفة ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م)جـ ٤ص ١٧٢.

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٠٠ .

(٤) انظر مايلي : ص ٧١ _ ٨٠

(٥) ولم يستقر رأي المؤرخين بعد على تحديد فترة انهيار سد مأرب وحدوث سيل العرم وهجرات العرب الجنوبيين الى الشمال ..

وغوطة دِمَشْقَ والبَلْقَاء (١) والأُرْدُنّ (٢) واعتنقوا النصـرانية (٣) فجعلهم الروم ملوكا على عرب الشام ، وأوكلوا إليهم مهمة الدعوة إلى النصرانية بين العرب الضاربين حولهم، وجمع الضرائب من القبائل العربية المحيطة بدولتهم ، إلى جانب توطيد نفوذ الروم على تلك النواحي، وصد هجمات الفرس وحلفائهم من العرب(٤).

والواقع أن الغساسنة قاموا بدور فعال لإقناع بعض القبائل العربية القاطنة بشمال الجزيـــرة العربية والقريبة من الشام باعتناق النصرانية(٥) إلى جانب الوثنية ، فقد تنصرت بسببهم في الغالب قبيلة بَهْرَاء، وبَـلِيٍّ ، وبَلْقَيْن وعُــذْرَةَ، وعاملـة وهؤلاء تجمعوا مع الروم لحرب المسلمين في غزوة مُؤْتة (٦) سنة ٨ هـ وسموا بالعرب المتنصرة (٧) ، وتنصر بعـــض أفـــراد قبيلة طـيىء ، وكلـــب ، وجُـــذَام وبني

(١) **البلقاء** : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى وعاصمتها عَمّان وفيها قـرى كثيرة ومـزارع واسعة ، انظر الأزدي : فتوح الشام تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة : سجل العرب ١٩٧٠م) ص ٨٥ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (طبعة عام ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) جـ ١ ص ٣٦٧ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف الطبعة الثانية (دار إحياء التراث العربي ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) ص ٦٤١ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ص ٤٩١ ؛ البكـري : معجم ما استعجم ، الطبعة الأولى (القاهـرة : مطبعة لجنة التآليف والترجمة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م) جـ ١ ص ٧٥ .

(٤) ابن خلدون : العبروديوان المبتدأ والخبر(بيروت : دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م) المجلد الثاني جـ ٣ ص ٥٨٣ ؛ عمر فروخ : تاريخ الجاهلية (بيروت ١٩٨٤م) ص ٦٨

(٥) عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب(مؤسسة شباب الجامعة)جـ ١ص ٢٠٣-٢٠٤

(٦) **مُؤْتَه** : قرية من قرى البلقاء بالشام دون دمشق الى الطرف الجنوبي للبحر الميت ، وتقع على الحدود الفاصلة بين الشام والحجاز ، انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٨ ص١٩٠- ١٩١

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢ ص ١٦٢ . ومواطن هذا القبائل بالنسبة لجزيرة العرب : من ينبع الى عقبة أَيْلَه ومنها في الجهة الشمالية الى تَبُوك وأَذْرُح ـ التى سياتى التعريف بموقعهما لاحقا ـ انظر البكري : المصدر نفسه جـ ١ ص ٥١ ، ٥٢ .

أسـد(١) ، وتنصرت قبيلة إيـاد التي رحلـت من جهـات العـراق ونزلت مع غسَّـان بالشام(٢) ، وكان أُكَيْـدَر(٣) صاحب دُومَـةَ الجنـدل (٤) ويُحَنّة بن رُؤْبة(٥) صاحب أَيْلة (٦) نصرانيين .

القسم الثاني : ريف العراق وما يليه من بلاد العرب.

تحكّم التنافس التقيلدي بين الفرس والروم- في معظم الفترات- في العلاقات الاقتصاديـة والسياسية والدينية بين القبائل العربية التي استقرت في جهات العراق

---

(١) ابن حزم : المصدر السابق ص ٤٩١ ، قبيلة طيئ وبني أسد غلبت على جبل أجا وسلمى ونزلت بها ، أما كلب وجُذَام فكانت بدومة الجندل وتبوك وأطراف الشام إلى ناحية طيىء انظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب تحقيق محمد بن علي الأكوع (الرياض : دار اليمامة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) ص ٢٧٤ ؛ البكري : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٠ ٠

(٢) البلاذي : أنساب الأشراف تحقيق محمد حميد الله (دار المعارف بمصر ١٩٥٩م) جـ ١ ص٧٨؛ ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٩١ ؛ البكري: معجم ما استعجم جـ١ ص٧٥

(٣) **أكيدر بن عبدالملك** رجل من كنده ، وقيل من غسَّان ، كان حاكماً على دومة الجندل من قبل هرقل وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم ، له قصة مع خالد بن الوليـد سيأتي بيانها عند خبر مصالحة الرسول صلى الله عليه وسلم له على الجزية ٠ انظـر : سيرة بن هشام : تحقيق مصطفى السقا وآخرون الطبعة الثانية (شركة مكتبة ومطبعـة مصطفى البادي الحلبي بمصر ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٢٦ ؛ المسعـودي : التنبيه والاشراف تصحيح عبدالله الصاوي (القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) ص ٢٤٨ ؛ الشافعي : الأم جـ ٢ ص ١٧٣

(٤) **دُوْمة الجَنْدَل** : بضم الدال بلدة قرب تبوك ، وتقع اليوم ضمن منطقة الجوف (منطقة زراعية شمال تيماء بالمملكة) انظر: ابن عساكر : تاريخ دمشق (طبع المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧١هـ-١٩٥١م) ج ١ص ٣٨٥ ؛ عاتق بن غيث البلادى : معجم المعالم الجغرافية فى السيرة النبوية ص ١٢٧ ، ١٢٨

(٥) قال الزرقانى فى شرح المواهب اللدنية للقسطلانى، الطبعة الثانية (بيروت: دار المعرفة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م) ج ٣ ص ٧٦ : " قال البرهان : لا أعرف له ترجمة والظاهر هلاكه على دينه "

(٦) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام قيل سميت بأيلة بنت مدين ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ١ ص ١٩١ ، ١٩٢

وبين القبائل المتنصرة في أطراف الشام، ونتج عن ذلك تسرب دخول النصرانية في شمال شرقي الجزيرة العربية ومايليها، فقد انتشرت النصرانية في الحيرة عاصمة المناذرة(١) حتى أطلق على أتباعها فيها مسمّى العبّاد ، يقول ابن العبري : والعباد قوم من النصارى العرب من قبائل شتى اجتمعوا وانفردوا عن الناس في قصور ابتنوها بظاهر الحيرة وتسموا بالعبّاد... "(٢) بل وكثرت الأديرة بداخل الحيرة نفسها ومن أشهرها دير هند الكبرى(٣) ودير هند الصغرى(٤)، وورد أن النعمان بن المنذر" الثالث" الملقب بأبي قابوس بن المنذر الرابع - وكان قد تنصر- كان يخرج إلى الأديرة الكبيرة في كل عيد لإقامة العبادة والاحتفالات بها (٥)، ولعل أديرة الحيرة والطريق البحري عبر الخليج هما في الغالب سبب دخول النصرانية في البحرين المتاخمة لريف العراق، فقد تنصرت بَكْر بن وائِل(٦) وتميم، وتنصر الجارود بن المعلى العبدي(٧) وقومه بنو عَبْدِ الْقَيْس(٨).

---

(١) **المناذرة** : من لخم وأصلهم من أزد اليمن رحلوا بعد خراب سد مأرب ونزلوا جنوب بلاد ماوراء النهرين ، واتخذوا الحيرة عاصمة لهم ، وولاهم الفرس ملوكاً على العرب ، المتأخمين لدولتهم ، وأوكلوا إليهم مهمة توطيد نفوذ الفرس في البلاد التي يلون حكمها ، وما جاورها من بلاد العرب إلى جانب صد هجمات الروم وحلفائهم من العرب انظر : اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (بيروت : دار صادر ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م) جـ ١ ص ٢٠٨ ، محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم (طبع لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ص ٥٨٦ - ٥٨٧ ٠

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ، الطبعة الأولى (بيروت : المطبعة الكاثوليكية ١٩٥٨م) ص ١٤٤

(٣) انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان جـ ٢ ص ٣٩٠ ٠

(٤) انظر : ياقوت الحموي : المصدر نفسه ص ٥٤١ ، ٥٤٢ ؛ الشبابشتي : الديارات تحقيق كركيس عواد : الطبعة الثانية (بغداد : دار المعارف ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م) ص ٢٤٤ - ٢٤٦

(٥) البكري : معجم ما استعجم جـ ٢ ص ٥٩٦ ٠

(٦) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ٤٩١ ٠

(٧) ذكره ابن إسحاق في خبر قدوم وفد عبدالقيس على الرسول صلى الله عليه وسلم وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه انظر : سيرة ابن هشام : ق٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٧٥ ن ٥٧٦ ، ابن حجر : فتح الباري جـ ٧ ص ٦٨٦ ، ٦٨٧ ٠

(٨) ابن حزم : المصدر نفسه ص ٤٩١ ٠

ثانيا : جنوب الجزيرة العربية

اشتهرت النصرانية باليمن فقط وكانت نَجْران أهم موطن رسخت فيه هذه الديانة، ولم يذكر المؤرخون تحديدا زمنيا لبداية انتشارها بها ومن المحتمل أن يكون قد حدث ذلك في القرن الرابع الميلادي ، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات فقد ورد أن الأحباش نشروا النصرانية في بلاد اليمن عن طريق الاتصال التجاري وقيل بل بحملة عسكرية هاجم بها الأحباش اليمن واستولوا عليها ونشروا النصرانية بها وذلك في الربع الأول من القرن الرابع الميلادي(١) ، ويؤيد هذا القول ما ذكر بأن أحد أساقفة اليمن اشترك في أعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥م .(٢)

والملاحظ أن حملة الأحباش النصارى التي أشرنا إليها آنفا لم تستمر في الاستيلاء على اليمن طويلا ففي سنة ٣٧٨م تعاون اليمنيون على إخراجهم وبالتالي فقدت النصرانية سندا قويا لها حتى عادوا مرة ثانية لاحتلالها في سنة ٥٢٥م بعد حادثة الأخدود .(٣)

ويروى أن الإمبراطور قسطنطيوس الابن الثاني لقسطنطين(٣٥٣-٣٦١م)ـ الـذي فرض المذهب الأريوسي على جميع أجزاء الإمبراطورية (٤)- أرسل وفدا إلى

---

(١) نبية عاقل : تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثالثة (دار الفكر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٥م) ص ١٠٢ ؛ محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب (مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض : ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(٢) جواد علي : المرجع السابق جـ ٢ ص ٦١٥ .

(٤) نبية عاقل : المرجع نفسه ص ١٠٢ ؛ مهران : المرجع نفسه ص ٣٧٧ .

(٣) انظر : ماسبق ص ٤٦

جنوبي الجزيـرة العربيـة ، فانتشـرت عقيدة التوحيد في نجران وعدن وحميـر(١). والظاهر أن نجران اختصت عن بقية اليمن في دخول النصرانية إليها عن طريق راهب يقال له فيمون قدم إليها من الشام وابتنى بقربها خيمة وعبد الله فيها ، وكان على دين عيسى عليه السلام الذي لم يبدّل ، فتردد عليه غلام يقال له عبد الله بن الثامر وكان يتعلم السحر لدى ساحر ، فهداه الله إلى الحق وعَلِم صواب ما عليه الراهب فاعتنق دينه ، وظهر له من الكرامات استجابة الله لدعائه فتابعه كثير من أهل نجران على دينه ، فأراد ملك نجران قتله فلم يقدر على ذلك حتى قال له ابن الثامر :إنك لاتقدر على قتلي حتى توحد الله تعالى، ففعل الملك، وضرب ابن الثامر بسهم فقتله ، فأجمع أهل نجران على دين الغلام ، وكان على ما جاء به عيسى عليه السلام(٢)، فلما بلغ ذانواس الحميري - وكان كافرا على اليهودية المحرفة- اعتناقهم النصرانية سار إليهم بجنوده من حمير وقبائل اليمن، وخيرهم بين اليهودية وبين القتل فاختاروا القتل فخد لهم الأخـدود فحرق وقتل مايقـرب مـن عشرين

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة : أشراف محمد شفيق غربال ص ١٣٧٩ - ١٣٨٠ ، وتشير بعض المصادر إلى تنصر أحد ملوك حمير على يد رجل من غسان قدم من الشام ، انظر : وهب بن منبه : التيجان في ملوك حمير ، الطبعة الثانية (تحقيق مركز الدراسات والأبحاث اليمنية) ص ٣١٠ ؛ ابن الأثير الكامل في التاريخ الطبعة الثالثة (بيروت : دار الكتاب العربي ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) جـ١ ص٢٤ ، وروى بعض الباحثين المحدثين : أن الامبراطور قسطنطين الثاني أرسل في حوالي عام ٣٥٤م تيوفيلوس اندس الهندي على رأس بعثة تبشيرية نصرانية إلى بلاد العرب الجنوبية ، وأنه تمكن من إنشاء كنيسة في ظفار وأخرى في عدن وثالثة في هرمز ، انظر : جواد على : المرجع السابق جـ ٦ ص ٦١٢ ؛ مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ص ٣٧٧ ؛ محمد عزه درزوه : تاريخ الجنس العربي قبل الإسلام فى جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق (بيروت: المكتبة العصرية) ص ٨٩

(٢) انظر : أصل الخبر في صحيح مسلم ، كتاب الزهد باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ مسند الامام أحمد جـ ٦ ص ١٦ - ١٧ وقارن مع سيرة بن هشام : ق١جـ ١ -٢ ص ٣١ - ٣٤ ؛ الطبري : جامع البيان الطبعة الثالثة (مصر شركة ومطبعة البابي الحلبي ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) جـ ٣٠ ص ١٣١ - ١٣٥ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ص ١٦ - ١٧ .

ألفا، وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴾ (١).

وتشيرالروايات إلى أنه أفلت رجل من أهل نجران ـ النصارى ـ يقال له دوس ثعلبان فقدم على قيصر الروم الإمبراطور جستين (٥١٨-٥٢٧م) فاستنصره على ذي نواس الحميري وجنوده فكتب له إلى ملك الحبشة، وكان على النصرانية فجهز له جيشا كبيرا توجه به إلى اليمن ، فانهزم ذونواس فخاض البحر هاربا فكان آخر العهد به(٢)، واحتل الأحباش النصارى اليمن فترسخت النصرانية وزاد انتشارها حتى كادت أن تشمل اليمن كله .

وتذهب الرواية الحبشية إلى أن نصارى اليمن كانوا يرسلون الضرائب إلى النجاشي.(٣) وتجدر الإشارة إلى أن الروم وحلفاءهم الأحباش قد أدركوا أهمية اليمن وتحكمها في الطريق التجاري إلى الشرق منذ القدم فاستخدموا في هذه الفترة ديانتهم لبسط سيادتهم وتوطيد نفوذهم في مواجهة منافسيهم ولاسيما الفرس ولعل هذا هو أيضا ما دفع ملك اليمن ذا نواس الحميرى فى الإيقاع بالنصارى سنة٥٢٣م فى مذبحة نجران السابقه .(٤)

والجدير بالذكر أن النصرانية التي تغلغلت في اليمن بكامله أصابها التحريف الذي أصاب هذه الديانة بكل أرض ، ومما يدل عليه ماذكر بعض الباحثين من أن نصوصا نصرانية وجدت ببلاد اليمن تحمل صيغ التثليث ويعود تاريخها إلى القرن

---

(١) سيرة ابن هشام ق١ جـ ١-٢ ص ٣٥-٣٦ ؛ الطبري: المصدر السابق ج٣٠ ص١٣٣ ، ١٣٤

(٢) وهب بن منبه : التيجان ص ٣١٢ ، ٣١٣ ؛ سيرة ابن هشام ق ١ جـ ١-٢ ص ٣٧ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٦٣٧ ، ٦٣٨ ؛ الدينوري : الأخبار الطوال ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، الطبعة الأولى (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٠م) ص ٦١ ، ٦٢ ؛ اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي جـ ١ ص ١٩٩ ، الطبري : تاريخ الامم والملوك الطبعة الأولى(بيروت، دارالكتب العلمية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) جـ١ص٤٣٦ ، ٤٣٧ .

(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب جـ ٢ ص ٦١٥ .

(٤) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ص ٥٧ ، ٥٨ ؛ مهران : المرجع السابق ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ؛ عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ص ١٢٧جورجي زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام طبعة (دار الهلال) ص ١٤٧ ، ١٤٨

السادس الميلادي .(١)

ومن هنا فهي تلتقي مع النصرانية التي تدين بها الإمبراطورية الرومانية في هدف السيطرة والتوسع وتحقيق عالمية هذه الديانة وإن اختلفت مذاهبها الفاسدة ، وبالتالي فليس من المستبعد أن تكون حادثة الفيل خطوة في سبيل تحقيق ذلك، فقد اتخذ أبرهة الأشرم- عامل ملك الحبشة على اليمن - من تدنيس أحد الأعراب كنيسته التي بناها بصنعاء ذريعة لغزو مكة ، فسار بجيش قوي من الأحباش وبعض أهل اليمن ومعه فيل يسمى محموداً ، فلما وصل إلى مشارف مكة وتهيأ لدخولها برك الفيل ، وأبى أن يمشى نحو الكعبة- حبسه الله تعالى - فبينما هم في محاولة إكراهه على المسير بذلك الاتجاه ، أرسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل رمتهم بحجارة من سجيل فأهلكتهم ، ولم ينج منهم أحد ، فقد نقل أبرهة وهو مثخن بجراحه- من أثر عذاب الله- إلى صنعاء فمات بها وقت وصوله ، وقد أنزل الله تعالى سورة الفيل متضمنة هذه الحادثة إجمالا (٢) .

يقول ابن تيمية مبينا أثر هذا الحدث ودلالته : " وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الأمم للبيت وجيران البيت وعلم العقلاء أن هذا لم يكن نصرا من الله لمشركي العرب فإن دين النصارى خيرمن دينهم ، وإنما كان نصرا للبيت وللأمة المسلمة التي تعظمه وللنبي المبعوث من البيت ،فهي من دلائل نبوته،وكان ذلك عام

---

(١) أ • ف • ل بيسيون : « فكرة التوحيد عند الحميريين » الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام ، جامعة الملك سعود بالرياض١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ملخص الأبحاث ص ١٤٩ - ١٥٤

(٢) تواترت تفاصيل هذه الحادثة باختلاف يسير في كتب التاريخ والسير والتفسير وأسانيد رواياتها مرسلة تقف عند عبيد بن عمير الذي ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي الإسناد إليه ضعف انظر: ابن أبي شيبة: المصنف تحقيق مختار أحمد الندوى، الطبعة الأولى (بومباي الهند :الدار السلفية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) جـ١٤ ص٢٨٤-٢٨٥ ؛ أو تقف عند قتادة ت (١١٧هـ) والإسناد إليه من طريق محمد بن ثور عن معمر عن قتادة صحيح انظر: الطبري: تفسير جـ٣٠ ص ٢٩٦-٢٩٧ ورواها ابن اسحاق في السيرة ص ٣٨ ومابعدها ؛ البلاذري : أنساب الأشراف جـ١ ص٦٧ ؛ أكرم العمري: المرجع السابق جـ ١ص٩٧

مولد النبي صلى الله عليه وسلم " .(١)

وقد أوردت بعض المصادر خبرا جاء على أثر هذه الحادثة مباشرة مفاده أن عثمان بن الحويرث أحد رجال قريش قدم على قيصر الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده فتوجه وولاّه على مكة ، وأمر ابن جفنة(٢) ملك عرب الشام أن يجهز معه جيشا لحرب قريش ولكن الحملة لم تنفذ ؛ لأن الأعراب حذرت ابن جفنة من مغبة المسير إلى مكة لمّا رأوا من عظمتها وكيف فعل الله بأصحاب الفيل....(٣) ، وهكذا يتبين لنا أن الروم والأحباش حاولوا أن يخضعوا قلب الجزيرة العربية ويفرضوا سيادة النصرانية عليها حتى لا يبقى بين نصارى الشمال والجنوب من لايدينون بدينهم ٠

ولاشك في أن النصرانية ضعفت في اليمن بعد وقعة الفيل، وخاصة عندما استنجد سيف بن ذي يزن الحميري بالفرس لإخراج الأحباش منها سنة ٥٧٥م الأمر الذي نتج عنه عدم بقاء أحد من النصارى أصلا إلابنجران . (٤)

أما وسط الجزيرة العربية : الذي يشمل تلك المفازات الشاسعة التي تضم معظم قبائل العرب الواقعة بين قبائل ومناطق الشمال والجنوب ـ التي أشرنا إليها فنذكر خبر النصرانية به فيما يلي :

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ص ١٠٦ ، ورواية مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان عام الفيل أوردها الحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ٦٠٣ ؛ ابن هشام فى السيرة ق ١ جـ١ -٢ ص ١٥٨ ، وأسانيدها ترتقي إلى مرتبة الحسن لغيره انظر : العمري : المرجع السابق جـ ١ص٩٦، وتدل الدراسات الحديثة أن عام الفيل يوافق عام٥٧٠م أو ٥٧١م ، انظر : جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام جـ ٩ ص ٤٤٣ ، ٤٧٨

(٢) يطلق على الغساسنة وسموا به لأن أول ملوكهم كان يسمى « جفنة بن عمرو مزيقياء انظر : المسعودي : التنبيه والاشراف ص ١٥٨ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر م ٢ جـ ٣ ص ٢٧٩ - ٢٨١ ٠

(٣) الزبير بن بكار : جمهرة نسب قريش وإخبارها حققه محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة المدني ١٣٨١هـ) ص ٤٢٥ - ٤٢٨ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ١ ص ١٦٥

(٤) ابن حجر : فتح الباري جـ ١٣ ص ٣٦١ ٠

....

(أ) اليمامة(١) وما حولها والملاحظ ضعف انتشار النصرانية بها ، وما أورده بعض المؤرخين من أن أبرهة الحبشي وصل إلى نجد في حملة مستقلة قبل الحملة التي سار بها إلى مكة وأنه أقام رجلا من قضاعة على بعض قبائل معد، ومنها بكر وتغلب أبناء وائل ابن ربيعة(٢) ـ إن صح ـ فإن الحال لم يستمرعلى ذلك كثيرا فقد هلك أبرهة ولم يبق له أثر يذكر إلا ما قيل عن هَوْذَةَ بن علي الحنفيٍّ حاكم اليمامة أنه كان نصرانيا(٣) وقد أدرك البعثة وكتب له الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه إلى الإسلام كما سيأتي بيانه .(٤)

وعلى الرغم من هذا فإنا لانجد لهذا الحاكم أثرا في نشر النصرانية - إن صح اعتناقه لها - بين رعاياه ويدل على هذا أنه لم يرد في كتب السيرة ما يشير إلى أن وفد بنى حنيفة الذي قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم كان فيهم نصارى(٥)

ب ـ بلاد الحجاز وهي مكة ويثرب وما حولها :

على الرغم من أن هذه البلاد لم تكن بعيدة عن المؤثرات الخارجية ولاسيما تلك التي تأتي من الإمبراطورية الرومانية والحبشية اللتين كانتا تدينان بالنصرانية إلا أنها - في الجملة - لم تتأثر بها.

وفى اعتقادى أن النصارى حاولوا توطيد نفوذهم ونشر ديانتهم في بلاد الحجاز، ولاسيما في مكة محط أنظار جميع العرب فمهدوا لذلك أولا بإقامة علاقات وديّة تجارية، فقد رُوي أن قصّي بن كلاب عمل على تقصّي قومه وخاصة من بلاد الشام،

---

(١) **اليمامة** : من نجد ، وكانت تسمى (جدا) فى الأصل كما عرفت بـ (جو) يحدها من الشرق البحرين ، ومن الغرب تنتهى إلى الحجاز ، وأما الشمال فيتصل بواد متصل بالعذيب والضربة والنباح وسائر حدود البصرة ، وجنوبها بلاد اليمن ، ومن أبرز قبائل اليمامة فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم بنو حنيفة ، انظر : ابن رسته : الاعلاق النفيسة (طبعة ليدن سنة ١٨٩١م) ص ١٨٢ ؛ ياقوت المصدر السابق ج ٥ ص ٤٤١ـ ٤٤٧ ؛ جواد على : المرجع السابق ج ٤ ص ٢١٦

(٢) انظر : ابن الأثير : الكامل جـ ١ ص ٢٩٩ ٠

(٣) ابن الأثير : المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٤٦ ٠

(٤) انظر : مايلي ص ٢١٩ - ٢٢٠

(٥) انظر : ابن حجر : فتح الباري ح (٤٣٧٢ ، ٤٣٧٣) جـ ٧ ص ٦٨٨ - ٦٩٠ ، سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣-٤ ص ٥٧٦ ، ٥٧٧ ؛ مسند الإمام أحمد جـ ٣ ص ٤٣١ - ٤٣٣

ونقلهم إلى مكة(١)ثم حارب بمن تبعه منهم قبيلة خزاعة وأعانه قيصر عليها(٢).

ولما طلب هاشم بن عبد مناف صاحب إيلاف قريش أمانا لتجارة قريش من ملوك الشام أعطي له ، وفعل ملك الحبشة وملوك اليمن مثل ذلك(٣).

وبهذا أصبحت أرض الحبشة واليمن والشام متجرا لقريش يجدون بها متسعا من الرزق فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق وفي الصيف إلى الشام ،

قيل وفى هذا أنزل الله تعالى : ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴾(٤)

وبهذا أصبحت مكة زعيمة للتجارة بين قبائل العرب ، فاتسعت حركة التجارة بها ولم ينجح النصارى في تحقيق أهدافهم، وفشلوا أيضا عندما حاولوا تحقيقها بالقوة كما أشرنا آنفا، ويؤكد هذا أن ما ورد عن انتشار النصرانية في وسط الجزيرة العربية وبلاد الحجاز خاصة ، لايكاد يذكر، ومن ذكر من النصارى فيه فهم أما أرقاء وغالبهم من الأحباش الذين يذكر أن عرب اليمن كانوا يقومون بخطفهم من سواحل الحبشة ويبيعهم كرقيق في شبه جزيرة العرب، أو من الذين يذكر أنهم قدموا في جيش أبرهة ، وإما أفرادا من الرهبان الذين قدموا زمن بعثته عليه الصلاة والسلام يترقبون ظهوره ، وإما تجارا أو أجراء غير مقيمين .

والواقع أن ما أوردته كتب السيرة والتاريخ عنهم يدل على أنهم لم يكونوا يمثلون أقلية تذكر ولادليل على ما ذهب إليه بعض الباحثين من وجود جالية من نصارى الروم بمكة (٥) ، ففي مكة لايذكر من النصارى إلا مايلى :

١- يسار وجبر(٦) غلامين لبني الحضرمي وكانا يقرآن التوراة بلسانهما ، ولايعرفان

---

(١) النويري : نهاية الأرب جـ ١٦ ص ٢ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٧٩ ، ولم أعثر على ما يبين ماهية الإعانة أو يؤكد الخبر

(٣) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ص ٥٩ ؛ النويري: المصدر السابق جـ ١٦ص ٣٣

(٤) ابن كثير : تفسير ج ٨ ص ٥١٢ ، والآيتان ١ ، ٢ من سورة قريش

(٥) أحمد ابراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (دار الفكر العربي) ص ٢٥٢، ٢٥٣ ؛ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله : مكة في عصر ما قبل الإسلام الطبعة الثانية (الرياض: دارة الملك عبد العزيز ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص ٩١-٩٢ ؛ ١٥٩- ١٦٢ وانظر مايلي في الرد على ماستدلا به ص ١١٢-١١٤

(٦) روى الطبري فى جامع البيان جـ ٤ ص ١٧٧ وما بعدها بأسانيد ضعيفة أن اسم القين بلعام أو يعيش ؛ العمري السيرة النبوية الصحيحة ص ١٦٥ هامش (٥) .

العربية، وأصلهما من أهل نجران(١)، وهما اللذين زعمت قريش أنهما كانا يعلمان الرسول صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قوله ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾(٢)

٢ - باقوم الرومي وكان نجارا ذكر الأزرقي أن قريشا وجدته في السفينة التي قذف بها البحر إلى الشعيبة فأستأجرته لنجارة خشب تلك السفينة الذي أعد لتسقيف الكعبة في حادثة بنيانها المشهورة التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته.(٣)

وليس من المستبعد أن يكون باقوم ـ هذا وهو نصراني ـ هو الذي قام برسم صورة مريم ـ داخل الكعبة ـ التي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بطمسها

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ق ١ جـ ١-٢ ص ٣٩٣ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ ص ١٤١ بحشل : تاريخ واسط تحقيق كركيس عواد (عالم الكتب) ص ٤٩ وإسناده صحيح (انظر : أكرم العمري : المرجع السابق ج١ص١٦٥ ؛)؛ الطبري : المصدر السابق جـ ١٤ ص ١٧٧ - ١٧٨ ، وفي الرواية (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما جلس إليهما) وعند ابن كثير زيادة « أحياناً » التفسير جـ ٤ ص ٥٢٣ ؛ الحاكم : المستدرك جـ ٢ ص ٣٥٧ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ؛ السيوطي : اللباب المنقول في أسباب النزول الطبعة الثانية (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر) ص ١٣٤ ؛ وضعف أكرم العمري فى المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥ هامش «٢» إسناد الحاكم

(٢) سورة النحل : آية ١٠٣ ؛ وانظر عن سبب النزول : الواحدي : أسباب النزول الطبعة الأولى (بيروت دار الفكر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) ص١٩٠ ؛ قال أكرم العمري فى المرجع السابق جـ ١ ص ١٦٥ هامش «٣» « وصحح سنده ابن حجر في الإصابة » وفي رواية بحشل : تاريخ واسط ص ٩٩ أنهما من عين التمـــر ، وذكر أكرم العمري فى المرجع السابق ص ١٦٥ هامش (٤) ، أن « سنده ضعيف

(٣) انظر سيرة ابن هشام ق ١ جـ ١-٢ ص ١٩٢ ومابعدها ، ولم يصرح باسم النجار وإنما قال : « وكان بمكة رجل قبطي » ؛ الأزرقي : أخبار مكة تحقيق رشدي الصالح ملحس الطبعة الثالثة (بيروت : دار الثقافة ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م) جـ ١ ص ١٦٠ ، ونقل الطبري عن ابن إسحاق التصريح بالاسم ، انظر: تاريخ الأمم والملوك جـ١ ص ٥٢٥

عندما دخل مكة فاتحا.(١)

٤- راهب يدعى عيصا من أهل الشام أقام بِمَر الظَّهْران (٢) ينتظر ظهور النبي المنتظر، ولم يصح ما ورد أنه أخبر بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم(٣)

٥ - ومن الجوارى النصرانيات سبحاء الحبشية وهى أم الحارث بن أبى ربيعة المخزومي، وكذلك أم عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان(٤)، وأم أبو الروم بن عمير بن هاشم وكانت رومية.(٥)

٦- أفراد من الأحباش النصارى استقدمتهم قريش للعمل في مكة كأجراء، إلى جانب الذين أقاموا بها ممن بقي من جيش أبرهة الذي أهلكه الله تعالى يقول النجم عمر بن فهد عن ذلك ما نصه :"وأقام بمكة فلاَّل من الجيش وعسفاء وبعض من ضمه العسكر فكانوا بمكة يعتملون ويرعون لأهل مكة، وكان قائد الفيل وسائسه مقعدين يستطعمان الناس حيث يذبح المشركون ذبائحهم على أساف ونائلة "(٦) ولايورد الفاكهي في ذكر من كان بمكة من أهل الحبشة إلا رجلا واحدا فقط يقال أنه من حمير وهو حبشي يسمى أبرهة بن الصباح وقد أسلم ولم تصبه منّة لاحد(٧)ومع هذا يذكر مع الأزرقي أنـه كان بمكة مقبرة للنصارى(٨)

---

(١) انظر:صحيح البخاري كتاب الأنبياء باب قوله تعالى:واتخذ الله ابراهيم خليلاً ح (٣٣٥١) فتح الباري جـ٦ ص ٤٤٦

(٢) **مَرّ الظَّهْران** : وادٍ من أودية الحجاز ، يمر شمال مكة على ٢٢ كيلاً ويصب فى البحر جنوب جدة بقرابة عشرين كيلاً ، انظر : عاتق البلادى : المرجع السابق ص ٢٨٨

(٣) ابن عساكر : تاريخ دمشق (السيرة) تحقيق نشاط غزاوي (دمشق : دار الفكر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ق ١ ص ٣٤٤ - ٣٤٥ ؛ وسنده ساقط « وهذه الطبعة خاصة بهذا الخبر فقط » ، انظر : « الذهبي : السيرة النبوية ص ٦ » وقال ابن كثير « في متنه غرابة » السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٢٢ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (بيروت : مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع) جـ ١ ص ١٩٧ وقال : رواه جعفر بن أبي شيبة وأخرجه أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف ٠

(٤) ابن حبيب البغدادي : المحبر برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري : (بيروت : المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (١٣٦١هـ) ص ٣٠٥

(٥) ابن سعد : الطبقات جـ ٤ ص ١٢١ ٠

(٦) النجم عمر بن فهد : اتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، (نشر مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى) ج ١ ص ٤١

(٧) الفاكهي : تاريخ مكة تحقيق عبد الملك بن دهيش ، الطبعة الأولى (مكة المكرمة : مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) جـ ٥ ص ٢٣٩

(٨) الأزرقي : أخبار مكة ج٢ ص ١٩٨ ، الفاكهي: المصدر نفسه ج ٢ ص٢١٩ وقد ذكرا أن المقبرة كانت دبر المقلع على طريق بئر عنبسة بذي طوى. والمقلع هوالجبل المطل على أبي لهب ودبره منطقة العتيبية

وقد اشتهر تنصّر نفر يسير من قريش ذكر منهم وَرَقَة بن نَوْفَل (١) وقد استحكم في النصرانية ، وعثمان بن الحويرث الذي قدم على قيصر ملك الروم فتنصر وقيل أن عبد شمس كان ممن اعتنق النصرانية(٢)، ولم يرد بالمصادر حسب علمي- ذكر أحد من النصارى أقام بيثرب وما أشارت إليه بعض أبيات الشعر(٣) في فترة البعثة من وجودهم فيها فالراجح أنهم كانوا من التجار الأنباط(٤) الذين يترددون بين المدينة والشام لأننا لانجد في كتب التاريخ والسير إلا أفرادا من عرب يثرب تنصروا أو تأثروا بالنصرانية وأمسكوا عنها منهم: أبو عامر عبد عمرو بن صيفي ويسمي الراهب(٥) وابنان لرجل من الأنصار من بني سالم ابن عوف يقال له الحصين جاء خبرهما في تفسير آية ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ وقد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله فيهما الآية (٦)·وأبو قيس صرمة بن أبي أنس من بني النجار ترهب ولبس المسوح وفارق الأوثان وهـمّ بالنصرانية، ثم أمسك عنها(٧)

---

(١) وَرَقَةُ بن نَوْفَل بن أسد عبد العزى القرشي ، من الحكماء في الجاهلية ، اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع عن أكل ذبائحهم ، اعتنق النصرانية وقرأ الكتاب العبري أدرك عصر النبوة ولم يدرك الدعوة- كما سيأتي - وهو ابن عم خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، انظر بن حزم : جمهرة أنساب العرب ص ١٢٠ ، ٤٥١ ·

(٢) ابن حزم : المصدر نفسه ص ٤٩١ ·

(٣) جاء في قصيدة حسان بن ثابت التي رثى بها النبي صلى الله عليه وسلم قوله :

فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح الملحد

انظر:ديوان حسان بن ثابت الأنصاري تحقيق وليدعـرفات(بيروت: دار صادر ١٩٧١م) جـ ١ص٢٧٠

(٤) الأنباط : نسبة إلى استنباط الماء واستخراجه ، وهؤلاء كانوا في ذلك الوقت أهل فلاحة ، ويقال : إن النبط ينسبون إلى نبيط بن هانب بن أميم بن لاود بن سام بن نوح ، الصالحي : سبل الهدي والرشاد تحقيق عبد العزيز حلمي (لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) ج ٥ ص ٦٩١

(٥) سيرة ابن هشام : ق ١ جـ ١-٢ ص ٥٨٤ ، وسيأتي تفصيل خبره لاحقاً

(٦) انظر الطبري : جامع البيان جـ ٣ ص ١٤ ؛ ابن كثير : تفسير جـ ١ ص ٤٥٩

(٧) سيرة ابن هشام : ق ١ جـ ١-٢ ص ٥١١ ، وفيه : وكان قوالاً بالحق معظماً لله في الجاهلية قال في شعره : **وله شمّس النصارى وقاموا كل عيد لربهم واحتفال**

وله الراهب الحبيس تراهُ رهن بؤس وكلّ ناعم بال

وقد أسلم لما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ·

ويبدو من شعر أبي قيس بن الأسلت وهـو صيفي أنه فعل مثل ذلك (١) .

أما الطائف فكان بها بعضا من الموالي على دين النصرانية منهم: عداس وكان من أهل نينوى (٢) ، وهو مملوك لعتبة وشيبة بن ربيعة (٣) ، وعبد رومي يقال له الأزرق كان يعمل حدادا(٤) ، ولا أعلم ذكر أحدتنصر من أهل الطائف ، أو ممن كان حول مكة ويثرب من عرب الحجاز.

ويبدو أن النصارى لم يحفلوا بالدعوة للنصرانية بين عرب الحجاز ؛ لأن عقلية عرب الحجاز لم تفهم فلسفة النصرانية المحرفة ، وإن كنا لاننكر تأثيرها في بعض العرب ممن اتصل وسمع من النصارى جدالهم في دينهم ، فظهر ذلك في مواقفهم مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وقد حكى القرآن الكريم قولهم فى قوله تعالى : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ (٥)

قال ابن عباس ، والسدى (٦) ، ومحمد بن كعب القرظى(٧) وقتادة (٨)

---

(١) روى عنه قوله وهو يعبر عن منّة الله عليه بالاسلام :

فلولا ربنا كنا يهوداً … وما دين اليهود بذى شكول .

ولولا ربنا كنا نصارى … مع الرهبان في جبل الجليل .

انظر : سيرة ابن هشام : ق ١ جـ ١-٢ ص ٤٣٧ - ٤٣٨ .

(٢) نينوى : مدينة كبيرة تقع على الشاطىء الشمالى لنهر دجلة قبالة الموصل الحالية ، وعند التقاء الزاب بدجلة ، ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية فى عهد هرقل (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٥م) ص ٢٦٠ هامش (٢)

(٣) سيرة ابن هشام : ق ١ جـ ١ - ٢ ص ٥٨٤ ، وإسناد صحيح مرسل ، قاله أكرم العمري فى كتابه السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ٨٥ .

(٤) ابن حجر : الإصابة في معرفة الصحابة جـ ١ ص ٢٧ .

(٥) سورة ص : آية ٧ .

(٦) السدى : هو إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد ، إمام فى التفسير عاش فى الكوفة سنة ١٢٨هـ انظر:عادل نويهض: معجم المفسرين، الطبعة الأولى (مؤسسة نويهض للثقافة ١٤٠٤هـ ـ١٩٨٤م) ج١ص٩٠

(٧) محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القُرَظى ، المدنى ، ثقة عالم ، مات سنة عشرين ، وقيل قبل ذلك ، انظر ابن حجر : تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٨) قتادة بن دعامة السدوسى أبو الخطاب البصرى ، أحد علماء التابعين ، وفقيه عالم بالتفسير ، ثقة ثبت توفى سنة ١٢٥هـ ، انظر : ابن حجر : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٣

قولهم في الملة الآخرة يعني النصرانية .(١)

وأورد البلاذري أن أبا أحيحة سعيد بن العاص وكان ذا شرف بمكة قال عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: " ما سمعنا بمثل ما جاء به، لا في يهودية ولا في نصرانية ".(٢)

وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ إن عبد الله بن الزِبَعْرَي أحد أفراد قريش جادل الرسول صلى الله عليه سلم فقال :يا محمد اليهود عبدوا عزيرا ، والنصارى عبدوا المسيح ، وبنومليح عبدوا الملائكة فقال عليه السلام: «بل هم عبدوا الشياطين أمرتهم بذلك» وأنزل الله قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(٣) أى عزير والمسيح والملائكة(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾(٥)

قال المباركفوري: والأصح في معنى هذه الآية أنها جاءت في مجادلة عبد الله بن الزبعرى(٦) ، هذا جدالهم بالباطل رغم سماعهم من بعض رهبان النصارى مما بقي معهم من دين عيسى عليه السلام الذي لم يبدل نعته صلى الله عليه وسلم والبشارة بظهوره .(٧)

فالنضر بن الحارث بن كلدة وكان من أشد قريش في تكذيب وإيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم قد خالط النصارى وسمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقرب

---

(١) الطبري : جامع البيان جـ ٢٣ ص ١٢٦ ، والآية ٩٨ من سورة الأنبياء

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ ص ١٤١ .

(٣) سورة الأنبياء : آية ١٠١

(٤) سيرة ابن هشام : » ١ جـ ١ـ٢ ص ٣٦٠ ؛ الطبري : جامع البيان جـ ١٧ ص ٩٦ـ٩٧ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٥٧ ، ٥٨ .

(٦) المباركفوري : تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي جـ ٩ ص ١٣٠ ـ ١٣١ ؛ وقارن مع الطبري : المصدر نفسه جـ ٢٥ ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٧) سيرة ابن هشام : ق ١ جـ ١ ـ٢ ص ٢٠٤ .

مبعثه وكان يقول والله لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم .(١)

وكذلك أُميَّة بن أبي الصَّلْتَ الثقفي وكان شاعرا، وكان يتجر إلى الشام فيلقى أهل الكنائس من النصارى، فيذكرون له أن نبيا يبعث من العرب فطمع أن يكون هو ذلك النبي المنتظر، فلما بلغه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم اغتاظ لذلك ورده الحسد عن الإسلام فمات على الكفر(٢)، ومن العرب من جالس النصارى واستمع منهم فتبين له فساد ما هم عليه فلم يتنصر، بل عبد الله على دين إبراهيم عليه السلام واستفاد من بشارة النصارى في بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأقام ينتظر ذلك ومنهم زيد بن عمروبن نفيل فقد سار إلى الشام يبحث عن دين إبراهيم فلما وقف على بعض الرهبان وسألهم عن ذلك أشاروا عليه بالعودة إلى بلده، وأخبروه بمبعث النبي المنتظر وأنه يأتي بدين إبراهيم فعلم ذلك فكان يقول: أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل (٣) ، وأعبد الله على دين إبراهيم (٤) . ثم لم يلبث أن توفي قبل أن يدرك بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى عليه وسلم :« إنه يبعث يوم القيامة أمة واحدة » (٥) .

وقد مر بنا خبر أبي قَيْس صِرْمَةَ بن أنس وأبي قَيْس بن الأسلت وأنهما همّا بالنصرانية ثم أمسكا عنها حتى قدوم الرسول صلى الله عليه سلم المدينة فأسلما(٦).

وأورد السيوطي أن الأَشَجَّ أَشَجَّ عبد القيس كان صديقا لراهب ينزل بدارين فلقيه عاما فأخبره أن نبيا يخرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه علامة ، يظهر على الأديان، ثم مات الراهب فبعث الأشج ابن أخت له يقال له عمرو بن عبد القيس إلى مكة عام الهجرة، فلقي النبي صلى الله عليه وسلم ورأى صحة العلامة

(١) البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ ص ١٣٩ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٤٩

(٢) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة ليدن ١٩٠٢م) ص ٢٧٩ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٧ .

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص٥٢٩ ؛ ابن الأثير: الكامل جـ ٢ ص ٣٠

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ح (٣٨٢٧) فتح الباري جـ ٧ ص ١٧٦ ؛ ابن سعد : الطبقات جـ ٣ ص ٣٧٩ .

(٥) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٦١ وقال : إسناده جيد حسن .

(٦) انظر ما سبق ص ٧٤ ، ٧٥

فأسلم وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ادع خالك إلى الإسلام» فرجع وأخبر الأشج الخبر فأسلم الأشج وكتم إسلامه حينا حتى قدم في وفد قومه عام الفتح(١)، والصحيح في العام التاسع بعد رجوع الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوك.(٢) وورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه في الليلة التي قدموا في صبيحتها: « يطلع عليكم من هذه الجهة ركب هم خير أهل المشرق »(٣) .

أما ورقة بن نوفل وكان عالما بالنصرانية، فقد بشر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الوحي بأنه نبي هذه الأمة .

وهكذا يتبين أن مدى انتشار النصرانية في عرب الحجاز كان ضيقا وأنه لم يكن ليتجاوز الحالات الفردية، وأن النصارى الذين كانوا بالحجاز، كانوا من الفئة المستضعفة، وأن وجودهم واتصال العرب بهم أو بغيرهم من النصارى خارج جزيرة العرب لم يحدث أثرا يذكر في أفكار ومعارف عرب الحجاز سوى ما بينا.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو:

لماذا لم تنتشر النصرانية وتكون ذات أثر كبير وواسع خاصة داخل الجزيرة العربية مثلما حدث داخل بلدان البحر المتوسط ؟ علما بأن بلاد العرب أقرب إلى مهد النصرانية الأول من بلدان أخرى، مثل أسبانيا وسائر أوروبا؟

والإجابة عن هذا السؤال لانجد لها إجابة محددة في المصادر والمراجع المتداولة وإنما يمكن استنتاج الإجابة في ضوء ما يلي :

١- لم يتجه أحد من تلاميذ المسيح ، وحوارييه صوب جزيرة العرب ، وإنما يمموا وجوههم شطر الإمبراطورية الرومانية التى كانت تربطها شبكة من الطرق المعبدة

---

(١) السيوطي : الخصائص الكبرى تحقيق محمد خليل هراس (القاهرة : دار الكتب الحديثة) ج ١ ص ٣٣٥ .

(٢) **تبوك** : هي إحدى مدن شمال الحجز الرئيسية وتقع على طريق المدينة إلى الشام على بعد ٧٧٨كم ، انظر : البلادي : معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٦١ ، ٦٢ .

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد صححه محمد هاشم البرهاني (أبو ظبي : المطبعة العصرية ١٤٠١هـ-١٩٨١) ص ٢٥٥ ؛ البيهقي دلائل النبوة ، الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) جـ ٥ ص٣٢٧ ، وقال المحقق: عبد المعطي قلعجي « رواه ابو يعلى والطبراني بسند جيد » هامش (١٠) ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٩٠ .

التى لامثيل لها حينذاك، فذهبوا إلى أنطاكية، ومصر، وروما، وآسيا الصغرى وغيرها، وبذروا البذور الأولى لانتشار النصرانية، ثم زاد ارتباط النصارى بالبلاد انتشرت بها ديانتهم لوجود قبور قديسيهم بها. وفى المقابل ظلوا بعيدين عن الجزيرة العربية، لانه لايوجد بها مزارات أوقبور لقديسيهم بها وبالتالى لم تشكل عامل جذب روحى لهم

٢- كان العرب في جزيرتهم أميين لم يتأثروا بفلسفات اليونان، ولم تتدرب عقولهم على الجدل الفلسفي، فلما وصلت إليهم الديانة النصرانية وهي متأثرة بتلك الفلسفات وخاصة عقيدة التثليث الفلسفية الوثنية وأصبحت لاتتفق والفطرة السوية عسر عليهم فهم ذلك الخلط العجيب بين الله والإنسان، وإذا كان هذا جانب العقيدة فيها فكيف وهي آتية إليهم بلا شريعة ونظام يعالج مشاكل الحياة فهي بهذا عاجزة عن ملاءمة طراز حياتهم ، وإذا أضفنا إلى هذا كثرة المنازعات والعداوات القائمة بين طوائف هذه الديانة، وادعاء كل طائفة أن تفسيرها لتعاليم هذه الديانة هو وحده الصحيح، وفساد الرهبان وطغيانهم المستمر استبقاء لنفوذهم ومصالحهم تبين لنا سبب نفور العرب من اعتناقها، أو حتى اقتناع من تنصر بها.

قال ابن اسحاق: " وكان العرب أميين لايدرسون كتابا وما سمعوا من أهل الكتاب فلايثبت في صدورهم ولا يعملون به شيئا في حياتهم(١)"

يقول ولفنسون : " إني أعتقد أن النصرانية لم تتغلب في وقت ما على النفوس العربية"(٢)

وإذا كان في العرب من يعرف القراءة والكتابة فإن كتابة الإنجيل كانت بالآرامية ولم يكن له ترجمة عربية متداولة بين العرب فقد أثبت بعض الباحثين أن العربية لم تعرف ترجمة العهد الجديد" وهوالإنجيل " إلا بعد أربعة قرون من ظهور نبي الإسلام (٣)

٣- تعتبر أرض العرب بشكل عام أرضا صحراوية دائمة الجفاف فانتشر بها

---

(١) سيرة ابن إسحاق تحقيق محمد حميد الله (معهد الدراسات والابحاث للتعريب ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م) ص ٦٢ .

(٢) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد ١٩١٤م) ص ٣٧

(٣) أحمد عبدالغفور عطار: الديانات والعقائد ، الطبعة الأولى (مكة المكرمة ١٤٠١هـ -١٩٨١م) جـ ٤ص٢٩٢

الجوع والخوف وغلب على حياة القبائل بها التنقل والترحال مما صعب على الرهبان النصارى الوصول إليهم والإقامة معهم ونشر النصرانية بينهم.

٤- عرف العربي بإخلاصه لقبيلته وشدة تمسكه واعتزازه بما هو عليه، بل وأنفته أن يكون تابعا لغيره ، رَوى البيهقي أن أمية بن أبي الصلت الثقفي خرج هو وأبو سفيان بن حرب إلى الشام فمرا بقرية من قرى الشام فيها نصارى فقال أمية: يا أبا سفيان انطلق معي إلى رجل بها قد انتهى إليه علم النصرانية. فقال أبو سفيان: لست أنطلق معك؟ قال ولِمَ ؟ قال : إني أخاف أن يحدثني بشيء فيفسد عليَّ قلبي(١).

وورد أيضا أنه لما صالحت قريشا الرسول صلى الله عليه وسلم عام الحديبية قال خالد بن الوليد :" أي شيء بقى؟ ... أأخرج إلى هرقل ؟ فأخرج من ديني إلى نصرانية أو يهودية فأقيم مع العجم تابعا ؟ (٢).

٥- واذا كانت النصرانية قد انتشرت في بعض أطراف جزيرة العرب فإن الله تعالى بمنّه وفضله حفظ وسط الجزيرة العربية من انتشار النصرانية فبقيت مهدا مرتقبا للرسالة الخاتمة. والله أعلم.

وإذا كان هـذا دليلاً على تحـريف النصرانية ؛ فإن بـعض العـرب علم ذلك بصريح القول منهم ، رُوى أن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيْل خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتبعهُ فلقِيَ عـالماً من اليهـود فسألهُ عن دينهم فقال : إنّي لعلّي أن أدِينَ دِينَكم فأخبرني فقال : " لاتكونُ على ديننا حتى تأخُذَ بنصِيبَك من غضبِ الله ، قال زيد : ما أفِرُّ إلاَّ من غضبِ الله ...... فخرج زيد ، فلقِيَ عالماً منَ النصارى فذكرَ مثلَه فقال : لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصِيبَك من لعنةِ الله ! قال ما أفِرُّ إلاَّ من لعنةِ الله "....ألخ.(٣)

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ١١٦ ؛ الكلاعي : الاكتفاء تحقيق مصطفى عبدالواحد ، الطبعة الأولى (القاهرة : مكتبة الخانجي ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م) جـ ١ ص ١٤٤ ومابعدها ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ١٢٢ .

(٢) الواقدي : المغازي تحقيق د/ مارسون جونس ، الطبعة الثالثة (عالم الكتب ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م) جـ ٢ ص ٧٤٥ ، ٧٤٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ج (٢٧ ، ٢٨) فتح الباري ج ٧ ص ١٧٦

الفصل الأول

العلاقات بين المسلمين والنصارى فى العهد المكى

- حقيقة علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النصارى قبل بعثته .
- موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي .
- أثرالحرب الرومية الفارسية على المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

حقيقة علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم ببعض النصارى قبل البعثة :

رأينا فيما سبق ضعف أثر النصرانية في داخل الجزيرة العربية ، وسبب نفور العرب من اعتناقها، وبالتالي فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يتأثر بها لأنه لم يعاشر إلا قومه ، ولم يخرج من مكة قبل البعثة إلا مرتين المرة الأولى : وهو صغير(١) قبل الاحتلام مع عمه أبي طالب إلى بُصْرَى(٢)، وقد رويت قصتها في كتب السير وعند أصحاب السنن والمؤرخين بطرق وروايات متعددة مطولة (٣) ،

---

(١) قيل كان عمره تسع سنوات وقيل عشر وقيل اثنتى عشرة سنة ، انظر : ابن سيد الناس : عيون الأثر (دار الفكر) جـ ١ ص ٤٠ ٠

(٢) بُصْرَى : بلدة بالشام من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، ومن البلدان المشهورة عند العرب ، وتقع بطرف الشام مما يلي بلاد العرب ، ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ص ٤٤١

(٣) أشهر رواية فيها رواية الترمذي وسيأتي ذكرها ؛ وروايتان لابن إسحاق الأولى : بلا إسناد ورواها بصيغة الشك (يزعمون) ثلاث مرات ، والثانية : عن طريق عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٣٥هـ) وإسنادها معضل ضعيف انظر سيرة ابن إسحاق ص ٥٣ ، ٥٤ ٠

ونقلها عنه الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص ٥١٩ ؛ ونقل الأولى فقط ، أبو نعيم : دلائل النبوة (بيروت : عالم الكتب) ص ٥٢ ، ٥٣ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ١٦ ص ٩٠ ؛ ابن سيد الناس : المصدر السابق جـ ١ ص ٤٢ ، الذهبي : السيرة النبوية ص ٢٨ ٢٩ ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد جـ ٢ ص ١٨٩ ؛ على برهان الحلبي : السيرة الحلبية الطبعة الاولى (مكتبة مصطفى أحمد بمصر) جـ ١ ص ١٤١ ؛ وروايتين لابن سعد في الطبقات الكبرى جـ ١ ص ١٥٣ الأولى : عن طريق شيخة الواقدي وهو متروك ، والثانية بسند فية داود بن الحصين قال عنه الحافظ بن حجر ، « لم يسمع من أحد من الصحابة » فالرواية معظله انظر : تهذيب التهذيب الطبعة الأولى(بيروت : دار صادر ١٣٢٥هـ) جـ٣ ص ١٨١ ، ١٨٢٠

ومختصرة (١) وفيها : أن الراهب بحيرى(٢) لما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم عرفه لما كان عنده من صفته وذكره وأخبر عمه بذلك ونصحه بحفظه من اليهود وقيل من الروم .

وهذه القصة بجميع طرقها ورواياتها لم تصح من جهة السند؛ لأن أقل ما فيها أنها مرسلة(٣)، ومن جهة المتن لكثرة النكارات والغرائب فيها، وسأعرض فيما يلي

---

(١) وقع فى المغازي النبوية للزهري تحقيق سهيل زكار (دمشق : دار الفكر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص ٤٠ ، أن عمه لما خرج به تاجراً إلى الشام نزلا تيماء فرآه حبر من يهود تميم فنصح عمه بإعادته الى مكه ففعل ؛ وقد روى هذا عبدالرزاق الصنعاني فى مصنفه تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، الطبعة الأولى (بيروت المكتب الأسلامي ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م) جـ ٥ ص ٣١٨ من طريق معمر عن الزهري؛ وكذا نقله ابن الجوزي : تلقيح فهوم أهل الأثر (مصر : مكتبة الاداب بالجماميز) ص ١٣٠ ؛ ابن سعد : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٠ عن طريق أبي مجلز لاحق بن حميد (ت ١٠٦ هـ) وحكم أكرم العمري على هذا الاسناد بقوله : إسناد صحيح لكنه مرسل • انظر: السيرة النبوية الصحيحة جـ١ ص ١١٠ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ ص ٩٦ـ٩٧ ؛ المقدسي : البدء والتاريخ(طبعة عام ١٩٠٣هـ) جـ ٤ ص ١٣٤ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٣ ، ٢٤ ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ و الخبر جـ ٣ ص ٧١٢ ؛ المقريزي : إمتاع الإسماع تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) جـ ١ ص ٢١٣ وعنده رواية أخرجها ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس •

(٢) **بحيرى** : قيل اسمه سرجس من بني عبدالقيس ، وكان مؤمناً على دين المسيح ، انظر : المسعودي: مروج الذهب تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (طبعة ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م) جـ١ ص٧٥

قال ابن كثير: « والذي يظهر من سياق القصة أنه كان راهباً نصرانياً » السيرة النبوية جـ١ ص ٢٤٩ وجمع برهان الدين الحلبي بين القولين بقوله : «ولا منافاة فإنه يجوز أن يكون قد تنصر بعد أن كان يهودياً » السيرة الحلبية جـ١ ص ١٤٠ ، ولا يوجد غير هذا شئ يوضح شخصية بحيرى المزعوم ومكانته في العلم ، الا اختلاف في ضبط اسمه ومعناه • انظر ، بطرس البستاني : دائرة المعارف الإسلامية • مجلد ٣ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، مجلد ٥ ص ٢١٨ •

(٣) الندوى : السيرة النبوية ، الطبعة الرابعة (جدة : دار الشروق ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م) ص ٩٠ نقلاً عن شلبي النعمان في كتابه سيرة النبي •

أقوى طرقها، ثم أعقب عليها بما يثبت بطلانهـــا. قال الترمـذي:(١)" حدثنا الفَضْلُ بن سَهْلٍ أبو العبَّاس الأعْرَجُ البَغْـدَادِيُّ أخبرنا عَبْدَ الرَّحمن بن غَزْوَانَ أخبرنا يُونُسُ بن أبي إسَحاقَ عن أبي بَكْرْ بن أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ عن أبيه قال : " خَرَجَ أَبُو طَالِب إِلى الشَّأْمِ وَخَرَجَ مَعَهُ النبيُّ صلى اللّه عليه وسلَّـــم في أَشْيَاخٍ مِنْ قَرَيْشٍ فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلى الرَّاهِبِ هَبَطَ فَحَلُّوا رِحَالُهَمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلاَ يَخْـــرُجُ إِلَيْهِمْ وَلاَيَلْتَفِتُ، قَالَ فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهَمْ فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيدِ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فقالَ هَذَا سَيِّدُ العَالِمينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالِمينَ . يَبْعَثُهُ الله رَحْمَةً لِلعَالِمينَ. فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا عِلْمكُ ؟ فَقَالَ : إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لم يَبْقَ حَجَرٌ وَلاَشَجَرٌ إِلاَّ خرَّ سَاجِداً وَلاَيَسْجُدَانِ إلاَّ لِنبِيٍّ وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنَ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحةِ ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَاماً فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ فَكَانَ هُوَ في رِعْيَةِ الإِبِلِ فَقَالَ أَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ غَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ القَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلى فَيْءِ الشَّجَرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءِ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ فَقَالَ انْظُرُوا إِلى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ قَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَلاَّ يَذْهَبُـوا بِهِ إِلى

---

(١) أخرجها في السنن في باب ماجاء في بدء نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ح (٣٦٩٩) تحفة الأحوذي جـ ١٠ ص ٩٠ ـ ٩٢ ، ورواها بنفس السند ابن أبي شيبة في مصنفه تحقيق مختار أحمد الندوى ، الطبعة الأولى (بومباي الهند : الدار السلفية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) جـ ٤ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٩ ؛ ابن حبان : الثقات ، الطبعة الاولى (حيدر آباد الهند : دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م) جـ ١ ص ٤٢ ـ ٤٣ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ٢٤ ـ٢٥ ؛ الحاكم في المستدرك جـ ٢ ص ٦١٥ ـ ٦١٦ وصححه ورد عليه الذهبي كما سيأتي ؛ ابو نعيم : دلائل النبوة جـ ١ ص ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ١ ص ٥١٩ ـ ٥٢٠ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٤ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر جـ ١ ص ٤٠ ؛ ابن القيم : زاد المعاد تحقيق شعيب الارنوؤط وأخيه الطبعة الثامنة (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) جـ ١ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٢٤٧ ؛ السيوطي : الخصائص الكبرى جـ ١٠ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد جـ ٢ ص ١٩٤ ومابعدها ؛ برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية جـ١ص١٤٠ـ١٤٣

الرُّومَ فإنَّ الـرُّومَ إنْ رَأوْهُ عـرَفُوهُ بِالصِّفةِ فَيقْتُلُونَه ، فَالْتَفتَ فإذَا بِسَبْعَةٍ قَـدْ أقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَـقَالَ: مَاجَاءَ بِكُمْ ؟ قَالُـوا جِئْنَا ، إنَّ هَـذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ في هَذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَـرِيقٌ إلاَّ بُعِثَ إلِيْهِ بِأُنَاسٍ ، وإنَّا قَـدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ فَبَعَثْنَا إلى طَرِيقِكَ هَذَا، فَـقَالَ هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُـوا إنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَـذَا قَـالَ أفَرَأيْتُمْ أمْراً أرَادَ اللّهُ أنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحـدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ ؟ قَالُوا لاَ: قَالَ فَبَايَعُوهُ وَأقَامُوا مَعَهُ ، قَالَ أنْشُدُكُمْ بِاللّهِ أيُّكُمْ وليُّه ؟ قَالُـوا أبُوطَالِب فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أبُو بَكْرٍ بِلاَلاً ، وَزَودَّهُ الرَّاهِبُ مِنَ الكَعْكِ والزَّيْتِ " هَذَا حَدِيث حَسَنٌ غَرِيبٌ لاَنَعْرِفُهُ إلاَّ مِنَ هَذَا الوَجِهِ أ. هـ فلا يعرف في الدنيا أحد يحدث به غير قراد بن نوح(١) . قال عنه الذهبي: واسمه عبد الرحمن بن غزوان " له مناكير (٢) " وأنكر ماله حديثه هـذا ، وقـال فى نقـد المتن " وهـو حـديث منكر جداً ، وأين أبوبكر ؟ كان

---

(١) انظر : البيهقي : المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٦ ٠

(٢) قال ابن كثير : « بل هو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري ، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ ولم أر أحداً جرّحه ومع هذا في حديثه غرابة » السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٤٧ ، وقول ابن كثير هذا لايعني أن عبدالرحمن بن غزوان ثقه في روايته لهذا الحديث وإنما ثقة في غيره لأنه جرحه بقوله : « ومع هذا في حديثه غرابه » والله أعلم ٠

أما ابن حجر : فقد قدح فيه رغم قوله أنه من الثقات بقوله : « وله عند الترمذي حديث من رواية أبي موسى الأشعري فيه ألفاظ منكرة وفي رواية « وفيه ألفاظ شاذة » ومن هنا فهو غير ثقة في هذا الحديث ٠ انظر : ابن حجر : هدى الساري (طبعة الشعب) ص ٤١٨ ؛ الحافظ المزي : تحفة الأشراف تحقيق عبدالصمد شرف الدين ، الطبعة الثانية (بيروت : المكتب الاسلامي ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) جـ ٦ ص ٤٧٠ ٠

وقول المباركفوري : « قال الجزري : إسناده صحيح ٠٠٠٠٠٠ » ونقل الألباني ذلك وتصحيحه لإسناد الرواية ـ لايُزيل عنها من جهة الإسناد ما قال ابن كثير : بأن فيها من الغرائب أنها من مرسلات الصحابة ، ولايضعف قول الذهبي وهو الحجة في علم الرجال أن راويها منكر الحديث فيها ، انظر : المباركفوي : تحفة الأحوذي جـ ١٠ ص ٩٣ ؛ الالباني : دفاع عن الحديث النبوي السيره (دمشق مؤسسة ومكتبة الخافقين) ص ٦٥-٦٦

وعلى كل تقدير فقد علَّ متنها إلى جانب ماذكر المتقدمون بأمور تُبيّن بطلانها كما سيأتي

ابن عشر سنين فإنه أصغر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين ونصف، وأين كان بلال في هذا الوقت ؟ فإنْ أبا بكر لم يشتره إلا بعد المبعث ولم يكن ولد بعد، وأيضا فإذا كان عليه غمامة تظله كيف يتصور أن يميل فىء الشجرة ؟ لأن ظل الغمامة يعدم فىء الشجرة التي نزل تحتها ، ولم نر النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أبا طالب قط بقول الراهب، ولاتذاكرته قريش ، ولاحكته أولئك الأشياخ مع توافر هممهم ودواعيهم على حكاية مثل ذلك ، فلو وقع اشتهر بينهم أيما اشتهار ولبقي عنده صلى الله عليه وسلم- حس من النبوة ، ولما أنكر مجيء الوحي إليه أولا بغار حراء وأتى خديجة خائفا على عقله، ولما ذهب إلى شواهق الجبال ليرمي نفسه صلى الله عليه وسلم - وأيضا فلو أثر هذا الخوف في أبي طالب ورده كيف كانت تطيب نفسه أن يمكنه من السفر إلى الشام تاجرا لخديجة ؟ وفي الحديث ألفاظ منكرة تشبه ألفاظ الطرقية . أ . هـ (١) .

وفي تعقبه على الحاكم قال عنه :" أظنه موضوعا وبعضه باطل" (٢) و قال عند نقده لمتنه: ومما يدل على أنه باطل قوله : " ورده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا... ألخ"(٣)

---

(١)الذهبي : السيرة النبوية ص ٢٨ ، والطُّرَّاق : المتكهنون .

(٢)الحاكم : المستدرك جـ ٢ ص ٦١٥ ـ ٦١٦ .

(٣)الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال تحقيق محمد علي البجاوي ، الطبعة الاولى (بيروت : دار المعارف سنة ١٣٨٢هـ) جـ ٢ ص ٥١٨ رقم (٤٩٣٤) ؛ ونقد الذهبي للفقرة الأخيره من الرواية والمشار اليها برقم الهامش ، قد نبّه إليها قبله ابن سيد الناس في عيون الأثر جـ ١ ص ٤٣ ؛ ونبه عليها بعده ابن القيم في زاد المعاد جـ ١ ص ٧٦ ، ٧٧ بقوله : « ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلال وهو من الغلط الواضح .... الخ » .

أما قول ابن حجر : وليس فيه ـ يعني شذوذ ـ إلا هذه اللفظة ـ يعني ذكر ابو بكر وبلال ـ فهومردود بنقد الذهبي الذي لاينبغي إغفاله لأنه عين الصواب ، وبما سنذكر إضافة إلى ذلك ، وتبريره لتلك اللفظة بأنها مدرجة في هذا الحديث منقطعة من حديث آخر وهمًا من أحد رواته » تبقى كما قال احتمال لا دليل عليه ، وخاصة فيما يتعلق بأبي بكر ؛ لأن الألباني يرى وقوع التصحيف في اسم « بلال » مع ما ورد في رواية البزار من قوله « رجلاً » بدلاً من بلال .انظر : ابن حجر : الأصابة جـ ١ ص ١٨٣ ؛ الألباني : دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص ٦٦ ـ ٦٧ .

وإلى جانب ما ذكر الذهبي وغيره من النكارات والغرائب التي علّ بها متن الرواية والتي تكفى لدحض الرواية نضيف ما يلي:

أولا : اسم الراهب في هذه الرواية - إن صح إسنادها - مجهول، وإذا كان هو بحيرى - المزعوم - فليس هو وحده رجل الدين النصراني، الذي قادته الإرهاصات المتبقية في العهدين القديم والجديد أن يتوسم في محمد النبي المنتظر الذي تحدث عنه موسى وعيسى عليهما السلام بل كان جلّ رهبان النصارى وأحبار اليهود وكهان الوثنية وغيرهم قد تحدثوا بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لّما تقارب زمانه(١)

ومع هذا فإخبار الراهب لقومه في هذه الرواية بأنه لم يبق شجر ولاحجر إلا خر ساجدا ولايسجدان إلا لنبي،لم تعاضده روايات وأحاديث أخرى تؤكد وقوعه _ رغم أهميته في باب دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام _ كما هو الحال في غيره مما هو أقل منه(٢) فكيف نقبل بخبر راهب مجهول يزعم أنه لاحظ ذلك ولم يلاحظه القوم وهم في معيته؟!

ثانيا : قوله :" ثم رجع الراهب فصنع لهم طعاما" متى كانت صوامع الرهبان مضافات للقوافل التجارية؟! المعروف أن الراهب يتخذ من الصومعة مكانا للعبادة والانقطاع عن الناس وليس مضافة للغادي والرائح !!!

ثالثا : ورد في الرواية أن عمه تركه في رعيه الإبل ثم لما دُعي تُرك خارج ظل الشجرة ولم يُفسح له ، وهذا مخالف للروايات الثابتة الصحيحة التي تدل على عطف أبي طالب على الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة تعلقه به .(٣)

رابعا : ورد في الرواية أن الراهب حذرهم اليهود أن يقتلوه والسؤال هنا هو: كيف عرف الراهب ما ذكرمن صفته عليه الصلاة والسلام ولم يعرف ما هو أهم

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ جـ ١ ـ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) من ذلك مثلا : تسليم الحجر عليه قبل النبوة ، انظر : صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه .

(٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ١ ص ١٢٠ بأسانيد مرسلة صحيحه ، انظر: العمري : المرجع نفسه جـ ١ ص ١٠٦ .

وأظهر منها في كتبهم وهوأن الله تعالى حافظه ومتم أمره مماسيأتي بيان بعض من ذلك في ثنايا البحث .

خامسا : من أين أقبل السبعة النفر من الروم الذين استقبلهم الراهب ؟ ومن الذي أرسلهم ؟ وما معنى قولهم: جئنا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر؟ فعمر الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه السفرة لايتجاوز اثنتي عشرة سنة ، ومعروف أنه لم يبعث إلا وعمره أربعون سنة؟ فإن قيل المعنى خروجه مع عمه في هذه الرحلة فهذا غير معقول ؟ إذ كيف يبقى عندهم هذه المعرفة الدقيقة بهذا الأمر، مع شدة التحريف الذى طرأ على أصول وفروع ديانتهم ؟ ! أما مسألة أنه لم يبق طريق إلا بعث إليها ناس- للقبض عليه - صلى الله عليه وسلم فهي مضاهاة لما يزعم النصارى من أن أناسا طلبوا المسيح عقب ولادته لقتله (١) ؛ لان القرآن أخبر عما وقع من أمر موسى عليه السلام بعد ولادته، ولم يخبر بمثله عن عيسى عليه السلام ! مع ملاحظة أن فرعون قتل أبناء بني اسرائيل واستحيى نساءهم طغيانا وعلوا في الأرض ولم يقصد موسى بعينه قال تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٢)

سادساً : أنه لو حدث اللقاء المزعوم بين محمد صلى الله عليه وسلم فى صباه وبين الراهب بحيرى الذي قال ـ حسب زعم الرواية ـ بعد أن أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين " لاصبح هذا اللقاء مركوزاً فى ذهن محمد صلى الله عليه وسلم ولأضحى هذا اللقاء وقول الراهب يتردد فى نفسه ، ولأمسى يتطلع ويتشوف إلى الرسالة التى سيكلفه الله بها ، وهذا ماينفيه القرآن الكريم نفياً

---

(١) الغزالي : فقه السيره ، الطبعة السابعه (دار إحياء التراث العربي ١٩٧٦) ص ٦٩ ، وقال : « وهي عند المسيحين معناها كما عند الوثنين من أن بوذا لما وضعته أمه العذراء !! طلبه الاعداء ليقتلوه » .

(٢) سورة القصص : آية ٤ .

قاطعاً ، الأمر الذي يبطل الرواية من أساسها قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(١)

وهذا لو افترضنا جدلا صحة لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في سفرته بالراهب بحيرى فهو لقاء قصير لم يتجاوز ساعة طعام سأل فيها الراهب بحيرى عن الصبي محمد وأحواله ولم يخبره بشىء في مجال الدين فضلا عن حاجز اللغة إذ لم يكن قد وجد في ذلك الوقت توراة ولاإنجيل باللغة العربية(٢) وهذا كله يكشف مدى المجازفة التي ذهب إليها بعض المستشرقين(٣) في زعمهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم تلقى أصول عقيدته من الراهب بحيرى، فهل بمقدور لقاء ـ مشكوك فيه ـ بين صبي صغير وراهب أن يكون أساسا لعقيدة شاملة وسلوك إنساني ومنهج حياة مفصل غيّر مجرى تاريخ البشرية رأسا على عقب؟ ثم ألم يسأل أولئك المستشرقون أنفسهم أين

---

(١) سورة القصص : آية ٨٦

(٢) أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ١١٠ ٠

(٣) أجناس جولد تسهير : العقيدة والشريعة الطبعة الثانية (القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٥٩م) ص ٩٢ ؛ ف ٠ بدلي : الرسول محمد ، ترجمة عبد الحميد مودة السحار ومحمد فرج (مصر : دار الكتاب العربي) ص ٤٨ ؛ در منغم : حياة محمد ، نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه) ص ٣٤ ؛ توماس كارليل : محمد رسول الهدى والرحمة ، عرَّبه محمد السباعي (بيروت : المكتبة الاهلية) ص ٢٤ ، ووافقهم على ذلك من المسلمين : محمد حسنين هيكل : حياة محمد الطبعة الثالثة عشر (مصر : دار المعارف) ص ١٣١ ، ١٣٢ ؛ ونقل الندوى : في كتابه السيرة النبوية ص ٩٢ ، أن أغرب قول مما ذكره المستشرقون من ذلك هو مافعله (Carrade Vaux) الفرنسي في كتابه الذي سماه مؤلف القرآن ، فقد حاول أن يثبت فيه أن الراهب بحيرى لقن محمد صلى الله عليه وسلم القرآن كله في ذلك اللقاء القصير) ٠

ومع هذا فإن بعض المستشرقين يرى أن قصة بحيرى أسطورة خرافية موضوعة ليس لها أهمية تاريخية انظر : عماد الدين خليل : دراسة في السيرة النبوية (بيروت : دار النفائس ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م) ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ٢٧٢ ٠

أثر الراهب بحيرى في مجتمعه النصراني الممزق الذي تنازعته الفتن والأهواء؟ وأين أثره في إنقاذ قومه مما وصلوا إليه من تناحر عقدي وتمزق إلى فرق ومذاهب متناحرة؟ ألم يسأل المستشرقون أنفسهم كيف يكون للراهب بحيرى هذا التأثير المزعوم على محمد صلى الله عليه وسلم في لقاء ساعة ولايكون له أثر على قومه النصارى الذين أمضى عمره كله معهم ؟ !! بل أين أثره حتى في رجال قريش الذين يمرون به في ذهابهم وإيابهم ؟! الشيء المحقق أننا لانجد ذكرا على الاطلاق للراهب بحيري في مصادر تاريخ الروم وسائر المصادر النصرانية ولانجد اسمه إلا في هذه الرواية المزعومة في كتب السيرة؟ فما أشد ظلم أولئك المستشرقين ، وما أكثر افتراءاتهم على تاريخ الاسلام ونبي الاسلام؟ ! !

أما المرة الثانية التي خرج فيها الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة قبل البعثة فكانت في تجارة لخديجة بنت خويلد(١)رضى الله عنها إلى جَرَش(٢)

---

(١) تذكر الروايات أن غلامها ميسرة لما صحب الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك السفرة أخبر خديجة بما رآه من أخلاقه وطباعه عليه الصلاة والسلام فوقع لذلك زواجه بها قبل نبوته كان عمرها حينذاك ثمانية وعشرون عاماً وقيل أنها كانت تناهز الأربعين ، ورجح بعض الباحثين القول الأول وهو قول ابن إسحاق « العمري : السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ١١٣ » وكانت رضي الله عنها امرأة ذات شرف ومال وعفاف قد توفى عنها زوجها أبو هالة ، فلما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم أحبها حباً شديداً وقال عنها : « آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ، ورزقت الولد منها وحرمته من غيرها » رواه أحمد في مسنده جـ ٦ ص ١١٨ وقد بشرها الرسول صلى الله عليه وسلم ببيت في الجنة من قصب لانصب فيه ولا صخب » صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ١٩٩ ٠ وكانت أول أمراة تزوجها ولم يتزوج عليها حتى ماتت في العام العاشر من البعثة انظر : ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٣٢ وما بعدها

(٢) الحاكم : المستدرك جـ ٣ ص ١٨٢ وقال صحيح ، قال أكرم العمري « وفيه تدليس أبي الزبير وقد عنعن فالسند ضعيف » السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ١١٢ ، جَرَش: مدينة عظيمة في أرض البلقاء بالأردن فتحها شراحبيل بن حسنة رضي الله عنه ، أنظر : البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١٣٩ ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٢ ص ١٢٧

مرتين(١) ، أو إلى حُباشة(٢) أو إلى الشام (٣) وكان عمره حينذاك خمساً وعشرون سنة، وصاحبه فيها غلام لخديجة يدعى ميسرة (٤). وقد رويت قصتها في كتب السيرة والتاريخ بطرق كلها ضعيفة، وقد علّ متنها بمبالغات ونكارات بعضها يصل إلى حدّ الخيال تشبه تلك التى رويت في قصة بحيرى (٥) أما بالنسبة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة قبل البعثة، فإن المصادر لاتذكر فيها أن للرسول صلى الله عليه وسلم علاقة بأحد من الأرقاء النصارى الذين كانوا يقيمون بمكة، إلا ما ثبت (٦) من أن الرسول صلى الله عليه وسلم مرّ مرّة واحدة بذلك الغلام النصراني الأعجمي الذي أشار إليه بعض المشركين - بعد البعثة - في زعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم تعلم ماجاء به منه فرد الله عليهم بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾(٧)

---

(١) عبدالرزاق : المصنف جـ ٥ ص٣١٩ـ٣٢١ من مرسل الزهري .

(٢) حُباشة : بلدة معروفة الآن فى تهامة شمران ، وكانت قديماً من أكبر أسواق تهامه . البكري: معجم ما استعجم ج٢ ص ٤١٨ .

(٣) سيرة ابن إسحاق : ص ٦٠ بدون إسناد ، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ١٣٠ ـ ١٣١ من طريق الواقدي ونقلها عنهما : الطبري : تاريخ الامم والملوك جـ ١ ص ٥٢١ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ٦٦ ؛ ابن الاثير الكامل جـ ٢ ص ٢٤ ، ٢٥ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٦٢ ومابعدها ، السيوطي : الخصائص الكبرى جـ ٢ ص ٢١١ وما بعدها ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد جـ ٢ ص ٢١٤ وما بعدها ؛ ابن الديبع : حدائق الانوار تحقيق عبدالله بن ابراهيم الانصاري الطبعة الثانية (مطابع قطر الوطنية ١٤٠٣هـ)جـ ١ ص١٥١ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس جـ ١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٤) قال الصالحي في سبل الهدى والرشاد جـ ٢ ص ٢١٨ « لم أر لميسرة ذكراً في كتب الصحابة والظاهر أنه توفى قبل البعثة » .

(٥) لا حاجة في إعادة مناقشة متنها وقد سقط سندها هذا إلى جانب ما سبق مناقشته في قصة بحيرى مما هو شبيه بها .

(٦) سبق تخريج الخبر ص ٧٢ هامش ١ ، ٢

(٧) سورة النحل : آية ١٠٣ .

وهكذا أظهر الله تعالى كذب ما قالوا فذلك الغلام أعجمي لايحسن النطق بالعربية، ومحمد صلى الله عليه وسلم لايعرف شيئا من ألسنة العجم، لأنه نشأ أميا في أمة أميّة لاتعرف غير العربية ودليل هذا قائم بشهادة القرآن الكريم ويصدّقها واقع حياته عليه الصلاة والسلام ، بل وأهل الكتاب يعلمون ذلك قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾(١)، وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾(٢) وقال تعالى﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾(٣)

ويشرح هذه الحقيقة شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله: " بين سبحانه من حاله ما يعلمه العامة والخاصة وهو معلوم لجميع قومه الذين شاهدوه ، متواتر عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس إنه كان أميا من قوم أميين لايعرف لاهو ، ولاهم ما يعرفه أهل الكتاب من التوراة والانجيل ولايقرأ كتابا ، ولايخط كتابا من الكتب لا المنزلة ولا غيرها ، لايقرأ شيئا مكتوبا، ولاكتابا منزلا ولاغيره، ولايكتب بيمينه كتابا ، ولاينسخ شيئا من كتب الناس لا المنزلة ولا غيرها... ولايعرف شيئا من ألسنة العجم، ومن كلمه بغير العربية لايفقه كلامه"(٤) ولم يكن قد وجد في ذلك الوقت - كما أشرنا من قبل - توراة ولا إنجيلٌ باللغة العربية .

قال مجاهد :(٥) كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لايخط بيمينه ، ولا يقرأ كتابا"(٦)

---

(١) سورة الجمعة : آية ٢ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٥٧ .

(٣) سورة العنكبوت : آية ٤٨ .

(٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٤ ص ٣١ .

(٥) مجاهد بن جبر المخزومي المكي ، ابو الحجاج من الأئمة الثقات ، إمام في التفسير توفى سنة ١٠٣هـ ، انظر ابن سعد : الطبقات الكبرى جـ ٥ ص ٢ .

(٦) الطبري : جامع البيان جـ ٢١ ص ٥ .

وقال مقاتل (١) :" أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم ... فإيايّ اعبد وعليّ فتوكل فسر لأهل سوران بالسريانية بلغ من بين يديك، أني أنا الله الحي القيوم الذي لايزول صدقوا النبي الأمّي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة"(٢)

ولاشك أن كَذِبَ بعض قومه فيما أشرنا إليه دليل قاطع على أنه لم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ، فضلا عن وجود من يعرف اللسان العربي من أولئك الأرقاء الموجودين بها، وما اتهمه به بعض سفهاء قومه المعادين له في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(٣) قد بين الله تعالى أنه ظلم وزور(٤) يعنى أنه كذب لأنهم يعلمون أنه لايوجد أحد في

---

(١) مقاتل بن حيان البلخي صدوق فاضل مات قبل الخمسين سنة ١٥٠ هـ بأرض الهند ، انظر ابن حجر : تقريب التهذيب جـ ٢ ص ١٧٢ .

(٢) البيهقي : دلائل النبوة جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٤ – ٥

(٤) ومثله قول بعض المستشرقين : عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أنه مجموعات ملفقة ممن سبقوه اطلع عليها ونسبها لنفسه . نقلاً عن الغزالي : دفاع عن العقيدة والشريعة (القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٩٥هـ) ص ٩٢ ؛ محمد عبدالله دراز : مدخل الى القرآن الكريم الطبعة الثانية (الكويت : دار القلم ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م) ص ١٣٦

بلده يعلم شيئا مما جاء به فيعينه عليه أو يملي عليه كتابا(١).

وكل ما ذكرته آنفا يطمس الصورة الزائفة التي يروج لها المستشرقون والتي مفادها أن محمدا صلى الله عليه وسلم سافر أسفارا طويلة إبان شبابه وخالط الكثير من النصارى واليهود، وعرف عقائدهم وامتلأ عقله بفلسفاتهم الدينية حتى اهتدى إلى الوحدانية وتراءت له الحياة الآخرة وما فيها من جنة للمتقين وجحيم

---

(١) زعم بعض المستشرقين أنه عليه الصلاة والسلام تعلم من ورقة بن نوفل ، وأن ورقة كتب لمحمد القرآن كله » والحقيقة الثابتة أنه لم يرد أبداً أي رواية في كتب السيرة والتاريخ موثوقة بها أو غير موثوق بها تذكر لقاءً للرسول صلى الله عليه وسلم بورقة قبل بدء الوحي ، وما صح بعد بدء الوحي فهو مرة واحدة فقط ولوقت قصير ليسأله عما رآى وسمع في غار حراء من أمر الوحي فيسمع ورقة ما حدث ثم يبشر بأنها النبوة ويصدقه ويؤمن به ويتمنى لو يدرك نصرته غير أنه لم يلبث أن وافته المنيته قيل بالشام والمشهور بمكة ، وقد جزم ابن كثير بإسلامه ٠

وزعم المستشرقون المذكور منقول عن عبدالكريم الخطيب في كتابه النبي محمد الطبعة الثانية (دار الفكر العربي ١٩٧٦م) ص ٩١ ، ٩٢ ٠

وانظر عن خبر ورقة صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ح (٣) فتح الباري جـ ١ ص ٣٠ ، ٣١ ؛ البلاذري أنساب الأشراف جـ ١ ص ٦٥ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ١ ص ٣٩٧ ومن ظلم بعض المستشرقين أيضاً زعمهم أنه سمع ما جاء به من قس بن ساعدة الإيادي وكان نصرانياً ، والحقيقة أن جميع روايات قصة أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى قساً وهو يخطب في سوق عكاظ على جمل أحمر ، إما موضوعة ، وإما ضعيفة ، أو منقطعة السند ، وإن صح في القصة شئ فهي قبل البعثة بزمن طويل ، وقد توفى قس قبل أن يدرك البعثة ، وإضافة على هذا فليس في كلام قس الذي كان يقوله ما يدلل على أنه له علم بالنصرانية فضلاً عن كونه يدعو اليها وقد ذكره بعض الباحثين مع الحنفاء ، ولم يرد أنه نصراني إلا شبهة في اسمه والله أعلم ، انظر : البيهقي :دلائل النبوة جـ١ص١٠١ـ١١٣ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية جـ ١ ص ١٤١ ؛ محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي الطبعة الثامنة (المكتب الاسلامي) ص ٩٧ ، ٩٨ ؛ محمد أبو شهبة : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة الطبعة الاولى (دمشق : دار القلم ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م) جـ١ ص ٨٠ وقال: الحنيف : المائل عن الشرك الى التوحيد ٠

للكافرين حين يبعث الناس ليلقى كل منهم من النعيم والعذاب جزاء ما قدمت يداه في الحياة الدنيا"(١).

إن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم أعظم معجزة عقلية معنوية جامعة ، ففي الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« مَا مِنْ الأَنْبِياءْ نَبِيٌّ إلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُه أُومِن ـ أو آمنَ ـ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وإِنَّمَا كَانَ الذَّي أُوتِيتُه وَحْياً(٢) أَوْحَاه الله إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَني أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ القِيَامَةِ » (٣)

وقد تكفل الله بحفظ هذه المعجزة التي تخاطب العقل البشري في كل زمان ومكان - قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٤) وجعلها باقية دائمة تتحدى البشر على الإطلاق بما فيها من إعجاز قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

---

(١) هـ . أ . ل . فشر : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى قسم ١ ص ٦٣ ؛ رينسيمان تاريخ الحروب الصليبية ص ٣٠ ـ ٣١ ، و ينقل محمد عبد الله دراز في كتابه مدخل إلى القرآن الكريم ، ص ١٣٧ ، ما ذكره أحدالمستشرقين المنصفين عن حقيقة ما كان يدين به العالم قبل بعثته عليه الصلاة والسلام بقوله : يقول تايلور في كتابه المسيحية القديمة جـ ١ ص ٢٦٦ « أن ما قابله محمد وأتباعه في كل اتجاه لم يكن إلا خرافات منفرة ، ووثنية منحطة ومخجله ، ومذاهب كنسية مغرورة ، وطقوساً دينية منحله وصبيانية .... »

(٢) **والوحـي** : لغة الإعلام بالشئ سراً ، وشرعاً : هو إعلام الله أنبياءه ورسله بالشرع • انظر ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ١٥ ـ ١٦ ، وانظر فساد تفسير المستشرقين لظاهرة الوحى والرد عليه محمد أبو شهبة السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة جـ ١ ص ٢٧١ ـ ٢٧٩ ؛ أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٢

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بجوامع الكلم ح (٧٢٧٤) فتح الباري جـ١٣ص٢٦١ ؛ومسلم في كتاب الايمان باب وجوب الايمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٨٦

(٤) سورة الحجر : آية ٩ •

ظَهِيرًا ﴾(١)

والإعجاز الذي يحمله القرآن الكريم في هذا التحدي له جانبان: يرتبط أحدهما بالآخر وهما الإعجاز اللغوي والإعجاز الموضوعي ويتمثل الجانب الأول: في نظمه البديع الذي يعلو على كل نظم معهود عند العرب، وأسلوبه الفريد الذي يفوق جميع أساليب العرب، فهو كما قال الجمهور في أعلى درجات البلاغة والفصاحة التي لم يعهد مثلها والتي عجز جميع أرباب البلاغة والبيان منذ عصر النبوة إلى اليوم عن معارضته(٢)، وقد تحدى النبي صلى الله عليه وسلم قومه أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة فعجزوا وهم يملكون الحرف والعبارة التي نزل بها، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(٣)

بل وروى أن الوليد بن المغيرة قال لما سمعه- وهو على دين قومه- من رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ...... ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولايعلى وإنه ليحطم ما تحته"(٤)

يقول أحد الباحثين عن بعض سمات الإعجاز في هذا الجانب ما نصه : " وإن التآخي في المعاني والألفاظ ونسقها ونظمها ومعانيها واضح في كل آيات القرآن لافي آية دون أخرى، ولافي سورة دون سورة، فلا تجد في اللفظ معنى يوجه الخاطر إلى

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٨ ٠

(٢) التفتازاني : مقاصد الطالبين في علم أصول الدين وشرحه (مطبعة الحاج محرم أفندي استانبول ١٣١٥هـ) جـ ٢ ص ١٣٥ ٠

(٣) سورة البقرة : آية ٢٣

(٤) انظر الطبري : جامع البيان جـ ٢٩ ص ٩٨ بسند عن أبي يعلى ، اخبرنا محمد بن ثور ، عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة ؛ ورواه البيهقي في دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٩٨ ؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ٥٠٦ وقال : « هذا حديث صحيح الاسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه » ؛ وابن كثير ، السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٩٩ ، ورواه ابن اسحاق بسند عن محمد بن أبي سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس وبلفظ « ٠٠ والله إن لقوله حلاوة ، وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناه ، ٠٠» سيرة ابن هشام ق١ جـ١ ـ٢ ص٢٧٠ ؛ البيهقي : المصدر نفسه جـ ٢ص٢٠٠ ؛ ابن كثير : المصدر نفسه جـ ١ ص ٥٠٠

ناحية ويليه آخر يوجهه إلى ناحية أخرى بل تجد النواحي متحدة إما بالتقابل وإما بالتلاحق والمجاورة، وفي كلتا الحالتين تجد معنى كل لفظ يمهد لمعنى الآخر فلا تنافر في المعاني كما لاتنافر في الألفاظ "(١).

قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾(٢)، وهذا الإعجاز اللغوي (٣) معجز أيضا في التعبير عن الجانب الثاني الذي يتمثل في الموضوعات التي يشتمل عليها القرآن أى في علومه ومعارفه وهي في ذاتها(٤) معجزة ، لايستطيع البشر أن يأتوا بمثلها ولو احتشدوا كلهم لهذا الأمر ، وهذا وجه الارتباط بينهما

ومعارف القرآن الكريم وعلومه لاحصر لها، فيه من أخبار الغيب المطلق بمثل ما أخبرت به الأنبياء قبله من أسماء الله وصفاته وتوحيده وملائكته ورسله وأوليائه وأعدائه، وتفاصيل هذا أكثر مما عند أهل الكتاب ، وفيه من أخبار الغيوب الماضية ما لايوجد عندهم مثل قصة هود وصالح وشعيب، وبعض التفاصيل في قصة إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، ومثل تكليم المسيح في المهد، ونزول المائدة، وإيمان امرأة فرعون........

وفيه أيضا من ذكر المعاد وتفاصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب مالايوجد مثله في التوراة والإنجيل، بل إن التوراة المحرفة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما

---

(١) محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى « القرآن » (القاهرة : دار الفكر العربي) ص ١١١

(٢) سورة النساء : آية ٨٢ ٠

(٣) انظر على سبيل المثال مزيد من التفاصيل عن الاعجاز اللغوي : أبو سليمان حمد الخطابي ، وأبو الحسن علي بن عيسى الرماني وعبدالقاهر الجرجاني : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ؛ أبو بكر محمد الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن تحقيق السيد أحمد صقر ؛ القونوي : إعجاز البيان في تأويل آى القرآن تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ؛ مصطفى الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ٠

(٤) القرآن كله معجز بذاته والقول بالصرفة ، أي إن الله صرف العرب عن معارضته أو لم تتوفر لديهم بواعث المعارضة لصارف ما فلا أساس له من الصحة . انظر : الرد على هذا القول ابن تيمية : المصدر السابق ج ٤ ص ٧٥ ومابعدها ؛ الزرقاني : مناهل العرفان (دار الفكر ١٣٦٢هـ ـ١٩٤٣م) جـ٢ ص ٤١٤ ـ ٤٢٠

فيها من الوعد والوعيد فهو في الدنيا، كالوعد بالرزق والنصر والعافية والوعيد بالقحط والأمراض والأعداء(١)

وفيه من الرد على أهل الكتاب في بعض ما حرفوه مثل زعمهم : إن المسيح صلب أو أنه ابن الله ، أو أنه إله أو أنه ثالث ثلاثة ، أو قولهم أنه ساحر ، ومثل طعنهم على سليمان عليه السلام في زعمهم أنه ساحر، وغير ذلك من الباطل الذي كانو عليه .

ولما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم قومه ببعض ما فيه من قصص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية ، وانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(٢) لم يزعم أحد من قومه بعد ذلك أن فيهم من كان يعلم ذلك، أو أنه عليه الصلاة والسلام تعلمه منهم أو من غيرهم فكان سكوتهم إقرارا .

ويوضح ابن تيمية جانب المتبعين له بما ملخصه :" وأما المتبعون له المؤمنون به طوعا واختيارا وهو بمكة قبل أن يؤمر بقتال وكانوا خلقا كثيرا فإنهم لو كانوا يعلمون أنه أخبره بها أحد من البشر لكان هذا مما يقوله بعضهم لبعض إذ أنه يمتنع في جبلة بنى آدم وفطرهم أن يعلموا أنه تعلمه من بشر ، ولا يخبر بذلك أحد ، فإنه من غير الممكن تواطؤهم على الكذب والكتمان ولاداعي لهم يدعوهم إلى ذلك "(٣)

وأما أهل الكتاب فقد أثبتنا سابقا أنه لايوجد أحد من علمائهم بمكة ومما يؤكد هذا أن قريشا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما جاء به من عند الله تعالى أرسلوا إلى البلاد التي فيها علماء من أهل الكتاب يسألونهم عن أمره (٤) ، فعن ابن عبّاس أنه قَالَ: " قَالَتْ قُرَيْشٌ لِلْيَهُودِ أَعْطُونَا شَيْئاً نَسْأَلُ عَنْهُ

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ ص ٢٠٠ ، ج٤ ص ٥٤ ول. ديورانت : قصة الحضارة ج١ ص ٣٤٥

(٢) سورة هود : آية ٤٩

(٣) ابن تيمية : المصدر نفسه جـ ٤ ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ابن تيمية : المصدر نفسه جـ ٤ ص ٤١ .

هَذَا الرَّجُلَ ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ فنزلت ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١) ، قَالُوا نحن أُوتِينَا عِلْماً كَثِيراً، أُوتِينَا التَّوْرَاةَ وَمَنْ أُوتِيَ التَّوْرَاةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرا ، فأُنْزِلَتْ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾(٢)

---

(١) سورة الإسراء : آية ٨٥

(٢) سورة الكهف : آية ١٠٩ ، والحديث رواه الامام أحمد في مسنده بسند الترمذي جـ ١ ص ٢٥٥ ، أخرجه الترمذي في ابواب تفسير القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سورة بني اسرائيل ح (٥١٤٨) تحفة الاحوذي جـ ٨ ص ٥٧٥ ، ٥٧٦ وقال : حديث حسن صحيح من هذا الوجه ، وكذا الحاكم في مستدركه جـ ٢ ص ٥٣١ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال عنه أيضاً في السيرة النبوية ص ١٣٤ : « وهذا إسناد صحيح ، وقال ابن حجر : رجاله رجال مسلم · فتح الباري جـ ٨ ص ٢٥٣ ·

ورُوى مطولاً بإسناد ضعيف وفيه : إن قريش بعثت بعض رجالها إلى أحبار يهود بالمدينة ليسألوهم عن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما قدموا عليهم ، وسألوهم قالت لهم أحبار يهود : سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وأن لم يفعل فالرجل متقول ، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارف الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ماهي ؟ فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عما ذكر لهم ، فأنزل الله سورة الكهف فيها خبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وأنزل عن الروح قوله تعالى:﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ..﴾ ، انظر : سيرة ابن هشام ق ١ جـ ١ ـ٢ ص ٢٩٥ ، ٣٠٠ ـ ٣٠٢ ، ٣٠٨ ؛ الطبري : جامع البيان جـ ١٥ ص ١٩١ ، ١٩٢ ؛ ابن العربي : أحكام القرآن تحقيق محمد على البجاوي (القاهرة :دار احياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م) ج ٣ ص ٢٣١ـ ٢٣٢؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ٢٦٩ ـ٢٧١ ؛ الفخر الرازي : تفسير الطبعة الثانية ===

وثبت أن اليهـــود سألـوه عن الـــروح لما هاجر عليه الصـــلاة والســـلام إلى المدينة(١) ، كما سألوه أيضاعن أمور أخرى يطول ذكرها فأخبرهم بها ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قـــال :" جاء عبد الله بن سَلامٍ (٢) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال : إني سائلُكَ عن ثلاثٍ لايَعلمهنَّ إلا نبيٌّ، ما أولُ أشراط الساعة؟ وما أولُ طعـــام يأكلهُ أهلُ الجنـــةِ ؟ ، ومابال الولد يَنزِعُ إلى أبيه أو إلى أمه قال : " أخبَرني به جِبريـلُ آنِفاً قال ابن سلام: ذاك عدوُّ اليهود من الملائكة .- قال : أما أول أشراطِ الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة، فزيادة كبدِ الحوت، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد _ يعني إلى أبيه _، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت الولد _ يعني إلى أمه _ فقال: أشهد ألاإله إلا الله وأنكَ رسولُ الله " (٣)

===== (طهران : دار الكتب العلمية) جـ ٢١ ص ٨٢ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ١ ص ٤٨٣ _ ٤٨٥ ، والتفسير جـ ٥ ص ١٣٢ ، ١٣٣ ؛ السيوطي : الدر المنثور في التفسير بالمأثور التفسير الطبعة الأولى (بيروت: المكتب الاسلامي ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م) جـ ٥ ص ٨١ إجماع المفسرين من غير خلاف على أن سورة الكهف مكية) وقال الزركشى في كتابه البرهان في علوم القرآن الطبعة الثانية (القاهرة : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه١٣٩١هـ١٩٧١م) جـ١ ص٣٠ عن سورة الإسراء :« هي مكية بالاتفاق »

(١) أصل الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التفسير باب (ويسلونك عن الروح) ح(٤٧٢١) فتح الباري جـ ٨ ص ٢٥٣ ؛ ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٧ ص ١٣٦ _ ١٣٧ .

قال ابـــن حجر فى فتح الباري جـ ٨ ص ١٥٣ : " ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول ".

(٢) وعبدالله بن سَلام الاسرائيلي أبو يوسف كان اسمه الحصين فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبدالله مشهور لـه أحـاديث وفضل توفى سنة ٤٣هـ ، ابن حجر : التقريب جـ ١ ص ٤٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب ٥١ ح (٣٩٣٨) فتح الباري جـ ٧ ص ٣١٩ .

قال ابن تيمية رحمه الله : " ففي هذه الأحاديث أن علماء اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كانو يسألونه عن مسائل يقولون فيها : لايعلمها إلا نبي . أى ومن تعلمها من الأنبياء فإن السائلين كانوا يعلمون كما جاء أيضا : لايعلمها إلا نبي أو رجل أو رجلان "(١)

والمقصود: أن سؤالهم عن أمور يستدل بها على نبوته هو دليل يؤكد أنهم يعلمون أنه لم يتعلمها منهم ولامن غيرهم وقد أخبرهم بها ، بل لم يقل أحد من أهل الكتاب في زمنه صلى الله عليه وسلم أنه تعلم شيئا مما أخبرهم به منهم أو من غيرهم رغم أنه كذبهم وحاربهم وهــذا في حد ذاته آية وبرهان قاطع على نبوته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ابن تيمية : المصدر السابق جـ ٤ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم في علومه ومعارفه تلك التشريعات التي يقدمها للبشرية جمعاء في كل زمان ومكان ، بماتضمنته من أحكام عادلة ، وعبرت عنه من رؤية شاملة لمصالح البشر في الدنيا والآخرة ، وتقدير لآمالهم وآلامهم ، وتحديد دقيق لعلاقاتهم ، وإبراز للحق والواجب ، وكل ذلك بنى على مراعاة المصلحة والتيسير للناس ورفع الحرج عنهم ومنع التعسف والظلم .(١)

إن شريعة القرآن التى لا تقبل التغيير والتبديل والتي يستحيل على البشر أن يأتوا بمثلها بل ومستحيل أن تصدر إلا من إنسان أوحى الله إليه بذلك ، هي نموذج الكمال المطلق في كل جوانب الحياة البشرية ، وبالتالي فهي من أعظم الأدلة وأوضحها على نبوته صلى الله عليه وسلم، ومن أعظم الأدلة على عجز البشر على أن يأتوا بمثلها ، هو الخلل والنقص الذي يعتري التشريعات الوضعية القائمة اليوم رغم أنها تعتبر أنضج ما أخرجت البشرية من التشريعات في تاريخها كله، بل نجد أن بعض المنصفين من الأعداء يشهد بعظمة وسمو الشريعة الإسلامية على غيرها ومن ذلك: قول المؤرخ جيبون : " جاءت الشريعة المحمدية عامة في أحكامها يخضع لها أعظم ملك وأضعف صعلوك، فهى شريعة حيكت بأحكم منوال شرعي وليس لها مثيل في العالمين ". (٢)

وقول الفيلسوف الأمريكي هوكنج: " إنني أشعر بأنني على حق حين أقرر أن في الشريعة الاسلامية كل المبادىء اللازمة للنهوض ". (٣)

ولقد تمثل التشريع القرآني عمليا في المجتمع البشري الذى أقامه الرسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ به أعلى درجات الحياة البشرية من السعادة والحياة الكريمة ، بعد أن كان ذلك المجتمع على هامش الحياة .

وإذا كان القرآن الكريم كتاب عقيدة وهداية وإرشاد ومنهج تشريع لحياة البشرية قبل كل شيء فإنه مع هذا قد اشتمل في علومه ومعارفه على إشارات للكثير من

---

(١) أكرم العمري والسيرة النبوية الصحيحة جـ٢ ص ٦٠٩

(٢) نقلا عن : عبد الخالق سيد أبو رابية : " المستشرقون والإسلام " (الأردن : مجلة العلوم الاجتماعية السنة العاشرة عدد مارس ١٩٦٨م) ص ١٢٦.

(٣) نقلا عن عثمان عبد المنعم : عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية (مكتبة الأزهر) ص٧٠

الظواهر الكونية التي بدأ الإنسان في الكشف عن بعضها من منتصف القرن العشرين الميلادي حتى الآن وهذا الوقت هو الذي أراد الله عز وجل أن تكتشف فيه قال تعالى: ﴿ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾(٣) إن التوافق الدقيق بين مافي نصوص الكتاب والسنة وبين ما أكتشفه علماء الكون من حقائق كونية وأسرار علمية هو الذي ظهر به وجه جديد من وجوه إعجاز القرآن الكريم يعرف بالإعجاز العلميَ .

لقد بهر العلماء لما وجدوا أن الحقائق العلمية التي أنتجتها أبحاثهم العلمية والتجريبية قد أشار إليها هذا الكتاب السماوي قبل أن يتوصل إليها العلم بمئات السنين فاهتدى بذلك من أنار الله بصيرته إلى الإسلام .

وهكذا خدم هذا الوجه من الإعجاز المهمة الأساسية للقرآن التي أشرنا إليها.

يقول الفيلسوف الفرنسي الكس لوازون : " خلف محمد للعالم كتابا هو آية في البلاغة وسجل للأخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية التي كشفت حديثا أو المخترعات الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية مع ما نبذله من المساعي للتأليف بين النصرانية وبين القوانين الطبيعية "(٤) بل يندر في التوراة والإنجيل الحديث عن الظواهر الكونية التي تشير إليها الحقائق العلمية ، فضلا عن عدم مطابقتها لها.(٥)

والشواهد الدالة على هذا الوجه من وجوه إعجاز القرآن مبينة بتفاصيلها في البحوث الخاصة بها(٦) ولسنا في موضع الدراسة لها، وإنما قصدنا بيان وجه دلالتها على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به ولذا سنكتفي بمثال واحد من

---

(١) سورة الأنعام : آية ٦٧

(٢) سورة ص : آية ٧٨ ، ٨٨

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥

(٤) أحمد عزت باشا : الدين والعلم ، ترجمة وتصحيح حمزه طاهر ص ١٥٥ ، ١٥٦

(٥) انظر : موريس بوكاى : القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم (دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) الطبعة الرابعة (لبنان : دار المعارف ١٩٧٧م) ص ١٣ ومابعدها

(٦) انظر على سبيل المثال: محمد على البار :خلق الانسان بين الطب والقرآن ، عبد الحميد دياب وزميله : مع الطب في القرآن الكريم ، شوقي أبو خليل : الانسان بين العلم والدين خالص حبلي : الطب محراب الايمان ، يوسف مرة : العلوم الطبيعية في القرآن .

ذلك ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾ .(١)

تقرر هذه الآية الكريمة أن الارتفاع في طبقات الجو العليا يسبب ضيقا في الصدر وشعورا بالاختناق يزداد كلما ازداد الارتفاع .

وهذا ما كشف عنه العلم في الوقت الحاضر بعد أن تمكن الانسان من اختراع ما يصعد به إلى الجو، ويرجع العلماء سبب هذه الظاهرة إلى نقص الأكسجين في طبقات الجو العليا، وانخفاض الضغط الجوي الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الضغط الداخلي للجسم فيحدث له الضيق والحرج كلما ارتفع في الفضاء .(٢)

فمن أين لمحمد هذا إن لم يكن وحيا ؟!

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم في علومه ومعارفه إخباره عن المغيبات التي لم تكن وقعت بعد، وسنذكر بعضا منها في مبحث لاحق . (٣)

ووجوه إعجاز القرآن لاتنتهى يقول ابن تيمية مجملاً لها : " بل هو ـ يعنى القرآن ـ آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة فى دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه ، وصفاته ، وملائكته ، وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التى أخبر بها عن الغيب الماضى ، وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ماأخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينة ، والأقيسة العقلية ، التى هى الأمثال المضروبة ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٢٥

(٣) عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز : مع الطب في القرآن الكريم ، الطبعة الثانية (مشق : مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٣هـ) ص ٢١

(٣) انظر : مايلي ص ١٣٢ وما بعدها .

ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ ..." (١)(٢)

وإذا كان هذا كله يقطع بصدق نبوته صلى الله عليه وسلم فما هو موقف أهل الكتاب من ذلك وقد أخذ الله عليهم الميثاق بأن يؤمنوا به وينصروه صلى الله عليه وسلم وعندهم من البشارات ما يعرفون به نعته وصفته ؟

والإجابة على شيء من هذا ماسنعرض له في المبحث التالي :

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٤ص ٧٤ ، ٧٥ والآية ٨٩ من سورة الاسراء

(٢) وليس من الأقيسة العقليه فى إعجاز القرآن ما زعمه بعض المبتدعين من وجود ما يسمى الإعجاز الرياضي أو الاعجاز العددي في القرآن الكريم والذى بنوه على تأويل كلام الله عز وجل في قوله: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ـ فتفسير السلف وظاهر الآية أن المراد عدد خزنة النار وأنهم من الملائكة قال تعالى بعد الآية السابقة﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ... ﴾ ألخ سورة المدثر الآية ٣٠ ، ٣١ ـ على أنها عدد حروف البسملة وليس عدد خزنة النار ، بل بنو القرآن كله على هذا الرقم وزعموا أنهم استخدموا الكمبيوتر فيما توصلوا إليه . والحق أن بدعتهم هذه لم تبن على حقائق العلم ، وإنما استغلت موافقات معينة لخدمة أهداف مريبة سواء اتصلت بتدعيم مكانة الرقم تسعة عشر عند البابيين والبهائيين ، أو بالكسب المادي عن طريق الإثارة وادعاء التجديد بما يؤدي إلى رواج المنشور وانخداع السذج بما فيها من معلومات غريبة ظاهرها خدمة الايمان وباطنها التشكيك والنقض لأقوال السلف وتصريح القرآن . هذه النبذة والرد عليها مقتبسة من كتاب الدكتور أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ج٢ ص ٦٠٦ ، ٦٠٩ ، وانظر للتوسع : مصطفى عمر على الكندي " دراسة في الاعجاز العددي بين الماضي والحاضر في ضوء الكتاب والسنة " رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ ـ ١٤٠٩هـ

موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي :

كان من الطبعي لكل من كان على عقيدة التوحيد التي جاء بها الأنبياء من لدن نوح إلى عيسى عليهما السلام أن يؤمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ويناصروه لأن الله عز وجل أرسله ليكمل البناء الذي بدأه الرسل وأخذ عليهم العهد والميثاق بأن يؤمنوا به وينصروه. قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(١)

ويرى ابن عباس وغيره من السلف في تفسير هذه الآية: أنه ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه فأدوا ذلك إلى من آمن بهم وصدقهم.(٢)

ومن الحقائق المعروفة أن بعض علماء أهل الكتاب المعاصرين لبعثة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نعته وصحة ما جاء به وذلك لما يجدونه في كتبهم المتقدمة من بشارات الأنبياء به كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ.. ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ

---

(١) سورة آل عمران : آية ٨١

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٠٦ ؛ الطبري : جامع البيان ج٦ ص ٥٥٥ ؛ ابن تيمية : المصدر السابق ج١ ص ٢٢٣ ؛ النويري: نهاية الأرب ج ١٦ ص ١٠٦ ؛ ابن كثير: تفسير ج٢ ص٥٦

(٣) سورة الأعراف : آية ١٥٧

(٤) سورة البقرة : آية ١٤٦

عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾(١)، وقال تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾(٢).

ولما كان جل أهل الكتاب قد انحرفوا عن الدين الحق الذي جاء به الأنبياء وحرفوا وبدلوا في كتبهم- كما أشرنا سابقا- فقد خانوا الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على الأنبياء بأن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويناصروه رغم أن البشارات به صلى الله عليه وسلم ظلت موجودة في الكتب المقدسة التي بأيديهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما ورد في بعض الأناجيل عما يجب على النصارى نحو دعوة النبى المنتظر ففي إنجيل يوحنا : " إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولايعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم " .(٣)

فهذا تصريح من المسيح عليه السلام بأن الله سيبعث إليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالة ربه ، وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا ، وإن عليهم اتباعه ، ولم يأت بذلك بعد المسيح إلا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ختم الله به النبيين ، وجعل رسالته للناس كافة فكان من أوائل ما نزل عليه في العهد المكي (٤) قوله تعالى:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(٥) وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾(٦)

وفي الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة الرعد : آية ٤٣

(٢) سورة الشعراء : آية ١٩٧

(٣) إنجيل يوحنا : الاصحاح ١٤ : ١٥-١٧

(٤) انظر : سيد قطب : في ظلال القرآن الطبعة الحادية عشر (بيروت : دار الشروق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م) ج ٧ ص ١١٤٨

(٥) سورة الأعراف : آية ١٥٨

(٦) سورة سبأ : آية ٢٨

« فُضِّلْتُ عَلى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ، أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طهوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّون »(١)

فكان على أهل الكتاب بمقتضى عموم رسالته، وبمقتضى ما يعرفونه من بشارات الأنبياء به، التصديق والإيمان به بمجرد سماعهم خبر ظهوره وبعثته.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « والذَّي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ لاَيَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَنَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ من أَصْحَابِ النَّارِ » (٢)

فكيف وقد دعاهم عليه الصلاة والسلام بنفسه وأرسل إليهم رسله ، وظهر لهم من الدلائل والمعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم أعظم وأكثر من الدلائل والمعجزات الدالة على صدق موسى وعيسى عليهما السلام (٣) بل وبشر عليه الصلاة والسلام من آمن منهم من قبل ولم يبدل ثم آمن به وصدقه واتبعه، بأن الله جعل له أجرين أجر الإيمان بنبيه والكتاب الذي أنزل إليه وثباته على ذلك، وأجر الإيمان به عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(٤)

وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثَلاَثَةٌ يُؤتَوْنَ أَجْرَهُم مَرَّتَيْن - وذكر منهم - مُؤمِنُ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِي كَانَ مُؤمِناً ثُمَّ آمَنَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللّٰه عليه وسلم فَلَهُ أجرانِ »(٥)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ٥

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب الايمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ج٢ ص ١٨٦

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ١ ص ١٦٧

(٤) سورة القصص: الآيات ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤

(٥) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين ح (٣٠١١) فتح الباري ج ٦ ص١٦٩ ؛ ومسلم في كتاب الايمان برسالة النبي صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٨٧ .

وإذا كانت دعوته عليه الصلاة والسلام للنصارى لم تحدث بشكل مباشر وعام إلاّ بعد فراغه من جهاد المشركين واليهود فما ذلك إلاّ لكون النصارى أبعد عنه من هؤلاء وكان الترتيب الطبعي للدعوة هو أن يبدأ بالأقرب فالأقرب ثم يرسل رسله إلى الأبعد لهذا وجه الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته في العهد المكي للمشركين لأنهم قومه وعشيرته ولقلة من يحيط به من أهل الكتاب .

وتجدر الإشارة إلى أن ما نزل من الآيات الخاصة بدعوة عشيرته وقومه لاينافي الآيات التي تدل على عموم رسالته ، وذلك ؛ لأن تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص ، لايدل على أن ما سوى المذكور مخالفة ، وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب ، والناس كلهم متفقون على أن التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن لاسم اللقب مفهوم بل ولا للصفة "(١)

ومهما يكن من أمر فان واقع دعوته صلى الله عليه وسلم في العهد المكي يثبت أنه عرض دعوته على من كان بقربه ، أو قَدِمَ إليه سواء من أهل الكتاب أو سائر الأمم .

على أن الذي يهمنا هو موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم

الواقع أن الباحث لايجد في مصادر السيرة والتاريخ إلا مواقف فردية أو أحداثا عامة لاتبين بجلاء الموقف المحدد للنصارى عامة من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وغاية ما يمكن استنتاجه من ذلك هو بيان واقع النصارى في تلك الفترة من جانب وظروف الدعوة من جانب آخر وربط الموقف بذلك.

فأما عامة النصارى فهم في زمن بعثته عليه الصلاة والسلام كسائر الأمم في جهل وضلال غير قائمين بما يجب عليه من الإيمان بالله ورسله و لاباليوم الآخر ، ولا بشرائع دينية ، لايعرفون الحق من الباطل لكثرة ما بدلوا وحرفوا ، وغيروا وابتدعوا بعد المسيح عليه السلام - كما سبق ذكره - وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ١ ص ١٣٣

وعجمهم إلاَّ بقايا من أهل الكتاب » (١)

ويبدو أن من ذكر في الحديث من بقايا أهل الكتاب لم يكونوا مظهرين ما بعث الله به أنبياءهم كما ورد في قصة إسلام سلمان الفارسي وقول الراهب له : " والله ما أعلم أنه أصبح في الأرض أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه "(٢)

أمّا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي فقد أشرنا سابقا أنها تركزت على من كان بقربه سواء من الأميين أو من أهل الكتاب ولذا فلا غرابة في قلة من أسلم من النصارى المقيمين بمكة في هذه الفترة وقد بينا أنهم لايتجاوزون أعدادا يسيرة من الأرقاء الخاضعين لطاعة أسيادهم من كفار قريش الذين ناصبوا الرسول العداء، بل لانجد من يُظن أنه كان نصرانيا- أو اعتنق النصرانية ممن كان بمكة أو حولها في هذه الفترة - واستجاب للدعوة إلا صهيب الرومي(٣)، وورقة بن نوفل الذي آمن بالنبوة وتمنى لو يدرك دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم فينصره نصرا مؤزرا وقد مات قبل ذلك ومع هذا جزم ابن كثير بإسلامه.(٤).

ولم يباشر الرسول صلى الله عليه وسلم- في العهد المكى- دعوة النصارى فى

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص ٥٨

(٢) انظر سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٢١٤ ؛ مسند الإمام أحمد ج٥ ص ٤٤٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٤ ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ الحاكم : المستدرك ج٢ ص ١٦ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ؛ أبو نعيم الأصفهاني : دلائل النبوة ج ١ ص ٢١٣ ؛ البيهقي:دلائل النبوة ج ٢ ص ٩٢ وما بعدها ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية ج ١ ص ٢٩٦ وما بعدها ، و إسناده حسن قاله أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ١٢٢ هامش (١)

(٣) **صهيب الرومي** هو بن سنان بن مالك نسب إلى الروم لأنه نشأ وهو صغير ببلادهم وإلاّ فهو عربي ، سبي وبيع قبل الإسلام لعبد الله بن جدعان فقدم به مكة ثم اعتقه قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم « **صهيب سابق الروم** » وهو ممن اشتد عليهم الأذى من قريش توفي سنة ٣٩هـ ، انظر ابن حجر : تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٧٠ .

(٤) انظر : ابن كثير السيرة النبوية ج١ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨

مناطق تمركزهم ولم يرسل إليهم أحدا من رسله نظراً لانشغاله بدعوة قومه وتربية أصحابه المؤمنين برسالته الذين يمثلون القاعدة التي ستقوم عليها الدعوة في المستقبل إلى سائر البشر .

والجدير بالملاحظة أن بعض علماء النصارى عرفوا أن ذلك النبى المبعوث هو الذي بشرت به كتبهم السابقة فأخفوا ذلك عن عوامهم لأسباب - سيأتي ذكرها(١)- وهذا من أهم أسباب جهل عامة النصارى بحقيقة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم التصديق به. ومن أدلة ذلك ما روي عن جُبير بن مُطْعِم (٢) أنه قال : لما بعث الله نبيه وظهر أمره بمكة خرجت الى الشام فلما كنت ببصرى أتتنى جماعة من النصارى فقالوا لي : أمن الحرم أنت ؟ قلت نعم ، قالوا : فتعرف هذا الذي تنبأ فيكم ؟ قلت : نعم، فأدخلوني ديرا لهم فيه صور فقالوا انظر هل ترى صورته ؟ فنظرت فلم أر صورته ، قلت لا أرى صورته فأدخلوني ديرا أكبر من ذاك فنظرت واذا بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصورته ، وبصفة أبى بكر وهو آخذ بعقب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا لي : هل ترى صفته ؟ قلت نعم ، قالوا : هو هذا ؟ قلت : اللهم نعم أشهد أنه هو ، قالوا : أتعرف هذا الذي أخذ بعقبه؟ قلت نعم، قالوا : نشهد أن هذا صاحبكم وأن هذا الخليفة من بعده.(٣)

وقول ابن هشام: "بلغني أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره وختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التي قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر مايلي ص : ٢٦٠ ـ ٢٦٢

(٢) جُبير بن مُطْعِم بن عدى بن نوفل القرشى كان من حلماء قريش وساداتها أسلم قبل الفتح وتوفى سنة ٥٧ هـ ، انظر : ابن الأثير : اسد الغابة (طبعة الشعب ١٩٧٠م) ج١ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير ق ١ ج ١ ص ١٧٩ باختصار وزاد " إنه لم يكن نبي إلا كان بعده نبي إلا هذا النبي ؛ الأصفهاني : دلائل النبوة ج ١ ص ٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ج ١٦ ص ١٥٣ الذهبي : السيرة النبوية ص ٣٦٦ بسند عن عبد الله بن شبيب الربعي ، قال عنه في ميزان الاعتدال ج ٩ ص ٤٧٤ ، ٤٧٥ أخباري علامة لكنه واه : وقال أبو أحمد الحاكم : ذاهب الحديث" ابن كثير : تفسير ج ٣ ص ٤٨٥

فعثر فقال ابنه: تعس الأبعد يريد النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوه: لاتفعل فإنه نبى واسمه في الوضائع ـ يعني الكتب ـ فلما مات لم يكن له هِمّة إلاّ أن شدّ فكسر الخواتم فوجد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه "(١).

وللخبر الذي أوردناه آنفا دلالة على أن بعض نصارى الروم سمعوا بظهور النبى صلى الله عليه وسلم ولكن من المرجح أنه غاب عنهم تفاصيل ما يدعو إليه ويرجع ذلك إلى أمرين هما:

أولا: عدم اهتمامهم بمحاولة التعرف على حقيقة ما يدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بسبب ما أورثهم اختلافهم وغلوهم في أمر المسيح عليه السلام من تعصب كل طائفة لمذهبها وعدائها لمن يخالفه .

ثانيا: قيام حرب قاسية بينهم وبين الفرس في هذه الفترة (٢) والتي أصبحت طرق التجارة بسببها غير مأمونة، وبالتالي ضعفت حركة التجارة القرشية إلى بلادهم، فقل تبعا لذلك تناقل الأخبار بينهم وبين عرب الحجاز إضافة إلى أن جلّ تجار قريش في ذلك الحين من المشركين ومن الطبعي ألا ينقلوا أخبار دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لايساعدوا في لفت الانتباه إليه، وبث دعوته وذكره خارج مكة ، وعلى هذا يبدو أنهم نظروا إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة خاطئة فاعتبروها مذهبا شبيها بمذهب الأريوسية(٣)

ومهما يكن من أمر فإن الروم لم يهتموا بخبر ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ودعوته فاجتياح الفرس لبلادهم وما صحب ذلك من قتل وسبي وهدم لكنائسهم شغلهم عن الاهتمام بحدث لايزيد عن مخالفة لهم في الاعتقاد فضلا عن كونه بأرض ليست في نطاق حكمهم ولاتمثل خطرا عليهم.

ويرى بعض الباحثين أن هناك أمرا يوضح موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي وهو : الآيات القرآنية المكية الواردة بشأن النصارى ، والتي يزعمون أنها توحي بكثرة المخاطبين منهم بذلك في مكة ، وأن

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٥٧٤

(٢) انظر تفاصيل ذلك : ص ١٣٢ - ١٦٠

(٣) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٦٥

أساليبها ومفرداتها ومضمونها يدل على أنه عليه الصلاة والسلام وقف منهم منذ بداية دعوته موقف المسالم المتحبب إليهم ، وفى مقابل هذا استجاب النصارى لدعوته أو على الأقل وقفوا منها موقف العطف والتأييد ، وأن الدافع لذلك هو الاتحاد في الأهداف ، والمبادىء بين ماهم عليه وبين ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، واستدلوا أيضاً بهجرة بعض المسلمين إلى الحبشه ، وموقف النصارى الأحباش منهم (١) .

ولاشك أن هذا القول يحمل في طياته أخطاء متعددة، فالاستنتاج بأن تلك الآيات توحي بكثرة المخاطبين من النصارى بمكة أمر يخالفه الواقع الحقيقي للنصارى بمكة وما حولها كما سبق شرحه.(٢)

وتلك الآيات لاتدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف من النصارى منذ بداية دعوته موقف المسالم المتحبب إليهم المعطف عليهم ؛ لأن الآيات التي فيها ثناء الله ورسوله على المسيح وعلى من اتبعه وكان على دينه الذي لم يبدل هي في الحقيقة من جملة القصص القرآني عن الأنبياء السابقين ودعوتهم وموقف أقوامهم منهم وكل هذا وارد في سياق مااختصت به الدعوة في العهد المكي من التركيز على قضية التوحيد التي دعا إليها الأنبياء والمرسلون من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذا يقع شىء من الاتحاد في الأهداف والمبادىء ، وليس كما في زعمهم أنه بين ماجاء به عليه الصلاة والسلام وبين ما عليه النصارى زمن بعثته. ؛ لأن غالب دينهم قد بدلوا معانيه وأحكامه، وحرفوا حلاله وحرامه ولبسوا حقه بباطله، وقد جاء كثير من الآيات بذمهم وبيان كفرهم على فعلهم ذلك.(٣)

يقول ابن تيمية : " فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أظهر به توحيد الله

---

(١) محمد عزة دروزه : عصر النبي وبيئته ص ٩٦- ١٠٤ ، عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٢٧٨ وما بعدها ، أحمد أبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ص ٢٥٢-٢٥٣ ؛ السيد احمد أبو الفضل عوض الله : مكة في عصر ما قبل الإسلام ص ١٥٩-١٦٢

(٢) انظر ما سبق ص : ٧١ ـ ٧٨

(٣) انظر بعضا منها ص : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧

وعبادته وحده لاشريك له ، ظهوراً لم يعرف فى أمة من الأمم ، ولم يحصل مثله لنبى من الأنبياء ، وأظهر به من تصديق الكتب والرسل ..... مالم يكن ظاهراً لاعند أهل الكتاب ، ولاغيرهم " (١)

والجدير بالملاحظة أن تلك الآيات تدل على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم وقد نقلها أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم إلى النصارى في مناطق وجودهم وجادلوهم فيها بالتي هى أحسن كما أمرهم الله تعالى في قوله : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(٢)

والذي اقتضى تخصيص أهل الكتاب في الآية السابقة من الحكم العام في مجادلة الخلق مطلقا في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ. . . . . ﴾(٣) هو أن أهل الكتاب قد يثيرون جدالا يخبرون فيه بما بقى عندهم مما جاء به أنبياؤهم مما لايعلم صدقه ولاكذبه فأخبر الله أن على المسلمين أمام هذا هو الإيمان المجمل المشروط بأن يكون منزلا لامبدلا ولا مؤولا(٤) .

أما الاستدلال بهجرة المسلمين إلى الحبشة على أن النصارى وقفوا من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم موقف العطف والتأييد في العهد المكي فيحتاج بيان مدى صحته إلى تفصيل القول في خبر الهجرة إلى الحبشة وما ترتب عليها، وهذا يدفعنا أولا إلى طرح عدد من التساؤلات حول فكرة الهجرة نجملها فيما يلي:

أولا : ما سبب الهجرة ؟ هل كانت فرارا من المسلمين بدينهم حتى لايفتنوا نتيجة التعذيب والاضطهاد ؟ أم كانت لأسباب ودوافع سياسية ؟ أو لأهداف تجارية ، ومكاسب مادية كما يقـــول بعـض المستشرقين ؟ أو بهدف الاستعانة بقوة أجنبية

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٤٨

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٦

(٣) سورة النحل : آية ١٢٥

(٤) انظر ابن كثير : تفسير ج ٦ ص ٢٩٢ ، ٢٩٣

تتدخل لحماية المسلمين من أهليهم وذويهم من قريش ؟

ثانياً : لماذا اختار النبى صلى الله عليه وسلم الحبشة ليتجه إليها المهاجرون دون غيرها من الأماكن التى تقع داخل الجزيرة العربية ، أو خارجها كبلاد الشام أو مصر أو فارس؟

وللإجابة على هذه التساؤلات نجد أولاً : أن من الثابت الذي لاخلاف فيه بين أهل السير والتاريخ هو " أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما رأى ما يصيب أصحابه من البلاء والفتنة في دينهم، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله ثم من عمه أبي طالب أحزنه ذلك، ولكنه لايقدر على دفعه(١) ، فقال لمن قل نصيره منهم في مكة: « لوخرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا (٢) لايظلم عنده أحد» ، _ وفى رواية : ملكا صالحا(٣) ، وفى رواية : يحسن الجوار _ (٤) حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه »(٥)

---

(١) أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين فى الفترة المكية بعدم الانتصار من الظلم والرد على العدوان ودفع الأذى بالقوة ، انظر التفاصيل لاحقا ص : ٢٤٩ - ٢٥٠

(٢) اختلف في اسم هذا الملك فقيل اسمه مصحمة وقيل أصحم، والثابت في الصحيح أصحمة ومعناه بالعربية عطية ، وأوردت بعض المراجع الأجنبية أن اسمه " أرماك أو أرماخ " ولفظ النجاشي : اسم لكل ملك يلي الحبشة انظر : فتح الباري ح (٣٨٧٧) ج ٧ ص ٢٣٠ ؛ السهيلى : الروض الأنف ج ٢ ص ٢٧٩ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٩ ؛ عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب (دار الفكر العربى) ص ٧١-٧٢

(٣) مغازي عروة بن الزبير تحقيق محمد الأعظمي الطبعة الأولى (الرياض : مكتب التربية العربي ١٤٠١هـ ١٩٨١م) ص ١٠٤

(٤) اليعقوبي : تاريخ ج ٢ ص ٢٩

(٥) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١-٢ ص ٣٢١ ، وإسناده حسن قاله أكرم العمري فى : كتابه السيرة النبوية الصحيحة ج ١ ص ١٧٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٧ ؛ ابن عبد البر : الدرر الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٤ - ١٩٨٤م) ص ٢٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ج ١٦ ص ٢٣٢ ؛ الذهبي : السيرة النبوية ص ١١٠ ، ١١ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤

فهذا النص صريح بما لايدع مجالا للشك في بيان سبب الهجرة، وأن ماسوى هذا من التفسيرات التي تخالفه مما ورد على صورة التساؤلات السابقة هو مجازفة في القول لادليل عليها إلا رؤية خاطئة لواقع الحوادث في تلك الفترة من جانب ولحقيقة النبوة والدعوة من جانب آخر، فالرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا آنذاك قلة مستضعفة لاتأثير لها فى ميزان القوى السياسية ، ولم يغير ما حدث من هجرة بعضهم إلى الحبشة فى مجرى الحوادث التاريخية العالمية شيئا، ولم تنمُ لأولئك المهاجرين ثروات مادية فى الحبشة ، ولم يقدم الأحباش النصارى لهم أى شيء سوى إيوائهم ، ومواساتهم بل ولم يحدث هذا إلا من البعض منهم _ كما سيأتى بيانه لاحقا _ ولم يرد على الإطلاق ما يدل على أن الأحباش تدخلوا لحماية الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لافى مكة ، ولافى المدينة ، بل وقع من بعضهم ما يدل على معارضتهم لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وعدائهم له .

ثانيا : أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن سببب اختيار الحبشة دارا لهجرة بعض أصحابه حينذاك ؛ لأنها بلد آمن فى ظل حاكم عادل لايظلم عنده أحد ، ولأنها أرض صدق(١) ، وتذكر بعض الروايات أنها كانت أحب أرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب أن يهاجر إليها أصحابه . (٢)

ولم يزد أهل السير والتاريخ على هذا في وصفهم لها إلا القول بأنها كانت متجرا لقريش يتجرون فيها، ويجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا(٣).

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١ـ٢ ص ٣٢١ ؛ الطبرى : المصدر السابق ج ١ ص ٥٤٧ ؛ النويرى : نهاية الأرب ج ١٦ ص ٢٣٢ ؛ الذهبى : السيرة النبوية ص ١١١ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤

(٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ عن الواقدي

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٧ ؛ ابن عبد البر : المصدر السابق ص ٢٧ ويؤكد كثير من الباحثين على حدوث هجرات عربية اليها قبل ظهور الاسلام ، كان لها تأثيرها في تلك البلاد وخاصة في مجال اللغة ، انظر محمد بيومي مهران ، دراسات تاريخية من القرآن ص ٣٧١ ؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب ج ٣ ص ٤٤٩ وما بعدها ؛ عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ص ١٣ .

والمتتبع لانتشار النصرانية وما آلت إليه بعد تعدد مذاهبها يجد أمرا مهما اختصت به بلاد الحبشة دون غيرها من سائر بلاد العالم آنذاك وهو بقاء النصرانية بها (١) على المذهب الأريوسي في حين اختفى هذا المذهب من سائر بلاد الشرق(٢)، ولعل السبب في ذلك هو محافظتها على استقلالها الداخلي، وعدم تمكن الروم أو الفرس من السيطرة عليها.

ومن هنا يحتمل أن يكون هذا بعض ما قُصد به في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « وهي أرض صدق » وذلك لأن أتباع المذهب الآريوسي هم أقل فرق النصارى ضلالا وأقربها إلى الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام كما سبق شرحه

لقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم أن ماسوى الحبشة لايصلح أن يكون دارا لأصحابه المهاجرين ولاغرابة في هذا وحركة تجارة قريش إلى البلدان المجاورة، وقدوم العرب إلى مكة في مواسم الحج وأسواق العرب مصادر تلك المعرفة.

ولذا رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن أيَّ مكان في داخل الجزيرة العربية لايصلح لتلك الهجرة في ذلك الوقت فالعرب لازالت تدين بالوثنية، والإسلام محصور في فئة قليلة مستضعفة في مكة، ولقريش نفوذها الديني بمكانها من البيت الحرام ونفوذها الاقتصادي بفضل موقعها وما وصلت إليه من قوة تجارية(٣) على سائر القبائل العربية، ومن الطبعي أن لا ترضى عن أى قبيلة من قبائل العرب أن تؤوي أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم مما تفعل بهم، ومما يؤكد ارتباط القبائل العربية بموقف قريش قول ابن إسحاق : وكانت _ يعني القبائل العربية _

---

(١) يذكر أن النصرانية وجدت طريقها إلى بلاد الحبشة في القرن الرابع الميلادي عن طريق مصر ، انظر عبد المجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ص ٣٦ ؛ فتحي غيث : الاسلام والحبشة عبر التاريخ (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية) ص ٣٩ -٤٠ ؛ أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم الطبعة الرابعة (مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤م) ص ١٤٢ ؛ جواد على : المفصل في تاريخ العرب ج ٣ ص ٣٥٦ وما بعدها .

(٢) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٢

(٣) جواد على : المرجع نفسه ج ٧ ص ٢٨٥ وما بعدها ؛ أحمد إبراهيم الشريف : دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني (دار الفكر العربي) ص ٤٣ ، ٤٤

تتربص بإسلامها إسلام هذا الحى من قريش(!).

وقد مر بنا خضوع المناذرة لحكم الفرس، وخضوع الغساسنة لحكم الروم، وما آل إليه حالهم تحت حكم هاتين الدولتين.

وخضعت اليمن لحكم الفرس فضلا عن انقسامها إلى عدة مخاليف كل هذا أثر على عدم توفر الأمن بها.

أما في خارج الجزيرة العربية من البلدان المجاورة فالفرس مجوس يكنون العداء والحقد لمن خالفهم في عقيدتهم.

وأما الروم فنصارى نسوا حظا مما ذكروا به فأغرى الله بينهم العداوة والبغضاء فهم فرق متناحرة ومذاهب مختلفة معظمها يقول في المسيح بهتانا عظيما، فكيف يمكن لأهل العقيدة الصافية أن يجدوا عندهم الأمن؟!!

هذا فضلا عن اجتياح الفرس لبلادهم وما خلف من آثار سيئة فى هذه الفترة .

ومن هذا كله يتبين لنا تميز الحبشة عن غيرها وبالتالي وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه إليها ، وقد وقعت الهجرة إليها مرتين (٢) الأولى فى شهر رجب من سنة خمس من البعثة ، وكان عدد المهاجرين عشرة ، أو أحد عشر رجلاً وأربع نسوة ، خرجوا من مكة خفية فلما وصلوا ساحل البحر استأجروا سفينة بنصف دينار (٣) حملتهم إلى أرض الحبشة ، وبعد شهرين ، أو ثلاثة (٤) أشيع بينهم أن قريشا أسلمت (٥) فرجعوا إلى مكة ، فلما اقتربوا منها تبينت لهم

(١) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٥٦ ، ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ١٩٥

(٢) ابن حجر : فتح الباري : ج ٧ ص ٢٢٧

(٣) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٠٤ عن الواقدى ؛ ابن حجر : فتح البارى ج ٧ ص ٢٢٧

(٤) المقدسى : البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٢

(٥) ابن حجر : المصدر نفسه ج ٧ ص ٢٢٧ ، وصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد فى موضع السجود ، وسجد معه كل من كان حاضراً إلا اثنين من المستكبرين ، صحيح البخارى ، انظر فتح البارى ح(١٠٦٧ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١) ؛ صحيح مسلم بشرح النووى كتاب المساجد ج ٥ ص ٧٤ ، ٧٥ ، وباطل ما ذكر من أنه عليه الصلاة والسلام قرأ فيها " تلك الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهن لترتجى " انظر : القاضى عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن : الألبانى : نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق

الحقيقة، وعرفوا أن المشركين أشد كفرا وأذى عما تركوهم فرجعوا مهاجرين إلى الحبشة مرة ثانية(١) ولحق بهم عدد آخر من المسلمين فكان جميع من لحق بأرض الحبشة من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا وولدوا بها، ثلاثة وثمانين رجلا، ومن النساء ثماني عشرة امرأة .(٢)

والجدير بالذكر أنه لم يرد في كتب السيرة والتاريخ ما يشير إلى معرفة النجاشي ونصارى الحبشة بخبر دعـــوة الرسول صلى الله عليه وسلم ولابقدوم أولئك المهاجرين إلى أرضهم قبل هجرتهم، ومن هنا فلا يمكن الربط بين هجرة المسلمين إلى الحبشة، وموقف نصارى الحبشة من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا بعد معرفة الواقع الذي عاش فيه أولئك المهاجرون بعد نزولهم في الحبشة، والذي تعبر عنه أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) وهي ممن هاجر إليها في الهجرة الأولى بقولها : " فلما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي آمنا على ديننا وعبدنا الله لانؤذى ولانسمع شيئا نكرهه"(٣)

وهكذا وجد المهاجرون منذ البداية ماترقبه الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، ولكن الملفت للانتباه هو أنا لانجد ما يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن للمهاجرين بالدعوة إلى الإسلام في أرض الحبشة كما لا نجد أنهم فعلوا ذلك، وبالتالي فإن اقتصارهم في دعوتهم ـ في تلك الفترة ـ على أنفسهم والتزامهم بأخلاق الاسلام في معاملتهم لغيرهم ، هو الذي أظهر تقدير وحسن

(١) قال ابن إسحاق عن سببها : " فلما اشتد البلاء وعظمت الفتنة تواثبوا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الفتنه التى أخرجت من كان هاجر من المسلمين بعد الذين كانوا خرجوا قبلهم إلى أرض الحبشه » ابن اسحاق : السيروالمغازى، تحقيق سهيل زكار، الطبعة الأولى (دار الفكر ١٣٩٨ـ١٩٧٨)ص ٢١٣

(٢) سيرة ابن اسحاق ص ٢١٠ ؛ الطبرى : تاريخ الامم والملوك ج ١ ص ٥٤٧ .

(٣) حديث طويل فيه خبر الهجرة كاملا رواه ابن اسحاق في سيرته ص ١٩٤ وما بعدها ؛ سيرة ابن هشام ق ١ ج ١-٢ ص ٣٣٤ -٣٣٨ ؛ وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٠١- ٢٠٣ ؛ البيهقي ، دلائل النبوة ج ٢ص ٣٠١- ٣٠٤ ؛ ابن عبد البر: الدرر ص ٩٣-٩٤ ؛ الذهبي ، السيرة النبوية ص ١١٦- ١١٩ ؛ قال الألباني عنه :" إسناده صحيح" (الغزالي: فقه السيرة ص١٢١ هامش (١) ؛ وقال أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ج ١ ص ١٧٤ إسناده حسن .

معاملة النجاشي ورعيته لهم في البداية- قبل معرفتهم بدينهم، فضلا عن امتناع وقوع الظلم عليهم في ظل حكم النجاشي.

أما الذي أظهر عقيدة أولئك المهاجرين للنجاشي وبطارقته ومن ثم لعامة نصارى الحبشة وأظهر حقيقة موقفهم من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي فهو الوفد الذي أرسلته قريش إلى النجاشي .

ويبدو أن قدوم وفد قريش المكون من عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، (١) وعمرو بن العاص على النجاشي كان في السنة السابعة من البعثة الأمر الذي أحدث وهما لدى بعض الرواة فجعل هجرة المسلمين إلى الحبشة بعد دخول أبي طالب ومن حالفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشعب.(٢)

وعلى هذا يمكن استنتاج الدافع الحقيقي لقريش في إرسال ذلك الوفد إلى النجاشي وهو تصورها أن الدعوة في مكة أوشكت على النهاية بعد فرض حصارها على من دخل الشعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لم يعد لها قوة إلا مع أولئك النفر الذين هاجروا إلى الحبشة، وبالتالي رأت سرعة اللحاق بهم قبل أن يتمكّن لهم نفوذ، ولايستبعد أنها خشيت على تجارتها في الحبشة على إثر ذلك العمل الإجرامي الذي قامت به ضد محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه .

ولقد جانب الصواب بعض الباحثين والمستشرقين عندما ربطوا هدف الهجرة وموقف النجاشي منها بحركة الصراع الدولي على امتلاك طرق التجارة(٣)،وأن سبب قدوم وفدقريش على النجاشي هـــو خوفهم أن يتطور الأمر إلى غزوالأحباش لبلادهم مـــرة

---

(١) عبد الله بن أبي ربيعة بن عمرو بن المغيرة المخزومى أبو عبد الرحمن المكي أسلم ومات ليالي قتل عثمان ، انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب ج١ ص ٤١٤

وروى الذهبي فى السيرة النبوية ص ١١٤ أن الذي أُرسل مع عمرو بن العاص هو عمارة ابن الوليد

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج٢ ص٦ وقال : زعمه موسى بن عقبة وفيه نظر

(٣) أحمد ابراهيم الشريف : دولة الرسول في المدينة (الكويت : دار البيان ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢م) ص ٥٩ ؛ نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم ، الطبعة الثالثة (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٤هـ -١٩٧٥م) ص ٤٠٣- ٤٠٥ ، نقلا عن واط في كتابه محمد في مكة.

ثانية(١)، وذلك لأن واقع الحوادث قبل الهجرة وبعدها لايوحي بذلك إطلاقا.

وعلى أية حال فقد قدم وفد قريش على النجاشي وقدّما لبطارقته بعض الهدايا قبل أن يكلماه ليؤيدوهما عنده فيما أرادا، ثم قابلا النجاشي وقدما له الهدايا وطلبا منه إعادة من هاجر من المسلمين وأشار البطارقة عليه بتسليمهم إليهما فغضب النجاشي، ثم قال: " لاها الله ايم الله إذا لاأسلمهم إليهما ولا أكاد قوما جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواى حتى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم "(٢) ثم أرسل إلى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما جاءوا سألهم النجاشي فقال :" ماهذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الأمم " فقال جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه: " أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (٣) - وعدد عليه أمور الإسلام- فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ماجاء به فعبدنا الله وحده لانشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ص ٥٩

(٢) هذه الرواية من ضمن حديث أم سلمة الذي سبق تخريجه ص ١١٩ هامش (٣)

ويروى : أن أبا طالب لما علم بما أجمعت عليه قريش من البعث إلى النجاشي قال أبياتا من الشعر وبعث بها إلى النجاشي يحضه فيها على حسن جوارهم ـ يعني المهاجرين ـ والدفع عنهم ، انظر سيرة ابن هشام ق١ ج ١ - ٢ ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ ؛ العامري : بهجة المحافل وبغية الأماثل (المطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ١٣٣١هـ) ج ١ ص ٩٥ ، ٩٦

(٣) المراد مطلق الصيام ، لأنه من المعروف أن صوم رمضان لم يفرض إلا في السنة الثانية من الهجرة .

الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ماكنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا، وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك ورجونا أن لانظلم عندك ". (١)

هكذا بلَّغ جعفر النجاشي ، وأساقفته ، وبطارقته بمبعث النبي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في الانجيل، وعرفهم ببعض صفته. ويذكر أن النجاشي قال لأساقفته لما سمع ذلك: " أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى ويوم القيامة نبيا مرسلا نعته ما ذكر هؤلاء؟ فقالوا: اللهم نعم. قد بشرنا به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي ". (٢)

ولقد ركز جعفر_ في كلامه السابق- في تعريفه بدين الإسلام على ما أمر الله به وما نهى عنه وخاصة فيما يتعلق بمكارم الأخلاق وهى الفضائل التي نجت من التحريف عند النصارى، الذين انصب تحريفهم على أسس العقيدة ولاسيما فيما يتصل بشخصية المسيح ، لذلك كان من الطبعي أن تتفق تلك الفضائل مع ما جاء به الإسلام .

أما موقف النجاشي وأساقفته وبطارقته من نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته واتباعه فيتمثل فيما كان من النجاشي وأساقفته بعد سماعهم لكلام جعفر فقد قال النجاشي له: " هل معك شيء مما جاء به عن الله؟ فقال جعفر: نعم. قال النجاشي: فاقرأه على، فقرأ عليه صدرا من كهيعص، فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلت مصاحفهم ثم قال: إن هذا - يعني ما تلى عليه- والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم قال لوفد قريش انطلقا فوالله لاأسلمهم إليكم أبدا ولا أكاد ". (٣)

---

(١) هذه الرواية ضمن حديث أم سلمه الذي سبق تخريجه ص ١١٩ هامش (٣)

(٢) على برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠

(٣) هذه الرواية أيضا ضمن حديث أم سلمة الذي سبق تخريجه ص ١١٩ هامش (٣)

وثبت أن النجاشي آمن (١) بالرسول صلى الله عليه وسلم، وسياق النص المذكور يدل على أن الأساقفة آمنوا كذلك .

ولذا فإن أعظم ما ذكره الله في النصارى من الخير هو من كان حاله مثل النجاشي: وأساقفته الذين أنزل فيهم قوله تعالى:﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٢)

ولم تظهر الروايات موقف البطارقة في هذا اللقاء إلا ما ذكر عن تلك المحاولة التي أشاروا فيها على النجاشي بتسليم المهاجرين قبل أن يتكلموا إلى وفد قريش، والظاهر أنهم كتموا في أنفسهم غيظهم لأن الأمر لم يمس بعد معتقدهم، واعتراف النجاشي وأساقفته بذلك النبي لايفرض عليهم ما يوجب المجاهرة بالعصيان .

وعلى أية حال فإن جميع المذاهب النصرانية أوغلت في إطراء عيسى بن مريم وتعظيمه، وهذا ما جعل عمرو بن العاص يعود إلى النجاشي في اليوم التالي محاولا إثارة حفيظة النصارى الأحباش ضد المسلمين بالزعم أن المسلمين يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل النجاشي إليهم، فقال بعضهم لبعض ماذا تقولون في

---

(١) فقد ورد في الصحيح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال "قال النبي صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمه" صحيح البخاري ح (٣٨٧٧) فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٠ ؛ صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٢٣، وروى أن فيه أنزل الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ سورة آل عمران آية ١٩٩، و انظر : الواحدي: أسباب النزول ص ٩٣، ٩٤ ؛ الطبري جامع البيان ج ٤ ص ٢١٨- ٢٢٠ قال : وإسناده فيه نظر، ولو كان صحيحا لاشك فيه ، لم يكن لما قلنا في معنى الآية خلاف، فقد تنزل الآية في الشيء ثم يعمم بها كل من كان في معناه.

(٢) سورة المائدة : الآيتان ٨٢-٨٣ ، وانظر تفسير الطبري ج٧ ص ٣ إسناده صحيح " قاله أكرم العمري: السيرة النبوية ج ١ ص ١٧٤

عيسى : إذا سألكم عنه قالوا: نقول والله فيه ماقال الله وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن فلما دخلوا عليه وسألهم قال جعفر نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال فقال وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي من سبكم غرم فما أحب أن لي دبرا ذهبا وإني آذيت رجلا منكم " .(١)

ولاشك أن في هذا النص ما يشير إلى أن القول الحق في عيسى عليه السلام لم يعد واضحا عند جميع النصارى المعاصرين لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم ولقد أخبر عيسى عليه السلام من قبل أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو الذي سيشهد له بالقول الحق ، ففي بعض الأناجيل ما نصه : متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي " .(٢)

ولم يشهد للمسيح شهادة سمعها عامة الناس إلا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه أظهر أمر المسيح وشهد له بالحق ونزهه عما افتراه عليه اليهود وغلت فيه النصارى كما ورد فى كلام جعفر السابق الذى مصدره القرآن الكريم والحديث الصحيح على أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل كان النجاشي يدين بالمذهب الأريوسي؟

وقبل الإجابة على السؤال نؤكد على ما أشرنا إليه سابقا من أن الأريوسية- وبسبب جهود الأباطرة الروم ورجال الدين النصارى- قُضي عليها في جميع بلدان الشرق ماعدا الحبشة التي بقي فيها بعض أتباعها ، وإذا كانت جميع المذاهب النصرانية الأخرى ترفض القول بأن عيسى عبد الله ورسوله وتغلو فيه حتى تجعله إلاها من دون الله ، وأن أقلها غلوا تجعله ابنا لله ، فإن المذهب الأريوسي يؤكد على أن المسيح مخلوق بشر وليس إلها(٣) وإذا افترضنا أن النجاشي كان أريوسيا

---

(١) الرواية أيضا ضمن حديث أم سلمه الذي سبق تخريجه ص ١١٩ هامش (٣) ، ومعنى سيوم : آمنون ومعنى دبرا : جبلا

(٢) انجيل يوحنا : الإصحاح ١٥ : ٢٦

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٢ ص ٣١٤ ، ٣١٥

فإن مما يزكي هذا الافتراض أن جعفرا بن أبي طالب تلا عليه صدر سورة مريم وفيها القول الحق في عيسى عليه السلام، بل وفي الرواية الثابتة التي أشرنا إليها القول الفصل في حقيقة عيسى عليه السلام وقد ذكرها جعفر أيضا له وتذكر بعض المصادر أن هذا النجاشي كان من أعلم النصارى بما أُنزل على المسيح عليه السلام، وأن قيصر كان يرسل إليه علماء النصارى لتأخذ عنه العلم (١) ولم يستنكف ويستكبر عن قول الحق والإيمان بالله .

ويعاضد ما افترضنا ما نقل الطبري عن ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى هذا النجاشي بكتاب فيه أيضا القول الحق في عيسى عليه السلام(٢) ومن هنا لاعجب بعد هذه كله أن يظهر النجاشي عقيدته في المسيح والتي تتفق مع ما جاء به القرآن الكريم مما يجعلنا نرجح أنه كان أريوسيا يبطن تلك العقيدة، أما نخرة بطارقته وامتعاضهم لقوله فيبدو أنهم كانوا يدينون بأحد المذاهب النصرانية

---

(١) على برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٦٠

(٢) معظم كتاب السير والتاريخ يذكرون النجاشي الذي هاجر إليه جعفر وأصحابه ذكرا كثيرا ، وظاهر كلامهم أنه هو الذى أرسله إليه النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة إلى الإسلام والصحيح أن الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين كتب إلى الملوك قبيل فتح مكة هو غيرهذا النجاشي كما سيأتي بيانه لاحقا .

وقدذكر ابن إسحاق رواية ظاهرها إن صحت (أ)، أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب كتابا إلى النجاشي وبعثه مع المهاجرين إلى الحبشة (ب) أو بعثه حين أرسلت قريش وفدها إلى النجاشي(ج) ، انظر : نص الكتاب وجواب النجاشى عليه ملحق (١)

(أ) الرواية بلاإسناد وشك بعض الباحثين في صحتها ؛ لأن متنها تضمن كلمة "دع التجبر" التي تحمل معنى التهديد والوعيد ، انظر : عون الشريف : نشأة الدولة الإسلامية الطبعة الثانية (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠١هـ) ص ٩٥

وفى نظرى أن الشك يبقى محتملا في الكلمة فقط ولعلها تصحيف أو لفظة مقحمة من أحد الرواة .

(ب) المباركفوري : الرحيق المختوم الطبعة الأولى (مكة المكرمة الناشر رابطة العالم الإسلامي١٤٠٠ هـ-١٩٨٠ م) ص ٣٨٢

(ج) المقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢ وقال : " وهذا قول سعيد بن المسيب"

الأخرى، غير الأريوسية. ومن الطبيعي ـ تبعا لذلك ـ ألا يقروا مقولة ملكهم ولكن النجاشي لايبالي باحتجاجهم فنجده يخاطب المهاجرين قائلا: "مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله، وأنه الذي نجده في الإنجيل وأنه الرسول الذي بشر به عيسى انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون الذي أحمل نعليه وأوضئه " (١)

والجدير بالملاحظة أن المهاجرين قد تعرضوا لإيذاء سفهاء الأحباش في فترة وجود وفد قريش، ويبدو أن هذا الوفد هو الذي عمل على تحريش أولئك الأحباش بالمهاجرين لتقع بينهم فتنة تكون مبررا، وذريعة يحتج بها أولئك البطارقة عند النجاشي لطردهم. فقد رُوي أن النجاشي سأل المهاجرين فقال: "أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم. فأمر مناديا ينادي من آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم ثم قال أيكفيكم؟ قلنا لا قال: فأضعفوها"(٢) وفي رواية"من نظر إلى هؤلاء نظرة تؤذيهم فقد رغم أى فقد عصاني " .(٣)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٦١ ؛ والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦٢٢ وقال :' هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ' وسكت عنه الذهبي ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ١١ وقال : ' إسناده صحيح ' وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتاب ١٩٦٧م) ج ٦ ص ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ وقال فيه حديج بن معاوية وقد ضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات' .

وقال أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ١٧٤ ، : سنده ضعيف فيه حديج بن معاوية يصلح حديثه للاعتبار ، وفيه عنعنة ابن إسحاق وهو مدلس' وذكر أمورا في متنه لاتتعلق بما ذكرت .

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير تحقيق حمدي السلفي، الطبعة الثانية (الموصل مطبعة الزهراء الحديثة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م) ج ٢ ص ١١٠ ؛ والذهبي في السيرة النبوية ص ١٢١ ، الصالحي السيرة الشامية ج ٢ ص٥٢١ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ج ١ص٢٩١ ؛ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٣٢ ، ٣٣ ، فى إسناده أسد بن عمرو الكوفى ومجالد بن سعيد وكلاهما ضعيف وقد وثقا ، وانظر ايضا أكرم العمرى : المرجع نفسه ج ١ص١٧٥

(٣) البيهقى : دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٠٠ ، ولعل لفظة رغم تصحيف لكلمة غرم كما رواها الصالحى فى سبل الهدى والرشاد ج ١ ص ٥٢١ .

وفي رواية : وأمر لنا ــ يعني المهاجرين ــ بطعام وكسوة .(١)

ثم استدعى النجاشي وفد قريش فقال لعمرو بن العاص: أعبيد هم لكم؟ - يعني المهاجرين- قال لا؟ قال : أفلكم عليهم دين؟ قال: لا. قال: وهذه هديتكم مردودة عليكم، فانطلقا فوالله لاأسلمهم إليكما أبدا ولايكادون .(٢)

وهكذا أحبط النجاشي مخططهما وقطع الأمل عليهما في كل ما أرادا فخرجا من عنده مقبوحين لم يصلا إلى ما أمَّل قومهما من النجاشي وعادا إلى مكة .(٣)

أما المهاجرون فقد ألقى الله عليهم محبة النجاشي وعطفه- كما أشرنا- فأقاموا عنده بخير جوار وكان هذا بدافع إسلامه الذي أغضب بطارقته وأهل بلده ، ودفعهم إلى الخروج عليه ومقاتلته ؛ الأمر الذي جعله يخفي إسلامه ، ويواري عليهم ذلك لما هو فيه من الملك وما هم فيه من الكفر فيقول لهم: "يامعشر الحبشة؟ ألست أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى قال فكيف سيرتي فيكم؟ قالوا خير سيرة؟ قال فما لكم؟ قالوا فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد، وهو ابن الله، وهذا قول بطارقته الذين نخروا لما سمعوا القول الحق في عيسى ويبدو على هذا أنهم هم الذين قاتلوه، فقال النجاشي: " ــ ووضع يده على صدره (قبائه) وتحته كتاب كتب فيه هو يشهد أن لاإله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ــ هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . فظنوا أنه يعني قولهم ، وهو إنما يعني ما كتب تحت ردائه فرضوا عنه وانصرفوا " .(٥)

وهكذا ظهر خبر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به في الحبشة على إثر هجرة المسلمين إليها في العهد المكي، فآمن النجاشي، وبعض أصحابه الذين لانجد في

---

(١) البيهقي : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٠٠ وقال : ' إسناده صحيح ' .

(٢) الصالحي : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢١

(٣) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٥٤٩ ؛ المقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢١

(٤) انظر رواية حديث أم سلمة التي سبق تخريجها ص ١١٩ هامش (٣)

(٥) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٣٤٠ - ٣٤١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٩١ ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد ج ٢ ص ٥٢١

كتب السيرة والتاريخ شيئا يذكر عنهم في هذه الفترة الا خبرا واحدا انفرد بذكره ابن اسحاق وهو قوله: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فسألوه عما جاءه فتلا عليهم القرآن ففاضت أعينهم من الدمع، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام استجابوا لذلك فآمنوا به وصدقوه، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش ـ وكان قد سمع ما كان منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا: خيبكم الله من ركب بعثكم من ورائكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلا تطمئن مجالسكم عنده، حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحمق منكم، أو كما قالوا فقالوا لهم: سلام عليكم، لانجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا فنزلت فيهم الآيات ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ....﴾ إلى قوله: ﴿ .... لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(١)

قال ابن إسحاق قال الزهري : مازلت أسمع من علمائنا أنهن- أى الآيات- أنزلن في النجاشي وأصحابه)(٢).

---

(١) سورة القصص الآيات ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

(٢) سيرة ابن اسحاق ص ١٩٩ ، ٢٠٠ قال : " ويقال أن النفر من النصارى من أهل نجران والله أعلم أى ذلك كان " ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٠٦ ؛ النويرى : نهاية الارب ج ١٨ ص ١٤ ، ١٥ ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٣ ص ٢٩٠ ؛ ابن سيد الناس عيون الأثر ج ١ ص ١٢٩ ؛ ابن كثير السيرة النبوية ج٢ ص ٤٠ ، التفسير ج ٦ ص ٢٥٥ محمد بن أحمدالغرناطي : التسهيل لعلوم التنزيل ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي وآخرون (دار الكتب الحديثة بمصر) ج ٣ ص ٢٣٤ ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد ج٢ ص ٤٥٤ ؛ وحكى ابن الجوزى فى تفسيره زاد المسير فى علم التفسير ج ١ ص ٥٣٣ أن الآيات نزلت في مؤمني أهل الكتاب هو قول الجمهور ولا ينافي هذا ما ذكر في الرواية على راى الطبري الذي سبق الاشارة اليه ص ١٢٣ هامش (١)

ومعنى الحمق : قلة العقل ، ومعنى نأل أنفسنا خيرا : أى لم نقتصر بها عن بلوغ الخير

والثابت أن جمهور نصارى الحبشة لم يؤمنوا برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وبقوا على الكفر ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أنه قال: "..... ودخلت أَسماءُ بنت عُمَيس(١)_ وهى ممن قَدم مَعَنَا من الحبشة _ على حفصةَ(٢) زوج النبي صلى الله عليه وسلم زائرة فدخل عمر بن الخطاب رضى الله عنه على حفصة _ وأسماءُ عندها _ فقال عمرُ حينَ رأى أسماء: مَن هذهِ؟ قالت: أسماءُ بنت عُمَيس قال عمر آلحبشية هذه؟ آلبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سَبقناكم بالهجرةِ، فنحنُ أحقُّ برسولِ الله صلى الله عليه وسلم منكم، فغضبت وقالت: كلاَّ واللّه، كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَطعِمُ جائعكم ويَعِظُ جاهلَكم، وكنَّا في دارِ _ أو فى أرضِ _ البُعَداءِ البُغَضاءِ بالحبشة، وذلك في الله وفي رسولهِ صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم فقال لها :« ماقلت له » _ يعني لعمر _ قالت : قلتُ له كذا وكذا. قال : « ليسَ بأحقَّ بي منكم، ولهُ ولأصحابهِ هجرَةٌ واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » .(٣)

قال الحافظ ابن حجر: قولها البعداء البغضاء" كذا للأكثر جمع بغيض وبعيد(٤) وقال النووي قال العلماء: البعداء في النسب، البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي وأصحابه فقد كانوا يستخفون بإسلامهم عن بقية قومهم .(٥)

قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا

---

(١) أسماء بنت عميس الخثعمية صحابية تزوجها جعفر بن أبي طالب ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنهم وولدت لهم وهي أخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين) لأمها ماتت بعد على رضى الله عنه ، ابن حجر : تقريب التهذيب ج٢ ص ٥٨٩

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنها (أم المؤمنين) تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد خنيس بن حذاف سنة ٣ هـ وماتت سنة ٤٥ هـ ، ابن حجر : المصدر نفسه ج٢ ص ٥٩٤

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ح (٤٢٣٠) فتح الباري ج٧ ص ٥٥٤ ، مسلم في كتاب الفضائل، صحيح مسلم بشرح النووي ج١٦ ص ٦٥

(٤) ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٥٥٥

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٦٥

﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ......﴾(٢).

والراجح أن شدة تمسك أولئك المهاجرين بدينهم حال دون ذلك فقد قال بعضهم لبعض وهم في أشد موقف يمكن أن يهتز فيه الإيمان عندما أرسل إليهم النجاشي ليسألهم عن دينهم وما يقولون في عيسى: " نقول والله فيه ماقال الله وما جاء به نبينا كائنا في ذلك ما هو كائن " .(٣)

ولم يثبت البتة أن أحدا من الذين هاجروا إلى الحبشة اعتنق النصرانية حتى قصة تنصر عبيد الله بن جَحْش(٤) فإنه رغم شهرتها عند أهل السير والتاريخ(٥) إلا أن ذلك لم يصح، بل ورد ما يدل على أنه مات على الإسلام فقد روى الهيثمي عن الزهري قوله عن عبيد الله بن جَحْش: " فلما حضرته الوفاة أوصى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " .(٦)

وأخلص من هذا كله إلى أن هجرة بعض أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة قد أثبتت لنا حقيقة موقف النصارى في العهد المكي من الإسلام فقد أسلم البعض منهم لما عرفوا الحق، وامتنع الباقون عن الدخول في الإسلام إما بسبب جهلهم

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠٩

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٠ وهاتان الآيتان لايمنع سبب نزولهما من الاستدلال بهما على كل من يتناوله المعنى

(٣) من ضمن حديث أم سلمة الذي سبق تخريجه ص ١١٩ هامش (٣)

(٤) **عبيد الله بن جحش** بن رئاب الأسدي زوج رملة بنت أبي سفيان (أم حبيبة) تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هلك زوجها عبيد الله بأرض الحبشة ، انظر ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٨ ص ٣١

(٥) انظر مثلا : سيرة ابن هشام ق ١ ج ١ - ٢ ص ٢٢٣ ؛ ابن سعد الطبقات ج١ ص ٢٠٨ ابن عبد البر : الدرر ص ٢٢ ؛ ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٢٠٩ ، ٢١٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ١ ص ١١٦

(٦) الهيثمي : موارد الظمآن الى زوائد بن حبان تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة (بيروت : دار الكتب العلمية) ص ٤١٢ ، وإسناده حسن كما ذكره العمري في السيرة النبوية الصحيحة ج ١ ص ١٧٦ هامش (١)

بحقيقة الإسلام حينذاك أو أن دعوة الإسلام لم تبلغ إليهم ولاسيما وأنه لم يرد ما يشير إلى أن المهاجرين نشطوا في الدعوة إلى الإسلام في الحبشة في تلك الحقبة ؛ لأن إذن النبى صلى الله عليه وسلم لهم بالهجرة كان بهدف الفرار بدينهم من الاضطهاد الواقع عليهم وليس بهدف دعوة الأحباش إلى الإسلام كما هو صريح الحديث .

على أن الأمر الذي لاشك فيه هو أن نصارى الحبشة لم يظهروا في ذلك الحين عداء صريحا للإسلام وأتباعه فكان لهذا أثره في علاقات المسلمين معهم بعد ذلك كماسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى لاحقا.

وأخيرا فقد قال بعض الباحثين إن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يخف عطفه على النصارى في العهد المكي فقد سر بما أسفر عنه انتصار الروم من عدم هدم كنائسهم وبيعهم التي (يذكر فيها اسم الله)(١)

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو:

ما حقيقة هذا القول؟ وما مدى تأثير الحرب بين الروم والفرس زمن البعثة على العلاقات بين المسلمين والنصارى في العهد المكي؟

والاجابة على هذا هو ماسنعرضه في المبحث التالي.

---

(١) عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٢٧٩

أثرالحرب الرومية الفارسية على المسلمين زمن الرسول صلى الله عليه وسلم :

إن الصراع بين البشر سنة إلهية ثابتة منذ أن خلق الله البشر. يقول ابن خلدون :" اعلم إن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها الله ، وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ، ويتعصب لكل منها أهل عصبيته فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لاتخلو منه أمة ولاجيل ، وسبب هذا الانتقام في الأكثر إما غيرة أو منافسة، وإما عدوان، وإما غضب لله ودينه ، وإما غضب للملك وسعي في تمهيده "(١)

قال تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾(٢)

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣)

والصراع القديم بين الفرس والروم كان سببه التوسع والرغبة في السيطرة على منطقة الشرق الأدنى القديم التي تشكل قلب العالم قديما وحديثا، ونقطة الاتصال بين قاراتـــه الثلاث _ آسيا وافريقيا وأوروبا_ إضافة إلى التنافس بينهما على السيطرة على طرق التجارة العالمية التي تمر عبر هذه المنطقة (٤) واتخذت كلتا القوتين من الخلاف حول مناطق الحدود بينهما ذريعة - في الغالب- لشن تلك الحروب .

ولاشك أن العامل الديني لعب دورا مهما في سير الحرب الأخيرة التي دارت بين هاتين القوتين الكبيرتين كما سيأتي بيانه .

ولاشك أيضا أن هذا الصراع هو من قبيل صراع أهل الباطل بعضهم مع بعض،

---

(١) مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الرابعة (مكة المكرمة : دار الباز للنشر والتوزيع ١٣٩٨هـ _ ١٩٧٨م) ص ٢٧٠ ، ٢٧١

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٣) سورة الحج : آية ٤٠ .

(٤) انظر: فتحي عثمان: الحدودالإسلامية البيزنطية (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر) ج ١ ص ١١٤_ ١١٨

فإن الله عز وجل يسلط بعض الظالمين على بعض، فينصر من يشاء ويدفع شر الشرّين في النهاية بخيرهما حتى لاتفسد الأرض، والتاريخ الانساني ملىء بمثل هذه الحروب، التي تقع بين الأمم فتتغلب حينا وتنهزم حينا آخر.

ولكن مالذي جعل القرآن الكريم يولي حادثة غلبة الروم من الفرس، ونهاية الصراع بينهما تلك الأهمية البالغة؟

والإجابة على هذا هو موضوع الدراسة في هذا المبحث:

ففي سنة ٦٠٣م (أى قبل البعثة بسبع سنين) شرع كسرى أبَرْوِيز(٥٩٠-٦٢٨م)_ حفيد أنوشروان وابن الهرمز _ في مهاجمة حدود دولة الروم متخذا من مقتل صديقه وحميه الإمبراطور الرومي موريس(٥٨٢_٦٠٢م) ذريعة لذلك(١) واختار كسرى لقيادة جيشه المهاجم لأراضي الروم رجلا شجاعا فظيعا يدعى رومزان .Romizan. وأطلق عليه شهرباراز(٢) Sahrabora وتمكن كسرى وقائده في فترة ما بين سنة (٦٠٣-٦٠٨م) من الاستيلاء على آسيا الصغرى، وإقليم ما بين النهرين، وجزء من سوريا وعجز الروم عن صد الهجوم الفارسي على بلادهم(٣)

(١) التجأ كسرى ـ المذكور ـ إلى الروم بعد ثورة القائد الفارسي بهرام على والده وانتزاعه العرش الساساني منه واستنجد بملكهم موريس فأمده بالرجال والمال وزوجه ابنته مريم ، فعاد بذلك إلى بلاده ، وهزم بهرام وتقلد عرش فارس سنة ٥٩٠ م وقامت بين فارس والروم علاقات ودية طوال عهد موريس ٠
وفي سنة ٦٠٢م تمكن القائد العسكري الرومي فوقاس من الثورة على الإمبراطور موريس وقتله ، واستولى على عرش الروم ٠ وقيل : أنه لم يؤد الاحترام لكسرى كما جرت العادة بين ملوك فارس والروم الامر الذي زاد من غضب كسرى بعد مقتل صديقه موريس ٠ فعزم عند ذلك على مهاجمة إمبراطورية الروم ، وأنهاء العلاقات الودية معها ٠ انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص ٤٦٣ ؛ المقدسي : البدء والتاريخ جـ ٤ ص ١٥٨ ؛ لاغابيوس بن قسطنطين المنبجي : العنوان (بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٧م) ص ٣٣٠ ؛ ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية فى عهدهرقل (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٨٥م) ص ٤٤ ٠

(٢) رمز القوه والرجوله عند الفرس .

(٣) أومان : الإمبراطورية البيزنطية تعريب مصطفى طه بدر (دار الفكر العربى ١٩٥٣م) ص ١٠١ ؛ ليلى عبدالجواد : المرجع نفسه ص ٤٥ ـ ٤٨ ٠

وفي سنة ٦١٠م ثار هرقل(١) حاكم إفريقية على الإمبراطور الرومي فوقاس وقتله وتقلد ابنه هرقل(٢) حكم الروم في ١٥ أكتوبر سنة ٦١٠م.

والمتأمل في التاريخ الذي تولى فيه هرقل عرش إمبراطورية الروم ، يلحظ أن ذلك يوافق السنة التي بدأ فيها نزول الوحي على النبي صلى لله عليه وسلم حيث نزلت عليه صدر سورة اقرأ في غار حراء في رمضان الموافق شهر أغسطس ٦١٠م (٣) فإذا كان تولي الإمبراطور هرقل عرش الإمبراطورية يعتبر إيذانا بتغيير مجرى سير الحرب مع الفرس، فإن بدء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر إيذانا بتغيير مجرى التاريخ الإنساني بأكمله وتحويله من طريق الضلال إلى طريق الهدى والنور، وتحرير الإنس والجن من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وتخليص البشرية من جور الأديان إلى عدل الإسلام . (٤)

أرسل هرقل إلى كسرى يطلب منه المصالحة قائلا له: "إن فوقاس الذي قتل الإمبراطور موريس صديقكم، قتلناه نحن"، ويذكر أن هرقل أرسل بهدايا عظيمة إلى

---

(١) قيل أنه ربما انحدر من أصل أرميني ، تولى هرقل الأب ـ الولاية البيزنطية في شمال افريقية سنة ٦٠٧م ، وشارك في مؤامرة ضد الإمبراطور فوقاس ، أنتهت بإعتلاء ابنه هرقل عرش الامبراطورية .

(٢) لم يتميز هرقل الابن بعد تقلده حكم الإمبراطورية كثيراً عن أباطرة الرومان إلا باستعادته مجد المملكة الرومية وهزيمة الفرس ؛ ولكن الملاحظ أنه اتخذ الدين شعاراً له في حروبه ضد الفرس ؛ مع أن إيمانه بما يعتنق كان ضعيفاً فقد زنى بابنة أخته « مارتينا » عندما أرتبط بها بزواج غير مشروع تحرمه قوانين الكنيسة والإمبراطورية . انظر : عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية (الاسكندرية : الهيئة المصرية العامه للكتاب ١٩٧٧م) ص ٨٩ ؛ أومان : المرجع السابق ص ١٠١ ـ ١٠٢

(٣) المباركفوري : الرحيق المختوم ص ٧٥ ، وتجدر الأشارة إلى أنه من الصعوبة مطابقة التقويمين الشمسي الميلادي ، والهلالى الهجري على حوادث السيرة النبوية ؛ بسبب الاختلاف بين أهل السير فى ابتداء السنة الهجرية الأولى فمنهم من احتسب الأشهر التى سبقت ربيع أول وهو شهر الهجرة فاضاف سنة إلى تواريخ الحوادث التى فى عصر السيرة ، ومنهم من أهملها ، واعتبر أول بداية التقويم فأسقط سنة من تواريخ الحوادث ، الندوى : السيرة النبوية ص ٣١٧ ، ٣١٨ ؛ أكرم العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ج ١ ص ٣٢٠ ، ٣٢١

للمزيد من التفاصيل عن هذه النقطة : انظر على عودة : الحرب بين الروم والفرس في ضوء سورة الروم ص ٣-٥ ، وقد أعد الباحث هذا البحث للقاء الجمعية التاريخية السعودية في ٢٢/١٠/ ١٤١٣هـ ولكن أجل اللقاء ولم يتحدد بعد .

كسرى وعرض عليه دفع إتاوة سنوية كبيرة مقابل الصلح . (١)

وإذا كان هرقل لجأ إلى العروض الدبلوماسية مع الفرس لإدراكه مدى الضعف الذي أصاب الإمبراطورية، في ظل حكم سلفه فوقاس بحيث لم يعد لديـــها الجيش المدرب ولا الأموال اللازمة لصد هجمات الفرس(٢)، فضلا عن استعادة تلك الأجزاء الهامة التي فقدتها الإمبراطورية لحسابهم ، فإن كسرى أدرك هو الآخر ذلك فأجاب هرقل بقوله :" إنه لن يسالم النصارى مالم ينكروا المصلوب ويعبدوا الشمس" وفي عبارة أخرى :" لن أدعك حتى تتبرأ من هذا المصلوب الذي تقول إنه الله، وتخر ساجدا أمام الشمس" وأخذ الهدايا التي قدم بها الرسل، وأمر بقتلهم (٣)، وهكذا اتخذ كسرى الثاني من الدين ستارا يعمل من خلاله لإعادة توحيد أقاليم الهلال الخصيب تحت حكم الفرس، كما كانت في أيام أسلافه. القدامى كورش وأكزركسيس..ألخ، إلى جانب تحقيق حلم الأكاسرة الفرس في الحصول على منفذيطل على البحر المتوسط ، كي يتمكنوا من التحكم في الطرق التجارية . (٤)

ومهما يكن من أمر فقد قام الفرس في ربيع ٦١١م بهجوم عام على الروم تمكنوا فيه من الاستيلاء على معظم مدن الشام وخاصة انطاكية(٥) التي تعد من أكبر المدن في أعالي الشام، كما استولوا على بعض اجزاء آسيا الصغرى(٦)، وبهذا قطعوا طرق الاتصال البرية بين إمبراطورية الروم وبين بقية ممتلكاتها في بلاد الشام وأرمينيا ذات الأهمية العسكرية الكبرى للإمبراطورية .

---

(١) ليلى عبدالجواد : الإمبراطورية البيزنطية في عهد هرقل ص ٢٠٨ ؛ المنبجي : العنوان ص ٣٣١ ذكر خبر أنه هرقل طلب الصلح من كسرى فلم يجبه ٠

(٢) العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية ص ٣ ؛ بتلر : فتح العرب لمصر ترجمة محمد فريد أبوحديد الطبعه الثانيه (القاهره : مطبعة التاليف والترجمه والنشر ١٣٦٥ـ ١٩٤٦م) ص ٤٤ ؛ السيد الباز العريني : مصر البيزنطية ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ ٠

(٣) وسام عبدالعزيز فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية (مصر ١٩٨٢م) ص ١٥١ ؛ ليلى عبدالجواد : المرجع نفسه ص ٢٠٨ ؛ محمد سعيد عمران : معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (بيروت : دار النهضة العربية١٩٨١م) ص ٧٢ ؛ بتلر : المرجع نفسه ص ٤٤ .

(٤) وسام عبدالعزيز : المرجع نفسه ص ١٥١ ؛ السيد الباز العريني : المرجع نفسه ص ٣٨٥ ٠

(٥) **أنطاكية** : مدينة عظيمة تقع في شمال سوريا إلى الغرب من حلب على ساحل بحر الروم ، وهي قاعدة العواصم من الثغور الشامية ، كما أنها احدى كراسي بطارقة النصارى حيث يوجد بها احدى الكنائس النصرانية الرئيسية الاربع ، وتتبع اليوم جمهورية تركيا . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٧٠ ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان (باريس : ١٨٤٠م) ص ٢٥٧

(٦) انظر : عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٨٩ ؛ المنبجي كتاب العنوان ص ١٣١ ؛ وسام عبد العزيز : المرجع نفسه ص ١٥٠ ؛ ليلى عبد الجواد : المرجع نفسه ص ٢٠٨ ـ ٢١٠

حاول الإمبراطور هرقل استرداد سوريا، فسار على رأس جيشه إلى أنطاكية والتقى مع قوات الفرس في معركة دامية أمام أسوار أنطاكية عام ٦١٣م انتهت بهزيمته وانسحابه إلى القسطنطينية حيث تحصن بها ، وترك ماتبقى من قوات الروم في بلاد الشام ومصر وافريقية تواجه جحافل الفرس الغازية، التي سار بها القائد الفارسي شهرباراز بالفعل إلى دمشق فاستولى عليها وعلى معظم مدن الشام الساحلية سنة ٦١٣م ، ثم تحرك نحو بيت المقدس(١) ولاتورد المصادر التاريخية بعد هذا إلا حصار الفرس لبيت المقدس ، والاستيلاء عليها فيما بين أواخر عام ٦١٤م وأوائل عام ٦١٥م(٢) .

قال أهل التفسير عند تفسيرهم لقوله تعالى:﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ....﴾(٣) إن كسرى بعث جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وقيل " شهريار " وبعث قيصر رجالا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى " قطمة وقيل " يحنس " ، وقيل " بخين " فالتقيا فغلبت فارس الروم .

واختلفوا في المعنى وتحديد المكان في قوله تعالى : ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ فقالوا : المعنى في أقرب أرضهم من أرض العرب.

أما المكان الذي وقعت فيه على هذا المعنى فقد روى عطاء الخراساني(٤) أنه أذرعات وبصرى، وقال عكرمة: بأذرعات، وقال مقاتل: بالأردن وفلسطين ، وقال

---

(١) وسام عبدالعزيز : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية ص ١٤٩ ؛ حسنين ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص٦١ ؛ ليلى عبدالجواد : المرجع السابق٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٢٠

(٢) ذكر حمزة الأصفهاني في كتابه تاريخ سني الأرض والأنبياء عليهم السلام (بيروت : مكتبة الحياة ١٩٦١م) ص٦٩ ، إن استيلاء الفرس على بيت المقدس يوافق السنة الخامسة والعشرين من حكم كسرى أبرويز، وهي توافق النصف الثاني من سنة ٦١٤م ، والنصف الأول من سنة ٦١٥م ، وجعل بعض المؤرخين أن ذلك حدث سنة ٦١٤م بينما ذهب البعض الآخر أنه حدث سنة ٦١٥م والجمع بينهما كما ذكرت لايؤدي إلى إشكال .

(٣) سورة الروم : آية ١ ، ٢ ،٣ .

(٤) عطاء بن مسلم الخراساني : أبو عثمان صدوق يهم كثيراً ويدلس توفى سنة ١٣٥هـ ، انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب جـ ٢ ص ٢٣

ابن عباس وعكرمة وغيرهما بين أذرعات وبصـــرى وهي طرف من بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز.

وقال آخرون : المعنى في أقرب أرض الروم إلى فارس .

والمكان الذي وقعت فيه على هذا المعنى قال مجاهد : الجزيرة الفراتية ، وقال عكرمة : إنها وقعت بِكَسْكَر .(١)

وقال البعض : المعنى في أقرب أرض العرب منهم بحجة أن المعهود في ألسنتهم إذا أطلقوا الأرض أرادوا بهاجزيرة العرب ولم يتحدد على هذا القول مكان بعينه(٢)

وبغض النظر أولا عن الخلاف في مكان وقوع المعركة(٣) فإن دلالة ماذكره المفسرون تؤكد أن هناك موقعه فاصلة بين الفرس والروم حددت مصير بيت المقدس قبل حصاره والاستيلاء عليه ؛ لأنه من غير المعقول أن يترك الروم- بيت المقدس دون قوات دفاعية متقدمة للدفاع عنه وذلك نظرا لأهمية هذا المكان عند النصارى كافة وفي كل مكان فقد ارتبطت أصول الديانة النصرانية بتلك المدينة المقدسة ، وتجمعت بها ثروات ضخمة عبر القرون ، بسبب حب النصارى لها وعناية الأباطرة بتزيينها هذا إلى جانب أنه بسقوط هذه المدينة تسقط هيبة الإمبراطورية البيزنطية أمام العالم النصراني وأمام جيرانهم العرب . (٤)

---

(١) كَسْكَر : كوره واسعة بالعراق ، قصبتها واسط ، ومعناها عامل الزرع ، انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ص ٤٦١ .

(٢) انظر اقوال المفسرين فيما اشرنا إليه: الطبري : جامع البيان جـ ٢١ ص ١٤ ؛ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن(الهيئة المصرية للكتاب١٩٨٧م) جـ ١٤ ص ٤ ؛ الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (مصر : المكتبة التجارية الكبرى) ج ٥ ص١٦٧ ، ١٦٨ ؛ ابن كثير : تفسيرج ٦ ص ٣٠٧ ؛ الشوكاني : فتح القدير ج ٤ ص ٢١٤ .

(٣) يبدو أن اختلاف المفسرين في مكان وقوع المعركة يعود الى أن الفرس أنزلوا بالروم هزائم عديده متواليه كما رأينا في أرمينيا وأنطاكية وقيليقية وغيرها .

(٤) السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية (بيروت : دار النهضة العربية ١٩٨٢م) ص ١١٨ ، ١١٩ ؛ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص ٩٠ ، ٩١ ؛ ليلى عبدالجواد : المرجع السابق ص٢١٣

ويذكر بعض المؤرخين(١) أن أهل مدينة بيت المقدس عقدوا اجتماعا مع البطريرك زكريا - بطريرك بيت المقدس- ورفضوا مصالحة الفرس، فما كان من البطريرك إلاّ أن أمر بجمع عساكر الروم ليكونوا لهم عونا في حربهم للفرس، ولانستبعد أنهم خرجوا لملاقاة العدو خارج بيت المقدس ، وأن المكان الذي وقعت فيه المعركة التي غلب فيها الروم من الفرس وأشار إليها القرآن الكريم ؛ هو شرق فلسطين في منطقة الأغوار عند بحيرة طبرية أو البحر الميت فهي أولا: على طريق سير قوات الفرس من دمشق إلى بيت المقدس .

وثانيا:أنها تقع بين أذرعات وبصرى حيث ذكر ابن عباس أن المعركة وقعت بين هاتين المدينتين وثالثا: فقد أثبت العلم اليوم أنها أخفض بقعة على سطح الأرض(٢) ويكون معنى قوله تعالى:﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ هو ذلك، وهذه معجزة عظيمة للقرآن الكريم في هذا الخبر والله أعلم.

وعلى ذلك يبدو أن الفرس أحرزوا انتصارا كبيرا في تلك المنطقة على الروم، ثم حاصروا مدينة بيت المقدس نحو تسعة عشر يوما، وبعد معارك طويلة نجح الفرس الوثنيون في الاستيلاء ولأول مرة على هذه المدينة المقدسة فأظهروا حقدا دفينا على النصارى، حيث أبادوا خلال ثلاثة أيام عددا كبيرا منهم قدره المؤرخون بما يتراوح ما بين سبعة وخمسين ألفا إلى تسعين ألفا، وأسروا ما يقدر بخمسة وثلاثين ألفا، وأشعلوا النيران في المدينة ، وقامو بتخريب الكنائس والهياكل، وأضرموا النيران في كنيسة القيامة ، وكنيسة القديس ستيفن، ونهبوا الكنوز التي أوقفت على الكنائس وأجبروا عددا من رجال الدين على الادلاء بمكان صليب الصلبوت وهو في نظر النصارى _ والذي يزعمون أن المسيح عليه السلام صلب عليه _ من أقدس المخلفات الدينية - وقد عذبوهم حتى دلوهم عليه فأخذوه وحمل مع ما وجد في المدينة من كنوز إلى كسرى ، بالإضافة إلى آلاف الأسرى ، وقد هرب كثير من النصارى من بيت المقدس إلى مصر، وعم النصارى قاطبة شعور عميق بالأسى والحزن ..

---

(١) ليلى عبد الجواد: المرجع السابق ص ٢١٤ نقلا عن المؤرخ البيزنطي المعاصر الأنبا اسطراط

(٢) انظر : كتاب أنه الحق ، اصدار هيئية الاعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة (رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمة) الحلقة العاشرة (أخبار كونية جغرافية) ص ٦٨-٧٠

لما حدث في مدينة بيت المقدس، وبخاصة نقل صليب الصلبوت إلى فارس(١) .

وهكذا بدت خسارة الروم للشام وبيت المقدس كبيرة ومصيبتهم فادحة وكان لذلك دوي هائل في جميع أنحاء العالم النصراني ، بل وفي بلاد العرب أيضا حيث نجد أثر تلك الخسارة في مكة حين بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يعاني من تكذيب قومه له، واضطهادهم لأصحابه ، فلما بلغت تلك الأنباء مكة اتخذ المشركون من تلك الهزيمة التي حلت بالروم وسيلة للشماتة بالمسلمين الذين كانوا يتعاطفون مع الروم لأنهم أهل كتاب ، في حين كان المشركون يميلون إلى الفرس لأنهم أهل أوثان وقد أوضح القرآن الكريم في أوائل سورة الروم أن هزيمة الروم ليست إلا جولة في حرب طويلة سيكون النصر في نهايتها للروم (٢)، ومعلوم أن سورة الروم مكية بلا خلاف(٣) وأن سبب نزولها أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، لما بلغهم هزيمة الروم ، وانتصار الفرس شق ذلك عليهم ، وفرح المشركون بذلك ، وذلك ؛ لأن الروم أهل كتاب والفرس أهل أوثان(٥) وأمر طبعي في أن أى طائفة من الناس تشترك في بعض الأمور ، كالعقيدة ، أو التجارة ، أو الأرض ، يسر أفرادها إذا انتصروا على عدو لهم ينافسهم في شيء أو يحاول القضاء عليهم ، ويحزنون إذا

---

(١) انظر ماورد عن استيلاء الفرس على بيت المقدس : الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ١ ص ٤٦٦ ، أورد الخبر وأخذ خشبة الصليب بأختصار وأختلاف يسير ؛ العريني : الدولة البيزنطية ١١٨ ، ١١٩ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٦١ ؛ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٩٠ ، ٩١ ؛ وسام عبدالعزيز : المرجع السابق ص ١٥٠ .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن الأثر الذي احدثه سقوط بيت المقدس بايدي الفرس ، انظر : علي عودة : الحرب بين الروم والفرس في ضوء سورة الروم ص ١٠ ـ ١٦ .

(٣) ليلى عبد الجواد: المرجع السابق ص ٢١٢ ، ٢٢٠

(٤) القرطبي : الجامع لإحكام القرآن جـ ١٤ ص ١

(٥) أخرجه الأمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٢٧٦ ، ٣٠٤ ، والترمذي في أبواب التفسير ، باب تفسير سورة الروم ح (٣٢٤٥ ، ٣٢٤٦) تحفة الأحوذي جـ ٩ ص ٥١ ، ٥٣ وقال حديث حسن صحيح غريب ؛ الواحدى : أسباب النزول ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ؛ والحاكم فى المستدرك ج ٢ ص ٤١٠ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ٠

انهزموا وانتصر عدوهم ، بل أنهم ليودون أن ينتصر من هو أقرب إليهم في العقيدة وغير ذلك على من هو أبعد ويتطلعون لأخباره.

ولاشك أن النصارى الروم أقرب إلى دين الله من المجوس الفرس ، وأن هدم معابد النصارى على أيدي الفرس - الذين هم شر منهم - هو فساد ولو كان بعد النسخ والتبديل، (١) ؛ لأنه يذكر فيها اسم الله والله يحب أن يذكر اسمه .

قال الضحاك(٢) : إن الله يحب أن يذكر اسمه وإن كان يشرك به ، يعني أن المشرك به خير من المعطل الجاحد الذي لايذكر اسم الله بحال(٣)

ولاشك أن غلبة الروم وانتصار الفرس من أهم الحوادث العالمية المعاصرة لفترة البعثة النبوية ، وأن له أثرا على حياة العرب في جزيرتهم رغم استقلالهم المحدود، وقد كشفت لنا كتب السيرة والتفسير جانبا من ذلك فقد فرحت قريش في مكة بانتصار الفرس وشمتوا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أنتم والنصارى أهل كتاب ولو قاتلتمونا لنظهرن عليكم كما ظهرت فارس على الروم .(٤)

وهذا الأثر الذي أحدثه انتصار الفرس على الروم على شعور المشركين في مكة يوضح لنا من الحقائق مايلى :

أولا : شدة عداوة المشركين للمسلمين في مكة لدرجة أنهم وجدوا في انتصار الفرس

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ٢٧٣ .

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي ـ الخرساني ـ تابعي جليل ، إمام في التفسير وثقه الأمام أحمد وضعفه يحي بن سعيد القطان توفى رحمه الله سنة ١٠٥هـ انظر ابن كثير : البدايه والنهايه ج ٩ ص ٢٢٣ ؛ ابن حجر : تقريب التهذيب ج ١ ص ٣٧٣ .

(٣) ابن تيمية : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٧١

(٤) انظر : الطبري : جامع البيان جـ ٢١ ص ١١ ـ١٥ وقد أورد في ذلك رويات عديدة بأسانيد متعددة ، تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ٤٦٧ ـ ٤٦٩ ؛ أبو نعيم الاصبهانى : دلائل النبوة جـ ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ٣٣٠ ومابعدها ؛ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق . (دمشق : مطبوعات المجمع العلمي العربي ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م) مجلد ١ ص ٣٥٦ وما بعدها ؛ القرطبي : المصدر السابق جـ ١٤ ص ١ ـ ٢ ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ٨٨ ـ ٩٠ ؛ الذهبي : السيرة النبوية ص ١٤٥ ـ ١٤٧ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٢ ص ٩١ ، ٩٢ ؛ السيوطي الدرر المنثور في التفسير بالمأثور (بيروت : دار المعرفة) جـ ٥ص١٥٠ ـ١٥٢ ؛ الصالحي : سبل الهدى والرشاد جـ٢ ص ٥٦٠ ومابعدها .

الوثنيين وسيلة للتشفي من المسلمين في وقت كانت فيه مصالح قريش وتجارتها أشد ارتباطا بالروم في بلاد الشام منها مع الفرس مع ما ينطوي عليه استيلاء الفرس على الشام من تهديد مباشر لتجارة قريش بل على استقلالها أيضا، إذ أن سيطرة الفرس الدائمة على الشام بالإضافة إلى اليمن الواقعة فعلا تحت هيمنة الفرس يجعل من قريش وسائر جزيرة العرب واقعة بين فكي كماشة ويجعل استقلال العرب جميعا مهددا من جانب الفرس.ومع كل هذه الأخطار المحتملة فإن المشركين تغاضوا عنها وأعلنوا ابتهاجهم بانتصار الفرس وهزيمة الروم لإغاظة المسلمين وتبديد آمالهم في انتشار دعوة الحق. (١)

ثانيا :إدراك المشركين في مكة بأن تلك الحرب الكبيرة بين الفرس والروم قد طفحت بالمشاعر والدوافع الدينية و أن المنتصر فيها يعني- من وجهة نظرهم- تفوق عقيدته وديانته على عقيدة وديانة خصمه-، فاعتبروا انتصار الفرس دليلا على أن عقيدة قريش الوثنية هي التي ستتغلب على دعوة الإسلام في النهاية. هكذا كانوا يأملون وهكذا كانوا يمكرون قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾(٢).

ولكن ماالذي شق على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لما بلغهم الخبر؟

قال المفسرون والمحدثون : لأن الهزيمة وقعت على النصارى وهم أقرب إلى المسلمين في الاعتقاد ، ولأنهم أهل كتاب ونبوة وتصديق بالبعث مثلهم . (٣)

صحيح أن النصارى خير من الفرس وأقرب إلى دين الله منهم ولكن شتان بين ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أصول الدين الحق وبين ما كان عليه النصارى في تلك الفترة. يقول ابن القيم عنهم: " والمثلثة" أمة الضلال وعباد الصليب الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه إياها أحد من البشر ولم يقروا بأنه الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، ولم يجعلوه أكبر من

---

(١) علي عودة : المرجع السابق ص ١٧

(٢) سورة الأنفال : آية ٣٠

(٣) علي عودة : المرجع السابق ص ١٧ - ١٨

كل شيء، بل قالوا فيه ما ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾(١) فقل ما شئت في طائفة أصل عقيدتها أن الله ثالث ثلاثة، وأن مريم صاحبته، وأن المسيح ابنه، وأنه نزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى إلى أن قتل ومات ودفن..." (٢)

وقد مر بنا في التمهيد تفاصيل التحريف الذي طرأ على الديانة النصرانية الحقة ؛ ولذا فإن تلك الحرب بين الفرس والروم هي في حقيقتها حرب بين دولتين كافرتين . ولاعهد ولاحلف يربط المسلمين بهم، فلا مصلحة إذن في انتصار إحداهما على الأخرى إلا بالقدر الذي يخدم دعوة الحق في نهاية المطاف، والفرس أهل أوثان كالمشركين، ويخشى من شرهم في مناهضة الإسلام والمسلمين بذلك الانتصار، ولربما تمنى المسلمون غلبة الروم على فارس لإغاظة المشركين بذلك ، وردا على شماتتهم التي أظهروها حين سمعوا بانتصار الفرس ، هذا إلى جانب أن صفات النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته والبشارة به موجودة عند أهل الكتاب وهم يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، ويؤمل المسلمون أنهم سوف يؤمنون بنبي الإسلام ويتبعونه متى بلغتهم الدعوة فهم إذن يرجون مالايرجى المجوس وغلبة المجوس عليهم يعني هزيمة من سيكونون شهداء لصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصار لدينه إذ أخذ عليهم العهد والميثاق ليؤمنن به ولينصرونه، ومهما يكن من أمر فقد ذكر الصحابة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٥ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(٤)

---

(١) سورة مريم : آية ٩٠

(٢) ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٨ .

(٣) سورة الروم : آية ١ ـ ٧ ؛ غلبت الروم : بضم الغين قراءة عامة قراء الأمصار والجمهور. والمعنى كما بينا في ذلك الحادث أن فارس غلبت الروم ، وهذا هو الصواب الذي لايجوز غيره لاجماع الحجة من القراء عليها ، ولشهادة الواقع التاريخي التي هي أعلى الشهادات على ذلك . انظر، الطبري : جامع البيان جـ ٢١ ص ١١ .

وخرج أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو موقن بتحققها يقرؤها بمَكَّة رافعا بها صوته فقال له رؤوس أهـــل مكة من المشركين : " ما هذا يا ابن أبي قحافة لعله مما يأتي به صاحبك؟ قال لا والله ، ولكنه كلام الله وقوله تبارك وتعالى ، قالوا فذلك بيننا وبينك إن ظهرت الروم على فارس في بضع سنين " فراهنهم أبو بكر ، وذلك قبل تحريم الرّهَان على انتصار الروم على فارس دون التسع (١) .

هذه القصة مشهورة متواترة عند أهل التفسير والسير والحديث والفقه(٢)، والخلاف الواقع بين رواياتها فقط في مقدار الرهان والبضع وتحقق الوعد كما أخبر به القرآن مما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

هكذا أخبر القرآن الكريم بما هو آت من الغيب في ذلك الصراع بين الفرس والروم فقال تعالى :﴿ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ ﴾ قال بعض المفسرين المعنى هنا يتضمن ذكر غلبهم مرتين (٣) فيكون ما ذكرنا سابقا هو الغلبة الأولى، ومتابعة الفرس لانتصارهم بعد الاستيلاء على بيت المقدس وذلك في حوالي نهاية خريف أو شتاء عام ٦١٦م ، حيث شرعوا في المسير بقيادة شهرباراز نحو مصر فدخلوها وتمكنوا من الاستيلاء عليها كما استولوا أيضا على الإسكندرية(٤) فكان لهذا الحادث وقع شديد على الروم ، فالإسكندرية كانت مركزا ثقافيا كبيرا فضلا عن كونها ميناء عظيما على البحر المتوسط ، كما أن مصر كانت مخزن غلال القسطنطينية ، وبضياعها توقفت إمدادات القمح المصري مما كان له أبلغ الأثر على الأحوال الاقتصادية في العاصمة البيزنطية (٥) وفي أثناء استيلاء الفرس على مصر، دخل جيش فارسي آخر آسيا الصغرى تحت قيادة شاهين ونجح في الوصـــول إلى

---

(١) سبق تخريج الحديث ص ١٣٩ هامش (٥)

(٢) سبق الإشارة إلى بعض المصادر التي ذكرتها ص ١٤٠ هامش (٤)

(٣) أبو حيان : البحر المحيط ، الطبعة الثانية (بيروت : دار الفكر ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م) جـ ٧ ص ١٦١ .

(٤) الطبرى : تاريخ الرسل الملوك ج ١ص ٤٦٦ ؛ بتلر : فتح العرب لمصر ص ٥٦ ـ ٥٧ ؛ المنبجى : العنوان ٣٣١

(٥) العرينى : الدولة البيزنطيه ص ١١٩ ؛ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ، ٩١

خريسبوليس Chrysoupalis (سكوتارى الآن) بل واستطاع أن يقيم معسكره في خلقدونية، التي تقع على بحر مرمرة بالقرب من البوسفور، في مواجهة العاصمة الرومية ذاتها.(١)

ولقد حاول الفرس عبور مضيق البوسفور، والاستيلاء على العاصمة القسطنطينية ولكنهم فشلوا في ذلك(٢)، ومع ذلك فقد ظلت المخيمات الفارسية منصوبة أمام عاصمة الروم إلى ما يقارب عشر سنوات(٣)، فعاش الروم المقيمون بها في قلق حرب مع الفرس .

وهكذا انحصرت رقعة إمبراطورية الروم في أسوار القسطنطينية وأجزاء من اليونان وجنوب إيطاليا وأفريقيا ، وفي عدة مدن ساحلية متناثرة من صور إلى طرابزون(٤) وهذا يوضح مدى الانتصار العظيم الذي حققه الفرس والانهزام الشديد الذي وقع على الروم في الغلبة الأولى ٦١٥م ، والغلبة الثانية(٥) التي حددها المؤرخون فيما بين ٦١٩م- ٦٢٠م، والتي توافق السنة العاشرة من البعثة وفيها تغلب محمد

---

(١) المنبجي : العنوان ص ٣٣١ ؛ عمر كمال : المرجع السابق ص ٩١

(٢) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٣) الندوى : نبوّة تتحدى ومعجزة تتحقق (مجلة البعث الاسلامى : الهند عدد ٤ مجلد ١٥ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م) ص ١٥ ، نقلاً عن المؤرخ جيبون فى كتابه سقوط الإمبراطورية الرومانية واضمحلالها .

(٤) **طرابزون** : مدينة تقع في الزواية الجنوبية الشرقية للبحر الأسود على ساحل تكثر فيه التلال ويفصله عن باقي أسيا الصغرى وارمينية سلسلة من الجبال المرتفعة وكانت في القرون الأولى من تاريخ النصرانية مدينة من مدن الحدود عظيمة الأهمية لدولة الروم قيل سماها العرب طرابزندا وطرابزنده ، كانت من أجل ميناء تجلب إليها السلع من القسطنطينة في صدر الدولة العباسية وتحمل منها إلى بلاد الإسلام ومما يدل على شهرتها وعظم شأنها في ذلك الزمن أن البحر الأسود كان يعرف باسم بحر طرابزندة ، على أن اسمه الرسمي كان بحر بنطس. انظر : كي لسترنج : المرجع السابق ص ١٦٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٢ ص ٣٠٢-٣٠٨ مادة أطرابزندة ؛ وانظر الخبر : الندوى: المقال السابق ص ١٦

(٥) ذكر المقدسي أن نزول الآيات الواردة في خبر غلبة الروم من الفرس كانت في السنة الحادية عشر من النبوة وهذا يتفق الى حد كبير مع الغلبة الثانية، البدء والتاريخ جـ ٤ ص ١٥٨ وذهب الديار بكري الى أنها نزلت في السنة الثامنة من النبوة وهذا أيضاً يتفق مع الغلبة الثانية ، تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٢١ ، ٢٢٢

صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المحنة التي فرضها عليهم المشركون (١) حيث خروجوا منها بلا توقف أو ضعف أو تنازل عن الاستمرار في دعوة الحق الهادفة إلى تحقيق العبودية لله وإصلاح الحياة البشرية في جميع جوانبها الفردية والاجتماعية فى كل زمان ومكان وهذا هو الانتصار الحقيقي الذي ينبغي أن يسجله التاريخ .

أما النهاية التي ستئول إليها الحرب بين الفرس والروم فقد أنزل الله على رسوله خبر الغيب فيها، فقال تعالى : ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ ....﴾(٢)

وهذه هي نبوءة القرآن والمعجزة العظيمة والآية البينة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن من عند الله تعالى.

إن إخبار القرآن الكريم بأن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين سواء بعد غلبتهم في المرة الأولى أو الثانية يبدو أمرا شبه مستحيل في مثل تلك الظروف غير الملائمة ، بل إن العلامات الظاهرة والقرائن الموجودة والقياسات الإنسانية والتوقعات البشرية تظهر أن إمبراطورية الروم في طريقها إلى السقوط والاندثار لقد صدّق

---

(١) وهي مقاطعة قريش لعشيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ بني عبد المطلب وبني هاشم مسلمهم وكافرهم ـ وأصحابه ، بسبب دخولهم شعب بني هاشم (يقع شرقي المسجد الحرام) لحمايته عليه الصلاة والسلام فيه ، وقداستمرت منذ دخولهم الشعب في المحرم سنة سبع من المبعث الموافق ٦١٧م حتى قام رجال من قريش على رأس ثلاث سنين من ذلك بنقض صحيفة المقاطعة التي علقوها في الكعبة والتي تنص على ألايجالسوهم ، ولايبايعوهم ، ولايدخلوا بيوتهم ، ولايناكحوهم ولاينحكوا إليهم ، ولايقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل انظر : ابن إسحاق السير والمغازي تحقيق سهيل زكار ص ١٥٦ـ ١٥٩ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٢ ص ٣١١ـ٣١٤ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ٢ ص ٤٣ـ٥١ ؛ ابن حجر : فتح الباري جـ ٧ ص ٢٣١

(٢) سورة الروم : آية ٢ ، ٣ .

المسلمون (١) حينذاك وهم قلة وآمنوا بالغيب بوعد الله في ذلك الخبر، وعجز أكثر الناس وهم المشركون عن تصديقه قبل وقوعه، لأنه لم يسعهم قياس ذلك بعلمهم الظاهر وتجاربهم السابقه

لقد راهن (٢) أبو بكر الصديق المشركين- وذكرت بعض الروايات أن الذي تولى الرهان منهم هو أبي بن خلف _ وذلك لإيمانه الراسخ بأن الله لايخلف الميعاد ولكن الله قال في بضع سنين، وأبقى عنده علم السنة والشهر . واليوم والساعة، ولربما أخبر بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولكن ما أذن له من إظهارها، إذ أنه لم يرد البتة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حددلأصحابه حين مجادلة قريش لهم في ذلك الخبر سنة بعينها.

يقول الإمام الفخر الرازي عن بعض الحكمة في ذلك: " أبهم الوقت مع أن المعجزة في تعيين الوقت أتم . فنقول السنة والشهر واليوم والساعة كلها معلومة عند الله تعالى وبينها لنبيه وما أذن له في اظهارها لأن الكفار الله كانوا معاندين والأمور التي تقع في البلاد النائية تكون معلومة الوقوع بحيث لايمكن إنكارها، لكن وقتها يمكن الاختلاف فيه فالمعاند كان يتمكن من أن يرجف بوقوع الواقعة قبل الوقوع ليحصل الخلف في كلامه "(٣)

ومن هنا فمراهنة أبي بكر كانت تحريا واجتهادا منه يقع فيها الإصابة والخطأ اما الخلاف الواقع بين الروايات الواردة خول ذلك، فالظاهر بعد التأمل أنه يمكن الجمع إلى حد ما بين بعضها بما يوافق وقائع التاريخ لذلك الحادث حسب ما ورد في كتب المؤرخين لدولة الروم .

أورد الترمذي بسند عن ابن عباس قوله عن مراهنة أبي بكر بعد نزول تلك الآيات "فجعل أجلا خمس سنين- ولم يذكر مقدار الرِّهان ولعله كان خمس قلائص(٤)

---

(١) الذهبي : السيرة النبوية ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(٢) قبل تحريم الرهان : الذهبي : المصدر نفسه ص ١٤٦ ، ١٤٧

(٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢٥ ص ٩٦

(٤) القلائص: مفرده قلوص وهي الناقة الشابه. انظر : الصالحي : السيرة الشامية جـ ٢ ص٦٢

أو عشر قلائص ـ كما ذكرته بعض الروايات- فلم يظهروا (١)

هذا صحيح موافق لواقع الحادث كما مر بنا، فغلبة الروم على يد الفرس كان سنة ٦١٤ أو ٦١٥م وفي سنة ٦١٩ أو ٦٢٠ م - أى بعد خمس سنين وقعت غلبة أخرى على الروم من الفرس كما بيناه أيضا .

قال الترمذي: فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم- أى بعد خمس سنين من وقوع الحادث وذلك لأنه أورد في الرواية الأخرى القول: فمضت ست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر" (٢)، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا جعلته إلى دون قال: أراه العشر » قال : قال سَعِيدُ (٣) والبضع ما دون العشر" وفي رواية فقال له : « هلا احتطت، أفلا جعلته دون العشر ، زايدهم في الرهان ومادّهم في الأجل »(٤) ، ويبدو أنه فعل ذلك فمدّ الأجل وجعل الرهان مائه قلوص(٥)، ولا غرابة أن تقبل قريش بذلك، وقد ذكرنا أن مملكة الروم في تلك الفترة بدأت وكأنها تلفظ أنفاسها.

وبهذا يكون ذلك رهانا ثانيا.

فأظهر الله الروم على فارس عند رأس تسع سنين من رهانهم الأول حسب ما ذكر مجاهد والشعبي(٦) ويوافق يوم بدر كما قالت به طائفة كبيرة من العلماء كابن عباس والثَّوْرِيِّ(٧) والسدى وغيرهم ، بل ويوافق هذا الواقع التاريخي للحادث كما سيأتي .

(١-٢) أخرجه الترمذي في باب التفسير سورة الروم ح (٣٢٤٥ ـ ٣٢٤٦) وقال :' حديث حسن صحيح غريب ' تحفة الأحوذي جـ ٩ ص ٥١ ـ ٥٤ ·

(٣) **سَعِيدُ** : هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الكوفي تابعي من الفقهاء والعلماء الصالحين الثقات قتله الحجاج والى بني أمية سنة ٩٥هـ انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ١١ ـ ١٤ ·

(٤) الحديث سبق تخريجه آنفاً هامش (١ ـ ٢) .

(٥) الخازن : لباب التأويل وبهامشه تفسير البغوي جـ ٥ ص ١٦٧ ·

(٦) **الشعبي** : هو عامر بن شراحيل الشعبي قال عنه ابن حجر : « ثقه مشهور فقيه توفى سنة ١٠٣هـ · انظر ، ابن حجر : المصدر نفسه جـ ١ ص ٣٨٧ ·

(٧) **الثوري** : هو سُفيان بن سعيد مسروق الثوري نسبة الى ثور أحد أجداده ولد سنة ٩٧هـ ، وكان إماماً من أئمة المسلمين في الفقه والحديث ، ثقة حجة ثبت توفى سنة ١٦١هـ · انظر ابن سعد : الطبقات جـ ٦ ص ٣٧١ ، ٣٧٤ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٣٤ ·

أمّا قول القشيري(١):" والمشهور في الروايات أن ظهور الروم كان في السابعة من غلبة الفرس " فيحمل على الغلبة في المرة الثانية والرهان الثاني، فقد أظهر الله تعالى الـروم على الفرس(مرة ثانية) فى بضع سنين عام الحُدَيْبِيَة (٢) قاله عكرمه والزُّهْرِيُّ (٣) وقتاده وغيرهم ، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(٤)٠

وأخذ أبو بكر - على هذا - مال الخطر من ورثة أبي بن خلف فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا السحت تصدق به(٥)

وإذا أمعنا النظر في واقع انتصار الروم على الفرس وجدنا أن انتصارات الروم على الفرس بدأت سنة ٦٢٣م أو ٦٢٤م واستمرت على مدى بضع سنين أيضا ست سنوات أو خمس سنوات من ٦٢٣ أو ٦٢٤م حتى احتفل هرقل بانتصاره الأخير واسترداده صليب الصلبوت سنة ٦٢٩م .

وهذا عرض مجمل لهذا الحادث الذي تحول فيه المغلوب إلى غالب في بضع سنين كما ورد في كتب المؤرخين لدولة الروم .

بادىء ذي بدء فالحق أن ظرف أربعة أعوام بعد انهزام ساحق مدة قليلة لاتكفي لانتعاش أمة مغلوبة ومملكة مندحرة ولذلك نرى في قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ... ﴾(١) إشارة صريحة إلى أن الله قادر على كل شيء في كل حين،

---

(١) **القشيري** : هـو بكر محمد بن العلاء ابو الفضل عـالم بالحديث والتفسير من أهـل البصرة توفى سنة ٣٤٤ هـ ، نظر : عادل نويهض : معجم المفسرين ج ١ ص ١٠٩ .

(٢) **الحُدَيْبِية** : اسم بئر تقع على بعد٢٢ك . م إلى الشمال الغربى من مكة المكرمة وتعرف الآن بالشميسى ، انظر : محمد الحكمى: مرويات غزوة الحديبية الطبعة الأولى (دار ابن القيم ١٤١١هـ) ص٢٠، ٢١ وقد وقعت عندها الغزوة التى عرفت بالحديبية وذلك فى ذى القعدة سنة ست بلا خلاف ٠ انظر ، ابن كثير : السيرة النبوية ج٣ ص ٣١٢

(٣) هو **محمد بن شهاب الزهري** القرشي أول من دون الحديث تابعي من الحفاظ الثقات توفى سنة ١٢٥هـ انظر ، ابن حجر : تقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٠٧

(٤) الغريب أنه حدد غلبة الروم على يد الفرس في أوائل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ انظر : الجواب الصحيح ج ١ ص ٨٨ ٠

(٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق م ١ ص ٣٥٨ ؛ القرطبي : الجامع لاحكام القرآن ج ١٤ ص٣؛ ابن كثير: تفسير ج ٦ ص ٣٠٦ ؛ السيوطي : الدرر المنثور ج ٥ ص ١٦٤

(٦) سورة الروم : آية ٤

فهو سبحانه يستطيع أن يجعل الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا من غير تأخير، ولا تقيد بالوقت والظروف ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢)

ومن هنا فإن غياب هذه الحقيقة عن أنظار مؤرخي أوروبا لهذا الحادث جعلهم يتخبطون في تأويل ما طرأ على هرقل من أحوال وتغيرات في بدء الأمر ونهايته، والانتفاضة التي حدثت له بين العهدين، ونقصد بها ما نحن بصدده، فبعد أن بلغ به اليأس مبلغه، وجبن عن مواجهة الفرس، واستعد لترك القسطنطينية والعودة إلى إفريقية، شاء الله تعالى أن يحقق وعده فأظهر من الأسباب ما تغير به الموقف، فقد تجمهر شعب القسطنطينية وبطريركهاسرجيوسSerjius حول أبواب القصر الإمبراطوري رافعين أيديهم إلى النوافذ مطالبين الإمبراطورألا يتركهم وأكثر من ذلك أنهم كانوا يهددون باستخدام العنف من أجل بقائه، فلبى الإمبراطور طلبهم وأقسم يمينا بصوت مرتفع أمام محراب كنيسة آياصوفيا(٢) بأن موته وحياته مع الذين أكرمهم الله برعايتهم، ومقابل هذا استجاب سرجيوس بطريرك القسطنطينية لطلب الإمبراطور فى تقديم الكنيسة ثرواتها لتغطية نفقات الحرب ضد الفرس(٣). وهذا يحدث لأول مرة في تاريخ الروم أن توضع ثروات الكنيسة في خدمة الحرب، وأصبح هذا عادة سارية فيما بعد، بل يمكن القول أن كل القيادات النصرانية فيما بعد وجدت في هذا سابقة لاستخدام أموال الكنائس لحرب المسلمين على مدى القرون التالية .(٤)

---

(١) سورة آل عمران : آية ٢٦

(٢) كنيسة القديسة آيا صوفيا وتسمى كنيسة الحكمة ، أمر ببناءها الحكم الروماني يوستنيانوس (٥٢٧-٥٦٥ م) تعتبر ذروة المجد التي أحرزها فن العمارة البيزنطي ، اُتخذت منذ القرن السابع الميلادي معبدًا ومقرًا يتم فيه تتويج أباطرة الروم ، ولما فتح السلطان العثماني القسطنطينية سنة ١٤٥٣م ، دخلها السلطان وأمر بان يؤذن فيها بالصلاة إعلانًا بجعلها مسجدا جامعا للمسلمين يعرف بجامع آيا صوفيا ، فلما استولى كمال أتاتورك على الحكم في تركيا أمر بتحويله إلى متحف ، وهو على هذا حتى الآن . انظر ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١م) ص ٦٩ ؛ برنارد لويس : استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب سيد رضوان علي ، الطبعة الثانية (جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ص ٢٣ ، ٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٨

(٣) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص٩١ ؛ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الامبراطورية البيزنطية ص ٦١ ؛ ليلى عبد الجواد : الإمبراطورية البيزنطية في عهد هرقل ٢٣٠-٢٣١

(٤) علي عودة : المرجع السابق ص ٤٧

ويدأ الإمبراطور هرقل بتنظيم الجيش والإعداد لحرب الفرس(١) في شتاء عام ٦٢١م واستمر حتى الرابع من إبريل ٦٢٢م، وفي هذه الأثناء أراد الله إظهار دينه، وإعزاز نبيه وإذلال الشرك وأهله، فهيأ لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو يدعـــو الناس في مواسم الحج سنة ١١، ١٢، ١٣ من النبوة الموافق ٦٢٠م ، ٦٢١م ، ٦٢٢م(٢)، الأنصار من ـ الأوس والخزرج ـ أهل يثرب استجابوا لدعوته، وأسلموا، وعرفوا أنه النبى الذى توعدهم به اليهود، ثم بايعوه على المنعة والنصرة.(٣)

وعلى أثرهذه البيعة هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة(٤) ونجح الإسلام في تأسيس دولة له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة- وهو أخطر كسب حصل عليه الاسلام منذ بداية الدعوة-(٥).

لقد كان العالم- في الغالب- حينذاك يترقب باهتمام بالغ ماذا ستسفر عنه تلك الانتفاضة لإمبراطور الروم في حربه مع الفرس بينما كان مصيـــــره الحقيقي يدبره

---

(١) من أهم ما ذكر عن ذلك : عقده هدنة مع الآفار ، وتوليه بنفسه تدريب الجيش . انظر العريني : الدولة البيزنطية ص١٢٤- ١٢٥ ؛ حسنين ربيع : المرجع السابق ص ٦٢

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي الطبعة السابعة (القاهرة : مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤م) ج١ ص ٩٤ ، ٩٦ ؛ المباركفوري : الرحيق المختوم ص ١٦١ ، ١٦٤ ؛ أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ج١ ص ١٩٤

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ق١ ج١-٢ ص ٤٣١ ومابعدها ، وقارن بما في صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار ، باب وفود الأنصار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبيعة العقبة ج(٣٨٩٢، ٣٨٩٣) فتح الباري ج ٧ ص ٢٦٠

(٤) ثبت في الصحيحين أن اختيار المدينة مهاجرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان بوحي الهي . انظر، صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، فتح الباري ج٧ ص ٢٦٧ ؛ صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا صحيح مسلم بشرح النووي ج١٤ ص٣١ و تاريخ وصوله عليه الصلاة والسلام إلى المدينة هو يوم الاثنين لاثنتي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة (الموافق ٢٣ من سبتمبر سنة ٦٢٢م) انظر، سيرة ابن هشام ق ١ج ١-٢ ص ٤٩٢ ؛ الحاكم : المستدرك ج٣ ص ٨ وقال : ' هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ابن حجر: فتح الباري ج ٧ ص ٢٨٧

(٥) الغزالي : فقه السيرة ص ١٦٣ ؛ المباركفورى : المرجع نفسه ص١٧٣

الله تعالى على يد نبي الإسلام.

قرر هرقل بعد تلك الاستعدادات قيادة الجيش بنفسه، فذهب إلى الكنيسة- كنيسة القديسة صوفيا- ودعا إليه كلا من البطريرك سرجيوس والحاكم بونوسbonus وعهد إليهما بتولي شئون الإمبراطورية(١). وبعد الصلاة والابتهال والتوسل، أمسك الإمبراطور بايقونة المسيح وجعلها لواء له ، وبدأت الحرب في مشاعر دينية ملتهبة لم تعرف من قبل في إمبراطورية الروم(٢) ؛ ولذا فلاغرابة في إشارة بعض المؤرخين المحدثين إلى أن هذه الحرب ضد الفرس هى أول حرب صليبية مقدسة قامت بها اوروبا النصرانية ، بل أن المؤرخ الصليبى وليام الصورى استهل تاريخه الذى وضعه عن الحروب الصليبة فى القرن الثانى الميلادى بذكر انتصارات هرقل على الفرس.(٣)

ولكن الظاهر أن المشاعر الدينية التي ابتدأت بها هذه الحرب (٤) لاتعبر عن فكرة الحروب الصليبية كما تبلورت فيما بعد نهاية الحرب كما سيأتي بيانه.

وعلى أية حال فقد عبر الإمبراطور هرقل البسفور في حملته التاريخية ضد الفرس فوصل إلى قيصرية (٥) في قبادوقيا، وبقي فيها إلى خريف سنة ٦٢٢م، وألقى على جنوده خطابا حماسيا حثهم فيه على الانتقام من عبدة النار ونصرة المسيح، ثم تحرك بهم بعد ذلك- متجنبا مناطق تمركز قوات الفرس- إلى أرمينية ومنها زحف باتجاه فارس فتصدت له القوات الفارسية بقيادة شهرباراز عند تلال أرمينية ، وبعد

---

(١) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٣٤

(٢) هـ. سانت: ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبد العزيز جاويد(عالم الكتب ١٩٦٧م) ص٢٣٣ ، ٢٣٤

(٣) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٩٢ ؛ العرينى : الدولة البيزنطية ص ١٢٨ ؛ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ص ٦٢

(٤) ذكر أن قسطنطين أول ملوك الروم- اعتنق النصرانية بسبب أنه رأى في السماء في نصف النهار صليبا من كواكب تضيء ، مكتوبا عليه بهذا تغلب، فعمل صليبا كبيرا من ذهب وجعله على رأس جيشه الذي حارب به مقسطنيوس ملك رومية فانتصر في تلك الحرب وهزم خصمه، وأقام أهل رومية سبعة أيام يعيدون للملك وللصليب ولعل هرقل أدرك من هذه القصة ـ المزعومة ـ أهمية العامل الديني في حربه ضد الفرس انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٣ ص ٢١٩

(٥) قيصرية وتكتب قيسارية Caesarea مدينة كبيرة عظيمة محصنة تقع في أقليم القباذق بآسيا الصغرى (في وسط الأناضول إلى الجنوب الشرقي من أنقرة) فيها الحمام الذي يذكر أن بليناس الحكيم عمله للملك قيصر يحمى بسراج ، اتخذها سلاجقة الروم قاعدة لملكهم . انظر : ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص ٤٢١-٤٢٢ ؛ كي لسترنج : المرجع السابق ص ١٧٨

مناوشات استمرت خمسة عشر يوما أجبر هرقل الفرس على الانسحاب، فطاردهم الروم، وقاتلوهم في الممرات الضيقة حتى ألجؤوهم إلى الجبال، واستولى الروم على الغنائم والأسلاب التي تركوها ثم توقفوا عن القتال ؛ لأن الإمبراطور عاد إلى القسطنطينية سنة ٦٢٣م لاتخاذ التدابير اللازمة نحو الأفار (١) الذين نقضوا معاهدة السلام(٢).

ومع هذه الجولة في حرب الروم للفرس والتي بعثت الأمل والثقة في نفوس الروم بعد أن كانوا يخشون التراب الذي تدوسه الفرس. بدأ محمد صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة يخطط للأعمال الحربية ويدرب أصحابه على فنون القتال ويبعث السرايا والبعوث لتثبيت أمن المدينة وتخويف المتربصين، وتهيئة أصحابه للمهمات التي تنتظرهم، بعد أن أذن الله لهم في القتال(٣)

تمكن هرقل بعد حملة عام ٦٢٢م- من تجديد الهدنة مع الآفار، بزيادة الأتاوة التي تدفع لهم ، ثم استأنف الحرب ضد الفرس في مارس سنة ٦٢٤م يوافق رمضان سنة ٢هـ وعبر بجيشه الذي يقدر بنحو ١٢٠,٠٠٠ ألف رجل إقليم قبادوقيا واتجه إلى أرمينية (٤) فاستولى في طريقه على مدينة أرزن الروم

---

(١) أومان : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وسام عبد العزيز : المرجع السابق ص ١٥٢ ؛ العريني : المرجع السابق ص ١٢٥ وذكر أن هرقل استعاد آسيا الصغرى من يد الفرس في هذه الحملة ؛ ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٣٨- ٢٤٠ ، وتذكر أن هرقل ترك جيشه في أرمينية ولربما جعل على قيادته أخوه تيودور

(٢) **الآفار** : شعب ينحدر البعض منهم من سلالة المغول ، والبعض الآخر من الترك الشرقيين وقد اسسوا إمبراطورية كبيرة في أوربا في منتصف القرن السادس الميلادي ومدوا نفوذهم حتى أصبحوا جيرانا للإمبراطورية بعد الدانوب الحد الفاصل بينهما . ليلي عبد الجواد : المرجع السابق ص ٤٨

(٣) انظر : مفهوم الجهاد في الإسلام ومراحله لاحقا ص : ٢٤٨ - ٢٥٤

(٤) يبدو أن الفرس تمكنوا من إجبار ذلك الجيش الذي تركه هرقل في أرمينية بعد حملة عام ٦٢٣م - على الانسحاب إلى آسيا الصغرى ، فلما بدأ هرقل بحملته الثانية ٦٢٤م ضم الجيش الذي خرج به من القسطنطينية مع الجيش المقيم في آسيا الصغرى بعد انسحابه من أرمينية - ثم تحرك به لقتال الفرس.

Theodosoiupolis (١) ثم دخل أرمينية الفارسية فوصل إلى عاصمتها دوين Douin واستولى عليها بالقوة وسلبها ثم أحرقها، وتقدم باتجاه الأراضي الفارسية، فاستعد كسرى لملاقاته وجمع جيشا كبيرا من بلاد فارس كلها وسار بهم حتى وصل إلى مدينة كانزاك Ganzac عاصمة إقليم أذربيجان، وعندها وقعت معركة كبيرة بين الفرس والروم، انتصر فيها الروم ولاذكسرى بالهرب تاركا جيشه في ميدان المعركة، فانقض عليهم هرقل قتلا وأسرا، واستولى على مدينة كانزاك وأحرق بيت النار الشهير بها وأزال كل شيء فيها (٢) انتقاما لما أصاب كنيسة القيامة في بيت المقدس، ثم اتجه لملاحقة كسرى في مدينة تبريز(٣) فوصلها _ وقد هرب كسرى منها _ فأحرقها وأشعل النيران في معبدها ، واستمر في مطاردة كسرى دون توقف عبر مضايق الليديين " سكان مابين النهرين" حتى أقبل شتاء عام٦٢٤م وكان قارس البرد، فاكتفى هرقل بما حققه في هذه الحملة من انتصار انتزع به أرمينية الفارسية وأذريبجان وجزءا من فارس، كما أعاد به الهيبة للروم إلى حد كبير.(٤)

وظاهر التاريخ الذي استأنف به هرقل الحرب، وتوقفه في شتاء عام ٦٢٤م يدل بوضوح أن المعركة التي أشرنا إليها توافق شهر مارس ٦٢٤م وهذا يوافق شهر

---

(١) هى الآن أرزروم Erzeraum (أرض الروم) من أهم مدن الامبراطورية البيزنطية وتقع على الطريق التجاري المؤدي إلى فارس ولا تبعد كثيرا عن منابع أعالي الفرات ، ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ١٥٥ هامش (٣)

(٢) وسام عبد العزيز : المرجع السابق ص ١٥٣ ؛ العريني : المرجع السابق ص ١٢٥ ، ١٢٦ ؛ محمد سعيد عمران : معالم تاريخ الدولة البيزنطية ص ٧٢

(٣) تبريز : أشهر مدن أذريجان ، وهي مدينة عامرة وحصينة وكثيرة الخيرات والأموال والصناعات ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ١٣ ؛ القزويني : آثار البلاد والعباد (بيروت دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) ص ٣٣٩

(٤) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، وتذكر أن هرقل قضى شتاء عام ٦٢٤م في ألبانيا القوقازية التي تقع في جورجيا (هي التي تعرف حاليا بابخازيا) وأنه أخذ يبحث هناك عن خلفاء له من شعوب القوقاز في حربه ضد الفرس.

وقد استمرت الحرب بين الروم والفرس من سنة ٦٢٤ إلى سنة ٦٢٧ م ولكن لم يحدث خلالها معارك فاصلة ، أو ما يعادل انتصار هرقل في حملة سنة ٦٢٤م

رمضان ٢هـ وبهذا يتوافق تاريخ انتصار الروم على الفرس، مع انتصار المسلمين على المشركين في غزوة بدر الكبرى كما قال بعض السلف(١).

وهكذا تحققت نبوءة القرآن الكريم حول غلبة الروم في السنة الثانية. للهجرة أيام غزوة بدر في ظرف تسعة أعوام من الرهان الأول قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ... ﴾

وعلى هذا فالأصح أن المؤمنين فرحوا بغلبتهم على المشركين في بدر(٢). قال الرازي:" ولايصح أن المراد أن المؤمنين فرحوا بغلبة الروم على الفرس كما فرح المشركون بغلبة الفرس على الروم، لأن في ذلك اليوم بعينه لم يصل إليهم خبر الكسر فلا يكون فرحهم يومئذ بل الفرح يحصل بعده "(٣) وقد فرح المؤمنون أيضا لما بلغهم أحراز الروم النصر على الفرس لما في ذلك من الآيات الباهرات الشاهدات بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله عز وجل .

والمتأمل في معركة هرقل مع الفرس التي وافقت معركة بدر يجدها بالمقاييس المادية معركة ضخمة قتل فيها عشرات الألوف من الجانبين، بينما تعتبر معركة بدر بالمقاييس المادية- بالنسبة لتلك المعركة بسيطة جدا، بل محدودة وصغيرة، لاتمثل مع حرب الروم للفرس إلا كغارة من غارات تلك الحرب التي هي على المستوى المادي عالمية، وقد ظن هرقل أنه بذلك الانتصار على الفرس أوشك أن يصبح سيدا على العالم، ولكن مشيئة الله وإرادته فوق كل شيء . فإذا كان انتصار هرقل عدل ميزان القوى بين الفرس والروم ، وحدد النهاية التي آل إليها الصراع بين القوتين الكبيرتين، فإن معركة بدر هى التى قررت مصير الأمه الاسلاميه ، ورسمت مستقبل الفرس والروم ، بل رسمت مستقبل البشرية جمعاء ، وليس تلك المعارك الوحشية التي وقعت بين الفرس والروم (٤) فدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم يوم

---

(١) انظر ماسبق ص : ١٤٧

(٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير ج ٢٦ ص ٩٧

(٣) الرازي : المصدر نفسه ج ٢٦ ص ٩٧

(٤) علي عودة : المرجع السابق ص ٥٩

بدر : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَهْلِكْ هذِهِ الْعِصَابَةُ مِنَ أَهْلِ الإِسْلَامِ لاتُعْبَدُ في الأَرْضِ »(١)، كان دعاء عميقا، فنصره الله ونصر أصحابه ليكون ذلك بدء الانطلاق لعقيدة الاسلام لتسود على عقائد الروم والفرس معا.

وهكذا يتبين أن النصر العظيم، والفتح المبين الذي يستحق الفرحة الكبرى هو نصر الله لنبيه وللمسلمين في معركة بدر التي سماها الله تعالى يوم الفرقان، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢) ، وجعل لمن شارك فيها ثوابا وأجرا لامثيل له يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لَعَلَّ الله اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ »(٣).

أما انتصار الروم على الفرس فقد أشرنا إلى أنه من قبيل صراع أهل الباطل بعضهم مع بعض، وفرحة المسلمين به لاتكون إلاّ بالقدر الذي تحقق به وعد الله وصدق نبيه فيما أخبر من أمره.

ويتتابع انتصار الروم على الفرس ففي حوالي النصف الأول من شهر سبتمبر٦٢٧م قرر هرقل المسير بجيشه الذي يبلغ تعداده حوالى٧٠ ألف رجل من الروم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر صحيح مسلم لشرح النووى ج١٢ ص ٨٤ ؛ والإمام أحمد في مسنده ج١ ص ٣٠ ؛ والترمذي في أبواب التفسير تفسير سورة الأنفال ح(٥٠٧٥) تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ وقال :" حديث حسن صحيح غريب " ؛ وأخرجه البخاري في كتاب المغازي باب قصة غزوة بدر بلفظ (... اللهم إن شئت لم تعبد) ح (٣٩٥٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣٣٥

(٢) سورة الأنفال آية ٤١ ، وروى الحاكم فى المستدرك ج٣ ص ٢٠ أن ابن عباس قال : " يوم الفرقان" يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل وقال مثله مجاهد والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد من السلف ، انظر ، الطبري: جامع البيان ج ١٠ ص ٨ ، ٩

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعه إلى أهل مكة يخبرهم بعزم النبي صلى الله عليه وسلم ح (٤٢٧٤) فتح الباري ج ٧ ص ٥٩٢ ؛ ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضى الله عنهم ، باب فضل حاطب بن أبي بلتعة وأهل بدر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٥٦

و٤٠ ألف فارس من الخزر (١) إلى طيسفون Ctesiphon (المدائن) عاصمة الفرس فلما وصل أمام نينوي في١٢ديسمبر تقابل مع الفرس في معركة ضارية ، فهزمهم أعنف هزيمة(٢) إذ سقط رازاتوس Rhozatus قائد الفرس في المعركة مع ثلاثة من قادتهم، وكبار ضباط الجيش الذي فني عن آخره ، ثم احتل نينوي وسار بعدها إلى داستاجرد(٣) فدخلها في٤ يناير سنة ٦٢٨م بعد أن هرب كسرى من قصره المفضل الذي كان يقيم به فيها إلى طيسفون واستولى على قصر داستاجرد Dastagerd بما فيه، ودمر باقي قصور كسرى الضخمة حتى سواها بالأرض كل هذا ليجعل كسرى يشعر بالذعر والخوف الذي شعر به الروم عندما هدمت وخربت مدنهم بأمره .(٤)

ويذكر أن هرقل بعد هذا الانتصار عرض على كسرى الصلح فرفضه ، فأحرق هرقل داستاجرد انتقاماً لذلك الرفض ، ثم اندفع باتجاه طيسفون ، فلما وصل قناة النهروان وجد الفرس قد قطعوا الجسور التي يمكن العبور عليها إلى عاصمة الفرس التي تقع على بعد عدة أميال وراء القناة . (٥)

وفي أثناء استعداد هرقل لعبور القناة ومهاجمة طيسفون، وقعت حوادث هامة

---

(١) **الخزر** : شعب لايعرف أصله على التحقيق ، قيل يحتمل أن يكون من أصل تركي ، استقر في منطقة القوقاز في النصف الأخير من القرن السادس الميلادي ، وقامت لهم دولة في أوائل القرن السابع الميلادي . انظر التفاصيل . دائرة المعارف الاسلامية مادة بلغار ومادة الخزر م ٤ ص ٨٨- ٩٠ ، م ٨ ص ٣٠٥ ٣١٠٠

(٢) المنبجي : العنوان ص ٣٣٨ ، قال : " قتل فيها من الفرس نيف وخمسين ألف رجل "

(٣) أو **الداستكرد**: أو الدسكرة كما يسميها العرب، مدينة قوية التحصين في فارس تقع على مسافة ١٠٧ كم من طيسفون، وقد اتخذها الفرس كمقر لاقامتهم منذ القرن السادس الميلادي انظر : ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٦٢ هامش ٢

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج١ ص ٤٦٧ ؛ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ص ٩٢ ؛ العريني " الدولة البيزنطية ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ محمد سعيد عمران: المرجع السابق ص ٧٣ ؛ ويلز : معالم تاريخ الإنسانية ج٣ ص ٧٤٣ ؛ وسام عبد العزيز : المرجع السابق ص ٥٥ ؛ ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٥٩ ، ٢٦٣

(٥) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٦٤ ، ٢٦٥

داخل مملكة الفرس وضعت نهاية للقتال الدائر ، فقد قامت ضد كسرى ثورة داخلية تزعمها ابنه شيرويه وقدر الله تعالى لها النجاح استجابة لدعاء نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن كسرى مزق رسالته التي يدعوه فيها إلى الإسلام، فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جواب كسرى قال : « مزَّق اللَّهُ مُلْكَه »(١)، فأتى جبريل الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن الله سلط على كِسْرىَ ابنه شيرويه فقتله .(٢)

ونقل الطبري عن الواقدي قوله : قتل شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء العاشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة(٣) . ويوافق ٢٥ نوفمبر سنة ٦٢٨م ووقع في تواريخ دولة الروم أن شيرويه توج ملكا على الفرس بعد قتله لأبيه في ٢٥ فبراير سنة ٦٢٨م (٤) ، وهذا لايتفق إطلاقا مع تواريخ حوادث السيرة النبوية لخبر مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم، ولهذا فمن المرجح أن يكون قد وقع تصحيف في ثبت الشهر من نوفمبر إلى فبراير والله أعلم.

ومهما يكن من أمر فقد أنهى شيرويه الصراع مع الروم بقبوله جميع شروط هرقل المثلة في إعادة الحدود إلى ما كانت عليه في عام ٥٩١م ، وبالتالي الجلاء عن جميع الأراضي التي احتلها الفرس، وإطلاق سراح الأسرى مع الضمانات الكافية لعودتهم آمنين سالمين إلى أوطانهم، فضلا عن إعادة الصليب(٥)، وبعد هذا الصلح

(١) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٨٩ ابن حجر : فتح البارى : ج ١ ص ٥٨ ؛ وأخرج البخارى فى كتاب الجهاد باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون ؛ (٢٩٣٩) : " أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث بكتابه إلى كسرى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ليدفعه إلى كسرى فلما قرأه كسرى خرّقه ، فحسبت ـ (القائل : ابن شهاب الزهرى)ـ أن سعيد بن المسيب قال : فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يُمزَّقوا كلَّ ممزَّقٍ" . فتح البارى ج ٦ ص ١٢٧

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٣ .

(٣) الطبرى : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٣ ؛ وكذا السهيلى : الروض الأنف ج ١ ص ٥٤ ابن كثير : السيره النبوية ج ٣ ص٥١٠

(٤) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٧٤ ؛ المنبجى : العنوان ص ٣٣٨

(٥) محمد سعيد عمران : المرجع السابق ص ٧٤ ؛ المنبجى : المصدر نفسه ص ٣٣٨

عاد هرقل إلى القسطنطينية بعد أن أمضى ست سنوات في حرب الفرس استطاع فيها تحقيق انتصارات ضخمة، واسترد صليب الصلبوت، وتراءى للمعاصرين من الروم أنه وطد بذلك صرح الإمبراطوية من جديد ولكن تلك السنوات الست لاقيمة لها في ميزان التاريخ ، وإنما السنوات الست التي رسمت حقيقة مسار التاريخ هى تلك السنوات التي توافق سنوات هرقل وهى السنوات الست التي قضاها النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة من ١-٦هـ أى حتى صلح الحديبية (١)، فقد تبين من عرض الحادث أن الله تعالى أظهر الروم على الفرس مرة ثانية في بضع سنين زمن صلح الحديبية - من بعد غلبتهم على يد الفرس للمرة الثانية، وبعد الرهان الثاني أيضا ، بل وعلى مدى بضع سنين من انتصارهم على الفرس زمن غزوة بدر، ويأتي صلح الحديبية في الأهمية بعد بدر كما قال الإمام الحافظ ابن عبد البر " ليس في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا غزوة الحديبية .. "(٢) وقد سماها الله تعالى فتحا مبينا فقال: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (٣) وعن أنس رضى الله عنه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ قال : " الحديبية " (٤)

قال الزهري عن صلح الحديبية : " فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه .. "(٥) قال ابن هشام : " والدليل على قول الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف " . (٦)

أما الإمبراطور هرقل فقد استقبل خلال رحلة العودة إلى عاصمة القسطنطينية بالحماس والهتاف والعواطف الجياشة ، وحيَّاه أهالى المدن والقرى على طول الطريق

---

(١) علي عودة الغامدي : المرجع السابق ص ٨٤

(٢) نقلا عن : محمد السفارينى : شرح ثلاثيات المسند(المكتب الاسلامى ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م) ج ١ ص ٢٧٨

(٣) سورة الفتح : آية ١

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب المغازى باب غزوة الحديبية ح (٤١٧٢) فتح البارى ج ٧ ص ٥١٦

(٥) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٣٢٢ .

(٦) سيرة ابن هشام الموضع نفسه .

بدموع الفرح، بينما كانت الكنائس تدق أجراسها (١)

هكذا كانت الفرحة وهكذا كانت الكنائس تدق أجراسها احتفالا بانتصار هرقل وقد ظن قارعوا تلك الأجراس من رجال الدين النصارى أنهم حققوا النصر الأبدي للنصرانية ، دون أن يعلموا أن مصير امبراطوريتهم قد رُسِم ـ بقدر الله تعالى ـ في جزيرة العرب ، وأنه لن يمضي عقدان من السنين إلاّ وأصوات المآذن تعلو على أجراس تلك الكنائس حين يبدأ التحول الضخم لشعوب تلك البلاد من ظلام النصرانية المحرفة - والمجوسية إلى نور الإسلام (٢)

وأخيرا اختتم هرقل انتصاراته بإعادة الصليب إلى بيت المقدس وقد وقع خلاف بين المصادر حول من الذي أعاد الصليب للروم ومتى ذهب به هرقل إلى بيت المقدس؟

والراجح أن شيرويه أمر القائد الفارسي شهرياراز بتسليم الصليب لهرقل فتم ذلك على أثر انسحاب الفرس من جميع أراضي الروم ، ثم دخل به هرقل إلى بيت المقدس في سنة ٦٢٩م (٣) الموافق ٨هـ في موكب مهيب وسط الطقوس والتراتيل التي تغنى بها أهل المدينة ، واستقبله الرهبان وبطريرك المدينة في احتفال ضخم(٤)

بهذا يكون وفاء هرقل بنذره في المشى من حمص إلى إيلياء ـ بيت المقدس ـ بعد أن أظفره الله بكسرى ـ بعد الحديبية (٥)

---

(١) ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٢٧٣ ، ٢٧٤

(٢) علي عودة : المرجع السابق ص ٩٧

(٣) ويكون على هذا أعاد شهرياراز الصليب إلى هرقل فى عهد أردشير بن شيرويه الذى اعتلى عرش فارس بعد موت أبيه سنة ٦٢٨م ، ولعل شهرياراز اراد ان يتقرب به لدى الإمبراطور البيزنطى ليساعده فى خلع ذلك الطفل الذى ولى عرش فارس ليتولى هو الحكم مكانه .

(٤) العرينى : الدولة البيزنطية ص ١٢٨ ؛ حسنين ربيع : المرجع السابق ص ٦٣ .

(٥) ابن كثير : تفسير ج ٦ ص ٣١١ ، وبلا خلاف بين أهل السير أن هرقل لما انتهى إلى بيت المقدس بعد حربه مع الفرس جاءه كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الإسلام كما سياتى بيانه فى موضعه .

ومن الجدير بالذكر هنا أن النصارى في كل أنحاء الإمبراطورية البيزنطية قد توهموا أن سر انتصارهم في تلك الحرب هو ارتباط هدف الإمبراطور وجيشه بنصرة المدينة المقدسة المسلوبة وإعادة الصليب إليها وترسخ هذا الوهم في نفوسهم كعقيدة مسلم بها في حروبهم اللاحقة ، ومن هنا بدأت فكرة الحروب الصليبية .

أما الحقائق التي نتجت عن هذه الحرب ولامجال للشك فيها فهى أن اصطدام المسلمين بالروم بعد هذه الحرب مباشرة في مؤتة وتبوك جاء في ذروة انتصارات هرقل على الفرس ، والإمبراطورية الرومية فى أقصى درجات الاستعداد والتفوق فجيوشها ما تزال كاملة لم تسرح ، وقد حصلت على خبرات ميدانية وغنائم كبيرة بما حققت من انتصارات والروح المعنوية لديها مرتفعة ، ومع كل هذا التفوق فان المسلمين لم يرهبوا جانب الروم بل نراهم زمن الرسول صلى الله عليه وسلم يتقدمون لمقارعة الروم كما سيأتي بيانه. وما ذلك إلا لثقتهم الكاملة بنصر الله، وإيمانهم العميق بأن بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بظهورهم على الروم سوف يتحقق وقد تحقق ذلك فانتصر المسلمون على الروم والفرس في سنوات قليلة تلت انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وفتح المسلمون كل المناطق التي دارت عليها رحى تلك الحرب العالمية بين الفرس والروم كما بينا ذلك بل وسقطت إمبراطورية الفرس، وسارت إمبراطورية الروم في طريق السقوط وإن لم يتحقق ذلك إلا بعد قرون طويلة ، على يد أمة محمد صلى الله عليه وسلم. (١)

---

(١) علي عودة : المرجع السابق ص ١١٩ ومابعدها

الفصل الثانى

العلاقات السلمية بين الدولة الإسلامية والنصارى فى العهد المدنى

- قيام الدولة الإسلامية .
- أسس الإسلام فى تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم .
- مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم للملوك وأمراء العالم النصرانى ونتائجها .
- المعاهدات التى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى .

ـ قيام الدولة الإسلامية :

كانت علاقة المسلمين بالنصارى في العهد المكي محدودة ولاتبين موقفهم من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويبدو أن عدم وجود الكيان السياسي والنظام الإداري الذي يمثل فكرة الدولة، ويمكن الجماعة المسلمة من إقامة دولة الإسلام ونظامه. كان من أسباب ذلك، فالفترة المكية انصبت على بناء الأساس الذي تقوم عليه دولة الإسلام بناء صحيحاً، لأنه بدون بناء ذلك الأساس لايمكن لدولة الإسلام أن تقوم ولايمكن لها أن تكون جديرة بالاستخلاف في الأرض ، وذلك الأساس العظيم هو توحيد اللّه سبحانه وتعالى وإفراده وحده بالعبادة، ولما استقر التوحيد وتعظيمه في نفوس الصحابة أذن اللّه سبحانه وتعالى لرسوله ولصحابته بالهجرة إلى المدينة ومن ثم بدأ بناء دولة الإسلام على ذلك الأساس العظيم الذي ظل النبي صلى اللّه عليه وسلم يبنيه في نفوس أصحابه على مدى ثلاثة عشر عاماً وأول عمل قام به هو توثيق رابطة الوحدة والأخوة بين المؤمنين فقد بنى المسجد ليكون كما قال أحد الباحثين :« الخلية الأولى للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة بوصفه أداة صهر المؤمنين بالإسلام في وحدة فكرية واحدة من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة وإقامة المناسبات...... فلم يكن المسجد معبداً أو مقراً للصلاة وحدها بل كان شأنه شأن الإسلام نفسه متكاملاً في مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع »(١)

وأضاف عليه الصلاة والسلام إلى جانب المؤاخاة العامة التي شرعت بين المؤمنين ذلك الإخاء الخاص الذى عقده بين المهاجرين والأنصار(٢)، والذى رتب عليه حق التوارث بينهم (٣) فقوى رابطتهم وشد بعضهم أزر بعض .

---

(١) عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص ١٤٩.

(٢) تجمع الروايات التاريخية أنه وقع بعدالهجرة إلى المدينة في السنة الأولى ، ويحدد ابن عبد البر تاريخ تشريعه بعد الهجرة بخمسة أشهر، انظر : ابن عبد البر: الدرر ص ٥٧ -٦٠

(٣) وقد أنزل اللّه تعالى نسخه بعد غزوة بدر الكبرى بقوله تعالى ﴿ وَأُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ ....﴾، انظر : ابن سعد: الطبقات جـ١ ص ٢٣٨؛ البلاذري أنساب الأشراف جـ١ ص ٢٧٠؛ ابن عبدالبر : المصدر نفسه ص ٦٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر جـ١ ص ٢٠٠ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٩ والآية ٧٥ من سورة الأنفال

والملاحظ أن وحدة الدين جعلت منهم أمة واحدة من دون سائر الناس وإن اختلفوا في اللون واللغة والعنصر.

وجعل الله تعالى لهذه الأمة القيادة والأمر والنهى والشهاده على البشرية قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ............ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٢)

ثانيا: إخضاع غير المسلمين مع المسلمين لحكم ونظام الدولة الإسلامية الناشئة، فقد روت كتب السير(٣) والتاريخ أن الرسول صلى الله عليه وسلم عقد مع اليهود(٤) وغيرهم ممن يقطن المدينة ولم يدخل في الإسلام صحيفة حدد فيها السلطة العليا في جميع شئون الدولة الناشئة بقوله : « وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم »(٥).

والواقع أن هذا الفعل منع العدو القريب من أن يتواطأ مع العدو البعيد، وحافظ على الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية من التصدع والخلل.

ثالثا: إعلان الجهاد في سبيل الله الذي توطدت به دعائم الدولة الإسلامية الناشئة، وتحققت به غايتها العظمى في جعل الدين كله لله.(٦)

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠.

(٢) سورة البقرة : آية ١٤٣.

(٣) انظر على سبيل المثال : ابن هشام : المصدر السابق ق ١ جـ١-٢ ص ٥٠١-٥٠٤ ؛ أبو عبيد: الأموال. الطبعة الأولى. تحقيق : محمد خليل هراس (بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ص ٢١٥ - ٢١٧ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية جـ٢ ص ٣١٩ - ٣٢٣.

(٤) وكان ذلك في أول قدومه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة انظر: البلاذري: أنساب الأشراف جـ١ ص ٣٠٨ ؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ ص ٤٨

(٥) ناقش أحد الباحثين روايات الصحيفة فأثبت خبرها وقبولها في الدراسة التاريخية ولم يقطع بصحتها انظر: أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة جـ ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٦) انظر مايلي ص : ٢٤٨ - ٢٥٤

ولقد اكتمل بناء الدولة الإسلامية باكتمال نزول آيات التشريع التي حددت لها نظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ونظمت لها سياستها الداخلية والخارجية.

وقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتفسير تلك الآيات وتطبيقها في آن واحد على جميع رعايا الدولة التي أقامها ولم يفرق في ذلك بين من يؤمن ومن يبقى على كفره(١) قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ .... ﴾(٣) ، ومن الثابت أن أصحابه الصادقين قد التزموا بأحكام الإسلام حتى تجسدت في حياتهم، فارتفعت بذلك راية الإسلام، وسعد الناس مسلمهم وكافرهم بهذا الدين وعمّ الرخاء وثبت العدل واطمأن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم في ظل دولة الإسلام التي ترسخت قواعدها واتسعت رقعتها حتى شملت - قبل وفاته عليه الصلاة والسلام - الجزيرة العربية بكاملها وبعض أطراف الشام المجاورة لها .(٤)

والجدير بالذكر أن الكيان الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بعد هجرته إلى المدينة لم يعرف في عهده بمسمى دولة(٥) ولم يرد في القرآن الكريم أيضاً هذا المسمى، ويُعرفه الفقهاء بمسمى دار الإسلام وهي كما يعرفها الإمام

---

(١) في النظام العام والآداب العامة فقط فمن الثابت أن بعض اليهود كانوا يحتكمون في قضاياهم الخاصة وأموالهم الشخصية إلى التوراة ويقضي بينهم أحبارهم والرسول صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم ولم يلزمهم بالرجوع إلى القضاء الإسلامي. انظر ، أكرم العمري: المرجع السابق ج ١ ص ٢٩١

(٢) سورة النساء : آية ١٠٥

(٣) سورة المائدة : آية ٤٨

(٤) الصعيدي: السياسة الإسلامية في عهدالنبوة. (طبعة دار الفكرالعربي)ص ١٩٥

(٥) ورد أن هذا المسمى أول ماشاع استخدامه في أوائل العهد العباسي. محمد خدوري: الحرب والسلم في شريعة الإسلام. الطبعة الأولى (الدار المتحدة للنشر ١٩٧٣م) ص ١٩

السرخسي(١) اسم للموضع الذي يكون تحت يد المسلمين وعلامة ذلك أن يأمن فيها المسلمون وتجرى فيها أحكام الإسلام(٢) وماعدا هذا فهي دار كفر يسودها الظلم وأعظمه الشرك بالله المنافي للتوحيد، وإعطاء غيره حق التشريع والتحليل والتحريم فيما لم يأذن به الله، ولايعترف لها بالشرعية بل تعد كيان باطل قائم على أساس باطل(٣)، وتبقى في نظر الإسلام دار حرب(٤) حتى تخضع لحكم الإسلام أو ترتبط مع درا الاسلام بعهود ومواثيق والهدف من ذلك هو إزالة العوائق والعقبات التي تحول بين الناس وبين سماع دعوة الإسلام .

وإذا كان قد جرى إطلاق كلمة دولة على فعله صلى الله عليه وسلم الذي أشرنا إليه قياسا على المفاهيم الدولية لكلمة دولة (٥) فإن مفهوم دولة الإسلام أبعد من ذلك وله من التميز الواضح ما للدين الإسلامي الذي لايرى لنفسه حدودا غير حدود العالم بأسره .

وعلى هذا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته باتساع دولة الإسلام بقوله: « إنَّ الله زَوى لَيِ الأرضَ فرأَيْتُ مَشارِقَهَا وَمَغارِبَها وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا »(٦)

---

(١) **الإمام السرخسي** : هو محمد بن أحمد بن أبي سهل الحنفي (أبو بكر) يلقب بشمس الأئمة ، فقيه أصولي، له مؤلفات من أشهرها المبسوط الذي أملاه وهو محبوس، توفى سنة ٤٨٣هـ. انظر، حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (دار الفكر ١٤٠٢هـ) جـ ٢ ص ١٠١٤ .

(٢) السرخسي : المبسوط، الطبعة الثانية (بيروت: دار المعرفة) جـ ١٠ ص ٢٣ ، ومابعدها .

(٣) عبدالكريم زيدان : مجموعة بحوث فقهية (بغداد: مكتبة القدس١٩٧٦م)ص٥٣ .

(٤) هي الدار التي تظهر فيها أحكام الكفر. انظر ، الكاساني : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتاب العربي،١٤٠٢هـ) جـ ٩ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) تعريف الدولة عند علماء القانون هي جماعة مستقلة من الأفراد يقيمون على وجه الدوام في إقليم معين وتقوم فيهم سلطة حاكمة تتولى تنظيم شئونهم وتدبير أمورهم في الداخل والخارج وأركانها هي الشعب والأرض والسلطة . محمد سلام مدكور: معالم الدولة الاسلامية . الطبعة الأولى (الكويت : مكتبة الفلاح ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ص ٥٧

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب هلاك هذه الأمة بعضها ببعض صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٣

وأخبر صلى الله عليه وسلم أيضا بصورة السلطة الحاكمة لها بقوله:« **تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله اذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكا عاضًا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبريا فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**»(١)

وهكذا يتبين أن حاكم الدولة الإسلامية يطلق عليه اللقب الذي يناسب صورة حكمه فالرسول صلى الله عليه وسلم لايُطْلَقُ عليه كلمة ملك كما يطلق على حاكم الدولة في بعض المفاهيم المعاصرة فقد خيره الله أن يكون عبداً رسولا أو نبيا ملكا فاختار أن يكون عبداً رسولا (٢) ؛ لأنه أفضل عند الله من النبي الملك .(٣)

ومن حكم على منهاج النبوة يسمى خليفة أو ما يضاهيه من الألفاظ وهكذا.

ويقول أحد الكتاب المعاصرين عن تميز مفهوم الدولة الإسلامية عن غيرها " .. وقد دلنا التحقيق التاريخي على أن النظام الإسلامي هو أول نظام في الأرض أسس الدولة القانونية وأرسى نظامها بمقوماتها وضمانات تحقيقها كاملة في وقت كان السلطان الكلي للدولة هو القائم في العالم وحقوق الأفراد قبل الدولة لا وجود لها وفكرة الدولة القانونية غائبة عن الوجود وبهذا يكون الإسلام قد جاء بنظام فريد في التاريخ غير معروف ولا مألوف قبله "(٤)

ومهما يكن من أمر فقد قامت الدولة الإسلامية وأدرك المسلمون حكاما ومحكومين - في القرون المفضلة - أن أهم ما يميزها هو قيامها على أساس تحقيق العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى وإفراده وحده بالعبادة لاشريك له وأن قانونها الذي قامت عليه والذي يجب أن يخضع له الجميع هو الشريعة الإسلامية التي تقوم على

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص ٢٧٣ ، وقال الألباني فى سلسلة الأحاديث الصحيحة (المكتبة الإسلامية) ج٤ ج١ ص ٨ ، إسناده صحيح.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص ٢٣١ ، وقال: الهيثمي فى:مجمع الزوائد ج٩ ص ١٨ "رواه أحمد والبزار وأبو يعلي ورجال الأولين رجال الصحيح"

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣٥ ص ٣٤

(٤) منير حميد البياتي: الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي الطبعة الأولى (بغداد: الدار العربية للطباعة ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م) ص ٥٠٠

أساس القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكلاهما وحى من الله تعالى وهي بهذا تستمد سلطتها وشرعية وجودها من خلال تعظيمها لتوحيد الله سبحانه وتعالى والتزامها بأحكام الله ورعاية تنفيذها ، ومن ثم فالطاعة لها لاتتم إلا اذا كانت متفقة مع العقيدة والشريعة الإسلامية التي جعلها الله تعالى عامة لجميع البشر، شاملة لجميع شئونهم وأحوالهم، خالدة لايلحقها نسخ ولا تبديل لأنها الخاتمة والناسخة للشرائع السابقة والصالحة لكل زمان ومكان ولذا فالمهم في الدولة الإسلامية هو أن تقوم حكومتها على العدل وأن يهتم الناس حكاما ومحكومين بالواجبات الدينية باعتبار الدين من أهم عوامل إحلال السعادة والطمأنينة في المجتمع .(١)

إن حفظ الدين الإسلامي على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة أهم الواجبات التي تقع على عاتق الأمة الإسلامية وفي مقدمتهم رئيس الدولة الإسلامية (٢) لأن الخلق كما قال ابن خلدون :" ليس المقصود بهم دنياهم فقط فإنها كلها عبث وباطل إذ غايتها الموت والفناء والله يقول: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) .. إنما هـو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم"(٤)

وإلى جانب ماسبق من حقائق فقد أشار ابن خلدون فيما ذكر آنفا إلى حقائق أخرى نجملها فيما يلى :

أولا: أن الله خلق الخلق ليخلصوا له التوحيد قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٥) ، يقول ابن عباس رضى الله عنهما : « كل عبادة(٦)

---

(١) انظر: ابن تيمية : السياسة الشرعية (دمشق : مكتبة دار البيان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م)ص٣٠ ، ١٨٠

(٢) أبو الحسن على بن محمد الماوردي : الأحكام السلطانية (بيروت : دار الكتب العلمية) ص ١٨

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١١٥

(٤) مقدمة ابن خلدون : ص ١٩٠

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٦

(٦) العبادة فى اللغة : تدور حول معنى الطاعه . انظر : الفيروز آبادى : القاموس المحيط مادة عبد .

فى القرآن فهى توحيد»(١) ويقول على ابن أبى طالب رضى الله عنه : « إن الله ماخلق الخلق إلا ليأمرهم وينهاهم ويكلفهم » (٢) وقد جعلهم مستعدين لذلك فخلق فيهم عقولا وجعل لهم حواس ، وأرسل إليهم الرسل ليبينوا لهم كيف تكون العبادة خالصة لله من الشرك إذ لايتحقق توحيد العبد إلا بخضوعه لله وحده لاشريك له ، وذلك بالالتزام بما شرع والانتهاء عن كل ما نهى عنه وحذر منه قال تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٣).

وأعمال الشريعة التى بعث الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم والتى هى عامة لكل مايحتاج إليه العباد فى كل شان من شئونهم(٤) راجعة إلى التوحيد إذ الله تعالى هو المقصود بذلك وحده؛ ولأن كل عمل فيه شرك لاينفع عند الله لقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٥)، وقال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾(٦)

وهكذا يتبين أن مهمة الإنسان فى الأرض أنه مستخلف فيها ليقيم الحق الذى شرعه الله له ، ويقوم به ، وهذا هو الذى استحقت به الأمة المسلمة خيريتها على

---

(١) النسفى : تفسير(القاهرة : دار إحياء الكتب العربية)ج ٤ ص ١٨٨ ، ١٨٩

(٢) الفيروز آبادى : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس الطبعة الثانية (مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م) ص ٣٢٩ ؛ الشوكانى : فتح القدير ج ٥ ص ٩٢ .

(٣) سورة الانعام : الآيتان ١٢٦ ، ١٣٦ .

(٤) يقول ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ٣٠٨ : « والشريعة جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا ، والشريعة إنما هى كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه سلف الأمة فى العقائد والأحوال والعبادات والأعمال والسياسات والأحكام والولايات والعطيات ... وغير ذلك) .

(٥) سورة الزمر : آية ٦٥ ؛ وانظرالتفسير: الطبرى : جامع البيان ج ٤ص ٢١٥ .

(٦) سورة يوسف : آية ٤٠ وانظر التفسير : الطبرى : المصدر السابق ج١٢ ص ٢٢٠ ؛ سيد قطب فى ظلال القرآن ج ٤ ص ١٩٩٠ ، ١٩٩١ .

البشرية جمعاء قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .... ﴾(١)

ثانيا : أن حياة العباد فى الدنيا لا تكون صالحة إلا اذا قامت على التوحيد ، وأن السعادة فى الدارين الدنيا والأخرة لاتتم الابذلك ، بل أن حياة الإنسان فى الدنيا بغير ذلك هى عبث وباطل وشقاء ، والبشر إلى فناء والعقيدة إلى بقاء ، ومنهج الله للحياة مستقل فى ذاته عن الذين يحملونه ويؤدونه إلى الناس من الرسل والدعاة على مدار التاريخ .(٢)

وأخيرا فإن حكمة البعث من حكمة الخلق ، ولهذا فإن القرآن الكريم حين يفيض فى بيان الحكمة التى من أجلها خلق الانسان ، يقرر أيضا أن مايقدمه الإنسان لن يضيع بل سيجده ماثلا أمامه يوم القيامه قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ (٣)

وهكذا يتبين أن المهم ليس الحياة الدنيا فإن مدة الدنيا بالإضافة إلى الأخرة أقل من يوم(٤) ، وإنما هو العمل الذى يجزى الله به عبده بعد الموت فى الأخرة قال تعالى :﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (٥)

وفي ضوء هذه الحقائق فإننا نعتبر أن قيام الدولة الإسلامية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وسيلة ربانية من وسائل حفظ هذا الدين والعمل على نشره قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٦) ، وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٠

(٢) سيدقطب : المرجع السابق

(٣) سورة الأنشقاق : آية ٦ .

(٤) تفسير النسفى : جـ٤ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٥) سورة يونس : آية ١٤ .

(٦) سورة الحجر : آية ٦

وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(١)

والواقع التاريخي يثبت أنه لم يعرف قط دين حفظت عقيدته من التحريف والتبديل في ظل دولته التي أقامها من ذاته سوى الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، لأنه لو خضع الاسلام لقوة أخرى أو نشأ في كنف دولة غير دولة الإسلام أو توفي الرسول صلى الله عليه وسلم ودينه وأصحابه يخضعون لأمة أخرى لكان من الطبعي أن يحدث التحريف في دين الإسلام ولتأثر المسلمون بعقيدة تلك الدولة وفلسفتها في الحياة مثلما حدث للأمم السابقة ولا سيما اليهود والنصارى. فالعقيدة والشريعة التي جاء بها نبي الله موسى عليه السلام لم يتم الحفاظ عليها من تسرب العقائد الوثنية في أصولها وفروعها لأنها لم تقم لها دولة مستقلة زمن موسى عليه السلام وكذلك الشريعة التي جاء بها عيسى عليه السلام فإنه لم يكن لها قبل قسطنطين ملك ولا دولة وكان أتباعها مستضعفين تحت حكم الرومان، ولما انتشرت زمن قسطنطين انتشرت بصورتها المحرفة ولا سيما في ميدان العقيدة لأنها قامت في ظل الإمبراطورية الرومانية التي غذتها بالوثنية والفلسفة اليونانية وأقصت شريعتها عن واقع الحياة، وروجت لفكرة أن الدين النصراني لم يأتِ سوى لتنظيم علاقة الإنسان بخالقه، وأنه لم يتعد هذه الحدود إلى تنظيم شئون الإنسان الدنيوية .

وتظهر حقيقة حفظ الدولة الإسلامية لدينها في تحقيقها السيادة في الداخل بتحكيم شريعة الإسلام على جميع رعاياها في سائر أمور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، والسيادة في الخارج باستقلالها وحريتها في تطبيق منهجها في علاقتها مع غيرها من الأمم التي لاتؤمن بعقيدتها ونظامها وغايتها مما سيأتي بيانه في المبحث التالي :

---

(١) سورة الحج : آية ٤١

أسس الإسلام في تكوين العلاقات بين المسلمين وغيرهم(١)

أولا : الدعوة إلى الإسلام وما يترتب على ذلك .

أوجب الله تعالى على المسلمين إقامة التوحيد لله سبحانه وتعالى وإفراده وحده بالعبادة والخلوص من الشرك ثم دعوة سائر الأمم الأخرى إلى الإسلام.

قال تعالى : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(٢)

قال الإمام الشوكاني عند تفسير هذه الآية: "وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم حق عليه أن يقتدي به في الدعاء إلى الله ، أي إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده"(٣) فكل واحد من هذه الأمة يجب عليه أن يقوم بما يقدر عليه من واجب الدعوة إلى الله إذا لم يقم به غيره، وهكذا يقوم مجموع أمته صلى الله عليه وسلم مقامه في ذلك (٤)

ويكون تبليغ دعوة الإسلام للناس كما أمر الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة وبالجدال بالتي هى أحسن مع الرفق والرأفة والرحمة (٥) ، قال تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ

---

(١) هذه التفرقة مأخوذة من كون البشر في نظر الاسلام ينقسمون الى فريقين:

أ- فريق المسلمين وهم الذين آمنوا برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم واستجابوا لدعوته

ب- فريق غير المسلمين وهم من لم يؤمنوا برسالته صلى الله عليه وسلم ولم يستجبوا لدعوته قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ سورة يونس آية ٤٠ ، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ سورة التغابن آية ٢

(٢) سورة يوسف: آية ١٠٨

(٣) الشوكاني : فتح القدير ج ٣ ص ٥٩

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ١٥ ص ١٦٥ ، ١٦٦

(٥) لأن غير المسلم مبتلى بالكفر ورحمته هي بتوجيه النصح إليه ودعوته إلى طريق الحق بالأسلوب الأمثل المناسب انظر: المباركفوري : تحفة الأحوذي ج ٩ ص ٣٩٠

هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(١)

وفي الحديث أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايرحمُ الله مَن لايرحم النَّاسَ » (٢)

ويترتب على عدم استجابتهم لدعوة الإسلام ما يلي:

أ- معاداتهم (٣) وبغضهم(٤) وعدم موالاتهم قال تعالى: ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾(٥)، وقال تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾(٦)

وفي الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة النحل: آية ١٢٥ ومن الحكمة في الدعوة إلى الإسلام بيان أسسه ومحاسنه والتنبيه على حججه ليكون الدخول فيه عن رضا واقتناع ، انظر للتوسع: سعيد بن على القحطانى : الحكمة فى الدعوة إلى الله تعالى (رسالة ماجستير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ ، مطبوعه)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تبارك وتعالى: (قل ادعو الله أو ادعو الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ح (٧٣٧٦) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٧٠ ، وأخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم وتواضعه صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٧٧

(٣) ومعاداتهم بان لاتستنصر بهم على المسلمين ولا يتبعون في شيء فلا يطاعون في أمور الدين ولا يتشبه بهم، بل لابد من البعد عنهم، كما يجب تحقيق أمر الله في جهاد المحاربين منهم، ومن أخل بشيء من هذا فقد والاهم وبيان هذا باب متسع مبسوط بأدلته وأحكامه وصوره وأشكاله في كتب الفقه والدراسات المتخصصة فيه انظر على سبيل المثال: ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام ، محماس عبد الله الجلعود : الموالاة والمعاداة في الشريعة الاسلامية

(٤) حقيقة البغضاء :أن يضمر الإنسان كراهية الكفر والفسوق والعصيان ويمقتها هي ومن يتلبس به فعن أبي الدَّرداء أنه قال : " إنا لنكشرُ في وجوه أقوام وإنَّ قلوبنا لتلعنهم " الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب المداراة مع الناس فتح الباري ج ١٠ ص ٥٤٤ ؛ عبد الله الطريقي : الأستعانة بغير المسلمين ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، ص ٦٢

(٥) سورة الممتحنة آية ٤

(٦) سورة الحجرات : آية ٧

أنه قـال: « أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله »(١)، ولهذا شرع الإسلام للمسلمين مخالفتهم ، ونهى عن التشبه بهم فى كل ما يورث محبتهم ، وموالاتهم ، أو يتنافى مع الإيمان ، ويفقد الأمة الإسلامية شخصيتها المتميزة ، قال تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا...﴾(٢) وفى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » (٣)

ب- إخضاعهم لحكم الدولة الإسلامية بدفع الجزية(٤) والتزام أحكام الملة وهذا

---

(١) الطبراني في الكبير تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي الطبعة الأولى (وزارة الأوقاف العراقية ١٣٩٨هـ) ح (١٥٣٧) ج ١١ ص ٢١٥ واسناده حسن مع الشواهدوالمتابعات الالبانى : سلسلة الأحاديث الصحيحة ح(٩٩٨) ج ٢ص٧٣٤ ، ٧٣٥

(٢) سورة النساء : آية ١١٥

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٩٢ ؛ وأخرجه أبو داود فى كتاب اللباس باب فى لبس الشهرة ح (٤٠١٢) عون المعبود ج ١١ ص ٧٤ ، وإسناده حسن قاله ابن تيمية فى كتابه إقتضاء الصراط المستقيم تحقيق : ناصر بن عبد الكريم العقل ، الطبعة الثانية (الرياض : مكتبة الرشدللنشر والتوزيع ١٤١١هـ - ١٩٩١م) ج١ ص ٢٤٠

(٤) الجِزْيَةُ في اللغة : خراج الأرض وما يُؤْخَذِ من الذمِّيّ والجمع جِزْىً ، وجِزْيٌ، وجزاءٌ . الفيروزآبادي : القاموس المحيط ، مادة (ج ز ي)

وفى الاصطلاح : هى عبارة عن المال الذى يعقد للكتابى عليه الذمة ، ابن الأثير : النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ١٦٢ . وقيل المراد بالجزية فى الاصطلاح : المال المقدر المأخوذ من الذمى كتابى أوغيره ، عبد الكريم زيدان : الذميين والمستامنين فى دار الإسلام الطبعة الثانية (بيروت : موسسة الرسالة ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م) ص ١١٦ .

و الجزية توضع على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء .... والأصل فيها قوله تعالى : (حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) .... ولاتجب إلا على الرجال الأحرار العقلاء من أهل الذمة ، انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية ص ١٨١ ، ١٨٣ قال أبو أسحاق الفزارى فى كتابه السير ، تحقيق فاروق حماده (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م) ص ٣٧٢ 'وأجمعوا أن رسول صلى الله عليه وسلم أبى أخذ الجزية من عبدة الأوثان من العرب ولم يقبل منهم إلا الاسلام أو السيف ، ثم اختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان من غير العرب ' قال ابن العربى فى كتابه أحكام القرآن الكريم ج ٢ ص ١٩٠ ' والصحيح قبوله من كل أمة وفى كل حال عند الدعاء إليها والاجابة لها ' وإلى هذا ذهب ابن القيم فى كتابه أحكام أهل الذمة تحقيق صبحى الصالح ، الطبعة الثانية (بيروت : دار العلم للملايين ١٤٠١هـ) ج١ ص ١٥ ، ومابعدها ، وسياتى لاحقاً بيان حقيقة الجزية فى الإسلام .

من كون الدين لله كما يقول ابن القيم " إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله، والرق على رقابهم فهذا من دين الله،ولايناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة " (١)

فاذا حدث هذا أصبحوا من رعايا الدولة الإسلامية الذين يجب حمايتهم أبد الدهر ما داموا محافظين على العهد ملتزمين به _ ويسمون بأهل الذمة _(٢)

ج- مسالمتهم إذا جنحوا للسلم وتركوا من يريد الدخول في الإسلام أن يفعل، ولم يمنعوا المسلمين من إقامة دين الله ولم يخش بأسهم ومكرهم، قال تعالى : ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾(٣)، ويبدو أن هذه الحالة تكون عوضا عن الحالة السابقة عند ضعف المسلمين يقول الإمام الجصاص(٤) عن ذلك ما ملخصه :" ومسالمة المسلمين لغيرهم مقرونة بحالة قلة عددهم وكثرة عدوهم "(٥) ولهذا أجمع الفقهاء على وجوب تحديد مدة المسالمة (الهدنة)(٦)

وشرع الإسلام أن يعامل الكفار من أهل الذمة والمستأمنين والمسالمين بالعدل

---

(١) ابن القيم : أحكام أهل الذمة ج ١ص ١٨

(٢) الذمة فى اللغة : الأمان والعهد وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم فى دار الاسلام ، الفيروز آبادى : المصدر السابق ج ٤ ١١٥ ، وقال ابن الأثير فى النهاية ج ٢ ص ١٦٨: ' وسمى أهل الذمة ذميين لدخولهم فى عهد المسلمين وأمانهم '

(٣) سورة النساء : آية ٩٠ ، وهي محكمة كما ذكرالقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ٣١٠

(٤) الإمام الجصاص : هو أحمد بن على أبو بكر الرازي الفقيه الحنفي المشهور ولد سنة ٣٠٥ هـ وسكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها وإليه انتهت رئاسة الحفصية وتوفي سنة ٣٧٠ هـ ، أبو الوفاء القرشي ، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية الطبعة الأولى (مطبعة مجلس إدارة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن بالهند) جـ١ ص ٨٤ ، ٨٥

(٥) انظر الجصاص: أحكام القرآن (بيروت: دار الكتاب العربي)ج٣ ص ٧٠

(٦) الطبري : اختلاف الفقهاء (نشر يوسف شخت طبعة ليدن ١٩٣٣م) ص ١٤

وفرض الهيئات والمنظمات الدولية - التي تتحكم فيها دول الكفر - في هذا العصر حالة السلم الدائم مأزق خطير للمسلمين ومحظور عليهم أن يقيموا على أساسه العلاقات السلمية التعاونية مع غيرهم إلا أن يكون موقوتا بمدة ضعفهم - لأنه يترتب عليه تعطيل الجهاد من جانب وعزة الكفر ورسوخه من جانب آخر ولذا يجب عليهم إذا عادت لهم القوة والشوكة نبذ تلك العهود وإعلان الجهاد . قال تعالى: **﴿وإمّا تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين﴾** سورة الأنفال : آية ٥٨

والإنصاف الأمر الذي لايقتضي الموالاة والتواد(١) قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ .... ﴾(٢) يقول الإمام الطبري بعد أن أورد أقوال المفسرين في الذين لاينهى الله عن برهم: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بذلك لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتقسطوا إليهم .. ولا معنى لقول من قال: منسوخ (٣).

وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الله كَتَبَ الإحسَانَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ .... » قال النووى : " وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام" (٤)

ويمكن تلخيص جوانب البر والإحسان في الأمور التالية:

١- صلة الرحم ففي حديث أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهْيَ راغبَةَ وَهْيَ مُشْرَكَةٌ أفَأَصِلُهَا قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّك » (٥)

٢- حسن الجوار ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْم الآخرِ فَلْيُحْسِن إلَى جاره »(٦) ، قال القرطبي : " والوصاة

---

(١) عقد القرافي بابا في فروقه ج٣ ص ١٤ وما بعدهابين فيه الفرق بين قاعدة بر أهل الذمة وبين قاعدة التودد لهم.

(٢) سورة الممتحنة : آية ٨

(٣) الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٦٦

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٠٦ ، ١٠٧

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب صلة المرأة أمها ولها زوج ح(٥٩٧٩) فتح الباري ج ١٠ ص ٤٢٧ ، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٨٩

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ح (٦٠١٩) فتح الباري ج ١٠ص ٤٦٠ ؛ وأخرجه مسلم في كتاب الايمان باب الحث على أكرام الجاروالضيف صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص٢٠ واللفظ له.

بالجار مأمور بها مندوب إليها مسلما كان أو كافرا وهو الصحيح "(١)

٣- زيارتهم وعيادة مرضاهم بقصد تأليفهم على الإسلام ففي الحديث عن أنس رضى الله عنه : « أن غُلاماً لَيهُودَ كان يَخدُم النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فمرِضَ فأتاهُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يَعودُه ، فقال أسلِم ، فأسلم » (٢) ، ولا بأس بتعزيتهم على مصائبهم على الوجه المشروع(٣) ، ولا تتبع جنائزهم (٤)

٤- رد السلام على أهل الكتاب ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « إذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكتَابِ فَقُولُوا : وَعَلَيْكُمْ »(٥) ولا ينبغي ابتداؤهم به، ولا التنحي لهم عن الطريق الضيق إكراما لهم واحتراما (٦) لقوله صلى الله عليه وسلم: « لاتَبْدَؤا الْيَهُودَ وَلاَ النَّصَارَى بالسَّلامِ فَإذَا لَقِيتُمْ أحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ » (٧)

٥- الاهداء اليهم : روى ابن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما : " أن الرسول صلى الله عليه وسلم أَرْسَلَ إلى عمر بحُلَةٍ ... فكساها عمر أخاً له بمَكَّة مُشْرِكاً " (٨)

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ١٨٤

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب عيادة المشرك ح (٥٦٥٧) فتح الباري ج١٠ ص ١٨٤

(٣) انظر: ابن القيم : أحكام أهل الذمة ج ١ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ؛ ابن قدامة : المغني ج١٠ ص٦١٧

(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٢٤ ص ٢٦٥

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب كيف الرد على أهل الذمة ح (٦٢٥٨) فتح الباري ج ١١ ص ٤٤ ؛ وأخرجه مسلم في كتاب السلام ، باب النهى عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ١٤٤

(٦) انظر: ابن حجر : فتح الباري ج ١١ص ٤٢ ؛ وشرح النووي على صحيح مسلم ج١٤ ص ١٤٤-١٤٥

(٧) أخرجه مسلم في كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ١٤٨

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشركين ح (٢٦١٤) فتح الباري ج ٥ ص ٢٧٠

....

أما قبول هديتهم فقد اختلفت آراء الفقهاء حولها(١) لتعارض الأدلة فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل هدية ملك أَيْلَةَ(٢) وهدية أُكَيْدِرَ صاحب دُومَة الجندل (٣) ، وأكل من الشَاة المَسْمُومَة التي أهدتها له المرأة اليَهُودِيَة(٤) ، وثبت أن عِيَاض بن حِمَار(٥) أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية أو ناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أسلمت؟ فقال : لا قال : فإِنّي نُهِيتُ عن زَبْدِ(٦) المشرِكين »(٧) يَعْنِي هَدَايَاهُمْ

---

(١) منهم من قال : إن أحاديث النهى منسوخة ، ومنهم من قال العكس ، وقيل ترد هدية من يريد بهديته التودد والموالاة وتقبل في حق من يرجى إسلامه وقيل : يحمل القبول على من كان من أهل الكتاب ، والرد على من كان من أهل الأوثان، وقيل يمتنع ذلك لغيره من الأمراء، وأن ذلك من خصائصه، وقيل الامتناع فيما أهدى له خاصة والقبول فيما أهدى للمسلمين ، وقيل : لايبعد أن يقال الأصل هو عدم جواز قبول هدايا المشركين ، لكن إذا كانت في قبول هداياهم مصلحة عامة أو خاصة فيجوز قبولها والله أعلم. انظر ، ابن حجر فتح الباري ج ٥ ص ٢٧٣ ؛ المباركفوري : تحفة الأحوذي ج ٥ ص ١٩٩ ، ٢٠٠

(٢) أصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب الجزية والموادعة، باب إذا وادع الإمام ملك قرية هل يكون لبقيتهم ح (٣١٦١) فتح الباري ج ٦ ص ٢٦٦ ، وفي صحيح مسلم في كتاب الفضائل باب معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٤٣-٤٤

(٣) **أكيدر**صاحب دومة الجندل : هو أكيدر بن عبد الملك رجل من كنده كان حاكما على دومة الجندل من قبل هرقل وكان يعترض سفر المدينة وتجارهم انظر : سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ص ٥٢٦ ، المسعودي : التنبيه والأشراف ص ٢٤٨ ، وقال الشافعي في كتابه الأم ج ٤ ص ١٧٣ : وقيل رجل من غسان وسيأتي بيان قصة خالد بن الوليد معه في موضعها .

والحديث : في صحيح البخاري كتاب الهبة باب قبول الهدية من المشرك ح (٢٦١٥ ، ٢٦١٦) فتح الباري ج ٥ ص ٢٧٢ ، وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل سعد بن معاذ رضى الله عنه صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ٢٤

(٤) الحديث في صحيح البخاري ، كتاب الهبة باب قبول الهبة من المشركين ح (٢٦١٧) فتح الباري ج ٥ ص ٢٧٢

(٥) **عياض بن حمار** : صحابي من بني تميم أسلم متأخرا وسكن البصرة ، ابن حجر : الإصابة ج ٥ ص ٤٨

(٦) **الزبْد**: بسكون الباء: الرفد والعطاء والمقصود هنا هدايا المشركين ابن الأثير: النهاية ج ٢ ص ٢٩٣

(٧) أخرجه الترمذي باب ما جاء في قبول هدايا المشركين ح (١٦٢٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح تحفة الأحوذي ج ٥ ص ١٩٩

٦- مخالطتهم(١) والسفر إليهم والإقامة بينهم إذا كان لذلك غرض مشروع كالدعوة لدين الإسلام أو لأداء رسالة، وهذا أمر واضح من سيرته عليه الصلاة والسلام .

٧- احترام حقوقهم فلا يعتدى على أطفالهم ونسائهم وأموالهم ولا تهان ولا تهدم معابدهم (٢) ولا تحرق زروعهم وثمارهم لأن هذا فساد منهي عنه إلا بسبب قال تعالى :﴿ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد ....﴾ (٣) .

٨- التسامح مع أهل الكتاب في إباحة ذبائحهم ونكاح حرائر نسائهم.

قال تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ ﴾ (٤) وجاء في الحديث

---

(١) قال الخازن في تفسيره المسمى لباب التأويل عن معاني التنزيل ج ٧ ص ٤٦ " فان قلت : قد أجمعت الأمة على أنه تجوز مخالطتهم - يعني أهل الذمة والمسالمين ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة؟ قلت : المودة المحظورة : هي مناصحتهم وإرادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم، أما ماسوى ذلك فلا حظر فيه " والحق أنه أذا كان من الواجب دعوتهم إلى الحق وفي ذلك مناصحة وإرادة الخير لهم دينا ودنيا ، فإن المودة المحظورة : هي موالاتهم التي أشرنا إلى بعضا منها سابقا ، وقد ذكر العلماء عدة قيود للمخالطة أهمها : ١- أن يستطيع المخالط إظهار دينه قولا وعملا ٢- ألا يخالط من يسب الرسول صلى الله عليه وسلم ٣- أ لا يجتمع مع أهل الكفر على منكر، انظر: القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص١٣

(٢) انظر : أبو يوسف : الخراج ص ٣٠

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) سورة المائدة : آية ٥ ، قال ابن قدامة في المغني ج ١١ ، ٧ ص ٣٥ ، ٥٠٠ : " وأجمع أهل العلم على إباحة ذبائح أهل الكتاب لقول الله تعالى " وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم " " وليس بين أهل العلم بحمد الله اختلاف في حل حرائر نساء أهل الكتاب" ا. هـ وروى عن ابن عباس أنه قيد ما أحل لنا من نكاح نسائهم بمن أعطى الجزية ، انظر : الطبرى : جامع البيان ج ٤ ص ١٠٧ ؛ الجصاص: أحكام القرآن ج٢ ص ٣٢٤، وكره ابن عمر نكاح النصرانية ؛ لأنها مشركة بقولها إن ربها عيسى عليه السلام ، وقد نهى الله تعالى عن نكاح المشركات ، انظر صحيح البخارى كتاب الطلاق ، باب قول الله تعالى : (ولاتنكحوا المشركات حتى يؤمن) ح (٥٢٨٥) فتح البارى ج ٩ ص ٣٢٦؛ وأيدً راى ابن عمر الامام الشافعى فى كتابه الأم ج ٥ ص ٦ ، وهو الأحوط من الوقوع فى الفتنة، أو الموالاة التى نهى الله عنه، وعلى هذا يحمل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أمر الذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب أن يطلقوهن، انظر : ابن قدامة : المصدر نفسه ج ٦ ص ٥٩٠

أن الرســول صلى الله عليه وســلم سئل عــن طـعام النصارى فقال :
« لايَتَخَلَّجَنَ فى صَدْرِكَ طَعَامٌ ضَارَعْتَ(١) فيه النَّصرانيَّة »(٢)

٩- التسامح مع أهل الذمة في : " الرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول على سبيل التلطف لهم والرحمة ، لا على سبيل الخوف والذلة ، واحتمال أذيتهم فى الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منّا بهم لاخوفا وتعظيما، والدعاء لهم بالهداية ، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض احد لأذيتهم وصون جميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم " (٣)

أما الحقوق التي أقرها الإسلام لهم بموجب عقد الذمة فتتمثل في كل شيء لايجعلهم في مصاف المسلمين (٤) ، أو يجعل لهم سلطانا على المسلمين قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٥) ، ومن هنا فلا يجوز توليتهم الوظائف والولايات في الدولة الاسلامية ، ويحرم توليتهم الوظائف الدينية والوظائف الدنيوية العامة. (٦) ، وهذا من الصغار المأمور به والذي أثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه فعله(٧) ولا ينبغي أن يرافق هذا إيذاء أو تعذيب أو ظلم لهم .

---

(١) ضارعت : أى شابهت لأجله أهل الملة النصرانية من حيث امتناعهم إذا وقع فى قلب أحدهم أنه حرام أو مكروه

(٢) أخرجه الترمذى فى أبواب السير ، باب ما جاء فى طعام المشركين ح (١٦١٢) وقال حديث حسن ، تحفة الأحوذى ج ٥ ص ١٨٢

(٣) القرافي : الفروق ج ٣ ص ٥

(٤) انظر : يوسف القرضاوي : غير المسلمين في المجتمع الاسلامي . الطبعة الثانية (مكتبة وهبة بمصر ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م) ص ١٦ - ٢٣

(٥) سورة النساء : آية ١٤١

(٦) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٢٤١ وما بعدها ؛ ابن القيم : أحكام اهل الذمة ج ١ ص ٢٠٨

(٧) انظر : أبو يوسف : الخراج تحقيق محمد إبراهيم البنا(دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع) ص ٢٦٢ ومابعدها .

فقد روى أن هِشَامُ بْنُ حَكِيم (١) رضى الله عنه مر على أناس من الأَنْبَاطِ بالشَّام قَدْ أُقِيمُوا في الشَّمسْ فَقَالَ : مَا شَأْنُهُمْ قَالُوا : حُبِسُوا فى الْجِزيَةِ فَقَالَ هشام : أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ في الدُّنْيَا » (٢)

قال ابن حجر:" ولا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر ما يطيق المأخوذ منه (٣)

ولايمنع الإسلام أن تقوم العلاقات بين المسلمين وغيرهم - ممن سبق الإشارة إليه - على المصالح الدنيوية كالبيع والشراء (٤) والإيجارة والاستفادة مما عندهم في شئون الحياة الدنيا فقط عند الحاجة والضرورة وتقبل أخبارهم في ذلك إذا أومن غشهم وخداعهم (٥) ، فقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم تُوُفِّيَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيَّ بِثَلاَثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ (٦) ، وثبت أنه عليه الصلاة والسلام اسْتَأْجَرَ في هجرته إلى المدينة رَجَلاً مُشْرِكاً مِنْ بَني الدِّيلِ يَدُله عَلَى الطَرِيْق (٧) وثبت أنه صلى الله عليه وسلم : " أَعْطَى خَيْبَرَ الْيَهُودَ على أَنْ يَعْمَلوهَا وَيَزْرعُوهَا وَلَهُمْ شَطْرُ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا " (٨)

---

(١) هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد القرشي ، صحابي ابن صحابي ، له ذكر في الصحيحين في حديث عمر حيث سمعه يقرأ سورة الفرقان على غير مايقرؤها هو فأحضره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستقراهما فصوبهما ، مات قبل أبيه ، ابن حجر : الإصابة ج ٦ ص ٢٨٥

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأدب باب الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٦٧

(٣) فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٩

(٤) وقيد العلماء التعامل معهم في البيع والشراء بأن يكون بما شرع الله ، وبألايترتب عليه ضرر أو إساءة للإسلام والمسلمين ، انظر : ابن حجر : المصدر نفسه ج ٤ ص ٤١٠

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٤ ص ١١٤ ، ويبدو أن السبب فى تقييد الأستفادة منهم بالحاجة والضرورة هو أن جميع أعمال الكفار ، وأمورهم الدينية ، والدنيوية قد وقع فيها من الخلل ما يمنع أن تتم المنفعة بها فى الدنيا والآخرة . انظر : ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ ص ١٧٧

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب ماقيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم ح (٢٩١٦) فتح الباري ج ٦ ص ١١٦

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الايجارة باب استئجار المشركين عند الضرورة ح (٢٦٦٣) فتح الباري ج ٤ ص ٥١٧

(٨) أخرجه البخاري في كتاب الشركة باب مشاركة الذمي والمشركين.. ح (٢٤٩٩) فتح الباري ج٥ص١٦٠

والحق أن على المسلمين أن يجعلوا من كل ذلك وسيلة لدعوتهم إلى الإسلام ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « فَوَالله لأَنْ يُهدَى بكَ رَجُلٌ واحُدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُر النَّعَم » (١)

ومما ينبغي الإشارة إليه هو وجوب التزام غير المسلمين ـ ممن أبيح التعامل معهم - بما يشترط عليهم و باحترام الإسلام وأهله وذلك بإن لايطعنوا فى كتاب الله ولايحرفوه ولايفتروا على رسول الله ولايزدروه ، ولايذموا دين الإسلام ، ولايصيبوا مسلمة بزنا ، ولا باسم نكاح ، ولايغروا مسلما ولايحولوه عن دينه ، ولايعينوا أهل الحرب ولايأووا أغنياءهم .(٢)

د ـ مقاطعتهم والغلظة عليهم إذا ظهرت منهم بوادر المحاربة وإضمار الشر والعداء للمسلمين ووجوب جهادهم في حالة القوة قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٥)

ولايمنع الإسلام أن يتخذ المسلمون معهم في حالة الضعف موقفا مؤقتا من الملاينة بالقول قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس الى الاسلام والنبوة ح (٢٩٤٢) فتح الباري ج ٦ ص ١٣٠

(٢) الشافعى : الأم ج ٤ ص ١٢٦ ؛ النويرى : نهاية الأرب ج ١٨ ٢٣٨ ؛ شلبي : الدعوة الإسلامية ص ٥١٨ ، القرضاوي : المرجع السابق ص ١٣ وما بعدها ، وزعم أبو الأعلى المودودي في كتابه حقوق أهل الذمة في الدولة الإسلامية (جدة الدار السعودية للنشر ١٤٠٨هـ) ص ٣٥ ، " إن لأهل الذمة انتقاد الدين الإسلامي مثل ما للمسلمين نقد مذاهبهم ونحلهم " وهذا قول عظيم مخالف لمعاملة سلف الأمة لأهل الذمة.

(٣) سورة الممتحنة : آية ٩

(٤) سورة الفتح : آية ٢٩

(٥) سورة التحريم : آية ٩

﴿يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ....﴾ (١)

قال ابن عباس :" إلا أن تتقوا منهم تقاة ليس التقية بالعمل وإنما التقية باللسان"(٢)، وقول ابن عباس هذا يوضح حقيقة كبرى وهي أنه لايجوز لأحد كائنا من كان أن يتخذ من هذه التقية مبررا للتنازل لليهود والنصارى عن شىء من أرض المسلمين أو حقوقهم أو شىء من شرائع دينهم على سبيل التقية .

ثانيا : العدل : وهو من القواعد التي أوجب الإسلام على المسلمين اتباعها عند معاملة غيرهم، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ..﴾(٣) يقول الإمام القرطبي إن هذه الآية تدل على أن كفر الكافر لايمنع من العدل عليه(٤)

ولتطبيق المسلمين لمبدأ العدل في كل حال وفي كل التصرفات مع غيرهم أثر كبير في ترغيبهم في الإسلام. فقد روى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى سليمان بن أبي السري - أحد ولاته على بلاد ما وراء النهر - " أن أهل سمرقند شكوا ظلما وتحاملا من قتيبة بن مسلم الباهلي عليهم حتى أخرجهم من أرضهم فاذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم فإن قضى لهم فأخرج العرب الى معسكرهم كما كانوا قبل أن يظهر عليهم قتيبة ، قال : فأجلس لهم سليمان جميع من حضر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذهم على سواء فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة، فقال أهل الصغد بلى نرضى بما كان ولا نُحدِث حربا وتراضوا بذلك "(٥)

---

(١) سورة آل عمران: آية ٢٨

(٢) تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٢٤

(٣) سورة المائدة : آية ١١ والشنآن : هـو البغض قـاله ابن عباس وغيره ، انـظر : تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٠

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١١٠

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٣

ثالثا : الوفاء بالعهود(١) : جعل الإسلام الالتزام بالعهود واحترامها والوفاء بها أمرا ضروريا وفرضا لازما على المسلمين في تعاملهم مع بعضهم البعض ومع غيرهم قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾(٣)

وهذا الحكم مطلق في كل العهود الموافقة للدين (٤) وأبرز مثال يدل على تحقق هذا المبدأ في عالم الواقع وفاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالعهد الذي عقده مع قومه والمعروف بصلح الحديبية (٥) ، ووفاء أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه بما عاهد عليه أهل حمص فقد روى أنه حين فتح حمص وأخذ الجزية من أهلها الذين كانوا يومئذ ما يزالون على دينهم اشترطوا عليه أن يحميهم من الروم ، فلما أخبره نوابه على مدن الشام بتجمع الروم كتب إليهم : أن ردوا الجزية على من أخذتموها منه وأمرهم أن يقولوا لهم : إنما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع ، وأنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم ، وإنا لانقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ونحن لكم على الشروط وما كتبنا بيننا وبينكم أن نصرنا الله عليهم (٦)

ونخلص من هذا كله إلى أن العلاقات بين المسلمين وغيرهم تقترن بفكرة الدعوة إلى الإسلام وموقفهم منها. وتظهر بدايتها سلمية كما بدأها الرسول صلى الله عليه وسلم معهم بالمكاتبات التي دعاهم فيها إلى الإسلام وهو ما سنعرض له في الصفحات التالية:

---

(١) العهد : لفظ عام لجميع ما يعقد باللسان ويلتزمه الانسان من بيع أو صلة أو موافقة في أمر موافق للديانة . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ١٦٩

(٢) سورة النحل :آية ٩١

(٣) سورة الإسراء آية ٣٤

(٤) الطبري جامع البيان في تفسير القرآن ج ١٥ ص ٦١

(٥) انظر : ابن حجر : فتح الباري ج ٥ ص ٣٨٨- ٣٩٢ ح (٢٧٣١- ٢٧٣٢)

(٦) أبو يوسف : الخراج ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ج ١ ص ١٦٢

مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وامراء العالم النصرانى ونتائجها

بعث الله تعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين ، وقد برزت حقيقة ذلك منذ فجر الدعوة ـ كما بينا سابقا ـ كما أن من الثابت صحته أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى الملوك والجبابره المعاصرين لبعثته يدعوهم إلى الإسلام ففى الحديث عن أنس رضى الله عنه :« أَنَّ نَبِيّ اللّه صلى اللّهُ عَلَيهْ وَسَلَّمَ كَتَبَ إلى كِسْرَى وَإلى قَيْصَرَ وَإلى النَّجَاشى وَإلى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إلى اللّه تَعَالى ، وَلَيْسَ بِالنَّجَاشِى الِذَّى صَلّى عَلَيْه النَّبِىُّ صَلَّى اللّه عَلَيْه وَسَلَّمَ » .(١)

ولاشك أن مكاتباته عليه الصلاة والسلام من طُرق التطبيق العملى بالوسائل السلمية لنشر الدعوة الإسلامية خارج الجزيرة العربية ، وتحديد العلاقات مع غير المسلمين تمهيدا لقتال من وقف فى طريق نشر الإسلام ، أو شكَّل عقبة تحول دون وصوله إلى سائر الناس ، ويدل على ذلك فعله صلى الله عليه وسلم الذى أعقبها ، والذى يُعد مقدمة للفتوح الاسلامية التى قام بها الخلفاء والقادة من بعده لنقل رسالة الإسلام إلى أمم الأرض .

ولذا يحاول بعض المستشرقين إنكارحقيقة وقوع المكاتبات بإثارة الشكوك والشبهات حولها ومن ذلك زعمهم :

أولا : أنها تتعارض مع زعمهم أن الإسلام دين يخصّ الجزيرة العربية .

ثانيا : أنها تدلّ على تحدّى الرسول صلى الله عليه وسلم لقوة العالم وهو فى حالة لاتمكنه من ذلك

ثالثا : أن المصادر الرومية لاتذكرها .

رابعا : أنه ليس لها أساس تاريخى ؛ لأن ابن إسحاق أقدم من كتب فى السيرة لايذكرها ، وبحجة عدم عثورهم على مايدل على شىء منها فى الوثائق التى خلفها أولئك الملوك والأمراء .

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير ، باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الإسلام صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ١١٢ .

خامسا :أنه ورد فى بعض تفاصيلها آيات قرآنية لم تكن نزلت وقت إرسالها، مما يدل على أنها أسطورة ابتكرها الخلفاء والقادة ليبرروا فتوحهم تبريراً دينياً .

ولاشك أن هذه المزاعم والافتراءات(١) تهدف فى النهاية إلى نفى عالمية الدعوة الإسلامية، ويظهرذلك صريحا فى إنكارهم لها ؛ لأنها تتعارض مع حصرهم الرسالة المحمدية فى الجزيرة العربية .

والواقع أن إنكار عالمية الرسالة المحمدية ، واعتبارها ديانة محلية خاصة بالجزيرة العربية ، وأن المقصود بها العرب وحدهم، دعوى قديمة قالت بها بعض طوائف النصارى منذ القرون الأولى لتاريخ الإسلام ففي أواخر عصر الدولة الأموية ظهر رجل نصراني يُدعى محمد بن عيسى في أصبهان فنادى بذلك هو وأتباعه(٢)، وظهر في صيدا مطران نصراني يردد هذا الزعم ، بل ألف رسالة مكونة من ستة فصول سماها الانتصار لدين النصارى ، وقد أفرد الفصل الأول من تلك الرسالة للزعم القائل بأن محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى العرب خاصة ، ولم يرسل إلى سائر البشر ولاسيما النصارى ، وهذا المطران يدعى بولس الأنطاكي أسقف صيدا ، وقد عاش في اواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي حيث توفي سنة ١٥٤هـ ــ ٧٧٠م وهذه الرسالة لاتزال محفوظة في مكتبة الفاتيكان ، وقد تناقل النصاري هذه الرسالة ، جيلا بعد جيل ، ولما كان عصر شيخ الإسلام ابن تيمية وصلت إليه هذه الرسالة من قبرص فتناولها ورد عليها رداً مفحماً في أربعة اجزاء وهو الرد المعروف

---

(١) رينسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٣١ ؛ ونقلا عن : عبد الوهاب كلزية : الشرع الدولى فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الأولى (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٨٤م) ص ١٠٤ ومابعدها ؛ محمد الراوى : الدعوة الإسلامية دعوة عالمية (الدار القومية للطباعة والنشر) ص ٣٠ ، ٣١ ؛ عباس العقاد : الإسلام دعوة عالمية (صيدا : المكتبة العصرية) ص ١٢٧ ؛ عز الدين إبراهيم : « الدراسات المتعلقة برسائل النبى صلى الله عليه وسلم » المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) ص ٢٤٥ ومابعدها .

(٢) ابن حزم : الفصل ج١ ص ٩٩

أنتم تاركو لي صاحبي ـ يعني أبا بكر ـ هل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ إني قلت : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا.. ﴾ فقلتم كذبتَ، وقال أبو بكر، صدقت »(١).

أما التناقض المقوت فهو أن يصدّقوه في بعض الأمور ويكذبوه في بعضها الآخر تبعا لأهوائهم دون دليل يشهد لهم قال تعالى﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(٢)

أما الزعم الثاني فقد بنوه على المقاييس الدّنيوية للقوة والضعف وتجاهلوا حقيقة أن الأنبياء يبلغون ما أمرهم الله به وهم واثقون من حفظ الله وتأييده لهم فقد واجه موسى عليه السلام بدعوته فرعون وهو في ذروة تأله، وواجه عيسى عليه السلام بدعوته بنى إسرائيل ، ولم يخش في ذلك اليهود والرومان، ونبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم امتثل لأمر ربه في إبلاغ دعوته للناس كافة وهو واثق من حفظ الله وتأييده له، بل وظهوره على أعدائه. قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا.. ﴾(٤)

والجدير بالملاحـظة أن الآية الأخيرة هي إحدى آيات سورة الفتح التي نزلت

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب قول الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ..﴾ ح (٤٦٤٠) فتح الباري ج ٨ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٨٥ .

(٣) سورة المائدة : آية ٦٧

(٤) سورة الفتح : آية ٢٨

بالجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١) ، يقول ابن تيمية في سياق الردّ على هذا الزعم لما ظهر في عصره ما ملخصه: " وأما إقرارهم برسالته إلى العرب ، وإنكارهم رسالته إليهم فباطل ومردود عليهم كل مااحتجوا به على ذلك ؛ لأن اقرارهم برسالته يوجب عليهم الإيمان بكل ماثبت عنه من الكتاب والحكمة ومن ذلك أنه رسول الله إلى الناس كافة ، والرسول لايكذب باتفاق المسلمين واليهود والنصارى لاعمداً ولاخطأ .... " (٢)

والمقصود أن على طوائف اليهود والنصارى التي ترى العصمة للأنبياء من الكذب في تبليغ الوحي (٣) والتي تسلم بصدق رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم أن تصدقه في كل ما جاء به ، ومن ذلك عموم رسالته التي هي من المعلوم من دين الإسلام ضرورة، فروح الإسلام نفسه، ونصوص القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة- دستور الإسلام والمسلمين- والشواهد التاريخية تشهد على أن الرسالة المحمدية لم يقصد بها العرب وحدهم، وحسبنا من ذلك ـ مع ما سبق بيانه(٤) ـ قوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا....... ....﴾(٥) وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " هل

---

(١) انظر : يوسف الياس الدبس : تاريخ سوريا ، الجزء الثالث من المجلد الخامس في تاريخ سوريا في أيام الخلفاء إلى نهاية القرن الحادي عشر ، (طبع المطبعة العمومية في بيروت ١٩٠٠م) ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ منير الخوري : صيدا عبر حقب التاريخ من ٢٨٠٠ ق. م إلى ١٩٦٦م (طبعة بيروت ١٩٦٦م) ص ١٣٥ ؛ وانظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ ص ١٩ ـ ٢٠

(٢) انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ ص ٣٨ - ٣٩ ، وانظر ما كتبه أيضا عن ذلك في رسالة إيضاح الدلالة في عموم الرسالة.

(٣) انظر: ابن حزم : الفصل ج ٤ ص ٢٩ ؛ رحمة الله الهندي : إظهار الحق ج٢ ص٦٤٨ وفي الصحيح لما سأل هرقل أبو سُفْيَانَ عن الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "هل كنتم تَتَّهِمُونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فأجابه أبو سفيان : لا ، قال هرقل فعرفت أنه لم يكُن لِيَدَعَ الكذب على الناس ويكذب على الله تعالى.." انظر: صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب حديث أبى سفيان عند هرقل؛ صحيح مسلم كتاب الجهاد ، باب كتب النبى صلى الله عليه وسلم

(٤) انظر : ص ١٠٦ ـ ١٠٨

(٥) سورة الأعراف : آية ١٥٨

عليه صلى الله عليه وسلم عقب رجوعه من صلح الحديبية (١)- أى قبل مكاتباته الأمر الذي يؤكد أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل تلك الرسائل إلى ملوك وجبابرة عصره وهو يعلم علم اليقين أن دينه ظاهر لامحالة على سائر تلك الأديان. يقول الغزالي : " والأنبياء لايرون في القوم إلا أنهم جهال يجب أن يتعلموا، وسفهاء يجب أن يسترشدوا وأن ماحولهم من الدنيا يجعل تبعتهم أخطر، وجزاءهم على الهدى والضلال أضخم "(٢).

أما القول الثالث - إن صح (٣) - فليس بحجة، فالمصادر الرومية غير مقبولة عندما تقدح في الإسلام ونبيه وأتباعه لأنها صادرة عن قوم قد أظهروا عداءهم آنذاك ، وكتمان الحق من صفاتهم ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾(٤)

والواقع أن المصادر الرومية المعاصرة لاتقدم إلا معلومات مشوشة ومضطربة

---

(١) انظر : ما رواه الامام أحمد عن ذلك في مسنده ج ٣ ص ٤٢٠ ؛ و الحاكم في مستدركه ج ٢ ص ٤٥٩ وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ؛ الطبري: جامع البيان ج ٢٦ ص ٤٣ ؛ الواحدي : أسباب النزول ص ٢٥٥ ؛ ابن كثير : التفسير ج ٧ ص ٣٠٧ ؛ أما الحديث الذي ورد في صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة الحديبية ح (٤١٧٧) فتح الباري ج ٧ ص ٥١٨ فلم يصرح بأن ذلك في غزوة الحديبية وان كان ظاهره يدل عليه .

(٢) الغزالي : فقه السيرة ص ٣٩٢

(٣) أورد عز الدين إبراهيم في مقاله الدراسات المتعلقة برسائل النبي صلى الله عليه وسلم ص ٢٤٩- ٢٥٠، أن أبا صالح الأرمني ذكر في كتابه كنائس مصر وأديرتها - تحقيق إيفان ص١٠٠، خبر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس حاكم مصر، وأن جيبون ذكر في كتابه انهيار الدولة الرومانية وسقوطها- الذي اعتمد في معلوماته على مصادر بيزنطية - خبر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل .

(٤) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .

عن الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته(١). ورغم ذلك الاضطراب في تلك المعلومات فإنها تفنّد الزعم القائل بأن المصادر الرومية لم تُشر مطلقا إلى مراسلة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل .

أمّا دعوى عدم وجود أساس تاريخي للمكاتبات فمحض افتراء فخبر الرسائل النبوية ثابت الصحة - كما بينا (٢) - في أمهات كتب الحديث الصحيحة التي تعلو كتب السيرة في التوثيق والتي تتفوق في صحتها سندا ومتنا على سائر مصادر التاريخ الرومي المعاصر لتلك الحقبة، كما أن ابن إسحاق أورد أصل الخبر في سيرته كما سيأتي لاحقا (٣).

وأما نفيها بحجة عدم عثورهم على ما يدل عليها في الوثائق التي خلفها الملوك والأمراء الذين أرسلت إليهم فيردّه ما عثر عليه في هذا العصر من رقوق نصوص بعض الرسائل النبوية إلى الملوك والأمراء ، ومنها ثلاثة تخص ملوك النصارى (٤)

---

(١) ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية في عصر هرقل ص ٣٤٥ ، وتذكر : أنه لم يرد بالمصادر البيزنطية أى شيء عن كتاب الرسول إلى هرقل ، وترى أن سببه هو عدم اهتمامه بالإسلام في هذا الوقت المبكر.

وأن بعض المصادر البيزنطية تذهب إلى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي ذهب إلى هرقل للتفاوض معه، وهو في طريقه إلى حمص في الرحلة التي قام بها إلى بيت المقدس عندعودته منتصرا من فارس ، وأن محمد عقد مع البيزنطيين اتفاقا يكفل لهم حرية الانتقال والتجارة بين الجزيرة العربية والأقاليم البيزنطية ، و أنه بمقتضى هذا الاتفاق أصبح محمدا سيداً على دومة الجندل نقلا عن:

Zanras , Epitomae Histori aram libri , T. 3,in C. S. H .B ., P 214 ;Lebau , hisloire Du du Bas - Empire . x 1., p 76

(٢) انظر : ماسبق ص ١٨٤

(٣) انظر : مايلي ص ١٩٤ ، ١٩٥

(٤)ـ الرسالة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وأُعلن عن وجودها سنة ١٩٧٣م لدى الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن سابقا. وهي المثبتة في المتن ص١٩٨ ، ١٩٩

ـ الرسالة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، وعثر عليها المستشرق الفرنسي بارتليمي في أحد الأديرة بناحية أخميم من صعيد مصر وذلك سنة ١٨٥٠م (وهي المثبتة في المتن ص ٢٠٨)

ـ الرسالة التى بعث بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ، وأعلن عن العثور عليها المستشرق الإنجليزي دانلوب في سنة ١٩٤٠ م. وهي المثبتة في ص ٢١٧ هامش رقم (١).

وقد أجريت عليها دراسات عديدة لبيان مدى صحتها ، فجزم البعض بأصالتها(١) ودلّل بعض آخر على أنها موضوعة وأنه لايزال الشك قائما حول أصالتها.(٢)

والمهم أن العثور على شيء يدل عليها هو في حد ذاته إبطال لحجتهم فيما زعموا ، وأما الجزم بصحة الوثائق التي عثر عليها فيبقى موضع الدراسة شأنه شأن الوثائق التاريخية في جميع العصور ، وليس في التفاصيل أى شيء يتناقض مع أصل الخبر وما توهموا من ذلك فسيأتي بيانه لاحقا.

أما الافتراء بأنها أسطورة ابتكرها الخلفاء والقادة ليبرروا فتوحهم تبريرا دينيا. فالحقيقة أن الخلفاء والقادة ليسوا في حاجة لاتخاذ تلك المراسلات مبررا لفتوحهم فنصوص القرآن الكريم والأحاديث كافية لتبرير تلك الفتوحات وذلك واضح في كون رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع البشر وواجب على المسلمين أن يعملوا على دعوة الناس جميعا للإيمان بها قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤) وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « بلِّغوا عنّي ولو آيةً »(٥) وقال : « فَلْيُبَلِّغَ

---

(١) عبد الجبار السامرائى :" الرسائل التى بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك" الفيصل ، الرياض : العدد ٥٥ (محرم ١٤٠٢هـ) ص ٧٧ - ٧٩ ؛ عز الدين إبراهيم " الدراسات المتعلقة برسائل النبي صلى الله عليه وسلم " ص ٢٥٥ - ٢٦١ ؛ سهيلة الجبوري " رسالة النبي الكريم إلى هرقل ملك الروم " مجلة الوثائق العربية ، بغداد : العدد السابع ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، ص ١٢٢ - ١٢٨.

(٢) عبد اللطيف كانو : " رسائل النبى صلى الله عليه وسلم للاياطرة والملوك والأمراء " الوثيقة البحرين العدد الأول (السنة الأولى ١٤٠٢هـ) ص ٣٦ ـ ٧١

(٣) سورة فصلت : آية ٣٣

(٤) سورة : آل عمران آية ١٠٤

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني اسرائيل ح (٣٤٦١) فتح الباري ج ٦ ص ٥٧٢.

الشَّاهِدُ الْغائِبَ »(١) وقال :« نَضَّرَ(٢) اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » (٣) .

هذا إضافة إلى الوعد من الله تعالى باستخلاف هذه الأمة في الأرض، واختيارها لتكون شاهدة على سائر الأمم ولتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا . . . . ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾(٥)

والملاحظ أن افتراءهم الأخير هو محاولة خبيثة لتقوية تعليلهم الباطل لحركة الفتوحات الإسلامية بالدوافع الاقتصادية ونفي ما يعارضها، فقد زعموا أن جزيرة العرب تعرضت في القرن السابع الميلادي لتغيرات مناخية أدت إلى نضوب المياه وحدوث الجفاف، مما استدعى خروج الموجات البشرية منها إلى الهلال الخصيب حيث تتوفر دواعي الرخاء الاقتصادي (٦) ويصرح أحد المستشرقين بالمراد من هذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب قول النبي صلى عليه وسلم رب مبلغ أوعى من سامع ح (٦٧)، فتح الباري ج ١ ص ١٩٠ ، وأخرجه مسلم في كتاب الحدود باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال صحيح مسلم بشرح النووي ج ١١ ص ١٧٠

(٢) نضَّر الله : أي حسن خلقه وقدره.

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب في الحث على تبليغ السماع ح (٢٧٩٥) وقال : هذا حديث حسن صحيح تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٤) سورة النور : آية ٥٥

(٥) سورة البقرة : آية ١٤٣

(٦) نقلا عن : سعيد عاشور: بحوث ودراسات في تاريخ الإسلام وحضارته ص ١٢٢ - ١٢٣ ، أكرم العمري: السيرة النبوية ج ٢ ص ٣٤٠ ، جوزيف نسيم " الصراع الإسلامي البيزنطي في الشام وتخومها في صدر الإسلام" المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام : عمان ، الجامعة الأردنية (المجلد الثالث ١٩٨٧م) ص ٣٠٥ ؛ هامش ١٣١ نقلا عن :

Benyes and , Byzantuam , p . 11

بقوله : " ويعتبر توسع الجنس العربي ــ يعني الإسلامي ــ على أصح تقدير هجرة جماعة نشطة، دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة وتجتاح بلاد أكثر خصبا كانت ملكا لجيران أسعد منهم حظا "(١)

والواقع أنه إذا كان من الثابت علميا أن شبه الجزيرة العربية تعرضت في التاريخ القديم لأدوار متعاقبة من الجفاف والمطر أدت إلى خروج كثير من الهجرات السامية منها إلى بلاد الهلال الخصيب ، فإن الحقيقة العلمية الثابتة أيضا تؤكد أنه لم يحدث في القرن السابع الميلادي انقلاب في الظروف الاقتصادية المتنوعة ولم تنتقل القبائل العربية بهذا الحجم الهائل إلى الهلال الخصيب إلا بعد ظهور الإسلام وتوحدها تحت رايته وانطلاقها لتحقيق مبادئه.(٢)

والحق الثابت المسلم به أن الذي دفع الخلفاء والقادة للقيام بالفتوحات الإسلامية هو الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله وإعلاء كلمته ونشر دينه، والرغبة في هداية الناس وتحريرهم -- كما قال ربعي بن عامر رضى الله عنه أحد جنود الفتح الإسلامي لرستم قائد الجيش الفارسي لما سأله عن سبب خروجهم للقتال جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة (٣)، بل وهذا ما شهد به أعداؤهم المعاصرون لهم حيث ورد أن الإمبراطور هرقل وبخ أحد قادته لعجزه عن صدّ المسلمين في فتح بلاد الشام فرد ذلك القائد النصراني بالقول :" إنّهم أقل منا عددا ولكن عربيا واحدا يعدل مائة من رجالنا ذلك لأنهم يكتفون بالغذاء البسيط وبالكساء البسيط ، ولايرغبون إلا في الموت والاستشهاد ولأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة بينما نتعلق نحن بأهداب الحياة ونخشى الموت يا سيدي الإمبراطور "(٤).

---

(١) توماس ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون الطبعة الثالثة (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م) ص ٦٤ ؛ سعيد عاشور: المرجع السابق ص ١٢٢

(٢) أكرم العمري: المرجع السابق ص ٣٤٠

(٣) انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٠١-٤٠٢

(٤) سعيد عاشور : أوربا في العصور الوسطى ج١ ص١٠١ نقلا عن Eyre : cit p.p 63-64

..

وذكر أن بعض النصارى المعاصرين للفتح الإسلامي ــ لما رأوا المسلمين حين قدموا الشام قالوا: "ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء"(١).

ومن المؤرخين غير المسلمين الذين تعرضوا في مؤلفاتهم لبيان حقيقة الفتوح الاسلامية المؤرخ الأرميني سيبيوس الذي عاصر الفتوحات الإسلامية حيث ركّز في حديثه عنها على أهمية الجهاد في سبيل الله(٢)، والمؤرخ جيفوند الذي عاش في القرن الثامن الميلادي الثاني الهجري- اعترف بأن الإيمان بالله ورسوله هو الذي دفع المقاتل للاستشهاد في سبيل نشر هذا الدين خارج الجزيرة العربية (٣).

ومما يفنّد ذلك الزعم أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي وجه أنظار أصحابه إلى الفتوحات التي قاموا بها وذلك قبل مكاتباته إلى الملوك والأمراء فقد بشرهم في غزوة الأحزاب بفتح الشام وفارس واليمن فعن البراء بن عازب(٤) قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق قال : وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق لاتأخذ فيها المعاول ، قال : فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عوف : وأحسبه قال وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة فأخذ المعول فقال : « بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر ، وقال الله أكبر أعطيتُ مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا ثم قال : بسم الله وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر ، فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا ثم قال : بسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال الله

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ٤ ص ٣٢

(٢) جوزيف نسيم: "الصراع الإسلامي البيزنطي في الشام وتخومها في صدر الاسلام" ص ٣٠٥ نقلاعن :
Sebeos , op cit p.p 95-9

(٣) جوزيف نسيم : المقال نفسه ص ٣٠٥ ، ٣٠٦ نقلا عن :
Qhevod, op cit ,p .2

(٤) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي له ولأبيه صحبه، غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة غزوة ، أو خمس عشرة غزوة وشارك في الفتوحات الإسلامية، وقاتل مع على في الجمل والنهروان ونزل الكوفة ، ومات سنة اثنتين وسبعين ، انظر بن حجر : الاصابة : ج ١ ص ١٤٧

أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا »(١)

ويصف ابن إسحاق كيف بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بإرسال رسله بالكتب إلى الملوك والأمراء بقوله : إن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه - زاد ابن هشام: ذات يوم بعد عمرته التي صدّ عنها يوم الحديبية فقال لهم (٢):« إن الله بعثني رحمة وكافة فأدّوا عني يرحمكم الله، ولاتختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم قال : دعاهم لمثل مادعوتكم له، فأما من قَربَّ به فأحبَّ وسلَّم ، وأمّا من بَعَد به فكره وأبى فشكى ذلك عيسى منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم »(٣) ،

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص٣٠٣، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج٦ص ١٣٠ ،١٣١ : ' إسناده فيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات ' ؛ وحكم عليه ابن حجر في فتح الباري ج ٧ص٣٩٧، بقوله: ' إسناده حسن '.

(٢) ذكره ابن كثير في السيرة ج٣ ص ٥٠٧ بقوله : ' إن الرسول صلى الله عليه وسلم قام ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: « أما بعد: **فإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم فلا تختلفوا عليّ كما اختلف بنو إسرائيل على عيسى بن مريم** » فقال المهاجرون: يا رسول الله إنا لانختلف عليك في شيء أبدا فمرنا وابعثنا '.

(٣) سيرة ابن هشام : ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، و عبارة: ' فأصبحوا وكل رجل يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم' الظاهر فيها أنها تعني الحواريين ، ولكن ابن سعد في الطبقات ج١ ص ٢٥٨ يصرح بأنه أصبح أيضا كل رجل من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم بكتبه- يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم. فاتخذ بعض المستشرقين هذا دليلا للطعن في صحة خبر المكاتبات ، لأنه من غير المعقول في نظرهم أن يعرف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم إلى الملوك والأمراء لغات من أرسلوا إليهم من غير سبق تعلّم . ونرد على هذا بما يلي:

أولا : أنه إذا صح في حق الحواريين على سبيل المعجزة لعيسى عليه السلام فإنه من باب أولى صحته في حق أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أرسله الله إلى الناس كافة

ثانيا : بما صح في خبر المكاتبات أن بعض الملوك من غير العرب قد أحضروا من يترجم لهم وربما فعل الآخرون مثل ذلك.

ثالثا : كثرة اختلاط العرب بغيرهم يؤكد معرفة بعض رسل الرسول صلى الله عليه وسلم بلغاتهم ، انظر مزيداً من التفاصيل ، الندوي : السيرة النبوية ص ٢٤٤ ، ٢٤٥

إضافة إلى أن دحية الكلبي مبعوث النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل هو من قبيلة كلب وهي إحدى القبائل العربية التي تقطن الشام ومن الطبيعي أن يعرف الكثير من أفرادها لغة الروم.

فا ستجاب أصحابه لما أراد فاختار ستة منهم(١)، وبعثهم في فترات متقاربة، ثم بعث غيرهم بعد ذلك(٢).

والذي يهمنا هو ما يخص النصارى من تلك المكاتبات. ففي الحديث: :" لما أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قيل له إِنَّهُم لاَيَقْرءُون كتَاباً إلاَّ أن يَكُونَ مختُوماً فَاتَّخَذَ خَاتَماً مِن فضَّة وَنَقَشَ فِيْهِ مُحَمَّد رسُولُ الله "(٣) وختم به الكتب إلى الملوك(٤).

وظاهر هذا الحديث يشير إلى أنه بدأ بالروم قبل غيرهم

ولاغرابة في ذلك فهرقل ملك الروم كان أنذاك أحد أكابر علماء النصرانية (٥) ، وأقوى ملوك العالم من الناحية السياسية والعسكرية .

وتشير المصادر الرومية إلى أنه استقر بعد حربه مع الفرس في إيلياء (بيت المقدس) سنة ٦٢٩م . وأنه عمل على قتل اليهـــود فيها وقسـرهم على اعـتناق

---

(١) ذكرهم ابن هشام في السيرة ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٦٠٧ ، وسيأتي لاحقاً ذكر أربعه منهم أرسلوا إلى ملوك وأمراء النصارى ، بلفظ " أحد الستة "

أما الاثنين الباقيين فهم : عبد الله بن حذافة وبُعث الى كسرى ملك فارس ، والعلاء بن الحضرمى وبُعث إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين

(٢) اختلف المؤرخون اختلافا شديدا في تاريخ إرسال الرسل الى الملوك والأمراء ما بين أواخر السنة السادسة وأوائل السنة السابعة الهجرية وما بعد ذلك ، والصحيح الذي يتفق مع الوقائع التاريخية والروايات هو ما نقله الطبري عن ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق رجالا من أصحابه الى ملوك العرب والعجم، دعاة إلى الله فيما بين صلح الحديبية ووفاته، والراجح فيما يتعلق بالنصارى أن الارسال إليهم ـ فيما عدا ملكي عمان ـ كان في العام السابع الهجري ؛ لأن هذا التاريخ هو الذي يتفق مع ترتيب الحوادث والتواريخ التي تقدمها الرواية الرومية ، انظر: ابن سعد : الطبقات ج١ ص ١٥٨ ، البلاذري: أنساب الأشراف ٥٣١، الطبري : تاريخ ج ٢ ص ١٢٨ ، المسعودي التنبيه والاشراف ص ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٤٣، النويري: نهاية الأرب ج ١٨ ص ١٥٦ ، ١٥٧

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه ح (٢٩٣٨) فتح الباري ج ٦ ص ١٢٧ .

(٤) ابن القيم : زاد المعاد ج ١ ص ١٢٠؛ الكتاني : التراتيب الادارية (الرباط : الدار الأهلية ١٣٣٦هـ ج١ ص ١٧٧

(٥) ابن القيم : هداية الحيارى ص ٧٠ .

النصرانية مع تعميدهم ، لأنه أدرك الخطر الذي يشكلونه على الإمبراطورية الرومية(١) ويبدو أن ذلك الخطر الذي شعر به نتيجة نبوءة آمن بها واستقرت في أعماقه بعد أن رأى في المنام أن أمة مختونة سوف تقضي وتدمّر إمبراطوريته، فأخبر أنه ليس هناك من يختتن سوى اليهود(٢) وقد أورد البخاري هذا في صحيحه بقوله: "وكانَ ابنُ الناطُورِ ـ صاحبُ إيلْيَاءَ وهِرْقلَ ـ سُقُفّاً على نصارى الشام يُحَدِّثُ أنْ هرقل حين قدِم إيلياء أصبح يوما خَبِيثَ النَّفْسِ ، فقال بعضُ بطَارِقَتِه: قدِ استنكرْنا هيْئَتكَ قال ابن الناطور: وكان هرقل حزّاءً(٣) يَنْظُرُ في النَّجُومِ ، فقال لهم حين سألوه: إنّي رأيت اللَّيْلةَ حِينَ نظـرتُ في النُّجُوم مَلِكَ الْخِتَانِ قد ظَهَرَ، فمن يَخْتَتِنُ مِن هذِهِ الأُمَّةِ ؟ قالُوا: لَيْسَ يختتن إلا اليهودُ فلا يُهِمَّنَّك شأْنُهُمْ ، واكْتُب إلى مَدائنِ مُلْكِكَ فيقْتُلوا مَنْ فيهم من اليَهود، فبينما هم على أمْرِهِمْ أُتِيَ هرقل بِرَجُل أَرْسَل به مِلكُ غَسّانَ يُخْبِرُ عن خَبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلمّا اسْتَخْبَرَهُ هرقل قال : اذْهَبُوا فانْظُروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحَدَّثُوه أنَّه مختتن: وسأله غن العرب فقال هم يختتنون فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر..»(٤)

ودلالة هذا الحديث فيما نحن بصدده هو إشارته إلى حقيقة أن هرقل أدرك بعد أن أوقع الاضطهاد باليهود أن الأمة التي سوف تقضي على إمبراطورية الروم هي هذه الأمة التي بعث إليه نبيها برسالته يدعوه إلى الإسلام

وقد تلقى هرقل في هذه الأثناء كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث

---

(١) ليلى عبد الجواد: المرجع السابق ص ١٩٩ نقلا عن:

سعيد بن البطريق : التاريخ المجموع جـ٢ ص ٥ -٦

Expupjnarionis , in C .S .C . O ., P . 149

(٢) ليلى عبد الجواد المرجع السابق ص ٢٠١ هامش ٢ نقلا عن:

ساويرس بن المقفع : تاريخ بطارقة الاسكندرية ص ٢٢٨

؛ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية جـ١ ص ٢٩-٣٠

(٣) أي تكهن والكهانة تارة تستند إلى إلقاء الشياطين وتارة تستفاد من أحكام النجوم.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، حديث رقم(٧) فتح الباري جـ١ ص ٤٣- ٤٤ ، وقارن مع الطبري : تاريخ جـ٢ ص ١٢٩.

به دِحْيَه الكلبي(١) إلى عظيم بُصْرَى(٢) ليرسله إليه فقرأه(٣) فازداد به غمًّا فقد ذكر أن أبا سفيان قال في خبره مع هرقل: " وحضرته يتحادر جبينه عرقا من كرب الصحيفة التي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم " (٤) ويبدو أن ذلك الغمّ والكرب الذي أصابه لما قرأ رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ناشىء عما أوقعه الله من الرعب في قلبه ففي الحديث أن الرســــول صلى الله عليه وسلم قال: " ونصرت بالرعب مسيرة شهر"(٥).

ولقد أدرك هرقل أنه ليس في مقدوره الوقوف في وجه قدر الله القادم والمتمثل في زوال إمبراطورية الروم على يد أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

ويدل على ذلك أنه لما استدعى أبا سفيان ودعا بترجمانه وسأله عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم وشرائع دينه فأخبره أبو سفيان بها قال (٦) " فإن كَانَ ما تقول حَقّاً فسَيَمْلِكُ مَوْضِعُ قَدَميّ هَاتَين، وقد كنتُ أعلمُ أنه خارِجٌ لم أكُنْ أظُنُّ

---

(١) هو دِحْيَه بن خليفة بن مروة بن فضالة بن عامر الكلبي- أحد الستة - صحابي كان ينزل جبريل عليه السلام على صورته أحيانا ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا وما بعدها وشهد اليرموك ثم عاش بدمشق حتى خلافة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه انظر: ابن سعد : الطبقات ج ٤ ص ١٨٤ ، ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب تحقيق محمد على البجاوي (مكتبة نهضة مصر) ج ٢ ص ٤٦١ ، ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص ١٥٨

(٢) قال ابن حجر في فتح الباري ج ١ ص٥٠ ، " هو الحارث بن أبي شمر وذكر أنه أرسل بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل مع عديّ بن حاتم وكان عديّ آنذاك نصرانيا فوصل به هو ودحيه معا" وفيه نظر سيأتي بيانه لاحقا .

(٣) روي أنه قال لما قرأه : " هذا كتاب لم أسمع بمثله " ابن حجر : المصدر نفسه ج ١ ص ٥٠

(٤) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٧ وقال : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح"

(٥) الحديث سبق تخريجه ص ١٠٨ .

(٦) قال المازني : " والأشياء التي سأل عنها هرقل أبا سفيان ليست قاطعة على النبوة إلاّ أنه يحتمل أنها كانت عنده علامات على هذا النبي بعينه لأنه قال بعد ذلك : " فإن كان ما تقول حقا فسيملك .. ألخ" كما ورد بالمتن انظر ، ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ٤٩ وقال ما ذكر المازني جزم به ابن بطال وهو ظاهر .

أنه منكم فلو أنّي أَخْلُصُ إليه لَتَجَشّمْتُ(١) لِقَاءَه ولو كنتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عن قَدَمِهِ(٢) ثم دعا بالكتاب فقرأه على عظماء الروم الذين حضروا مجلسه ذلك فإذا فيه(٣) « بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ مَنْ مُحَمَّدً عبدِ الله وَرَسُولِهِ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرّوم سَلاَمٌ عَلَىَ مَنِ اتّبَعَ الْهُدَىَ! أمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوكَ بِدِعِايَةِ الإِسْلاَمِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللّه أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْت فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّين(٤)

---

(١) أى تكلّفت الوصول إليه ، وفي صحيح مسلم : "لأحببت لقاءه"

(٢) وفي رواية : لو علمت أنه هو لمشيت إليه حتى أقبل رأسه وأغسل قدميه" الهيثمي : مجمع الزوائد ج ٥ ص٣٠٧ وقال:" رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح "

(٣) حديث هرقل مع أبى سفيان وما أوردت في المتن من قوله : "فإن كان ما تقول ... .. ألخ ونص الكتاب وهو النص الوحيد من نصوص مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم الذي ثبتت صحته من الناحية الحديثية وهو مما اتفق عليه الشيخان وكلاهما يرويه عن أبي سفيان ، وليس في الصحيحين من تفاصيل خبر المكاتبات غيره . انظر : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب حديث أبي سفيان عند هرقل ، والكتاب النبوي الى هرقل ح (٧) فتح الباري ج ١ ص ٤٢ - ٤٣ ، صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ١٠٣- ٣٠٧ .

(٤) اختلف علماء الحديث واللغة في ضبط كلمة الأريسيين وفي معناها اختلافاً شديداً وقد حقق بعض الباحثين المحدثين ذلك ورجح أن المراد بالأريسيين أتباع آريوس المصري (٢٨٠م- ٣٣٦م) (أو أريش كما ورد في كتاب تاريخ العالم لأوروسيوس ص ٤٦٠-٤٦١) الذي نادى بالتوحيد الخالص- وسبق شرح ذلك في التمهيد - وذلك لأن بعض الآراء الواردة حول معنى الكلمة تدل عليه بلا شك، ومن ذلك القول بأن فى رهط هرقل فرقه تعرف بالأروسية توحد الله وتعترف بعبودية المسيح لله عز وجل، ولا تقول شيئا مما يقول النصارى في ربوبيته وتؤمن بنبوته ولذا يمكن إطلاق كلمة (الأريسيون) عليهم في حالة الرفع ، والأريسيين في حالة النصب والجر وإلى هذا ذهب أصحاب الحديث . انظر الندوي السيرة النبوية ص ٢٦٠- ٢٦٤ ، محمد معروف الدواليبي : نظرات اسلامية ، الطبعة الأولى (بيروت :دار الكتاب الجديد ١٩٧٩م) ص ٧٠ -٨٣ ؛ أحمد الحوفي :"كلمة الأريسيين في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل "مجلة الداره ، الرياض : العدد الرابع للسنة السادسة (شعبان١٤٠١هـ،-١٩٨١م) ص ٥٢ -٦٠ ؛ الزهري : المغازي تحقيق سهيل زكار ص٦٠ هامش (١)

﴿و(١) يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ (٢)

قال أَبو سُفْيَانَ: فلما قال ماقال ، وفَرَغ من قِراءَة الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ ، وأُخْرِجْنا فقُلْتُ لأَصْحابي حين أُخْرِجنَا لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبْشَةَ(٣) ، إنّه يخافه مَلِكُ بَنِي الأصفَر(٤)

ووضع هرقل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من قراءته بين

---

(١) هكذا وقع بإثبات الواو قال ابن حجر في فتح الباري ج ١ ص ٥٢: "وعلى ثبوتها فهي داخله على مقدّر معطوف على قوله "أدعوك" ، فالتقدير أدعوك بدعاية الإسلام، وأقول لك ولأتباعك امتثالا لقول الله تعالى (ياأهل الكتاب) ويحتمل أن تكون من كلام أبي سفيان لأنه لم يحفظ جميع ألفاظ الكتاب، فاستحضر منها أول الكتاب فذكره..".

(٢) سورة آل عمران : الآية ٦٤ وروي أنها نزلت بمناسبة قدوم وفد نجران إلى المدينة في العام التاسع. فطعن بهذا بعض المستشرقين في صحة الكتاب لأن تاريخ إرساله الذي ثبتت صحته أنه قبل فتح مكة سنة ٨ هـ ، يتناقض مع ذلك . وقد ناقش ابن تيمية هذا الإشكال في كتابه الجواب الصحيح ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ وأثبت أن الآية هي مما تقدم نزوله قبل قدوم وفد نجران وإرسال الكتاب وإلى هذا ذهب أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة ج٢ ص ٤٥٦- ٤٥٨ بعد دراسة روايات سبب نزول الآية حديثيا .

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ج ١ ص ٥٣ : " أراد به النبي صلى الله عليه وسلم لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت الى جد غامض وقيل نسبة الى أبيه من الرضاع (الحارث بن عبد العزى) والذي كانت له بنت تسمى كبشة أ. هـ و الصحيح أنه ليس في نسب النبي صلى الله عليه وسلم مغمز ، كما أن أبا سفيان يلتقي مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ومن غير المعقول أن يسبه بأحد أجداده وهو من بني عبد مناف ، وما دون عبد مناف هما عبد المطلب وهاشم ولم يرد مطلقا أن أحدهما يلقب بأبي كبشة ، ويذكر الألوسي في كتابه بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، الطبعة الثانية (بيروت : دار الكتب العلمية) ج ٢ ص ٢٣٩ أنه كان بمكة رجل يسمى « أبو كبشة » عبد نجماً يسمى الشعرى ، ودعا قريشاً إلى عبادته ، وقد ذاعت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وقريش وخزاعة ، ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا قريشاً إلى عبادة الله أطلقوا عليه أبو كبشة ؛ لأنه خالفهم في عبادتهم كما خالفهم من قبل أبو كبشة في عبادة الشعرى التى عناها الله تعالى بقوله : ﴿ وأنه هو رب الشعرى ﴾ .

(٤) بنو الأصفر : يعني الروم وكلام أبي سفيان تابع لما ورد في الصحيحين

فخذه وخاصرته(١)ثم كتب إلى رجل من أهل رُومِيَة كان يقرأ من العبرانية ما يقرأ يخبره عما جاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) وهذا يدل على أنه فى هذه الفترة لايزال فى شك من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومما يؤكد ذلك أنه بعث رجلا من غسَّان إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر إلى صفته وإلى علاماته وإلى حمرة في عينيه وإلى خاتم النبوة ، وأنه لايقبل الصدقة، فوعي الرجل أشياء من حال النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف إلى هرقل فذكر له ذلك(٣)، كما أرسل التنوخي بعد ذلك ليعرف بعض علامات نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم(٤).

وما أن تأكد هرقل من أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى لامحالة (٥) حتى تلقى كتابا آخر من رسول الله صلى الله عليه وسلم(٦) لما غزا تبوك، وقد بعثه إليه

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) انظر : صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ح (٧) .

(٣) انظر : الواقدي : المغازي ج ٣ ص ١٠١٨ ، ١٠١٩ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٤٤٢ .

(٥) يذكر الطبري في تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص ١٣٠ "أنه بعد عودة هرقل من ايليا الى حمص(أ) جاءه كتاب صاحب رومية يخبره فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأنه النبي (ب) الذي ينتظر لاشك فيه"

(أ) أصبحت مدينة حمص منذ أوائل القرن السابع الميلادي مركز الامبراطور هرقل في بلاد الشام حتى موقعة أجنادين سنة ١٣ هـ - ٦٣٤م ، انظر : سهيلة الريماوى : " مدينة حمص عند الفتح الإسلامى " مجلة المؤتمر الدولى الرابع لتاريخ بلاد الشام فى صدر الإسلام ، (عمان : الجامعة الأردنية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) م ٣ ص ٢٣١ وما بعدها .

(ب) في صحيح البخاري : " ولم يَرِمْ - يعني هرقل - حِمْصَ حتى أتَاهُ كِتَاب مِنَ صاحِبِهِ يُوافِقُ رأي هِرَقْلَ على خُرُوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنّه نبيٌّ " كتاب بدء الوحي ح (٧)

(٦) ونصه :"من محمد رسول الله إلى صاحب الروم إني أدعوك إلى الإسلام فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿قَاتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه أو يعطوا الجزية" . انظر: ابو عبيد: الأموال تحقيق محمد خليل هراس الطبعة الأولى (بيروت، دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) ص٢٧ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى (وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر) ج ٦ص ٣٧٧ ؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية الطبعة الرابعة (بيروت: دار النفائس١٤٠٣ هـ ـ١٩٨٦م) ص ١١٠

مع دحيه الكلبي، فلما قرأه وضعه على سريره وبعث إلى بطارقته ورؤوس أصحابه فقال إن هذا الرجل قد بعث إليكم رسولا وكتب إليكم كتابا يخبركم إحدى ثلاث إما أن تتبعوه على دينه، أو تقروه بخراج(١) يجري له عليكم ويقركم على دينكم في بلادكم، أو أن تلقوا إليه بالحرب فنخروا نخرة وقالوا نلقى إليه بالحرب(٢).

وفي رواية البخاري أن هرقل :أَذِنَ لِعُظَمَاءِ الرُّوم في دَسْكَرَةٍ(٣) له بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بأَبْوَابِهِ فَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطّلع فَقَالَ: يا مَعْشَرَ الرُّوم هلْ لَكُمْ في الْفَلاَحَ والرُّشْدِ وأَنْ يَثْبُتَ مُلكُكُمْ فَتُبَايعوا هذا النَّبي ؟ فَحاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحشِ إلى الأَبْوابِ فَوَجدُوهَا قَدْ غُلِّقتْ، فَلَمَّا رأى هرقل نَفْرَتَهُمْ وأَيِسَ مِنَ الإيمانِ قال : رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وقال إنِّي قُلتُ مَقَالَتِي آنِفاً اَختَبرُ بها شِدَّتَكُمْ على دِينِكُمْ ، فقَدْ رَأَيتُ فَسَجدُوا له ورَضُوا عنه"(٤)

---

(١) الخراج في اللغة يطلق على الغلة وجاء بمعنى الأجر في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ سورة الكهف : آية ٩٤ وقال تعالى: ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا ﴾ سورة المؤمنون آية ٧٢ انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (خ ر ج) ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١١ ص ٥٩ ، ج ١٢ ص ١٤١ والخراج والخرج : ما يحصل من غلة الأرض، ولهذا أطلق على الجزية لأنها من عمل الذمي . الفيومي : المصباح المنير(المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٩هـ) ص ٢٧٥ .

والظاهر من الحديث الوارد في المتن وحديث نصارى نجران الذي سيأتي بيانه لاحقا أن المقصود بالخراج في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الجزية التي تؤخذ من الذمي كل سنة ويقال خراج الرأس ، ثم تميز الخراج زمن الفتح الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حيث أصبح المقصود به ما يؤخذ من الأرض التي فتحها المسلمون وأقروا أهلها عليها . انظر: أبو عبيد: الأموال ص٤٨ ، ٤٩ ، ٧٣ وما بعدها ؛ الماوردي: الأحكام السلطانية ص١٨٨

(٢) رواه أحمد فى مسنده ج ٣ ص ٧٥ ، من حديث سعيد بن أبى راشد التنوخى رسول الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وقال ابن كثير فى السيرة ج ٤ ص ٢٩ « هذا حديث غريب إسناده لاباس به ، وتفرد به الإمام أحمد »

(٣) الدّسكرة هنا معناها بناء على هيئة القصر ، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست عربية محضة انظر : ابن الأثير : النهاية ج ٢ ص ١١٧ مادة دسكر .

(٤) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي ح (٧) فتح الباري ج١ ص ٤٤ ، وقارن مع الطبري تاريخ ج٢ ص ١٣٠ ، ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

وقال: لدحية بن خليفة الكلبي: والله إني لأعلم أن صاحبك نبي، مرسل، وأنه الذي ننتظره ونجده في كتابنا، ولكنى أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته، فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذكر له أمر صاحبكم ، فهو والله أعظم في الروم منّي، وأجوز قولا عندهم مني، فانظر ما يقول لك، فجاءه دحية (١)، فأخبره بما جاء به من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صغاطر: صاحبك والله نبي مرسل ، نعرفه بصفته، ونجده في كتبنا باسمه ثم خرج على الروم وهم في الكنيسة ، فقال: يا معشر الروم، إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ، يدعونا فيه إلى الله عز وجل ، وإني أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن أحمد عبده ورســوله، فنخروا ووثبوا إليه فضربوه حتى قتلوه، ورجع دحية إلى هرقل فأخبره الخبر فقال: قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا (٢) وكتب هرقل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني مسلم، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاءه كتابه: « كَذَبَ عَدُوُّ الله لَيْسَ بِمِسلِم وهو على النّصَرانِيَة » وقسم الدنانير .(٣)

---

(١) ويروي ابن سعد في الطبقات ج١ ص ٢٧٦ ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث دحية بكتاب إلى صغاطر جاء فيه : « **سلام على من آمن . أما على أثر ذلك فإن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الزكية وإني أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون والسلام على من اتبع الهدى** ».

والظاهر والله أعلم - أن هذا هو ما قاله دحية لصغاطر عندما أرسله هرقل إليه فتوهم أحد الرواة أنه كتاب أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ضغاطر ؛ وذلك لأن النص لايتفق مع الصورة الصحيحة لكتب الرسول صلى الله عليه وسلم التي تصرح بالدعوة إلى الإسلام.

(٢) الطبرى : تاريخ ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣١ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٤٤ ؛ ونقله ابن تيمية فى الجواب الصحيح ج ١ ص ٩٦ باختلاف يسير عن سنيد شيخ البخارى فى تفسيره ، وسنده هكذا « حدثنا هشام قال أخبرنا الحصين بن عبد الله بن شداد بن الهاد .. »وذكر الأثر

(٣) أبو عبيد : الأموال ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ١ ص ١٢١ ؛ قال القسطلانى فى المواهب ج ٣ ص ٧٩ : " سنده صحيح من مرسل بكر بن عبد الله المزنى البصرى الثقة الثبت من رجال الستة مات سنة ١٠٦ هـ " .

هكذا حاول هرقل أن يدّعي الإسلام وهو على النصرانية المحرفة (١) بقوله إني مسلم، وقد ندّد الله تعالى بمن يفعل ذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أى لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالإسلام وقد علمتم أن دين الله الذي لايقبل من أحد غيره هو الإسلام (٢) ولهذا نفى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هرقل ذلك ؛ لأن دين الإسلام الذي ارتضاه الله لنفسه وبعث به أنبياءه ورسله من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، والذي لايقبلُ من أحدٍ دينا غيره لامن الأولين ولا من الآخرين، هو عبادة الله وحده لاشريك له، وعبادته سبحانه وتعالى في كل زمان ومكان لاتكون إلا بطاعة رسله(٣) قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ..... ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾(٥).

ويغض النظر عن إعراض هرقل عن طاعة عيسى عليه السلام فيما جاء به من توحيد الله تعالى، والإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فقد جاء في الحديث :«أن الإسلام ـ بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ـ علانية » (٦) وذلك بما يلي:

أولا: إظهار القبول لما أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم والنطق بالشهادتين شهادة أن لاإله إلاّ الله ، وأن محمدا رسول الله، والعمل بشعائر الإسلام ، ففي سؤال

---

(١) استقرت عقيدته في المسيح على مذهب الفعل الواحد والارادة الواحدة وأراد أن يفرض مذهبه هذا على جميع النصارى في دولته ولكنه فشل في ذلك ، انظر : رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم الرازي" سورة آل عمران " تحقيق ودراسة حكمت بشير ياسين ج٢ ص ٧٠ وقال " إسناده حسن " ، والآية ٧٠ من سورة آل عمران

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ ص ١١ وما بعدها

(٤) سورة النساء : آية ٦٤

(٥) سورة النساء آية ٨٠

(٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج١ ص ٥٢ : "رواه أحمد وأبو يعلي بتمامه والبزار باختصار ورجاله رجال الصحيح ما خلا على بن مسعدة وقدوثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسي وأبو حاتم وابن معين وضعفه آخرون"

جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان ورد أنه قال : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت اليه سبيلا..»(١)

وقد ذكر بعض العلماء أن هذا الحديث بيان لأصل الإسلام الذى هو الاستسلام والانقياد الظاهر ، وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين وأضاف إليها الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها ولقيامه لها يتم استسلامه وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أواختلاله (٢)

ثانيا: إظهار ما يشعر بالدخول في السلم الذي هو ضد الحرب.

وإذا كان ما بينا هو حقيقة الإسلام والشاهد عليه، فإن هرقل لم يظهر شيئا من ذلك إطلاقا، بل أبطن العداء للإسلام مع البقاء على النصرانية فكان إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله « كذب عدو الله » ووقوعه كما أخبر - مما سيأتي بيان ما يهمنا منه لاحقا- من أعلام النبوة . والله أعلم.

أما الدور الإيجابي الذي يذكر لهرقل فيما نحن بصدده فهو إكرام كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول الشافعي رحمه الله: " وحفظنا أن قيصر أكرم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ووضعه في مسك(٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثبت ملكه »(٤)

ولا يناقض هـذا ما ورد في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قـال :

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الايمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان و الإسلام، والاحسان ح (٥٠) فتح الباري ج١ ص ١٤٠ ؛ و مسلم في كتاب الايمان باب بيان الايمان والاسلام والاحسان صحيح مسلم بشرح النووي ج١ ص ١٥٧- ١٦٠ واللفظ له.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم جـ١ ص ١٤٧ -١٤٨ .

(٣) روى ابن تيمية عن ابن إسحاق أن هرقل جعل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصبة من ذهب وأمسكها عنده تعظيما له أ . هـ ثم ذكر أنه أخبره غير واحد أن ذلك الكتاب باق عند ذرية هرقل في أرفع صوان وأعز مكان يتوارثونه كابر عن كابر وأنه حفظ في زمانه عند الفنس صاحب قشتالة ببلاد الأندلس انظر الجواب الصحيح ج ١ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٦ .

(٤) الشافعي : الأم ج ٤ ص ١٧١ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ٣٩٣ .

« إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده» (١) لأنه محمول على بلاد الشام (٢)حيث جرى التقسيم منذ زمن الإمبراطور دقلديانوس على أن الذي يلي الجزء الشرقي من الإمبراطورية يلقب قيصر ، والذي يلي الجزء الغربي منها يلقب أغسطس .

ولاشك أن هذا بعض ما أدركه هرقل من حقيقة نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد ورد أنه لما خرج من أرض الشام بعد زحف جيوش الإسلام إليها_ زمن الخلفاء الراشدين- وأشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه وقال عبارته المشهورة في وداع سوريا " السلام عليك يا سورية سلام مودع، لايرى أنه يرجع إليك أبدا"(٣)

ولم أجد أحداً من المؤرخين القدامى أورد ما يدل على إسلام هرقل سوى اليعقوبي(٤) ويميل إلى ما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين (٥) وليس بشيء فمعظم الروايات التاريخية والحديث الذي أشرت اليه سابقا تؤكد عدم إسلامه والواقع التاريخي أكبر شاهد على ذلك فهو الذي حشد الجيوش لحرب المسلمين في غزوة مؤتة ثم حاول التصدي للفتوحات الإسلامية لبلاد الشام بعد ذلك ، وهو الذي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٤٢ .

(٢) انظر: البيهقي : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٩٤ .

(٣) الأزدي: فتوح الشام ص ٢٣٦ ، وورد هذا الوداع بصيغ أخرى في بعض المصادر انظر: الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣١ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ١٠٢ .

(٤) اليعقوبي: تاريخ ج٢ ص ٧٧ - ٧٨

(٥) إبراهيم هلال: حديث هرقل وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه الطبعة الأولى، (القاهرة: دار الصحوة للنشر ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ص ٨٢- ٨٨ ، وما أورده مؤلف هذا الكتاب من كلام العيني في كتابه عمدة القارىء في شرح صحيح البخاري (دار الفكر ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) ج١ ص ٩٩ من أن هرقل الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم قد هلك وملك بعده ابنه قيصر واسمه مورق في خلافة أبي بكر فهو مردود بما هو مشهور ومحفوظ في المصادر العربية والبيزنطية من أن هرقل الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي حارب المسلمين وتصدى للفتوحات الإسلامية ، وأن فترة حكمه تبدأ من١٥ أكتوبر سنة٦١٠م ، وتنتهي بوفاته في العام الحادي والثلاثين من حكمه (١١ فبراير سنة ٦٤١م)، ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية في عهد هرقل ص ٢٠٨ ، ٤١٣ نقلا عن مخطوطة يوحنا النيقوسي .

أغرى الحارث بن أبي شمّر الغساني ملك غسّان- بقتل عامله على عَمّان - أو معان - فروة بن عمرو الجذامي لما علم بإسلامه(١) ، ويذكر أنه لما بلغه شأن هدية المقوقس لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتهمه بالميل إلى الإسلام فعزله عن رياسة القبط(٢).

كل هذا ينفي ميله إلى اعتناق الإسلام فضلا عن إسلامه . وهذا لايناقض كونه عرف الإسلام وأنه الدين الحق وأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم هو النبي الذي بشرت به الكتب السابقة ، وأنه عرض الإسلام على عظماء الروم فأبوا ذلك فخاف منهم وآثر الحكم والملك والدنيا على الحق فأعرض عن قبول الإسلام، والأمثلة كثيرة في السيرة على الذين عرفوا صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأن ما جاء به هو الحق ولكنهم أعرضوا عن اتباعه إما بدافع الحسد والغيرة، وإما خوفا على مصالحهم ومكانتهم التي ظهر أن الإسلام يشكل تهديدا خطيرا لها لذلك لاعجب أن يعرض هرقل عن اتِّباع الحق خوفا على حكمه ونفوذه ؛ لأنه أدرك أن قبوله للإسلام واعتناقه له يعني - من وجهة نظره - التخلي عن كل المكاسب التي حققها لتلك الإمبراطورية بعد أن خاض في سبيلها الحرب سنوات طوالا ضد الفرس دفاعا عن كيانها وعقيدتها ، فهل من المعقول _ من وجهة نظره _ أن يتخلى عن كل تلك التضحيات بناء على رسالة جاءته من النبي صلى الله عليه وسلم أى أنه نظر الى

---

(١) انظر ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨١ ، ولم يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى فروة بن عمرو الجذامي يدعوه إلى الإسلام ، والذي ذكر هو إسلامه وأنه كتب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا يخبره بذلك ونصه : " لمحمد رسول الله إنّي مقر بالاسلام مصدق به . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، أنت الذي بشر بك عيسى بن مريم عليه السلام " . عون الشريف : نشأة الدولة الإسلامية ص ٢١١ ، محمد حميد الله الوثائق السياسية ص ١٢٥ نقلا عن: القزويني : مفيد العلوم الفصل ٥ ص ١٨ مخطوط ، فكتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم جوابا على كتابه ما نصه : « **من محمد رسول الله إلى فروة بن عمرو . أما بعد فقد قدم علينا رسولك ، وبلغ ما أرسلت به ، وخبر عما قبلكم ، وأتانا بإسلامك وإن الله هداك بهداه إن أصلحت وأطعت الله ورسوله ، وأقمت الصلاة وآتيت الزكاة** » ابن سعد : المصدر نفسه ج١ ص ٢٨١ .

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص ١٤٧

اعتناق الإسلام من خلال منظور مصالحه الخاصة ولم ينظر له نظرة موضوعية مجردة عن الهوى، كما أن هرقل أدرك أن اعتناقه للإسلام يعني أنه حكم على نفسه بالموت السريع ؛ لأنه من المستحيل إقناع قومه بتغيير عقيدتهم بين عشية وضحاها وهو الذي فشل على مدى سنوات طويلة في التوفيق بين المذاهب النصرانية المتناحرة(١) هذا بالاضافة إلى أن حربه مع الفرس كانت ذات صبغة دينية، فهل في مقدوره إلغاء تلك المذاهب بجرة قلم؟؟ الراجح أن هرقل أدرك كل تلك الاعتبارات فأعرض عن اتباع الحق رغم معرفته به. ولكن الله غالب على أمره ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ............﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾(٣).

---

(١) انظر رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٢٨ ، ٢٩

(٢) سورة التوبة : آية ٣٣

(٣) سورة النجم : آية ٢٩ ، ٣٠

وكتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عمال هرقل على الشام وأطراف الجزيرة العربية وعلى مصر في الفترة التي كتب فيها إلى الروم.

فبعث حَاطِبَ بن أبي بَلْتَعَةَ اللخميّ(١) إلى المُقَوْقِس(٢) العامل على مصر(٣) بكتاب نصه :« بسمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، مِن محمَّد عبدِ اللهِ وَرَسُوله إلى المُقَوْقِس عَظيمِ القِبْطِ (٤) سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، أمَّا بعْدُ: فإني أدْعُوكَ بدِعايَةِ الإسلامِ أسْلِم تَسْلَمْ وأسْلِم يُؤتِكَ اللهُ أجْرَكَ مَرَّتَين فإنْ تولّيْتَ فإنَّ عليكَ إثْمَ القِبْط ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾(٥)

---

(١) **حاطب** بن أبي بلتعة اللخمي كان مولى لعبيد الله بن حميد بن زهير بن الحارث القرشي ، وقيل كان مولاه سعد بن حولى الكلبى ، كان تاجراً يبيع الطعام وغيره ، : اسلم وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ـ أحد الستة ـ ، وكان من الرماة البارزين ، مات بالمدينة سنة ٣٠هـ ، انظر : ابن سعد : الطبقات ج٢ ص ١١٤ ؛ البلاذرى : أنساب الأشراف ج ١ ص ٢٠٢ ؛ ابن الأثير: أسد الغابة ج١ ص٣٦١ ؛ ابن حجر : الإصابة ج١ ص ٣١٤

(٢) **المقوقس** : لقب لاعلم ومعناها الأفخم ، واختلف في اسمه اختلافا كثيرا وتذكر بعض المصادر العربية أن اسمه (جريج بن مينا) انظر : السهيلي : الروض الأنف ج ٤ ص ٢٤٩ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج١ ص ١٢٢ ؛ ابن كثير : السيرة ج٣ ص ٥١٤ ؛ بتلر : فتح العرب لمصر ص ٣٧٥ ـ ٣٩٢ ، ٤١٩ ـ ٤٣٧ .

(٣) يقول الندوي في كتابه السيرة النبوية ص ٢٥٢ " ويمكن أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وصل إلى المقوقس قبل أن توقع وثيقة الصلح بعد انسحاب الفرس من مصر سنة ٦٢٨م ـ ٧هـ ويكون الحاكم المصري في هذه الفترة شبه مستقل ولذلك خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم عظيم القبط"

(٤) المراد رعاياه الذين ينقادون له سواء من القبط أو غيرهم فنبه بذكر طائفة على بقية الطوائف : القسطلاني : المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج٣ ص ٣٤٧

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة : دار التعاون للطبع) ص ٦٦ ؛ ابن سيد الناس : المصدر السابق ج٢ ص ٢٦٥ ؛ ابن القيم : المصدر السابق ج٣ ص ٦٩١ ؛ ابن طولون : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٣هـ) ص ٧٧ ، ٧٨ ؛ محمد حميد الله : الوثائق السياسية ص ١٣٦

ويلاحظ أن هذا النص يشبه إلى حد كبير نص الكتاب الذي ثبت في الصحيح أنه أرسل إلى هرقل والآية في كليهما واحـــدة ، ولذا فهو صحيح بالمقارنة .

قال الزهري: وكانت كتبه صلى الله عليه وسلم واحدة يعني نسخة واحدة وكلها فيها هذه الآية- يعني (يأهل الكتاب تعالوا ..) وهي مدنية بلاخلاف (١) ا. هـ

قال الزرقاني : "ومراد الزهري : كتبه عليه الصلاة والسلام إلى أهل الكتاب النجاشي وهرقل والمقوقس"(٢)

قال حاطب بن أبي بلتعة فلما جئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه، قال خيرا، وأخذ الكتاب- وكان مختوما- فجعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى خازنه، ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية، فكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣): لمحمد بن عبد الله من مقوقس عظيم القبط سلام، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام، وقدأكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام(٤)(٥)

ثم ختم الكتاب ودفعه إلى حاطب وأمر له بمائة دينار وخمسة أثواب وقال له: ارجع إلى صاحبك ولاتسمع منك القبط حرفا واحداً فإن القبط لايطاوعونك في اتباعه،

---

(١) ابن كثير: السيرة ج٢ ص٤١

(٢) الزرقاني : شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٣ ص ٣٤٦

(٣) ابن سعد: الطبقات جـ١ ص ٢٦٠ ولم يورد نص الكتاب كاملا كما ذُكر بالمتن.

(٤) **الجاريتان** : مارية أم إبراهيم، وسيرين التي وهبها الرسول صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ، وينقل ابن كثير في السيرة ج٣ ص ٥١٥ ، عن ابن إسحاق : أن المقوقس أهدى للرسول صلى الله عليه وسلم أربع جوار، ويضيف ابن كثير أنه كان في جملة الهدية غلام أسود خصي اسمه مأبور، وخفان أسودان ، وبغلة بيضاء اسمها الدلدل.

(٥) ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ص ٦٧ ، النويري: نهاية الأرب ج١٨ ص ١٦٤ ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٦ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٦٩٢ ؛ ابن طولون: المصدر السابق ص٧٩ محمد حميد الله : الوثائق السياسية ص ١٣٦.

وأنا أضن بملكي أن أفارقه.."(١) ، وفي رواية أنه قال :" لولا الملك - يعني ملك الروم- لأسلمت "(٢) ولم يزد على هذا ولم يسلم(٣) بل استمر على نصرانيته وحال بين القبط وبين سماع دعوة الإسلام .

ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ما قال قال : « ضَنَّ الخَبيثُ بمُلْكِهِ ولابَقَاءَ لِمُلْكِهِ »(٤)

وإذا أمعنا النظر فيما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لما بلغه موقف المقوقس من الدعوة إلى الإسلام وقارناه بما قال صلى الله عليه وسلم عن هرقل لما بلغه موقفه، أدركنا جانبا مهما أنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبر به أصحابه ، وترتب عليه مستقبل العلاقات بين المسلمين والنصارى في الشام ومصر وهو حسن استقبال نصارى مصر للمسلمين الفاتحين ، وخضوع حاكمها المقوقس للأمر الواقع ومصالحته للمسلمين رغم زوال ملكه ، في حين ظل هرقل على عدائه للإسلام وأهله رغم زوال ملكه عن الشام ، وقبول النصارى فيها بحكم المسلمين . (٥)

---

(١) المقدسي : البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٢٩ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج ٣ ص ٣٤٨- ٣٤٩ ، برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

وفي حوار المقوقس مع حاطب ، وحوار آخر دار قبل ذلك بين المقوقس وبين المغيرة بن شعبة أورده ابن تيمية في الجواب الصحيح ج١ص ٩٦-١٠٠ ، ' اعترف المقوقس بأن محمد هو رسول الله المنتظر الذي بشرت به الأنبياء عليهم السلام ولكنه ضنَّ بملكه كما أشرنا في المتن ولم يؤمن.

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف ج١ ص ٤٤٨ .

(٣) انظر : ابن الجوزى : الوفاء بأحوال المصطفى ج٢ ص ٧١٧ ؛ ابن سيد الناس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٦٦ ؛ ابن القيم : المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩٢ ؛ ابن طولون : المصدر السابق ص ٧٩ .

(٤) ابن سعد : المصدر السابق ج ١ص٢٦١ ؛ ابن القيم : المصدر السابق ج١ص ١٢٢ ؛ القسطلاني : المصدر نفسه ج٣ ص ٣٥٠ ؛ ابن حجر: الإصابة ج١ ص ٣١٤ قال : ' أخرجه ابن شاهين من طريق يحي بن عبد الرحمن بن حاطب عن ابيه عن جده '

(٥) انظر بعض تفاصيل هذا الموضوع في الفصل الرابع ص : ٣١٦ - ٣٢٠

وبعث عليه الصلاة والسلام شُجَاعَ بْنُ وَهْب الأسَديَّ(١) بكتاب إلى أمير الغساسنة الحَارثِ بْنُ أبي شمْر الغَسَّاني ملك دمشق أو صاحب دمشق ، وقيل ملك تخوم الشام وملك البلقاء، وملك عرب النصارى(٢)

وتذكر بعض المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث شجاع بن وهب إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق(٣) ، وفي بعض الروايات أنه بعثه إلى جبلة بن الأيهم ملك غسان.(٤)

والواقع أنه لاتناقض بين ما أشرنا إليه آنفا لأن الروم كانوا يقيمون عمالا صغارا مع ملوك غسان حفاظا على التوازن السياسي وإبقاء لسلطان الدولة في الأوقات العصيبة(٥) ومن هنا فقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم شجاعاً إلى الحارث وجبلة في وقت واحد(٦)، ثم وجهه إلى المنذر والراجح أن ذلك حدث بعد موت الحارث عام الفتح(٧) .

وأيا كان الأمر فالظاهر أن الحارث بن أبي شمر - الذي اشتهر أكثر من غيره كان هو المقدم على بقية عمال الروم ، وقد جاءه كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وهو بغوطة دمشق ونصه : « بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيمِ مِنْ محمّد رسولِ اللّهِ إلى الحارث بن أبي شِمْرٍ : سَلامٌ على مَنِ اتّبَعَ الهُدى، وآمَنَ بالله وصَدَّقَ ، وإني أدعُوكَ

---

(١) هو شجاع بن وهب بن ربيعة الأسدي من السابقين الأولين في اعتناق الإسلام هاجر الى الحبشة في الهجرة الثانية وشهد بدرا والمشاهد كلها ، وهو أحد الستة ، استشهد باليمامة ، انظر : ابن الأثير أسد الغابة ج ٢ ص ٥٠٥ ؛ ابن حجر : الإصابة ج٣ ص ١٩٤

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ق ٢ ج٣- ٤ ص ٦٠٧ ؛ المقدسي : البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٢٩ ؛ ابن القيم زاد المعاد ج ١ص١٢٢ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٣ ، ٥٠٦

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣١ ، وذكر خبره ونص الكتاب المرسل إليه كما أوردته المصادر الأخرى عن الحارث.

(٤) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ ص ٦٠٧ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ١٦٥

(٥) عبد اللطيف الطيباوي: محاضرات في تاريخ العرب والإسلام (بيروت ١٩٦٦م)ج٢ ص ١٢

(٦) ابن القيم ، زاد المعاد ج ١ ص ١٢٢

(٧) ابن حجر: فتح الباري ج١ ص ٥٠

إلى أن تُؤْمِنَ باللهِ وحدَهُ لاشَرِيكَ لهُ ، ويبقى لكَ مُلكُكَ »(١)

وتذكر المصادر أنه لم يتسلّم الكتاب إلا بعد فترة زمنية من وقوف رسول الرسول صلى الله عليه وسلم على بابه(٢)، فلما أخذه وقرأه رمى به وقال: من ينتزع مني ملكي(٣)، أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته، عليّ بالناس ، وأمر بالخيول تنعل ثم قال لشجاع : أخبر صاحبك ما ترى، وكتب إلى قيصر يخبره الخبر وما عزم عليه، فكتب إليه قيصر :ألاّ تسير إليه، وألْه عنه ووافني بإيلياء، وقدم شجاع على الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بأمره فقال عليه الصلاة والسلام:« بادَ مُلْكُهُ»(٤) ونستشف من رسالة هرقل إلى الحارث وقوله " ألا تسير إليه وألْه عنه " مدى الإحساس العميق داخل نفس هرقل بصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإيمانه العميق بأن القضاء على إمبراطوريتة سوف يكون على يد أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فأمر عامله الاّ يثير عليه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت لعله بذلك يؤخر الصدام الحتمي القادم مع دولة الإسلام ماامكنه ذلك ورغبته أن لايحدث ذلك الصدام في حياته أماجبلة بن الأيهم فالمشهور أنه أسلم وكتب بإسلامه إلى رســـول الله صلى لله

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج٢ ص ٢٧٠ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٦٩٧ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥٠٦ ؛ ابن أبي حديدة : المصباح المضيء الطبعة الثانية (بيروت: عالم الكتب) ج ٢ ص٢٦١ ؛ القسطلاني: المواهب اللدنية ج٣ ص ٣٥٦ ؛ ابن طولون: اعلام السائلين ص ١٠٣ ؛ محمد حميد الله: الوثائق السياسية ص١٢٦ ولم يثبت النص من طريق صحيح أو حسن ولكن ذلك لاينفي صحته .

(٢) وفي الرواية أن حاجب الحارث واسمه مُري الرومي سأل شجاعاً عن صفة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبره بها قال: هذا هو النبي الذي أجده في الانجيل وبشر به عيسى عليه السلام وأنا أؤمن به وأصدق وأخاف الحارث أن يقتلني قال ابن حجر في الإصابة ج٦ ص ١٧٠ ، فلما أخبر شجاع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال عليه الصلاة والسلام : « صَدَقَ »

(٣) روى الكلبي في كتابه الأصنام تحقيق أحمد زكي (القاهرة : الدار القومية، ١٩٦٥م) ص٥ " أن الحارث بن أبي شمر أهدى لصنم مناة سيفين هما مخدم ورسوب" وهذا في الواقع يدل على رسوخ الوثنية في نفسه وأن تنصره كان رغبة في الحصول على المساعدات المالية وألقاب الرياسة من أسياده الروم فامتنع عن الدخول في الإسلام خوفا من فقدان ذلك.

(٤) ابن سعد: الطبقات ج١ص٢٦١ ؛ ابن سيد الناس: المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٧٠ -٢٧١ ؛ ابن القيم : هداية الحيارى ص٨١-٨٢ ؛ ابن أبي حديدة : المصدر نفسه ج ٢ص٢٦١-٢٦٣ ؛ المقريزي : إمتاع الأسماع ج١ ص٣٠٩ ؛ ابن طولون : المصدر نفسه ص ١٠٣- ١٠٤ ؛ برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٣- ٢٥٤.

عليه وسلم ثم عاد إلى النصرانية في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه(١)

ويبقى التساؤل الآتي قائما : هل ارتد أنفة كما تذكر ذلك الرويات العربية ؟ أم أنه أسلم لما رأى أن مصلحته كانت تقضي بذلك، فلما تسلم زعامة غسان أظهر حقيقته؟!!

ويذكر الواقدي أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك بصرى (٢) فلما نزل مؤته اعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني أحد أمراء قيصر على الشام - فقال: أأنت من رسل محمد ؟ قال نعم ، فأمر به فقتل(٣)

ويشير اليعقوبي إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمار بن ياسر إلى الأيهم بن النعمان الغساني ولم يذكر بعد هذا شيئا عن موقفه وكونه أسلم أم لا(٤).

ولاشك أن أمراء الغساسنة عملوا على صدّ رعاياهم عن الدخول في الإسلام، وتابعوا الروم في مناصبة الرسول صلى الله عليه وسلم العداء. كما سيأتي بيانه لاحقا.

ومن حكام أطراف الجزيرة العربية الذين كانوا نصارى(٥) جيفر وعبد ابنا الجُلَنْدي (٦) الأزديين أميري عمان(٧) ، وقد كتب إليهما الرسول صلى الله عليه

---

(١) انظر ابن سعد : المصدر السابق ج١ ص ٢٦٥ ، السهيلي: الروض الأنف ج٢ ص ٢٣٧ ؛ النويري: نهاية الأرب ج ١ ص ١٦٩ ، ولم يذكر نص الكتاب الذى ارسله الرسول صلى الله عليه وسلم

(٢) تظهر هذه الرواية أن ملك بصرى ليس بالحارث بن أبي شمر الذي سبق بيان خبره والذي لم يشار فيه مطلقاً إلى حكمه لبصرى كما ذكر ابن حجر مما سبق الاشارة اليه .

(٣) الواقدي: المغازي ج٢ ص ٧٥٥ ؛ ابن سعد : الطبقات ج٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ المسعودي : التنبيه والإشراف ص٢٣٠ ؛ ابن حجر : فتح الباري ج٧ ص ٥٨٣ ، الإصابة ج١ص ٢٩٩ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ ج٢ ص ٧٨ .

(٥) ابن القيم : هداية الحيارى ص ٧٨

(٦) يذكر جواد على فى كتابه المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص٢٠١ أن كلمة الجلندى ليست اسماً لشخص ، وإنما هى لقب قد يعنى حاكماً ، أو ملكاً ، أو قيلاً ، أو كاهناً على لهجات عمان وقد وقع عند ابن تيمية فى الجواب الصحيح ج ٤ ص ٣١٥ أن الجلندى ملك غسان ، وأنه لما بلغه أن رسول صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فقال الجلندى : والله لقد دلنى على هذا النبىّ الأمّى أنه لايأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، ولاينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر ، ويفى بالعهد ، وينجز بالموعود ، وأشهد أنه نبى

(٧) ابن سعد : الطبقات ج١ ص ٢٦٢ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ٦٥ ؛ الطبري : تاريخ ج٢ ص ١٢٨ ، وعُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند ، قيل سميت بعمان بن سبأ ، وأكثر أهلها خوارج أباضية ، ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤ ص ١٥٠

وسلم كتابا جاء فيه « بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مِنْ محمّدٍ بن عبدِ اللّهِ ، إلى جَيْفَر وعبْدٍ ابني الجُلَنْدَي، سلامٌ على مِنَ اتَبَعَ الهُدى: أمّا بعْدُ فإني أدْعوكُما بدِعايَةِ الإسلامِ أسْلِما تَسْلَما ، إني رسولُ اللّهِ إلى النّاسِ كافّةً لأنْذرَ مَنْ كانَ حَيّاً ويَحِقَّ القولُ على الكَافِرينَ فإنّكُما إنْ أقرَرْتُما بالإسلامِ ولَّيْتُكُما ، وإن أبَيْتُما أنْ تُقِرّا بالإسلامِ، فإنَّ مُلْكَكُما زَائِلٌ عَنْكُما، وخَيْلي تحُلُّ بساحَتِكُما ، وتَظْهَرُ نُبُوّتي على مُلْكِكُمَا » (١)

ويذكر البلاذري: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث أبا زيد الأنصاري(٢) إلى ملوك عُمان في العام السادس الهجري، ثم أردفه بعمرو بن العاص في السنة الثامنة بعد اعتناقه الإسلام بقليل(٣)(٤) ويحدد الواقدي ذلك بذي الحجة سنة ٨هـ أى بعد الفتح (٥)

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٧ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج٣ص ٦٩٣ ؛ ابن حديدة : المصباح المضيء ج٢ص٢٥٥ ؛ ابن طولون : إعلام السائلين ص ٩٣

وأورد أبو عبيد فى الأموال ص ٢٦ ، ٢٧ من رواية عروة بن الزبير مرسلا نص لكتاب أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم لعباد الله الأسبذيين ملوك عُمان وأسد عمان مختلف تماما عما أوردناه

قال أبو عبيد : وإنما سموا بذلك لأنهم نسبوا إلى عبادة فرس وهو بالفارسية " أسب" فنسبوا إليه ويحتمل على هذا أن تكون عمان آنذاك مقسمة إلى عدة إمارات يحكمها عدة ملوك وأمراء .

(٢) أبو زيد الأنصارى : هو عمرو بن أخطب صحابى جليل مشهور بكنيته ، ابن حجر : التقريب ج ٢ ص ٦٥

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٧ ؛ الطبري : تاريخ ج٢ ص ١٤٥ ، وينقل ابن كثير في السيرة ج٣ ص ٥١٥ عن ابن إسحاق قوله : " وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى جيفر بن الجلندي وعبد بن الجلندي صاحبي عمان "

(٤) ذكر ابن هشام في السيرة ق ٢ ص٣ -٤ ص ٧٠٦ ، أنه أحد الستة الذين بعثهم الرسول صلى الله عليه وسلم في فترات متقاربة بعد صلح الحديبية. وفيه نظر ؛ لأن إسلام عمرو بن العاص كان في السنة الثامنة للهجرة وسند ابن هشام منقطع وبينه وبين راويه مجهول وراويه هو أبو بكر الهذلى إخباري متروك الحديث ، انظر : أكرم العمرى : السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٥٤ هامش (١) ، (٢)

(٥) نقلا عن : الجبوري : " الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم " ص ٧٦

ويذكر المقدسى فى البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٤٢ ، أن عمرو بن العاص بُعث إلى عمان فى السنة الحادية عشر من الهجرة .

والذي لاخلاف فيه بين المؤرخين أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمرو ابن العاص بالكتاب الذي أشرنا إليه إلى جيفر وعبد ابنى الجلندي وأنهما أسلما وصدّقا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وخلّيا بين عمرو والصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا له عونا على من خالفه، فأخذ رضى الله عنه الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم وأقام عندهم حتى بلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم (١)

وقد أوردت بعض الروايات في حوار عمرو بن العاص مع عبد وجيفر ابنا الجلندي ما يوحي بأنهما كانا تابعين لهرقل، وأن زوال خوفهما منه كان سببا في إسلامهما يقول عمرو بن العاص : بعد إخباره لعبد بأن النجاشي أسلم وأن قومه والأساقفة والرهبان أقروه على ذلك واتبعوه - ثم قال عبد :" ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت: بلى قال : بأى شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجا، فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال: لاوالله لو سألني درهما واحدا ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال نياق أخوه :أتدع عبدك لايخرج لك خرجا، ويدين دينا محدثا؟ قال هرقل: رجل رغب في دين فاختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الضنّ بملكي لصنعت كماصنع" (٢)

ولم أجد فى المصادر التى اطلعت عليها ما يؤكد ما تشير إليه الرواية الآنفة الذكر من تبعية عمان لدولة الروم إلا ما أشار إليه ابن تيمية فى خبر الجلندى مما سبق بيانه (٣).

أمّا ما ورد فى الرواية من إسلام النجاشي ومتابعة قومه والأساقفة والرهبان له في ذلك ففيه مبالغة ، ولادليل على صحته من الواقع التاريخي:؛ لأن إسلام النجاشي الذي هاجر إليه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المكي

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(٢) انظر : السهيلي: الروض الأنف ج٤ ص ٢٥٠ وما بعدها ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ج٢ ص ٢٦٧- ٢٦٩ ؛ ابن القيم زاد المعادج ٣ ص ٦٩٣- ٦٩٦ ؛ القسطلاني، المواهب اللدنية ج ٣ ص ٣٥٢- ٣٥٥ ؛ ابن طولون : إعلام السائلين ص ٩٣- ٩٦ ، على برهان الدين الحلبي : السيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٠-٢٥٣ .

(٣) انظر ما سبق ص ٢١٣ هامش (٥)

لايتجاوزه هو وعدد قليل من أتباعه .

يقول ابن تيمية عنه : " وكان النجاشي ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لم يتمكن من الهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا العمل بشرائع الإسلام لكون أهل بلده نصارى لايوافقونه على إظهار شرائع الإسلام .. "(١)

وهذا النجاشي(٢) ليس بالنجاشي الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل . كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي أشرنا إليه (٣)

ويذكر ابن كثير : أنه مات قبل الفتح بكثير (٤) وقد روى البيهقي من طريق مسلم بن خالد الزّنجيُّ عن موسى بن عقبة عن أمّه عن أم كلثوم قالت :" لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّ سَلَمَة ــ سنة أربع من الهجرة ــ قال : « قد أَهْدَيتُ إلى النجاشي أواقٍ من مسكٍ وَحُلّة، وإني لأراه قد مات ولاأرى الهدّية إلا ستُردّ عليّ فإنْ ردَّت عَلَيّ أظنه قَالَ قَسَمْتُهَا بينكن أوْ فهي لكنَّ » قال: فكان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم مات النجاشي وردّت الهدية "(٥)

والجدير بالملاحظة أن الرواية السالفة الذكر في حوار عمرو بن العاص مع

---

(١) ابن تيمية في الجواب الصحيح ج ١ ص ٢٦٥ وانظر ص ١٢٧ من هذه الرسالة

(٢) انظر : ما أشرنا إليه في الفصل الأول من أن بعض الروايات تفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي الذي أرسل إليه الصحابة فى العهد المكى وتذكر نص الكتاب وردّ النجاشي عليه.

(٣) انظر ماسبق : ص ١٨٤

(٤) ابن كثير : السيرة ج ٣ ص ٥٢٤ ، ويذكر ابن حجر في فتح الباري ج٧ ص ٢٣١ أنه مات سنة تسع عند الأكثر ، وهذا خلاف ما في الصحيح إلا أن يقال إن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي الثاني بعد العام التاسع الهجري وهذ بعيد لم يرد ما يدل عليه البته. والله أعلم.
وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين مات النجاشي : « **مات اليوم رجلٌ صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصْحَمه** ». أخرجه البخاري في كتاب مناقب الصحابة باب موت النجاشي ح (٣٨٧٧) فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٥) البيهقي : دلائل النبوة ج٤ ص ٤١٢ .

صاحب عمان توحي بأن ملك الحبشة يعد أحد عمال هرقل ملك الروم .

والواقع أن تبعية الحبشة لدولة الروم لازالت موضع خلاف بين الكتاب، والمشهور أنها لاتتبعها إلا في الديانة مع اختلاف المذهب .

أما النجاشي الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي ذكر أنه نسخة واحدة مشابهة للكتاب الذي أرسل الى هرقل (١) والمقوقس فقد حمله إليه عمرو بن أُميَّة الضَّمْريّ (٢) ونصه : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي الأصحم (٣). عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، أشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له ، ولم يتخذ صاحبة ولاولدا ، وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسوله ، فأسلم تسلم ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ

---

(١) انظر : ما ذكره الزهري وما عقب به الزرقاني على ذلك ص ٢٠٩

وتذكر بعضا المصادر صيغة لنص الكتاب مختلفة عما أوردنا في المتن وهي كالتالي: « **بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ من مُحَمّدٍ رَسُولِ اللّه إلى النَّجَاشي مَلكِ الحبشَةَ أسلِم أنتَ ، فإني أحمدُ إليك الله الذي لاإله إلاّ الله هُو الملِكُ القُدّوسُ السّلامُ المُؤمِنُ المُهَيمنُ وأشهدُ أن عيسى بنَ مريم روحُ اللهِ وكلِمتُهُ ألقاها إلى مريم البَتول الطيبة الحصينة فحملت بهِ ، فخلقَهُ الله من روحِهِ ونفخهُ ، كما خَلَقَ آدم بيده ، وإني أدعوكَ إلى الله وحدهُ لاشريكَ لهُ والمُوالاةِ على طاعَتِهِ ، وأن تتبعَني وتُؤمن بالذي جاءني فإني رسولُ الله ، وإني أدعُوكَ وجنودكَ إلى الله عزَّ وجل وقد بلغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي ، والسلام عَلى مِنَ اتّبعَ الهُدى** » انظر: ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٤ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٦٨٩ ؛ ابن طولون : إعلام السائلين ص ٥٠ ، ٥١ ؛ محمد حميد الله : الوثائق السياسية ص ١٠٢

(٢) هو عمرو بن أمية بن خويلد الكناني الضمري، يكنى أبا أمية أسلم قديما وهو من مهاجري الحبشة، وهاجر إلى المدينة ، أحد الستة الذين أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم بكتبه في بداية مكاتباته إلى الملوك والأمراء مات بالمدينة في خلافة معاوية سنة ٢٥هـ . انظر: ابن سعد: الطبقات ج ٤ ص ١٨٢ ؛ ابن عبد البر: الإستيعاب ج ٢ ص ٤٤٢ ؛ ابن الأثير : اسد الغابة ج ٤ ص ١٩٣- ١٩٤، ابن حجر: الإصابة ج ٤ ص ٢٨٥.

(٣) قال ابن كثير في السيرة ج٢ ص ٤٢ : 'وقوله فيه ـ يعني الكتاب ـ 'الأصحم' لعله مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم'

بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾، فإن أبيت فعليك إثم النصارى من قومك» (١).

يقول ابن كثير : " والظاهر أن هذا الكتاب، إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه، وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح"(٢)

والمهم أن هذا النجاشي لم يسلم ففي حديث التنوخي رسول قيصر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إني قد كتبت إلى النجاشي بصحيفة فخرقها والله مخرقه ومخرق ملكه » .

وفيه أيضا : " أليس قد أسلم النجاشي ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى أصحابه قال : بلى ذاك فلان بن فلان، وهذا فلان بن فلان (٣)

وتجدر الاشارة إلى أن كتمان النجاشي - الذي هاجر إليه بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - إسلامه، وعدم إسلام النجاشي _ الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم _ لايدل على ما ذهب إليه بعض الباحثين من الزعم بتأخر انتشار الإسلام في الحبشة إلى ما بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لان الواقع التأريخي يبين خلاف ذلك حيث قامت دولة إسلامية في جنوب الحبشة تعرف بمملكة شوي في القرن الرابع الهجري مما يدل على انتشار الإسلام في الحبشة وما جاورها في وقت مبكر ولايزال في أقليم شوي _ الواقع جنوب الحبشة القديمة _ مسجد يعرف حتى الآن بمسجد الصحابة ؛ ثم أن اقامة عدد كبير من الصحابة بالحبشة سنوات عدة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم مع سمو أخلاقهم وحسن معاملتهم يجعل من المؤكد أن يتأثر بهم الناس ، هذا إلى جانب قرب الحبشة من بلاد اليمن التي خضعت لحكم الإسلام في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذا لايزال المسلمون في الحبشة هم الأكثرية حتى الآن .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦٢٣ ، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج٢ ص ٣٠٨ ؛ ابن كثير : السيرة ج٢ ص ٤١ ؛ و قال العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة ج٢ ص ٤٥٨ هامش (٢) : " ولم تثبت هذه الروايات عند المحدثين - يعني نصوص الكتب التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي والردّ عليها "

(٢) ابن كثير:السيرة ج٢ ص٤١ ، وجزم بقوله ، محمد حميد الله في كتابه مجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٢

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٤١٢ ج٤ ص ٧٥

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم سَليطَ بن عمرو العامريّ(١) إلى هَوْذَةَ بْنُ عليٍّ الحنفيِّ ـ صاحب اليمامة، وأحد أمراء النصارى العرب(٢)ـ بكتاب(٣) جاء فيه: « بسمِ اللّه الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مِنْ محمّدٍ رسول اللّهِ إلى هوْذَة بن عليّ ، سلامٌ على مَنِ اتبَعَ الهُدى واعْلَمْ أنَّ دِيني سيَظْهَرُ إلى مُنتهى الخُفِّ والحافر فأسْلِمْ تَسْلَمْ وأجْعَل لكَ ما تحتَ يديكَ »(٤) .

فلما قدم عليه سليط أحسن استقباله وأكرمَهَ وقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتب جوابا عليه نصه : « ما أحسنَ ما تَدْعُو إليهِ وأجملَهُ والعربُ تهابُ مكاني، فاجَعلْ لِيّ بعضَ الأمرِ أتَّبعك " .

وأجاز سليطاً بمال وكساه أثوابا من نسيج هجر(٥) ، ودفع إليه الكتاب فقدم بذلك سليط على الرسول صلى الله عليه وسلم فـقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو سألني سَيَابَةً (٦) من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه »(٧).

وروى أن أرْكُون دمشق(٨)ـ عظيم من عظماء النصارى ـ كان عند هوذه لما جاءه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له الكتاب الذي جاءه منه وما أجابه عليه ، فأخبره الأركون بأنه النبي الذي بشر به

---

(١) **سليط** بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري (أحد الستة) أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة شهد بدرا ، واختير للإرسال إلى هوذة لأنه كان يختلف الى اليمامة، قيل استشهد باليمامة ، انظر : ابن حجر : الإصابة ج ٣ ص ١٢٣ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ج٣ ص ٣٥٥

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ٢ ص ١٤٦.

(٣) ابن سعد : الطبقات جـ١ ص ٢٦٢ ولم يذكر النص

(٤) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج٢ ص ٢٦٩ ، ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٦٩٦ ، ابن أبي حديدة المصباح المضيء ج٢ ص ٢٩٧ ، القسطلاني : المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٥٥ ولم يرد هذا النص بإسناد صحيح كما ذكر ذلك أكرم العمري في كتابه السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٥٨

(٥) **هجر** : مدينة وهي قاعدة البحرين وقيل ناحية البحرين كلها هجر وهو الصواب انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٥ ص ٣٩٣.

(٦) سيابه : أي قطعة

(٧) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٦٢ ، ابن الجوزي : وفاء الوفاء ج ٢ ص ٧٣٨

(٨) **أركون دمشق** : هو أركون الرومي: أدرك الجاهلية وأسلم على يدي خالد بن الوليد في عهد أبي بكر انظر : ابن حجر : الإصابة ج ١ ص ١٠٥

عيسى بن مريم وأنه مكتوب في الإنجيل محمد رسول الله (١)

ومهما يكن من شيء فإن هوذه لم يلبث إلا يسيرا حتى وافته المنية كافرا على نصرانيته(٢)، فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك منصرفه من الفتح(٣) فقال عليه الصلاة والسلام « أمَا إنَّ اليَمَامَةَ سَيخْرُجُ بها كَذّابٌ يَتَنَبّأ ، يُقْتَلُ بَعْدي » (٤)

ويبدو أن هوذه كان نصرانيا على المذهب النسطوري المعادي لدولة الروم ومما يدل على ذلك أنه كان حليفا لإمبراطور فارس الذي أوكل إليه خفارة القوافل التجارية بين المدائن واليمن التي كانت تحت سيطرة الفرس آنذاك. (٥)

وأخيرا فالملاحظ على مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى واقعيتها وتميزها بالحكمة والموعظة الحسنة في إظهار بعض التعظيم للملوك تليينا لقلوبهم لقبول الحق، وإظهار بعض التهديد والترغيب لأمراء النصارى العرب ؛ لأن إرتباط هؤلاء بالروم كان بدافع المصلحة الدنيوية ، كما سبق بيانه.

أما نتائجها فبالرغم من إدراكهم لحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم وما يدعو إليه ومجاملة بعضهم في الرد على كتبه ردا جميلا وإكرام رسله، فهي سلبية في مجملها نظرا لعدم دخولهم في الإسلام، وتمكينهم رعاياهم من معرفة ما جاءهم من الحق، وإظهار بعضهم بوادر العداء للإسلام وأهله. وبعبارة أخرى، امتنعوا من قبول الحق ووقفوا عوائق أمام انتشار الإسلام بين شعوبهم فكان من الطبعي أن تكون الخطوة التالية هي جهادهم، وتحطيم تلك العوائق والعقبات التي تقف في طريق انتشار الإسلام .

---

(١) ابن سيد الناس : المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٠ نقلا عن الواقدي ، وكذا : ابن القيم : المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩٦ ، ٦٩٧ ؛ ابن أبي حديدة المصدر السابق ج ٢ ص ٢٩٨ ؛ القسطلاني : المصدر السابق ج ٣ ص ٣٥٦ ؛ ابن طولون : المصدر السابق ص ٢٠٧

(٢) الديار بكري : تاريخ الخميس ج ٢ ص ٤٠

(٣) ابن سعد : المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٢ ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٣٨ .

(٤) ابن سيد الناس : المصدر السابق ج٢ ص٢٧٠ ؛ ابن القيم : المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩٦

(٥) عون الشريف بن قاسم : نشأة الدولة الاسلامية ص ٣٠٨ نقلا عن :

Lyall, J. R .A.s., 1903, P. 772, Wellhausen skizzen , vo1 . 4,p. 102

ولاشك أن مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى قد كشفت :

أولا عن الأصل الذي دعا إليه الأنبياء جميعا وهو الإيمان بالله وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، وأسمائه وصفاته وهذه هي نقطة الالتقاء بين ماهم فيه وبين ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم .

وثانيا: عن الأساس الذي يبدأ المسلمون به في علاقتهم بغيرهم وهو الدعوة إلى التوحيد الذي هو أساس الإسلام .

وثالثا: عن حقيقة هدف الرسول صلى الله عليه وسلم منها وهو تبليغ الناس كافة ما أمره الله به ، وأنه ليس له مطمع ولاحبّ في مال ولارئاسة(١)، قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٣).

ورابعا: عن سيادة الدولة الإسلامية حيث يقول أحد الباحثين :"وكانت كتبه صلى الله عليه وسلم بلغة العرب وفائدة ذلك هو حفظ شئون الملة الإسلامية . وصون لجانب الاستقلال والعظمة، ألا ترى الأمم المتمدنة تسعى في نشر لسانها في العالم حتى تصير لغتها لغة عالمية إعمالا للسيادة وتثبيتا للعظمة" (٤)

بل وتدل بعض نصوص كتبه صلى الله عليه وسلم بوضوح على عدم الاعتراف بحكم الملوك والدول القائمة على الكفر، (٦) وأن عليهم الدخول في الإسلام أو الخضوع لسلطان الدولة الإسلامية بدفع الجزية والتزام أحكام الملة ، وقد كتب الرسول صلى الله عليه وسلم لمن قَبِلَ منهم الأمر الأخير كتبا عبرنا عنها في المبحث التالي بلفظ المعاهدات

---

(١) انظر السهيلي : الروض الأنف ج ٢ ص ٣٥٥

(٢) سورة الشورى: آية ٤٨

(٣) سورة آل عمران: آية ٢٠

(٤) الأحمدي : مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم (بيروت : دار المهاجر) ص ١٧

(٥) الزرقاني على شرح المواهب اللدنية للقسطلاني ج ٣ ص ٣٣٧ .

المعاهدات (١) التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى :

تعتبر المعاهدات وسيلة من الوسائل السلمية ، لتنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم، ولتثبيت مالهم وما عليهم، والأصل في تشريعها في الإسلام هو تحقيق مصلحة الإسلام والمسلمين ، وبالتالي فهي لاتصح إلا إذا كانت متفقة مع مبادىء الإسلام فلا تحل حراما ولا تحرم حلالا .

ولقد أوجب الإسلام على المسلمين الوفاء بالمعاهدات المشروعة القائمة على البر والتقوى ، وجعل ذلك من كمال الإيمان ؛ لأن في ذلك محافظة على كيان المسلمين وهيبتهم ، مع تأليف غيرهم للدخول في الإسلام .

وقد مر بنا بعض الآيات القرآنية الدالة على ذلك(٢)، وحسبنا هنا من الأحاديث النبوية قوله صلى الله عليه وسلم :« مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِداً أَو انْتَقَصَهُ أوكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتَهُ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً بغير طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(٣)

---

(١) **المعاهدات في اللغة**: جمع واحده معاهدة : وهى مأخوذة من العهد وهو الأمان والذمة ورعاية الحرمة وحفظها .

ومعاهدة الذمي هي مبايعته لك على إعطاء الجزية . انظر : الزبيدي : تاج العروس الطبعة الأولى مادة عهد .

والمعاهدة عند الفقهاء : بمعنى الهدنة ، وهي الاتفاق على ترك القتال مدة معينة انظر: ابن قدامة : المغني مع الشرح الكبير (الرياض : مكتبة الرياض الحديثة) ج ١٠ ص ٥١٧ .

وعرف بعض الباحثين المحدثين **المعاهدات شرعا** بقوله : " والمعاهدات هي عقد يقع بين طرفين أو أكثر يلتزم كل بموجبه تنظيما معينا للتصرفات ، وتحديدا خاصا للحقوق والواجبات على وجه يجوز في الشريعة الإسلامية " عبد السميع الصائغ : المعاهدات النبوية " (رسالة ماجستير من جامعة أم القرى ١٣٩٩هـ) ص ١٠

والمعاهدات في القانون الدولي هي : " الاتفاقيات الدولية الهامة ذات الطابع السياسي كمعاهدات الصلح والتحالف وما شابهها " على صادق أبو هيف : القانون الدولي العام الطبعة الأولى (الإسكندرية: منشأة المعارف ١٩٧٥م) ص ٥٢٥

(٢) انظر ما سبق ص : ١٨٣

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج باب في تعشير أهل الذمة ح (٣٠٥٢) عون المعبود ج ٨ ص ٣٠٤ ، أبو عبيد : الأموال ص ١٨٤ واللفظ له ، وإسناده حسن كما ذكر ذلك عبد الصمدعابد في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب الأموال لأبي عبيد" (رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ) ص٦٢٧

وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَن قَتَلَ مُعَاهداً لَمْ يرِحْ رَائحَةَ الْجَنَّة، وَإنَّ رِيحَها تُوجَدُ منْ مَسيرَة أَرْبَعينَ عَاماً »(١)

وإذا كانت المعاهدات التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم معاهدات تشريعية يجب العمل بها وعدم مخالفتها لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ....﴾(٢) ، فإنه لاينبغي إثباتها تاريخيا والتسليم بها إلا إذا ثبتت صحتها حديثيا. يقول ابن تيمية :" ولايجوز أن يعتمد في الشريعة على الأحاديث الضعيفة التي ليست صحيحة ولاحسنة " (٣).

ومع هذا فإن بعض الفقهاء يستأنس بالأخبار التاريخية التي لم تثبت صحتها، عند الاجتهاد لإصدار حكم شرعي فيما لانص فيه ، وعليه نعرض _لاحقا _ الأخبار التاريخية والأحاديث النبوية التى تبين صورة المعاهدات التى عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى والتى تعرف بعقد الذمة أو الصلح الدائم.

وهذا النوع من المعاهدات يُعطي لغير المسلمين حق الأمان الدائم على أموالهم وأعراضهم وأنفسهم، والبقاء على دينهم، والإقامة مع المسلمين في غير جزيرة العرب مما سيأتي بيانه لاحقا - والمعاملة بالبر والإحسان. (٤)

هذه ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم إذا دفعوا الجزية والتزموا أحكام الملة ولم يحاربوا المسلمين ولم يظاهروا عليهم عدوا.

ويجب على المسلمين رعاية هذا العهد والوفاء به، إذا حافظ أهل الذمة على أداء ما يجب عليهم - مما أشرنا إليه آنفا- فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : " وأُوصِيه بِذِمَّةِ اللهِ وذِمَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة ، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم ح (٣١٦٦) فتح الباري ج ٦ ص ٣١١.

(٢) سورة الحشر: آية ٧

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١ ص ٢٥٠

(٤) انظر : ما سبق ص ١٧٥ - ١٨١

يُوَفَّى لَهُمْ بعَهْدِهِمْ وأن يقاتل مِنْ وَرَائهمْ ، ولايُكلَّفُوا إلاَّ طاقتَهم "(١)

وقال أيضا : " أُوصيكُم بذمَّة الله فإِنَّهُ ذمَّةُ نَبيِّكُم وَرزْقُ عيَالكُمْ "(٢)

وروى أن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال : " إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأمولهم كأموالنا "(٣).

ولذلك لا عجب أن يحظى أهل الذمة من النصارى وغيرهم على مر عصور التاريخ الإسلامي بالمعاملة الطيبة من جانب المسلمين لإن مردّ تلك المعاملة هو شريعة الإسلام التي أمرت بحسن معاملتهم والشواهد كثيرة على ذلك منها قول ثيودسيوس بطرق بيت المقدس سنة ٨٦٩م : « إن المسلمين قوم عادلون ونحن لانلقى منهم أى أذى أو أى تعنّت »(٤)

وقول ميخائيل السرياني أسقف أنطاكية : " إن الله المنتقم الواحد القهار أثار من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا من اضطهاد الرومان" (٥)

وسنعرض فيما يلي ما ورد من المعاهدات التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم مع بعض طوائف النصارى والتي تلقى الضوء على طبيعة العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ترتب عليها من نتائج بعد ذلك وهي كالتالي :

أولا : معاهدة نصارى نجران :

لاخلاف أن معاهدته صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران كانت بعد قدوم وفدهم عليه صلى الله عليه وسلم في المدينة ويفهم من بعض الروايات التاريخية أن وفدهم

---

(١) أخرجه البخاري في كاب الجهاد والسير باب يقاتل عن أهل الذمة ولا يسترقون ح (٣٠٥٢) فتح الباري ج ٦ ص ١٩٦

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب الوصاة بأهل الذمة الرسول صلى الله عليه وسلم ح(٣١٦٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣٠٨

(٣) ابن قدامة : المغني مع الشرح الكبير ج ٧ ص ٦٤٨.

(٤) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٣١ نقلا عن :
Theompson: Economicand social Hist. , 1, p. 385

(٥) رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ج ١ ص ٣٨.

قدم إلى المدينة مرتين فقد ذكر ابن إسحاق جدال نصارى نجران مع أحبار اليهود عند الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن إبراهيم عليه السلام (١)وهذا إن صح فقد حدث قطعا قبل غزوة الأحزاب ـ شوال سنة خمس للهجرة(٢)ـ التي قضى بعدها الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة على بني قريظة آخر طوائف اليهود - بالمدينة لنقضهم العهد (٣) وبالتالي فالراجح أن المعاهدة مع نصارى نجران لم تعقد في هذه المرة الأولى ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من أحد الجزية التي تضمنتها المعاهدة قبل نزول آية السيف باتفاق أهل العلم (٤) وهي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾(٥) الآية نزلت في السنة التاسعة من الهجرة على أظهر الآراء(٦).

ويُضيف ابن كثير أنها نزلت قبل خروجه صلى الله عليه وسلم لقتال الروم(٧)

وعلى هذا فإن قدوم وفد نجران للمرة الثانية حدث في العام التاسع الهجري وقبل خروجه عليه الصلاة والسلام إلى تبوك، ويؤكد ذلك ما روى عن الزهري من أن نصارى نجران أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب بعد نزول آية السيف ، ثم أعطاها أهل أيلة ، وأذرح (٨) ، وأذرعات في غزوة تبوك (٩)

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٥٥٣

(٢) هو قول جمهور العلماء، انظر : ابن كثير: السيرة ج ٣ ص ١٨٠- ١٨١

(٣) انظر التفاصيل : صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته اياهم ح (٤١١٧ ، ٤١١٨ ، ٤١١٩) فتح الباري ج٧ ص ٤٧٠- ٤٧٤ .

(٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ١ ص ٦٥

(٥) سورة التوبة : الآية ٢٩

(٦) الصنعاني: سبل السلام (دار احياء التراث العربي ١٣٧٩هـ) ج ٤ ص ٦٤

(٧) ابن كثير : تفسير ج ٤ ص ٧٤، ٧٥.

(٨) **أذرح**: بلدفى أطراف الشام من أعمال الشراة، ونواحى البلقاء، انظر:ياقوت:معجم البلدان ج١ص ١٢٩

(٩) أبو عبيد : الأموال ص ٣٢ ؛ البلاذري: فتوح البلدان ص ٨١ ، ابن عبد البر: التمهيد تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي وآخر(مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م) ج ٢ص ١٢٣، ١٢٤؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ص ٦٥، ابن كثير : تفسير ج ٢ص ٤٥، الشوكاني : نيل الأوطار(مكتبة ومطبعة مصطفى البابي بمصر) ج ٨ ص ٦٠

وتذكر بعض المصادر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى نصارى نجران كتابا قبل قدوم وفدهم لمجادلته عليه الصلاة والسلام يخيرهم فيه بين الإسلام أو الجزية أو الحرب(١) والراجح أنه بعث به المغيرة بن شعبة رضى الله عنه (٢) فقد ثبت أنه قال : "بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران فقالُوا لي: أَلَسْتُمْ تَقْرَأُونَ : (يَاأُخْتَ هَارُونَ)، وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى وعَيِسَى مَا كَانَ؟ فَلَمْ أَدْرِ مَا أُجِيبُهُمْ فَرَجَعْتُ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ ، فقال : « أَلاَ أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِأَنْبِيائِهِمْ وَالصَّالِحِين قَبْلَهُمْ »(٣)

ومهما يكن من أمر فقد قدم على الرسول صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران وكان يضم ستين راكبا منهم أربعة عشر من أشرافهم ومن هؤلاء الأربعة عشر ثلاثة هم زعماء القوم وذوو الأمر والنهي فيهم وهم : العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لايصدرون إلاّ عن رأيه، واسمه عبد المسيح ، والسيد الذي

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٨٥ ، وإسناده ضعيف ، ويذكر أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه إلى أَهْلِ نَجْران قبل أنْ تَنْزِلَ عليه « طسَ » سليمان و نصه : « **بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أسقف نجران ، وأهل نجران : إنْ أسلمتم فإني أحمَدُ إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، أما بَعدُ: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولايةِ الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام** ».

وتعقب ابن القيم في زاد المعاد ج٣ ص ٦٤٢ كلام البيهقي فقال : ' وأما قوله أنه صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران 'باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب' فلا أظن ذلك محفوظا ، وقد كتب إلى هرقل بسم الله الرحمن الرحيم ، وقد وقع في هذه الرواية هذا ، وقال ذلك قبل أن تنزل عليه: طس: تلك آيات القرآن وكتاب مبين (سورة النمل آية (١) وذلك غلط على غلط فإن هذه السورة مكية باتفاق وكتابه إلى نجران بعد مرجعه من تبوك' وقد رجحنا خلاف قوله بعد مرجعه من تبوك .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبى عامر بن مسعود أبو عيسى الثقفى ، كان من دهاة العرب ، وقادتهم ، وولاتهم ، يقال له مغيرة الرأى ، ولد فى الطائف وأسلم عام الخندق وشهد كثيراً من الغزوات وولاه معاوية الكوفة فلم يزل بها حتى مات سنة ٥٠هـ ، انظر : ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٨

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها باب ما يستحب من الاسماء صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ١١٧ ، الترمذي في أبواب تفسير القرآن ، باب تفسير سورة مريم ح (٥١٦٤) وقال هذا حديث حسن صحيح غريب ' واللفظ له' تحفة الاحوذي ج٨ ص ٦٠١ ، ٦٠٢ .

يقوم بأمورهم وشئونهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم " (١) فدخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر (٢) فعرض عليهم الإسلام فقالوا : "قد كنا مسلمين قبلك قال : «كذبتم يمنعكم من الإسلام ثلاث قولكم اتخذ الله ولدا ، وأكلكم الخنزير، وسجودكم للصليب »(٣)

فخاصموه في عيسى عليه السلام وزعموا أنه يتصف بصفات الألوهية (٤) ثم قالوا من أبوه يا محمد؟ فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ألستم تعلمون أن ربنا حى لايموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء . قالوا: بلى ، قال : ألستم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه . قالوا : بلى ، قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً. قالوا: لا ، قال : أفلستم تعلمون أن الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولافي السماء . قالوا : بلى ، قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئا إلا ما علم؟ قالوا لا ، قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء ، ألستم تعلمون أن ربنا لايأكل الطعام ولايشرب الشراب ولايحدث الحدث . قالوا : بلى ، قال : ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذّى كما يغذّى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث . قالوا: بلى ، قال : فكيف

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١ -٢ ص ٥٧٣ ؛ ابن سعد: الطبقات ج١ ص ٣٥٧ باختلاف يسير البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٨٣ ؛ ويعبر أحد الباحثين المحدثين عن منزلتهم في قومهم بقوله : العاقب : وكانت إليه الإمارة والحكومة والسيد: وكانت تحت إشرافه الأمور الثقافية والسياسية، والأسقف: وكانت إليه الزعامة الدينية والقيادة الروحية ، المباركفوري : الرحيق المختوم ص ٥٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٥٧٣ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٢٩، والرواية رجالها ثقات ولكن في سندها انقطاع.انظر:ابن القيم : المصدر نفسه هامش(١)

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ١٠١ ، وفي رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرض الإسلام على الحبرين العاقب والسيد ثم ذكر ما ورد في المتن ، انظر سيرة ابن هشام ق ١ ج ١٠ ٢ ص ٥٧٥ ، البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٦ ، ٧٧ ؛ الواحدي: أسباب النزول ص ٦٧ ؛ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤١ .

(٤) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٥٧٥

يكون هذا كما زعمتم) فعرفوا الحق ثم أبوا إلاّ جحودا فأنزل الله : ألم الله لاإله إلاّ هو الحي القيوم(١) صدر سورة آل عمران(٢) متمما به إقامة الحجة والبرهان على إبطال دعواهم في عيسى عليه السلام، وآمراً فيها الرسول صلى الله عليه وسلم إن لم يجيبوه أن يدعوهم الى المباهلة(٣) قــال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ

---

(١) أبو حاتم الرازي: تفسير القرآن العظيم ' سورة آل عمران والنساء ' تحقيق حكمت بشير ياسين (رسالة دكتوراة من جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ) ج ١ ص ٢٦ وقال : إسناده حسن.

(٢) روى ابن إسحاق أن الله تعالى أنزل في ذلك صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها ، قال ابن كثير ويحتمل أن قول ابن إسحاق إلى بضع وثمانين آية ليس بمحفوظ' ولهذا لما بلغ ـ أعنى ابن كثير ـ في تفسيره إلى الآية ٦٣ من آل عمران قال : وكان سبب نزول المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران ' انظر: سيرة ابن هشام ق١ ج ١-٢ ص٥٧٦ ؛ ابن كثير: تفسير ج٢ ص ٤٦ والراجح ما ذكر ابن تيمية في الجواب الصحيح ج ١ ص ٥٢ ، ٦٢ من أن صدر سورة آل عمران يشتمل على آيات نزلت قبل قدوم وفد نجران منها كل ما جاء فيه الخطاب بأهل الكتاب ، ووجه هذا بقوله : 'فيكون هذا مما تقدم نزوله وتلك - يعني ما نزل في وفد نجران - مما تأخر نزوله وجمع بينهما للمناسبة كما في نظائره فإن الآية إذا نزلت يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يضعها في مواضع تناسبها وإن كان مما تقدم نزوله '.

والملاحظ أنه رحمه الله يعتبر الآية ٩٧ ـ من سورة آل عمران ـ التي تضمنت وجوب الحج والتي قال عنها العلماء إنها نزلت في سنة تسع من الهجرة من صدر سورة آل عمران.

وذهب سيد قطب في تفسيره ج١ص ٣٥٢ إلى أن نزول صدر سورة آل عمران وما جرى بسببها كان في الفترة الأولى من الهجرة، واستبعد أنها نزلت في السنة التاسعة وهو خلاف المشهور كما بينا .

(٣) **المباهلة** هنا هي الدعاء والابتهال إلى الله بإحلال اللعنة على الكاذب من الفريقين . وذكر الدكتور زاهر عواض الألمعي في كتابه مناهج الجدل في القرآن الكريم الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ) ص ٢٥٩ أن بعض المستشرقين أثار شبهة حول هذه المباهلة بزعمهم أن القرآن يتهرب من الجدل الفكري والإقناع بالحجة بدليل أنه لجأ إلى المباهلة لأنه عجز عن إقامة الحجة فالقرآن لايقبل منطق الحوار الفكري والجدل العقلي ، ثم ردّ عليهم بما ملخصه : 'ومثل هذا الشبه ظاهرة البطلان ولا تحتاج إلى الرد لتفاهتها .. فالجدال في شأن عيسى عليه السلام سابق على المباهلة بمدد بعضها متطاولة الأمر الذى أزاح عنه جميع الشبه والملابسات ويتضح ذلك في سورة مريم وهي مكية ؛ و في سورة النساء والمائدة حيث كان الجدل فيهما في شأن عيسى متقدما على الجدال الذي في سورة آل عمران .. غير أنه لما لم يُجد معهم أسلوب الجدال والنقاش الفكري كان لابد من أسلوب آخر يظهر فيه الحق بالحجة العملية...'

ويعلق ابن القيم في زاد المعاد ج٣ ص ٦٤٢ على الأمر بالمباهلة بقوله: ' وأمره الله أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة وبهذا قام الدين، وإنما جعل السيف ناصراً للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله وبيناته، وهو سيف رسوله وأمته'.

﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾(١)

فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك طلبوا أن يمهلهم إلى الغداة فاشتور السيد والعاقب فقال أحدهما لصاحبه لاتلاعنه فوالله لئن كان نبيا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا(٢) ، وفي رواية : فقالوا له : يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه فانصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم..(٣)

فلما كان الغداة أرسل إليهما النبي صلى الله عليه وسلم فأبيا أن يجيئا واقرا له بالخراج ... فقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي بعثني بالحق لو قالا :لا لأمطر عليهم الوادي نارا »(٤) ، وفي رواية قالا له : نعطيك ما سألت فابعث معنا رجلا أمينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلاً أَمِيناً حَقَّ أَمِينٍ فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاس فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ » (٥)، وفي رواية فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا ألاّ نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا ، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا فإنكم عندنا رضا فبعث أبو عبيدة(٦)، وفي رواية فقالوا :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٦١

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة أهل نجران ح(٤٣٨٠) فتح الباري ج ٧ص ٦٩٥

(٣) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١ - ٢ ص ٥٨٣ ؛ الطبري : جامع البيان ج٣ ص ٣٠٠

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥٩٤ وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه ؛ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٥ ، وقال بعد أن أورد روايات ابن إسحاق : ' وهذا أصح ' .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب قصة أهل نجران ح (٤٣٨٠) فتح الباري ج ٧ ص ٦٩٥ ؛ أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب فضل أبي عبيدة وعامر بن الجراح ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ١٩٢.

(٦) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١ - ٢ ص ٥٨٤

قد بدا لنا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك فصالحهم(١). هكذا علموا أنه نبي وخافوا من دعائه وأقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون ودخلوا تحت حكمه وأصبحوا من أهل الذمة .

وتجمع المصادر على أن الرسول صلى الله عليه وسلم صالح نصارى نجران وأخذ منهم الجزية، ومنعهم من التعامل بالربا وتركهم على دينهم مالتزموا بذلك ، وكتب لهم عهدا على ذلك ورد نصه بطرق متعددة كلها معلولة (٢) مع اختلاف في ألفاظ العهد وزيادة ونقص في روايته، ترجع في الغالب إلى تناقل الرواة له شفهيا، ولهذا فهو لايمثل النص الحرفي لأصل العهد المبرم في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

والملاحظ على النص هو عدم اختلاف المعنى في روايته _ غالبا _ باختلاف اللفظ، ولهذا يمكن اعتبار حكم ابن كثير على رواية البيهقي بقوله: وفيه غرابة (٣) " حكماً عاماً لمضمون النص في جميع الروايات ويظهر ذلك في النص المطول فيما يلي :

---

(١) انظر : ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣٥٨

(٢) (أ) روايات النص مطولا : انظر ملحق رقم (١) للمقارنه ويشتمل على: روايتين أوردهما أبو يوسف في كتابه الخراج بإسناد مرسل، قاله أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٥٤٣ هامش٣ ، وروايتين أوردهما أبو عبيد في كتابه الأموال بإسناد ضعيف مرسل قاله عبد الصمد عابد في تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب الأموال لأبى عبيد ص ٦٦٨- ٦٦٧ ، وروايتين أوردهما ابن زنجويه في كتابه الأموال بالاسناد واللفظ الذي روى به أبو عبيد ، ورواية أوردها ابن سعد في الطبقات بإسناد جمعي وفيه ضعفاء ، ورواية أوردها البلاذري في فتوح البلدان بإسناد مرسل مجهول ، ورواية أوردها البيهقي في دلائل النبوة بإسناد ضعيف قاله شعيب الأرناؤوط فى تحقيقه لكتاب ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص٦٣٧ هامش (١)

(ب) روايات النص مختصرا: انظر : ملحق رقم (٢) ويشتمل على : حديث أبى داود في السنن عن السدّى عن ابن عباس قال المنذري: وفي سماع السدى عن ابن عباس نظر ، وإنما قيل إنه رآه ورأى ابن عمر وسمع من أنس بن مالك رضى الله عنهم، انظر عون المعبود شرح سنن أبي داود ج ٨ ص ٢٩٢ . وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب شرح السنة للبغوي، الطبعة الأولى(المكتب الاسلامي ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) ج ١١ص١٧٤ هامش (١) " إسناده ضعيف "

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية ج ٤ ص ١٠٤ .

١ - المبالغة في ذكر الحقوق المقررة لنصارى نجران في البقاء على دينهم(١) والتي إن صح شيء منها فإنها بلا شك ليست تقريرا لصحة دينهم، وإنما هو يسر الإسلام وإتاحته الفرصة لهم رجاء أن يعرفوا الحق فيثوبوا إليه بأن يؤمنوا ويصدقوا إذا رأوا محاسن الإسلام وقوة حججه وكثرة الداخلين فيه.

٢ -التوسع في ذكر الواجبات المفروضة عليهم(٢) كاشتراط ضيافة رسل الرسول صلى الله عليه وسلم عشرين يوما، (٣) وإعارة المسلمين بعض المواد العينية التي تستخدم في الحرب إن حصل كيد باليمن ، ويبدو _ إن صح - أن الذي اقتضى ذلك هو الحفاظ على هيبة المسلمين وكيانهم في تلك الجهات البعيدة عن مركز الدولة الإسلامية .

وفي الجملة فالنص المطول يمثل صورة تقريبية للعهد الذي كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم، والذي يظهر في النص المختصر أدق وأضبط.

---

(١) ويشبه تماما ما وقع من مبالغة في ذكر الحقوق التي وقعت في النص المطول لنصارى نجران ما وقع في نص عهد ذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه للأسقف أبي الحارث وكل أساقفة نجران، انظر: ابن سعد: الطبقات ج ١ ص ٢٦٦ ، بإسناد جمعي وفيه ضعفاء ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص٣٩١ . ومما يثير الشك في صحة متنه إبهامه للواجبات المفروضة عليهم في عبارة "ما نصحوا لله وأصلحوا عليهم غير منقلبين بظلم ولا ظالمين"

(٢) وأورد البلاذري في فتوح البلدان ص ٦٧ نص العهد بسند عن الزهري وفيه توسع أكثر في بيان الواجبات المفروضة عليهم، وإجمال في إيضاح الحقوق المقررة لهم في عبارة " وجعل لهم ذمة الله وعهده وألا يفتنوا عن دينهم ومراتبهم فيه ولايحشروا ، ولايعشروا ، واشترط عليهم ألا يأكلوا ربا ولا يتعاملوا به" وعند اليعقوبي في تاريخه ج٢ص٥٤ " لهم بذلك جوار الله وذمة محمد ، فمن أكل الربا بعد عامهم هذا فذمتي منه بريئة" فقال العاقب يا رسول الله إنا نخاف أن تأخذنا بجناية غيرنا قال : " ولايؤخذ أحد بجناية غيره " .

(٣) الثابت في الصحيح أن الضيافة في الإسلام ثلاثة أيام فما زاد بعد ذلك فهو صدقة ، وجائزة الضيف يوم وليلة (وهي أن يعطيه ما يجوز به مسافة يوم وليلة) أصل الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حق الضيف ح (٦١٣٥) فتح الباري ج ١٠ ص ٥٤٨ ، ٥٤٩ .

وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم فرض على نصارى أيلة أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثا كما سيأتي بيانه لاحقا .

وقد حقق ابن الأثير النص بقوله: "وصالحوه على ألفي حُلّة ثمن كل حُلّة أربعون درهما(١) وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألايفتنوا عن دينهم ولايعشروا ، وشرط عليهم ألا يأكلوا الربا ولايتعاملوا به "(٢)

على أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا منع النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران من التعامل بالربا؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول إن من الثابت أن الله تعالى حرم الربا لأنه مفسدة تفضي إلى انقطاع منافع الخلق، وإثارة الفرقة والأحقاد فيما بينهم نتيجة لاستعباد الأغنياء للفقراء(٣) ولهذا لم يظهر في القرآن الكريم والسنة النبوية تشديد على سائر الكبائر كما ظهر فى الربا يقول الإمام مالك بن أنس : إنى تصفحت كتاب الله وسنة نبيه فلم أر شيئا أشر من الربا، لأن الله آذن فيه بالحرب " (٤) وأكل الربا والتعامل به كان من جملة الأسباب التي استحق بها بنو اسرائيل لعنة الله قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾... إلى قوله ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٥) وإلى جانب تحريم الله تعالى على اليهود والنصارى الربا في شريعتهم (٦) فإنهم-إذا خضعوا لحكم الإسلام - مخاطبون بشرائع الإسلام التي هى حرمات عليهم وإن لم

---

(١) ويوافق مجموع قيمة الحُلل ما ذكر الطبري في جامع البيان ج ٣ ص ٣٠٠ ؛ وابن أبي حاتم في تفسيره من أن نصارى نجران صالحوا الرسول صلى الله عليه وسلم على أن له عليهم ثمانين ألف (درهم) ، تفسير ابن أبي حاتم سورة آل عمران والنساء تحقيق ودراسة حكمت بشير ياسين ، ج ٢ ص ٤٢٢ وقال : إسناده حسن.

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) انظر : الفخرالرازي : التفسير الكبير ج ٧ ص ٩٤ وما بعدها ؛ عمر سليمان الأشقر : الربا وأثره على المجتمع الانساني الطبعة الأولى(الكويت : دار الدعوة ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ص١١٩ وما بعدها .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٣ ص ١٦٤

(٥) سورة النساء : آية ١٦١ .

(٦) انظر: إنجيل لوقا الإصحاح السادس ص١٠٢ ؛ انجيل متى : الإصحاح السادس ص ٩ .

يكونوا مخاطبين بشرائع هي عبادات عندنا.(١)

ويرى بعض العلماء أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران من التعامل بالربا ما هو إلا دفع عن المسلمين أن يبايعوهم - أى النصارى- به فيأكل المسلمون الربا(٢).

وهذا صحيح ؛ لأن أكل المسلمين للربا وتعاملهم به يؤدي إلى حجب الله تعالى نصره لهم على أعدائهم، إذ كيف يعقل أن ينصرهم الله وهم يحاربون الله ورسوله بأكلهم الربا ؟(٣)!!

ومع هذا كله فالمتأمل في حقيقة ذلك المنع يجد أيضا أن الربا يقف حائلا أمام تحقيق الهدف من عقد الذمة الذي هو إتاحة الفرصة لغير المسلمين للتعرف على حقيقة الإسلام والدخول فيه. وذلك ؛ لأن الرهبان وهم من فئة الأغنياء آنذاك - الذين نظروا إلى الإسلام من خلال مصالحهم، يحرصون دائما- بالضغط الروحي والمادي - على صدّ الناس عن عبادة الله وتوجيههم لعبادة ما سواه لتبقى لهم مكانتهم ، وشهواتهم الدنيئة، ومن هنا كان لابدّ من إزالة الضغط الروحي لأولئك الرهبان بإظهار فساد ما يعتقدون ، وبيان حقيقة الإسلام وإزالة الضغط المادي بمنعهم من التعامل بالربا فى نجران التى كانت آنذاك مركزاً تجاريا مهماً والله أعلم.

ولا شك أن مصالحة أهل نجران على الجزية ربطتهم بدولة الإسلام وقطعت الأواصر بينهم وبين الروم، فكان ذلك تأمينا لظهر المسلمين وهم يستعدون لحرب الروم (٤).

---

(١) انظر الكاساني : بدائع الصنائع في ترتيب الشرئع تحقيق أحمد مختار (القاهرة : مطبعة التقدم) ج ٥ ص ١٩٣ .

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ ؛ ابن زنجويه : الأموال تحقيق شاكر ذيب فياض، الطبعة الأولى (الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ج ٢ ص ٤٥٢

(٣) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة : الآيتان ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، وانظر: الشنقيطي: أضواء البيان(بيروت : عالم الكتب) ج ١ص٢٩٢ وما بعدها .

(٤) أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٥٤٣ .

ومن جانب آخر فقد أدت المعاهدة إلى إزالة ما يقف في سبيل دعوة الإسلام من معوقات تمنع وصولها إلى الناس، فقد بهت الوفد بعد قيام الحجة عليه، وعدل عن المباهلة ، فكان هذا اعترافا منهم برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإيذانا بدخول من شرح الله صدره للإسلام ، حيث روي أن السيد والعاقب لم يلبثا بعد رجوع الوفد إلا يسيرا حتى عادا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم معلنين إسلامهما(١).

وروى أيضا أن كُوْز بن عَلْقَمَةُ أخا الأسقف أبي حارثة بن علقمة أسلم لما عرف أن محمدا رسول الله وأن ما يدعو إليه هو الحق(٢).

ثانيا : معاهداته عليه الصلاة والسلام مع نصارى الشمال.

أ- مع أُكَيْدَرِ بن عبد الملك صاحب دُومَةَ الجندل.

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بعث خَالِدَ بنِ الْوَلِيدِ رضي الله عنه إلى أكيدر صاحب دومة الجندل وكان نصرانيا فأسره خالد وقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصَالَحَهُ عَلى الْجِزْيَةِ (٣) ومقدارها ألفي بعير وثمانمائة رأس _ قيل من الخيل _ وأربعمائة درع وأربعمائة رمح وعاد بعدها إلى حصنه وبقي فيه(٤).

وثبت أَنَّهُ أَهْدَىَ للنبي صلى الله عليه وسلم جُبَّة مِنْ سُنْدُسٍ وَكَانَ يَنْهَى عَنِ الْحَرِيرِ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْهَا فَقَالَ عليه والصلاة والسلام : « وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ إنَّ مَنَادِيلَ سَعْد بْنِ مُعَاذٍ في الْجَنةِ أَحْسَنُ مِنْ هٰذَا » (٥).

ويروى الواقدي أن أكيدر أسلم وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب له كتابا

---

(١) انظر: ابن سعد :الطبقات ج ١ص ٣٥٨ ؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدا والخبر ج٢ص ٥٧

(٢) انظر : سيرة بن هشام ق ١ ج ١- ٢ ص ٥٧٣- ٥٧٤

(٣) سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٢٦ ، وأخرجه أبو داود في كتاب أخذ الجزية ح (٣٠٢١) عون المعبود جـ ٨ ص ٢٨٦ قال عنه الشوكاني في نيل الأوطار جـ ٨ ص ٢١٥ ، " رجال إسناده ثقات وهو من عنعنة ابن اسحاق"

(٤) الواقدي : المغازي جـ ٣ ص ١٠٢٧ ، ابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ١٦٦ ، البيهقي : دلائل النبوة جـ ٥ ص ٢٥٢ ، ابن سيد الناس : عيون الأثر جـ ٢ ص ٢٢١ ؛ القسطلانى : المواهب اللدنية مع شرح الزرقانى ج ٣ ص ٧٨

(٥) سبق تخريجه ص ١٧٧ هامش (٣)

جاء فيه: " هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله، في دومة الجندل أكنافها...(١) ، وذكر أبو عبيد أن هذا الكتاب أتاه به شيخ هناك ـ يعنى فى دومة الجندل ـ قال فقرأته ونسخته حرفا بحرف ثم أورد نصه (٢)

وقد ذهب ابن حجر إلى التوفيق بين ما ورد عن إسلامه وبين بقائه على النصرانية بقوله: " فالذي يظهر أن أكيدر صالح على الجزية كما قال ابن اسحاق ويحتمل أن يكون أسلم بعد ذلك كما قال الواقدي، ثم ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم مع من ارتد كما قال البلاذري ومات على ذلك والله أعلم ". (٤)

وفيما أعلم أنه لايوجد ما يدل على أنه أسلم بعد المصالحة. وبالتالي يبقى الرأى المشهور ـ الذي جزم به أبو السعادات ابن الأثير ولم يعتد بما سواه (٥) ـ أنه صالح النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية ولم يسلم وظل على النصرانية حتى أسره خالد بن الوليد مرة ثانية بعد نقضه العهد في أيام أبي بكر فقتله كافراً هو الراجح والأصح والله أعلم .

ب - مع يحنه بن رؤبة(٦) صاحب أيلة

تروي بعض المصادر نص كتاب كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم ليحنة بن رؤبة

---

(١) الواقدي : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٠٣٠ ، وهو متروك ورواه عن مجهول ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ بسند عن الواقدي ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٧٣ بلا إسناد .

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٢٠٨ رواه كما هو واضح عن مجهول.

ولايهمنا مناقشة ما ورد فيه ؛ لأنه موجه إلى رجل زعم أنه أسلم، ولمعرفة مدى صحته ، انظر : جاسر أبو صفية وإبراهيم الكيلاني : " المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية في جنوبي بلاد الشام ص ٦٧ - ٧١ ، ص ٨٥ - ٩١ .

(٣) انظر: ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١ ص ٤٢٢ .

(٤) ابن حجر: الإصابة ج١ ص ١٣١

(٥) أبو السعادات ابن الأثير : منال الطالب في شرح الرغائب تحقيق محمود محمد الطناحي (دمشق : دار المأمون للتراث) ص ٦٤

(٦) قال الزرقاني في شرح المواهب اللدنية ج ٣ ص ٧٦ " قال البرهان : لاأعرف له ترجمة والظاهر هلاكه على دينه "

وسروات أيلة(١) يخيرهم فيه بين الإسلام أو الجزية أو القتال(٢) ، وقد أجرى بعض الباحثين دراسة على نص الكتاب فأثبت وقوع التحريف في معظم نصه، وأنه ربما يكون رواية لأصل الكتاب المفقود(٣) ، وسواء أصحَّ خبر الكتاب أم لم يصح فإن يحنه بن رؤبة لما رأى العرب أسلمت وعلم بقدوم الرسول صلى الله عليه وسلم تبوك وما فعل مع أكيدر صاحب دومة الجندل ، بادر بالقدوم إليه فبلغه وهو مقيم في تبوك فأهدى له بغلة بيضاء وكساه بردا(٤) ، وصالحه على دفع جزية مقدارها ثلاثمائة دينار سنويا(٥) عن كل رجل بالغ دينار(٦) وأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثا ، وألا يَغِشُّوا

---

(١) السَّرو : المروءة والشرف ، سَرُوَ ، يسرو ، سراوة ، وسروا أي صار سريا .

والسَّراة : اسم للجمع ، وجمع السَّراة سروات .

وسروات أيلة : أي أشرافهم ، انظر ابن منظور : لسان العرب مادة (س ر و)

(٢) انظر ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٧٧ ؛ محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية ص ١١٦

(٣) انظر جاسر أبو صفية : " المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية في جنوبي الجزيرة العربية " المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام (عمان :الجامعة الأردنية ١٩٨٧م) م ٢ ص ٧٣- ٧٦ ؛ إبراهيم زيد الكيلاني : " المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية في جنوبي الجزيرة العربية " المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام م ٢ ص ٩٤ - ٩٦ .

(٤) سبق تخريج الحديث ص ١٧٧ هامش (٢) ، وفي صحيح مسلم زيادة : " وكتب ببحرهم أي ببلدهم أو بأهل بحرهم " .

(٥) الواقدي : المغازي جـ ٣ ص ١٠٣١ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ص ٧١ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٩١ .

(٦) الواقدي : المصدر نفسه جـ ٣ ص ١٠٣١ ، وعبر عن ذلك بقوله : " وكانوا - يعني أهل أيله ثلاثمائة رجل " ؛ البلاذري : المصدر نفسه ص ٧١ ؛ البغوي : شرح السنة ج ١١ ص١٧٣ ، ١٧٤ .

مسلما(١) وفي مقابل هذا أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان على حياتهم وأموالهم وكتب لهم بهذا عهدا (٢) جاء فيه (٣) «بسم الله الرحمن الرحيم " هذا أَمَنَة من الله ومحمد النبي رسول الله ليُحَنَّة بن رَوْبَـة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبي ، من كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر(٤) فمن أحدث منهم حدثا فإنه لايحول ماله دون نفسه وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لايحل أن يُمْنعوا ماء يردونه ولاطريقا يريدونه

(١) البغوي: المصدر السابق جـ ١١ ص١٧٤ ، والحديث مرسل وفيه متروك، انظر: شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب شرح السنة للبغوي جـ ١١ ص ١٧٤ هامش(٢) ومقدار الجزية في الحديث لها شاهد في حديث إسناده حسن سيأتي بيانه ومناقشة ما يتعلق به لاحقا ص ٢٤٠ ـ ٢٤٤

(٢) تشير بعض الروايات أن قدوم صاحب أيلة وافق قدوم خالد باكيدر فأقرا له بالجزية وقاضاهما الرسول صلى الله عليه وسلم على قضية دومة وتبوك وأيلة وتيماء وكتب لهم كتابا انظر البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص ٢٥٢ ؛ ابن القيّم : زاد المعاد ج ٣ ص ٥٣٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣-٤ ص ٥٢٦ بلا إسناد واللفظ له؛ الواقدي المغازي ج ٣ ص ١٠٣١ بلا إسناد ؛ أبو عبيد: الأموال ص ٢١٢ ، ٢١٣ بسند مرسل ضعيف قاله: عبد الصمد عابد : تخريج أحاديث كتاب الأموال لأبي عبيد ص٦٧١ وقيل : إسناده حسن قاله : عبد السميع الصائغ : المعاهدات النبوية ص ١٩١ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨٩ ؛ البيهقي : المصدر نفسه ج ١ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٢٢٠ ؛ ابن كثير: السيرة النبوية ج ٤ ص٣٠ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ج٣ ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٤) قال الزرقاني في شرح المواهب جـ ٣ ص ٣٥٩ ،: 'وحاصله أن في أيلة أهلها الأصليين وجماعة من هذه البلاد توطنوها فعم الجميع '

وقال أبو زهرة في السيرة ج ٢ ص ١٠٨٤ ، : 'والمعية هنا هي اشتراكهم معه في الملة والاتباع' .

وقال الكيلاني في بحثه المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية ص ٩٦ ، : 'وعبارة وأهل اليمن وقع فيها تصحيف مع أصل العبارة وهي عبارة وأهل البر'

وقال عبد السميع الصائغ في المعاهدات النبوية ص ٩٣ ، ' هذا إشارة إلى التجار الذين يرتادون أرض الجزيرة قادمين من الشام في طريقهم إلى اليمن أو العكس..' وهذا أقرب للصواب ، ولايستبعد أن يكون بتلك الجهات آنذاك ما يعرف باليمن فتكرار اسم البلد في عدة بلدان أمر مشهور لا حصر له . وحسبنا من ذلك أقرب ما يدل على ما ذهبنا إليه قول ابن تيمية عن أهل نجران الذين عقد الرسول صلى الله عليه وسلم معهم الصلح: ' ومما ينبغي أن يعلم أن أهل نجران المذكورة نجران اليمن لانجران الشام ' ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ١ ص ٦٤

من بَرٍ أو بحر » (١)

وأهم ما يُلحظ في النص أنه كفل لأهل أيلة سلامة طريقهم التجاري برا وبحرا إلى اليمن حيث تسيطر الدولة الإسلامية على هذا الطريق وبهذا تتضاءل الجزية التي يدفعونها مقابل تلك الامتيازات التي يحصلون عليها ولاسيما الطرق التجارية برا وبحرا التي يفيدون منها في معاشهم .

ومن جانب آخر فقد شدد عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم في المحافظة على العهد حيث جعل عقوبة الإخلال به إحلال الدم والمال(٢)، والذي أفضى إلى هذا هو أهمية ثغر أيلة البحري فهو نقطة التقاء جميع الناس القادمين من الشام إلى الجزيرة العربية أو العكس فضلا عن وقوعه على مشارف حدود دولة الروم التي تجاهر المسلمين بالعداء.

ومهما يكن من شيء فإن مصالحته صلى الله عليه وسلم لبعض القبائل العربية المتنصرة التي كانت تعيش في كنف الروم وفي ظل حمايتهم، قد أدت إلى قطع العلاقات بين تلك القبائل وبين دولة الروم التي فقدت تبعا لذلك الوسيلة التي كانت تنفّذ من خلالها سياستها ضد الدولة الإسلامية .

وفي المقابل أفاد المسلمون من تلك القبائل في جمع المعلومات المهمة عن أهداف الروم ومخططاتهم لمواجهة دعوة الإسلام.

---

(١) وزاد أبو عبيد: " هذا كتاب جُهَيْم بن الصَّلْتِ " ، وزاد الواقدي : " هذا كتاب جهيم بن الصلت (أ) وشُرَحْبِيلُ بن حَسَنَةَ (ب) بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم (جـ) "وكذا ابن سعد ، والبيهقي.

(أ) **جهيم بن الصلت** بن مَخْرَمَةَ المُطَّلِبي أسلم عام خيبر، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسق، وكان يعلم الخط في الجاهلية فجاء الإسلام وهو يكتب، انظر: ابن حجر: الإصابة ج١ص ٢٦٧ .

(ب) **شرحبيل بن حسنة** الكندي، أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ، وشارك في قيادة الجيوش الإسلامية لفتح الشام زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، مات في طاعون عمواس زمن عمربن الخطاب رضى الله عنه سنة ١٨هـ ، انظر ابن حجر : الإصابة جـ ٣ ص ١٩٩

(ج) قال الزرقاني في شرح المواهب ج ٣ ص ٣٦٠ : " بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم " لهما في كتابة الكتاب ولعل حكمته أن تعدد الكاتب بمنزلة تعدد الشاهد ، وأن كلا كتب نسخة أو كتبه أحدهما بحبحضور الآخر فنسب إليهما " أ . هـ وتجدر الاشارة إلى أن أحد الباحثين أعتبر هذا العهد من العهود التي نسبت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يذكر شيئا عن المآخذ التي بنى عليها رأيه . انظر : د/عبد الباقي قصة: « تحقيق بعض الوثائق النبوية من العهود التي أعطاها الرسول لليهود والنصارى » مجلة الدارة ، الرياض ، العدد الثالث ، السنة الخامسة ، ربيع ثان ١٤٠٠هـ ص ١٢٥

(٢) هذا الحكم هو أحد قولي العلماء في الذمي إذا نقض العهد على اعتبار أنه يصبح بذلك حربيا وقد أطال ابن القيم في الانتصار لهذا القول انظر: ابن القيم: أحكام أهل الذمة جـ ٢ ص ٧٨٩- ٨٩٣.

ثالثا: العهود التي تضمنتها مكاتباته لولاته على اليمن وما يخص النصارى منها

تضمَّن كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لملوك حمير لما أسلموا وفارقوا الشرك وأهله(١) عهداً لمن لم يسلم من اليهود والنصارى وذلك في قوله :« **ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لايرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله** »(٢) .

---

(١) ذكر ابن سعد في الطبقات جـ ١ ص ٢٨٢ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب : إلى الحارث ، ومسروح ، ونعيم بن عبد كلال من ملوك حمير يدعوهم إلى الاسلام وبعث به إليهم مع عياش بن ربيعة المخزومي وجاء في نصه إشارة إلى النصارى وهو كالتالي:

« **سلم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله وأن الله وحده لاشريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى الله ثالث ثلاثة عيسى ابن الله** ».

وجاء الرد بإسلامهم منقلبه عليه الصلاة والسلام من تبوك، فكتب لهم كتابا تضمن عهدا لمن لم يسلم كما هو مذكور في المتن.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٨٨ - ٥٩٠ ؛ ابن سعد: المصدر السابق جـ ٢ ص ٣٥٦ البلاذري: فتوح البلدان ص ٨٥ ؛ الطبري: تاريخ جـ ٢ ص ١٩١ .

ويروي أبو عبيد في الأموال ص ٣٢ ، ٤٢ بسند مرسل ضعيف عن عروة بن الزبير أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل اليمن: « **وأنه من كان على يهودية أو نصرانية فإنه لايفتن عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر أو أنثى عبد أو أمة دينار واف أو قيمته من المعافر فمن أدى ذلك إلى رسلي فإن له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه منكم فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين** ». ثم عقب عليه بقوله : " فنرى والله أعلم - أن المحفوظ المثبت من ذلك هو الحديث الذي لاذكر للحالمة فيه لأنه الأمر الذي عليه المسلمون وبه كتب عمر إلى أمراء الأجناد .."

وذكر ابن القيم في زاد المعاد جـ ٣ ص ١٥٧ حديثاً منقطعاً فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر معاذ أن يأخذ الجزية من كل حالم وحالمة" ثم عقب عليه بقوله: وهذه الزيادة مختلف فيها - يعني حالمة- لم يذكرها سائر الرواة ولعلها من تفسير بعضهم .

وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم مُعَاذ بن جَبَل(١) ليجمع الصدقه ممن أسلم، ويأخذ الجزية ممن بقى على يهوديته أو نصرانيته (٢) دِيَناراً من كل مُحْتَلِم ، أو قِيمته من اَلمعَافِرِي ، وهي ثِيابٌ تَكُونُ باليَمَنِ (٣) وبقي بها معاذ حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

وهكذا يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية دينارا واحدا فقط(٥) أو ما يعادله من المواد العينية (٦) من كل رجل بالغ(٧) من أهل الذمة

---

(١) **معاذ بن جبل** صحابي من الأنصار كنيته أبو عبد الرحمن ، أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،. وهو أعلم الصحابة بالقرآن وبالحلال والحرام كما شهد له بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعثه الرسول إلى اليمن عاملا وقاضيا ومرشدا وعاد إلى المدينة في عهد أبي بكر وشارك في فتوح الشام وتوفي رضى الله عنه بناحية الأردن عام ١٨ هـ .

انظر : ابن الأثير : أسد الغابة جـ ٤ ص ٣٧٦ - ٣٧٨ ، ابن حجر الاصابة جـ ٦ ص١٠٦ - ١٠٧ .

(٢) الطبري : تاريخ جـ٢ ص ١٩١ ، وانظر أصل الخبر في صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب بعث أبي موسى ، ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع ح (٤٣٤١ ، ٤٣٤٢) فتح الباري جـ ٧ ص ٦٥٧ ، ٦٥٨ .

(٣) رواه الإمام أحمد فى مسنده جـ ٥ ص ٢٣٠ ؛ وأبو داود في كتاب الخراج والفيء باب في أخذ الجزية ح (٣٠٢٢) عون المعبود ج ٨ ص ٢٨٧ ؛ الترمذي في أبواب الزكاة ح (٦١٩) وقال : هذا حديث حسن ، تحفة الأحوذي ج٣ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨

(٤) ابن كثير : السيرة جـ ٤ ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٥) وقيمة الدينار آنذاك كانت عشرة دراهم واثني عشر درهما ، أبو عبيد : الأموال ص ٤٥ .

(٦) ما عدا الميتة والخنزير والخمر فإنها لاتقبل منهم انظر: أبو يوسف: الخراج ص ٢٥٣ ؛ أبو عبيد : المصدر نفسه ص ٥٤ - ٥٦ .

(٧) وقد أجمع العلماء على ذلك ، وأنها لاتضرب على النساء والصبيان ، والعبيد والمجانين ، انظر : ابن عبد البر: التمهيد جـ ٢ ص ٣٢ ؛ ابن قدامة : المغني جـ ٨ ص ٥٠٧ ؛ الزيلعي : تبيين الحقائق الطبعة الأولى (بيروت : دار المعرفة) جـ ٣ ص ٢٧٨

وذكر بعض أهل العلم أن الجزية لاتؤخذ أيضا من رهبان الأديرة المنعزلين عن الناس ، ومن الفقراء الذين لايستطيعون الكسب ولا دخل لهم. انظر : أبو يوسف : المصدر نفسه ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ ؛ الشافعي الأم جـ ٤ ص ٩٨ -٩٩ ؛ أبو عبيد : المصدر نفسه ص ٤١ - ٤٣ ، البغوي: شرح السنة جـ ١١ ص ١٧٣ ؛ ابن القيم : أحكام أهل الذمة جـ ١ص٢٤ ، ٤٢ - ٤٩ .

عام، وذلك مقابل حقن دمائهم ، وحماية أموالهم ، وأرواحهم ، وأعراضهم(١)، وانتفاعهم بالمرافق العامة للدولة الإسلامية ، وإعفائهم من القتال مع المسلمين ؛ لأن بقاءهم على دينهم يحول دون ذلك(٢)

ولايجوز أن ينقص مقدار الجزية عن ما أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم(٣)، ويجوز أن يؤخذ منهم أكثر من ذلك ، إذا احتملوا ، ولم يؤد إلى الإجحاف بحقهم، أو تكليفهم مالا يطيقون، (٤) فقد أصبح مقدارها بعد عصر النبوة يخضع لمقدار ثراء الفرد والقيمة الشرائية للدينار والدرهم(٥)، مع مراعاة التخفيف عند عجز الدافع لما قررعليه، أوإسقاطها عنه(٦) فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بشيخ من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس . فقال : ما أنصفناك، إن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك. قال : ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه(٧)

وتسقط الجزية عن جميع أهل الذمة إذا تعذر الدفاع عنهم(٨) ، وتسقط

---

(١) روى أن أهل الحيرة قالوا صراحة إنهم دفعوا الجزية مقابل : " أن يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم" وأن خالداً بن الوليد لما عقد عهد الذمة لبعض أهالي المدن المجاورة للحيرة قال : " فإن منعناكم فلنا الجزية ، وإلا فلا حتى نمنعكم " ، انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٣١٩ ، ٣٢١ .

(٢) سعيد عاشور: دراسات في تاريخ الإسلام وحضارته (القاهرة : عالم الكتب ١٩٨٧م) ص ١٢٨ ؛ عبد الكريم زيدان : أحكام الذميين والمستأمنيين ص ١٢٩ ؛ توماس ، ارنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٧٩ .

(٣) ابن عبد البر: المصدر السابق جـ ٢ص١٢٨ ، ١٢٩ ؛ البغوي : المصدر السابق جـ ١١ص١٧٣

(٤) انظر: ابن عبد البر: المصدر السابق ج٢ص ١٢٨ ، ١٢٩ ؛ ابن حجر: فتح الباري ج ٦ص٣٠٩

(٥) استقر الحد الأعلى لها على ما أخذ عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الغني ثمانية وأربعون درهما ومن الوسط أربعة وعشرون درهما ، ومن الفقير المتكسب اثنا عشر درهما ، انظر أبو يوسف : المصدر السابق ص ٢٥٣ ، أبو عبيد: المصدر السابق ص ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، وقال : "لو علم عمر أن فيها سنة مؤقتة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتعداها إلى غيرها" ، ابن الهمام : فتح القدير (المكتبة التجارية ١٣٥٦هـ) جـ ٤ ص ٣٦٨ .

(٦) ابن القيم : المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٣ .

(٧) أبو يوسف : المصدر السابق ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، أبو عبيد: المصدر السابق ص ٥٠ ، ٥١

(٨) انظر ماسبق : ص ١٨٣ ؛ ومايلي : ص ٢٤٣ ، ٢٤٤

بالإجماع فيما يستقبل إذا أسلم الذمي (١) وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « لَيْسَ عَلَىَ مُسْلِمٍ جِزْيَةٌ » (٢) .

ولاشك أن الهدف من الجزية إذلال الكفر وأهله ، دون إلحاق الأذى بهم بما يزهدهم في الإسلام (٣)، لأن الجزية تهدف أيضا إلى إتاحة الفرصة لأهل الذمة لاعتناق الإسلام.

ومهما يكن من أمر فإن مقدار الجزية مبلغ ضئيل لايمكن أن يصرف النصارى أو غيرهم عن دينهم ويضطرهم إلى الدخول في الإسلام كما يزعم بعض المستشرقين (٤) - ومما يدل عليه ويؤكده ما يلي:

١ - أن الشعوب التي خضعت لحكم الإسلام ودفعت الجزية ثم تحول الكثير منها إلى الإسلام زمن الفتوحات الإسلامية ، كانت تخضع من قبل لحكم الروم أو الفرس، وتدفع من الضرائب ما يفوق مقدار الجزية في الإسلام بأضعاف (٥)

---

(١) ابن عبد البر : المصدر السابق جـ ٢ ص ١٣٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ١ ص ٢٢٣ ، وأخرجه الترمذي في كتاب الزكاة، باب ما جاء ليس على المسلمين جزية ح (٦٢٨) تحفة الأحوذي جـ ٣ ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ؛ أبو داود في كتاب الخراج باب في الذمي الذي يسلم في بعض السنة هل عليه جزية ح (٣٠٣٧) عون المعبود جـ ٨ ص ٣٠٥ قال ابن تيمية في الفتاوى جـ ٢٨ ص ٦٣١ "إسناده جيد" ولكنه مرسل ومع ذلك فالعمل عليه عند أهل العلم.

(٣) انظر: الفصل الثاني ص ١٧٩ ، ١٨٠

(٤) انظر على سبيل المثال : فلها وزن: الدولة العربية وسقوطها ترجمة يوسف العشي (دمشق: مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٦م) ص ٢٣٢ وما بعدها ؛ فلوتن فان: السيادة العربية الشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية ترجمة حسن إبراهيم حسن ، ومحمد زكي إبراهيم الطبعة الأولى (مصر : مطبعة السعادة : ١٩٣٤م) ص ٣٣ وما بعدها .

(٥) انظر التفاصيل : محمد ضياء الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م) ص ٥٢ وما بعدها ؛ صبحي الصالح : النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، الطبعة الأولى (بيروت: دار العلم للملايين ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) ص ٣٦٤ وما بعدها ؛ دائرة المعارف جـ ٦ ص ٤٥٥ مادة جزية ؛ دانيل دانيت : الجزية والإسلام ، ترجمة فوزي فهيم جاد الله مراجعة إحسان عباس (بيروت: دار مكتبة الحياة ١٩٥٢م) ص ١٥ ، ١٧ .

ومع ذلك لم تؤد إلى تخليهم عما يدينون به، وبخاصة النصارى الذين اضطهدوا إلى جانب ذلك من قبل حكام الرومان لمدة ثلاثة قرون متوالية، فلم يزدهم ذلك إلا تمسكا بدينهم الذي ضحوا في سبيله بحياتهم، بل ضحت كل طائفة بحياتها في سبيل التمسك بمذهبها بعد اعتراف الإمبراطورية الرومانية بديانتهم. (١).

٢ - من غير المعقول أن يتهرب الذميون من أداء الجزية بالدخول في الإسلام الذي يفرض على من يدخل فيه أداء الزكاة الشرعية _ التي هي أكثر من الجزية _ عن نفسه وماله وأهله في كل عام.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن فرض الجزية على أهل الذمة في الإسلام ليس في مقابل فرض الزكاة على المسلم كما توهم بعض الباحثين (٢) وذلك ؛ لأن الجزية والخراج ليستا عبادة يقول السرخسي " إن الأخذ من أموال المسلمين بطريق العبادة المحضة دون المؤونة ، فإن الشرع جعل الزكاة أحد أركان الدين، والكافر ليس بأهل لذلك، ولكن يؤخذ منه ما هو أبعد عن معنى العبادة وأقرب إلى معنى الصغار"(٣)

٣- دخول الكثير من النصارى وغيرهم في الإسلام قبل فرض القتال والجزية ، ثم دخول الكثير أيضا بعد ذلك دون أن تفرض عليهم الجزية أو يقاتلوا.

ولو فرضنا جدلا أن من أهل الذمة من لجأ إلى الإسلام هروبا من الجزية، فلا درك على المسلمين في ذلك لأن الإسلام هو الدين الحق الذي جاء لينقذ الناس من الهلاك وبالتالي اقتضت مصلحتهم ذلك وإن كانوا كارهين قبل أن يدركوا الصواب(٤)

والحق أن تطبيق المسلمين لمبادىء الإسلام في واقع حياتهم هو الدافع الحقيقي للدخول في الإسلام روى البلاذري أنه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا

---

(١) انظر: التمهيد ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) سعيد عاشور : دراسات في تاريخ الإسلام وحضارته ص ١٢٨ ، أنور الرفاعي : النظم الإسلامية (دمشق : دار الفكر ١٩٧٣م) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٣) السرخسي: المبسوط جـ ١٠ ص ٨٠ .

(٤) انظر: ابن حجر: فتح الباري ج ١ ص ٧٧ .

شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم وأنتم على أمركم فقال أهل حمص وهم نصارى للمسلمين لما عدلوا فيهم " لولا يتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم" (١)

ويقول أحد الباحثين : " والخلاصة أن داعية الإسلام الأكبر هو الإسلام نفسه، فقد تضمنت عقيدته وشريعته من الفضائل ما يجعل الناس يحرصون أشد الحرص على أن يدخلوا فيه..(٢) بل إن المستشرق الكسندرورس الذي عاش في القرن السابع عشر الميلادي لم يجد مناصا من الاعتراف بذلك رغم شدة حقده على الإسلام وأهله حيث قال بعد أن استعرض بعض مبادىء الإسلام وتمسك المسلمين بها ما نصه: " ولاشك في أن عبادتهم وتقواهم وأعمال الرحمة فيهم - يعني المسلمين - هي الأسباب الرئيسية لنمو الدعوة المحمدية " (٣) .

وأخيرا فإن تمكن المسلمين في الأرض كان له أثر واضح في استجابة الناس لدعوة الإسلام، وذلك على نظرية تأثير الغالب في المغلوب فإن المغلوب كثيرا ما ينقاد بوعي أو بدون وعي إلى تقليد الغالب ومحاكاته، لأنه ما دام غالبا فالمغلوب يظن أن كل مايصدر عنه من فكر أو اعتقاد أو سلوك جزء من أسرار غلبته وعناصر قوته.

وفي السنة العاشرة من الهجرة بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالدبن الوليد على رأس سرية من أربعمائة رجل إلى بني الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ، فلما قدم إليهم دعاهم فدخلوا فيما دعاهم إليه من الإسلام ، وقام فيهم يعلمهم الإسلام ، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب إليه رسول الله أن أقبل ويقبل معك وفدهم ، فأقبل وأقبل معه وفدهم(٤)

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان جـ ١ ص ١٦٢

(٢) حسين مؤنس الإسلام الفاتح (الناشر رابطة العالم الاسلامي العدد الرابع رجب ١٤٠١هـ) ص ١٧ .

(٣) سعيد عاشور : دراسات في تاريخ الاسلام وحضارته ص ١٣٠ نقلا عن:

Finly(C): A history of creece from its conquest by the Romans to the Present Time, vol . 5 , P. 29 (oxfrd ,1877)

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٩٢ - ٥٩٤ ؛ الطبري : تاريخ جـ٢ ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، ابن عبد البر: الدرر ص١٩٥ ؛ ابن كثير: السيرة جـ ٤ ص ١٨٨ - ١٩٠ .

وثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث على بن أبي طالب مكان خالد ليجمع صدقاتهم ويقوم عليه بجزيتهم(١).

وجمع ابن القيم بين هذه الروايات بقوله: "وجواب هذا أن أهل نجران كانوا صنفين: نصارى وأميين، فصالح النصارى على ماتقدم ، وأما الأميون منهم ، فبعث إليهم خالدِ بن الوليد فأسلموا ... وهم بنو الحَارِثَ بن كَعْبُ".. ثم بعث على بن أبي طالب ليأتيه بصدقات من أسلم منهم وجزية النصارى"(٢)

وروى أنه لما ولى وفدهم - أعني بني الحارث بن كعب - بعث إليه الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم(٣) يفقههم في الدين ، ويعلمهم السنة ، ومعالم الإسلام ويأخذ صدقاتهم ، وكتب له كتابا(٤) تضمن عهدا للنصارى ، يشبه تماما ما أوردته من كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم لملوك حمير(٥).

---

(١) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٦ ؛ الطبري : تاريخ ج ٢ ص ٢٠٤ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٩٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٢٠٥ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص٦٤٥ ، وانظر أصل الخبر في صحيح البخاري كتاب المغازي ، باب بعث على بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ح(٤٣٤٩) فتح الباري ج ٧ ص ٦٦٣ .

(٢) ابن القيم : المصدر نفسه جـ ٣ ص ٦٤٥ ، ٦٤٦ .

(٣) هو عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري ، شهد الخندق وما بعدها ، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران روى عنه كتابا كتبه له في الفرائض والزكاة والديات وغير ذلك توفي في خلافة عمر رضى الله عنه قيل بعد الخمسين وهذا أشبه بالصواب انظر : ابن حجر : الإصابة جـ ٤ ص ٢٩٣ .

(٤) انظر : سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٩٤ ، ٥٩٦ ؛ الطبري : المصدر نفسه ج ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ؛ البيهقي: المصدر نفسه ج ٥ ص ٤١٣ ، ٤١٥ ؛ يقول الإمام أحمد عن الكتاب : " ولاشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه" . ويقول ابن خلدون : "وهذا الكتاب وقع في السير مرويا ، واعتمده الفقهاء في الاستدلالات الفقهية ، وفيه مآخذ كثيرة للأحكام الفقهية" وسنده ضعيف ولكن متنه صحيح وله شواهد ثابتة الصحة ، انظر: ابن القيم : المصدر نفسه ج ٢ ص ١١٩ ، هامش (٢) ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر جـ ٢ ص ٥٤ .

(٥) انظر: ماسبق ص ٢٣٩ ، هامش (١)

والظاهرأن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن حزم رضى الله عنه على إثر علي بن أبي طالب رضى الله عنه الذي قدم من اليمن حاجاً ورسول الله صلى عليه وسلم منيخ بالبطحاء خارج مكة في حجة الوداع(١) ، وقد بقي عمرو بن حزم واليا على نجران حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢)

وأخيرا فقد حققت معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم مع النصارى أهدافها في تقوية نفوذ المسلمين والمحافظة على هيبتهم وتأمين طرق الخارجين منهم لنشر الإسلام ، ومن جانب آخر فقد أتاحت الفرصة للنصارى المعاهدين التعرف على حقيقة الإسلام بعد إنزاله هيبة حكم الكفر عنهم، وتأمينهم على حياتهم وأموالهم .

ونخلص من هذا كله إلى أن تحقق الهدف الذى شرع الإسلام من أجله قيام العلاقات بين المسلمين والكفار سواءً أكانوا نصارى أوغيرهم يقترن بقيام الدولة الإسلامية والتزامها بما شرع الله تعالى لها فى تعاملها مع غيرها ، وبخاصة قيامها بفريضة الجهاد فى سبيل الله والذى سيتبين أثره فى العلاقات مع النصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فى المباحث التالية :

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٦٠٢؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ٣٣٤، وانظر: أصل الخبر في صحيح البخاري كتاب المغازي باب بعث على وخالد إلى اليمن قبل حجة الوداع ح (٤٣٥٢ ، ٤٣٥٤) فتح الباري ج ٧ ص ٦٦٣.

(٢) الطبري: المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٦؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٢٠٠؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٥٩ ، ويرى : " أن الرسول صلى الله عليه وسلم عهد بحكم اليمن كله إلى باذان الفارسي عندما اعتنق الإسلام فلما قتل الأسود العنسي باذان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم اليمن بين عدد من الولاة المسلمين فآل حكم نجران إلى عمرو بن حزم" .

الفصل الثالث

العلاقات الحـــــربية

بين الدولة الإسلامية والنصارى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم

- مفهوم الجهاد فى الإسلام ومراحله .
- أسباب عداء النصارى للدولة الإسلامية ومظاهره .
- المعارك والغزوات التى وقعت بين الدولة الإسلامية والنصارى ونتائجها .

مفهوم الجهاد(١) في الإسلام ومراحله :

لاشك أن ظاهر نصوص الكتاب والسنة وأقوال الفقهاء تدل على أن الجهاد في الإسلام إذا أطلق (٢) فإن المقصود به قتال المسلمين للكفار والمشركين لنصرة الدين، وإعلاء كلمتة ، وبهذا يكون في سبيل الله قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾(٣)

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ في سَبِيلِ اللّه »(٤).

وقد ورد في فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة والتي تؤكد أنه من أفضل العبادات(٥) التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً

---

(١) الجهاد في اللغة بذل الوسع والطاقة في طلب الشيء ، وقيل المشقة ، انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة جهد ؛ الفيومي : المصباح المنير ص ٨٢

وشرعا : بذل الجهد في قتال الكفار ، ابن حجر : فتح الباري ج ٦ ص ٥

(٢) أما المفهوم العام للجهاد في الإسلام فهو: بذل الوسع والقدرة - وتحمل المشقة والصبر عليها في حصول ما يحبه الله من الايمان والعمل الصالح ، وفي دفع وإزالة ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان ، انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ١٩١ ، ١٩٢ ، وانظر تفاصيل أنواع الجهاد على هذا المفهوم ابن القيم : زاد المعاد ج ٢ ص ١٠ وما وبعدها

(٣) سورة النساء: آية ٧٦

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ح (٢٨١٠) فتح الباري ج ٦ ص ٣٣ ، ٣٤ ؛ ومسلم في كتاب الامارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٣ ص ٤٩

(٥) انظر : ابن تيمية : السياسة الشرعية ص ١٢٩ _ ١٣١

وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١)، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٢).

وفي الحديث أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ فقال عليه الصلاة والسلام: « لاَأَجِدُهُ، هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ ولاتَفْتُرَ وتَصومَ وَلاتُفْطِرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَستَطِيعُ ذَلِكَ ؟!! »(٣)

وفي حديث آخر قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوف»(٤) وقال: « إن لكل أمة رهبانية، ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله »(٥)

وقد مر الجهاد في الإسلام بالمراحل التالية:

المرحلة الأولى : النهى عنه في العهد المكي (٦) والآيات الدالة على ذلك

---

(١) سورة النساء : آية ٩٦

(٢) سورة التوبة : آية ١١١

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب درجات المجاهدين في سبيل الله ح (٢٧٨٥) ، فتح الباري ج ٦ ص ٦

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب لاتمنوا لقاء العدو ح (٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥) فتح الباري ج ٦ ص ١٨١ ؛ ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب كراهية تمني لقاء العدو، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٤٦ ، ٤٧

(٥) أخرجه ابن المبارك في كتاب الجهاد تحقيق نزيه حماد (جدة : دار المطبوعات الحديثة) ص ٦٧ ؛ الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ٢٦٦ من طريق ابن المبارك ؛ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٧٨ : "وفيه زيد العمى وثقه أحمد وغيره ، وضعفه أبو زرعة ، وبقية رجال رجال الصحيح"

(٦) روى ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ٧٥٧ أن ابن عباس قال : " لبث الرسول صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة وبُعث لأربعين ومات وهو ابن ثلاث وستين " وهذ موافق لقول الجمهور.

كثيرة(١) منها قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾(٢)، وقوله تعالى : ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣).

وفيها اقتصر الرسول صلى الله عليه وسلم على إظهار دين الله بالحجة والبرهان

المرحلة الثانية : الإذن والإباحة لهم فيه، بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة واستقرارهم بها(٤) قال تعالى:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ .... ﴾(٥)

قال ابن عباس: هذه أول آية نزلت في القتال.(٦)

المرحلة الثالثة : الأمر به على سبيل الفرض لمن قاتلهم(٧) وأول آية فرض فيها القتال هى قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا

---

(١) قيل ست وسبعون آية ، انظر : تفسير أبي السعود تحقيق عبد القادر أحمد عطا (بيروت : دار الفكر ١٤٠٢- ١٩٨٢م) ج ٤ ص ٢٨

(٢) سورة النساء : آية ٧٦

(٣) سورة البقرة : آية ١٠٩ وروى أبو حاتم الرازي في تفسيره أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يعفون عن المشركين وأهل الكتاب ويصبرون على الأذى بمكة انظر أبو حاتم الرازي : ' تفسير سورة البقرة ' تحقيق عبد الله أحمد الغامدي ' رسالة دكتوراة جامعة أم القرى ١٤٠٧ هـ) ج٢ ص ٥٥١ ، تفسير ابن كثير ج١ ص ٢٢١ وقال إسناده صحيح ولم أره في شيء من الكتب الستة .

(٤) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١

(٥) سورة الحج : آية ٣٩

(٦) رواه الامام أحمد في مسنده ج١ ص ١٢٦؛ الطبري : جامع البيان ج ١٧ ص ١٢٣؛ الترمذي في كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحج ح (٣٢٢١) وقال حديث حسن تحفة الأحوذي ج ٩ ص ١٥ ؛ الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٦٦ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقاله ايضا : مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف ، انظر : الطبري : المصدر نفسه ج ١٧ص ١٧٢- ١٧٣ ؛ ابن كثير : تفسير ج ٥ ص ٤٣٠

(٧) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٧١

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) وقد نزلت في السنة الثانية من الهجرة،(٢) أما قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ......﴾(٣) فقد نزلت لبيان من فرض عليهم قتاله.(٤)

يقول الإمام الطبري: "فلما نزلت - يعني الآية السابقة- بالمدينة كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت براءة" (٥) التي تعد من آخر ما نزل من القرآن الكريم، (٦) إذ أن آيات الجهاد فيها تبين طبيعة المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد في الإسلام وهي: وجوب قتال الكفار والمشركين ومبادأتهم بالقتال(٧) _ حيثما وجدوا _ إذا بلغتهم الدعوة إلى الإسلام ولم يستجيبوا لها اتفاقا(٨) _ حتى يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام بدفع الجزية

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١٦

(٢) انظر : الطبري : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٦

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٠

(٤) انظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٤٧

(٥) الطبري : المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٥ - ٣٤٦

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٥٧ ؛ الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٣٣٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ؛ ابن كثير: تفسير ج ٤ ص ٤٤

(٧) وقد أجمعت عليه الأمة ، انظر : الزيلعي : تبيين الحقائق وشرح كنز الدقائق ج ٣ ص ٢٤١

(٨) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ٢٨ ص ٣٤٩ ، أما من لم تبلغهم دعوة الإسلام فيذكر الماوردي في الأحكام السلطانية ص ٣٧ أنه يحرم علينا الإقدام على قتالهم غِرّة وبياتا بالقتل والتحريق، وأن نبدأهم بالقتل قبل إظهار دعوة الإسلام لهم وإعلامهم عن معجزات النبوة وإظهار الحجة بما يقودهم إلى الإجابة فقط ولا شك أن قتال الكفار ليس لعدم دخولهم في الإسلام وبقائهم على الكفر فقط قال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ ، وإنما لاعتراضهم وعرقلتهم مع ذلك ـ سواء بالوسائل المادية أو المعنوية المباشرة وغير المباشرة ـ قيام المسلمين بنشر الإسلام في شتى بقاع الأرض ، ويدل على هذا النهي عن قتل النساء والصبيان والرهبان من أهل الكفر إذا لم يباشروا قتال المسلمين روى أن امرأة وجدت مقتولة في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما علم عليه الصلاة والسلام بذلك نهى عن قتل النساء والصبيان". انظر: البخارى كتاب الجهاد باب قتل النساء والصبيان ح (٣٠١٥) فتح الباري ج ٦ ص ١٧٢

وهم صاغرون(١)، ومما يدل على ذلك من الآيات القرآنية قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(٤)

ومن الأحاديث:

قوله صلى الله عليه وسلم: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَإِله إلاّ اللّه فمن قالَ لاإله إلا الله عَصَمَ مِنّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إلاّ بِحَقِهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللّه »(٥) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: « بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لاشريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري »(٦) ، وقوله صلى الله عليه وسلم: « وإذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المشركِين فَادْعُهُمْ إلى ثَلاَثِ خِصَالٍ (أَوْ خِلاَلٍ) فَأَيَّتُهُنَّ ما أجابُوكَ فَاقبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ »(٧)........ ثُمَّ ذَكَرَ الإسلاَمَ فالجِزْيَةَ فالقتال إن هم أَبَوْا » ، وقد استقر حكم الجهاد في الإسلام على ما بينا آنفا

(١) انظر عن الخضوع لحكم الإسلام أو الجنوح للسلم ما سبق ص : ١٧٣ ، ١٧٤

(٢) سورة البقرة : آية ١٩٣

(٣) سورة التوبة : آية ١٢٣

(٤) سورة التوبة : آية ٢٩

(٥) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة (٦٩٢٤) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٨٨ ؛ مسلم في كتاب الايمان باب الأمربقتال الناس حتى يقولوا لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله صحيح مسلم بشرح النووي ج١ص٢٠٦

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٢ص٥٠ ، ٩٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائدج ٦ ص ٤٩: "فيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه المديني وغيره ، وضعفه أحمدوغيره وبقية رجاله ثقات" وقال أحمد شاكر في تحقيقه لأحاديث المسند (طبعة دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م) ح (٥١١٤ ، ٥١١٥) ج ٧ ص١٤٢ ، ١٤٣ : "إسناده صحيح".

(٧) أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد والسير ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٢ ص ٣٧ _ ٣٩

فى آخر مرحلة من مراحله(١) ، ولم ينسخه شيء بعد(٢) ، فقد روى ابن سعد أن المسلمين لما عادوا من غزوة تبوك_ آخر غزوة غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم _

---

(١) وهو فرض كفاية عند عامة علماء المسلمين إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين لقوله تعالى: ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ سورة التوبة : آية ١٢٢ ، وانظر : الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٣٤٤ .

ويكون الجهاد فرض عين في ثلاثة مواضع :

١ - إذا تقابل الصفان والتقى الزحفان المسلمون والكافرون فإنه يحرم على من حضر - من المسلمين القتال - الفرار ووجب عليه المقام.

٢ - إذا استنفر الإمام المسلمين .

٣ - إذا داهم الكفار بلاد المسلمين فالجهاد فرض عين على من يليهم فإذا لم تقع الكفاية لزم الذين يلونهم وهكذا حتى يكفّوا عنهم العدو، انظر : ابن قدامه : المغني ج١٠ص ٣٦٥، ٣٦٦

والحق أن الجهاد مكتوب على كل أحد غزا أو قعد فالقاعد إن استعين به أعان وإن استغيث به أغاث، وإن استنفر نفر، وإن استغنى عنه قعد لقوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) ولقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ مَاتَ وَلَم يَغْزُ وَلَم يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ » انظر : أبو حاتم الرازي تفسير القرآن العظيم "سورة البقرة" تحقيق عبد الله الغامدي، وقال عن الأثر : إسناده حسن ا . هـ ، أما الحديث فأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة ، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص٥٦

(٢) بل يعتبر الكثير من علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل. انظر: الجصاص أحكام القرآن ج٣ ص ٨١؛ ابن العربي : أحكام القرآن ج١ ص ١٠٢؛ ابن الجوزي : زاد المسير ج ١ ص١٩٩ ، ٢١٠ ، ج ٣ ص٣٧٦؛ ابن كثير تفسير ج ٤ ص ٥٥؛ الشوكاني : فتح القدير ج ١ص ١٩١ .

وذهب بعض العلماء إلى أنه ليس هناك نسخ في مراحل الجهاد وعليه فإنه يعمل بكل مرحلة عند الحالة المشابهة للحالة التي شرعت فيها ، انظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ج ٢ ص ٤١ ، ٤٢ ؛ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن الطبعة الثالثة (مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٠هـ -١٩٥١م) ج ٢ ص ٢٣ ؛ سيد قطب : في ظلال القرآن ج ٣ ص ٤٣٦ ، ج ١٠ ص ١٥٨٠ العلياني : أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية الطبعة الأولى (الرياض : دار طيبة ١٤٠٥-١٩٨٥م) ص ١٥٠ ، ١٥١ .

أخذوا يبيعون أسلحتهم ويقولون : قد انقطع الجهاد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم ـ وفى حديث آخر أنه قال « كذبوا الآن جاء القتال ....» (١) وقال : « ولاتزال عصابة من أمتى يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال ».(٢)

والمتأمل يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه - فيما أوردناه آنفا- انتباه أمته إلى أن الروم هم العدو الأبدي اللدود للإسلام وأهله، والذي لاينبغي أن يتوقف المؤمنون المخلصون لله ورسوله عن حربهم وكسر شوكتهم .

والسؤال الذي يطرح نفسه على هذا هو : ما أسباب شدة هذا العداء من النصارى للمسلمين ؟ والإجابة عنه هو ما سيأتي بيانه في المبحث التالي:

---

(١) رواه الامام أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٠٤ ؛ النسائي في كتاب الخيل سنن النسائي الطبعة الأولى (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م) ج ٦ ص ١٧٨ - ١٧٩ وإسناده جيد ، ولم يصرح فيه بأن ذلك كان بعد غزوة تبوك ولكن ظاهره يدل على أنه رواية أخرى لما أورد ابن سعد فقد جاء تمامه « **ولا تزال من أمتي أمة يقاتلون حتى تقوم الساعة وحتى يأتي وعد الله الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة** ».

(٢) ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٦٧ ؛ أخرجه ابو داود في كتاب الجهاد باب في الغزو مع أئمة الخوارج ج (٢٥١٥) بلفظ « .. **وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِيَ اللّهُ إِلى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَايُبْطِلُه جَوْرُ جَائِرٍ وَلَاعَدْلُ عَادِلٍ** » عون المعبود ج ٧ ص ٢٠٦ وما أورد ابن سعد من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « **ولاتزال عصابة من أمتي** .. ألخ » له شاهد في الصحيح بلفظ « .. **وَلاتَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ** » . أخرجه مسلم في كتاب الايمان باب نزول عيسى بن مريم صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٩٣ .

والملاحظ فيما يتعلق بالمسيح الدجال الذي أخبرت به الأحاديث أن العلمانيين والمستشرقين ينفون حقيقتة بحجة أنه لم يرد له ذكر في القرآن الكريم ، والحق ان ما جاءت به الأحاديث من ذكر لحقيقة المسيح الدجال انما هو تفسير لما جاء في كتاب الله تعالى قال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَيَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيَ إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ سورة الأنعام : آية ١٥٨ فقد روى الطبري عند تفسير هذه الآية حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث إذا خرجن (لاينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض) قال ابن حجر : اخرجه الترمذي وصححه . انظر : تفسير الطبري ج ١٢ص ٢٦٥ ، وانظر تفاصيل خبر الدجال كماورد في الصحيحين في كتاب الفتن باب ذكر الدجال ، مع شرح ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ص٩٧-١١٣ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ج ١٨ص ٥٩-٧٦ ، وانظر حديث الدكتور محمد شاكر المنشور في جريدة الأهرام ١٢-١١-١٩٩٣م بعنوان (دعاوى المستشرقين ضد الاسلام . المسيح الدجال حقيقة أم خيال)

أسباب عداء النصارى للإسلام ومظاهره :

سنة الله تعالى في جميع الأمم أنه ما من رسول ولانبيّ، إلاّ وكذبه - في دعوته التي بعثه الله لتبليغها- فئة من قومه ممن ألفوا الباطل وعميت بصائرهم عن الحق، وصُمّت آذانهم عن سماعه قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(١)، وقال تعالى عن خاتم النبيين والمرسلين ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ . . . ﴾(٢)أي: ما يقال لك من التكذيب إلا كما قيل للرسل من قبلك.(٣)

ولا شك أن من كذب الرسل فقد عاداهم، وكذلك من امتنع عن قبول الحق عاداه(٤) والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة(٥)، والذي يهمنا منه هو ما أدى إلى عداء النصارى للإسلام وأهله ونجملها فيما يلي:

١- رفضهم لعقيدة التوحيد الخالصة التي جاء بها الإسلام وذلك ناجم عن الجهل بالحق الذي هو أصل كفرهم في دينهم فقد روى بإجماع المفسرين(٦) أنهم هم المقصودون في قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « فَإِنَّ الْيَهُودَ مُغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَإِنَّ النَّصَارَى ضُلاَّلٌ »(٧)

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٤٤

(٢) سورة فصلت : آية ٤٣

(٣) انظر الطبري: جامع البيان جـ٢٤ ص٧٩

(٤) ابن القيم : هداية الحيارى ص ٤١

(٥) انظر ابن القيم : المصدر نفسه ص ٤١- ٤٣

(٦) ابن كثير : تفسير ج ١ ص ٤٦ ، وهو قول ابن أبي حاتم، وقال القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٤٩ " هو قول الجمهور"

(٧) أخرجه الترمذي في أبواب التفسير ، تفسير سورة الفاتحة ح (٢٩ - ٤٠) وقال حديث حسن غريب تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ، ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ بلفظ : « إن المغضوب عليهم اليهود ، وإن الضالين النصارى» .

وله شاهد في قوله تعالى في النصارى(١) ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾(٢)

وقد فقد النصارى العلم بدينهم بسبب تبديلهم لما أنزل الله تعالى (٣). ولذا فعوامهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله مالا يعلمون ؛ لأنهم جهال ومقلدون لرؤسائهم من الرهبان والأساقفة الذين تركوا ما أمرهم الله به مع العلم ، وحجبوا ذلك عن عوامهم (٤) ومن ذلك اتِّباع الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بما جاء به ، ومن أعتقد خلاف ماعلم فهو جاهل ، وكذلك من قال أو عمل خلاف الحق عالما بالحق فهو جاهل أيضا(٥) _ والذي حملهم على هذا هو:

٢- التعصب للباطل فالنصرانية بعد التحريف تفرقت إلى مذاهب شتى غالبها على الباطل ، تقول إن عيسى عليه السلام ابن الله ، وتعلن العداء لمن خالفها في ذلك ، فلما طال عليهم الأمد في الاستمرار على الفهم الخاطىء لحقيقة التوحيد الخالص ، وبعث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فبين لهم الحق وكذبهم في ذلك تولد في قلوبهم الحقد عليه ، وأصروا على الكفر ، وأظهروا العداء للإسلام وأهله ، ومما يدل على ذلك :

أ- جدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق، وقد ظهر ذلك واضحا في جدال نصارى نجران للرسول صلى الله عليه وسلم في شأن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام(٦) ولهذا لما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم للمباهلة امتنعوا من ذلك لأنهم يعلمون فساد ديانتهم من جانب، ويعلمون صدق الرسول صلى الله عليه وسلم من جانب آخر.

---

(١) انظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج١ص١٥٠ ، ابن حجر : فتح البارى ج ٨ص٩ ، ونسبه إلى السهيلي ، وكذا المباركفوري في تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٢٧٨ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٧

(٣) انظر التمهيد ص : ٢٥ ومابعدها .

(٤) انظر الفصل الأول ص : ١١١ ، ١١٢

(٥) انظر: ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ ص ٢٢٨-٢٢٩

(٦) انظر الفصل الثاني ص : ٢٢٧ _ ٢٣٠

روى ابن إسحاق بسند عن ابن عباس أنه قال: قال أبو رافع القُرظيَ حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى ، من أهل نجران، عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسي بن مريم ؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوذلك تريد منا يا محمد ، وإليه تدعونا ؟ أوكما قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني الله، ولا بذلك أمرني »: فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما ﴿ مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ......... ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١)

ب - إثارتهم الشبه بقصد تحريف القرآن الكريم فقد ثبت : « أن رَجَلاً نصرانياً أسلم وقرأ البقرةَ وآل عمران ، وكان يَكتُبُ للنبيَّ صلى الله عليه وسلم فعادَ نصرانياً، فكان يقول : ما يدري محمدٌ إلا ما كتبتُ له ، فأمَاتَه الله فدفنوه، فأصبحَ وقد لَفظَتْهُ الأرض فقالوا :ـ يعني أصحابه من النصارى ـ هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه لما هَرْبَ منهم نَبَشوا عن صاحبنا فألقُوهُ ، فحَفروا لهُ فأعمقوا، فأصبحَ وقد لَفظَتْه الأرض، فقالوا : هذا فعلُ محمدٍ وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هَربَ منهم فألقوهُ خارج القبر، فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لَفظَتْهَ الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه »(٢).

ويذكر ابن تيمية في ضمن رده على النصارى في زعمهم أن المراد بقوله تعالى ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٣) حياة الله ، أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا

(١) سيرة ابن هشام ق٦ ج١ -٢ ص ٥٥٤ ؛ الطبري، جامع البيان، ج٦ ص ٥٣٩ ؛ الواحدي : أسباب النزول ص ٧٤ ؛ ابن كثير : تفسير ج ٢ ص ٥٤ ، والآية ٧٩ من سورة آل عمران .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ح (٣٦١٧) فتح الباري ج٦ ص ٧٢٢ ؛ مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم صحيح مسلم بشرح النووي ج١٧ ص ١٢٧ وقال رجل من بني النجار ... ولحق بأهل الكتاب ؛ ورواه الإمام أحمد في مسنده ج٣ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ بلفظ رجل دون تعيين.

(٣) سورة البقرة : آية ٨٧ ، ٢٥٣ .

غيره من الكتب المتقدمة ، وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد(١).

٣ -الحسد الذي أصل سببه هو السخط على قضاء الله وقدره في اختيار نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم(٢) قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(٣)

هكذا يبين الحق سبحانه أن النصارى كاليهود والمشركين لايودّون الخير للمؤمنين عداوة، وحسدا(٤)، بل يريدون صرف ذلك عنهم، قال تعالى:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥)

وفى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « إنهم - يعنى أهل الكتاب - لايحسدوننا على شىء كما يحسدوننا على يوم الجمعه التى هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الإمام آمين »(٦)

---

(١) انظر: ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٢ص ١٣٨-١٤٠ ، وانظر ماذكر في بيان معنى روح القدس ص٦٨

(٢) انظر : الطبري : جامع البيان ج ١ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ ؛ ابن كثير : تفسير ج١ ص ٢٢٠

(٣) سورة البقرة : ١٠٥

(٤) انظر : الألوسي : روح المعاني (بيروت : دار الفكر ١٣٩٨هـ) ج ١ ص ٣٤٩ ، وقال الودّ : محبة الشيء وتمني كونه والخير : الوحي أو القرآن ، أو النصرة ، أو ما اختص به الرسول صلى الله عليه وسلم من المزايا أو عام في أنواع الخير كلها ، أما الرحمة فقال مجاهد : القرآن ، والاسلام ، انظر : السيوطي الدّر المنثور ج ١ص ١٠٤ ؛ الشوكاني : فتح القدير ج ١ ص ١٢٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٠٩ .

(٦) رواه الامام أحمد فى مسنده ج ٦ ص ١٣٤ ، ١٣٥ ؛ ابن كثير : تفسير ج ١ ص ٢٥٧ ، وفى الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فَكَانَ لليَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ وَكَانَ للنَّصَارَى يَوْمُ الأحَدِ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ والسَّبْتَ والأحَدَ وكَذلكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةَ نحنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا الأوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِق** »، أخرجه البخارى فى كتاب الجمعة باب فرض الجمعة ؛ وأخرجه مسلم فى كتاب الجمعة واللفظ له صحيح مسلم بشرح النووى ج ٦ ص ١٤٤

والجدير بالذكر أن الحسد يلزم البغض والعداوة ولايفارقهما قال تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١)

ومن مظاهر عدائهم للإسلام وأهله الناتج عن الحسد ، محاولتهم خداع الرسول صلى الله عليه وسلم(٢) والمسلمين لاتّباع ملتهم . قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (٣) ، والخطاب في الآية للرسول صلى الله عليه وسلم ، ويراد به أمته أيضا ؛ لإنهم هم الذين يمكن أن يقع منهم ذلك (٤)، ويدل عليه أن النصارى حاولوا ذلك معهم بالإضلال والتشكيك ، وإظهار الغش في معرض النصح، قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٥)

يقول ابن كثير : " هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم

وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس :إنما ردهم إلى دينهم إطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين ، ولهذا قالوا: لعلهم يرجعون "(٦).

---

(١) سورة آل عمران : آية ١١٩

(٢) وذلك بأنهم طلبوا منه عليه الصلاة والسلام الهدنة ، ووعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعا منهم فأطلعه الله تعالى على سر خداعهم وأنزل الآية المذكورة ، انظر : ابن عطية الأندلسي : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق الرحالى الفاروق وآخرون ، الطبعة الأولى(الدوحة :١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م) ج ١ص ٤٦٩

(٣) سورة البقرة : آية١٢٠ ، ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ سورة البقرة : آية ١٤٥

(٤) انظر: أبو حيان : البحر المحيط ج١ ص ٣٦٨ .

(٥) سورة آل عمران : آية ٧٢

(٦) ابن كثير : تفسير ج ٢ ص ٤٨ ، ٤٩

وقال سفيان الثوري : " كل شيء في آل عمران من ذكر أهـل الكتاب فهو في النصارى "(١)، وظاهر الآية : أن المقصود بأهل الكتاب اليهود والنصارى ، وعلى هذا فيبدو أن النصارى الموجودين في المدينة أو من يقدم إليها منهم قد تآمروا مع اليهود في محاولتهم النيل من الإسلام وأهله ، ويؤكد هذا ما تدل عليه بعض الآيات(٢) من محاولة النصارى إيهام الناس بأن دينهم الحق الذي لاينبغي اتباع غيره ، وقد ثبت في الصحيحين أن كعب بن مالك(٣) رضى الله عنه لما تخلف عن غزوة تبوك بلا عذر ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامه، بلغ هذا النصارى فكتب إليه ملك غسان كتابا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فألحق بنا نواسك(٤). ، هكذا أرادوا إخراجه من دينه وتنصيره ولكن الله ثبته على الإيمان فلم يجبهم إلى ما أرادوا.

٤ - أن الذين تزعموا ذلك العداء هم رجال الدين ، والملوك والأمراء ؛ لأنهم نظروا للإسلام من خلال مصالحهم ومكاسبهم التي حازوهاعبر القرون فرأوا في الإسلام تهديدا لتلك المصالح فلم ينظروا له نظرة موضوعية رغم ظهور حججه وبراهينه التي تشهد بأنه الحق وأن ما دونه الباطل . ويروي ابن إسحاق: أن أبا حارثة بن علقمة قد شرف فيهم ـ في نصارى نجران ـ ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه

(١) ابن أبى حاتم : « تفسير سورة آل عمران والنساء » ج ٢ ص ٦٩ ، وإسناده حسن قاله محقق الكتاب : حكمت بشير ؛ الألوسي : روح المعاني ج٣ ص١٩٨

(٢) الآيتان ١١١ ، ١٣٥ من سورة البقرة .

(٣) هو كعب بن مالك الأنصاري السَلمي المدني ، صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك مات في خلافة علي رضى الله عنه ، انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ج٢ص ١٣٥

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ح (٤٤١٨) فتح الباري ج٧ ص ٧١٧ ، ٨١٩ ؛ ومسلم في كتاب التوبة حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٩٣ ، ٩٤

الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم ...، ثم ذكر قصة أخ له يقال له كوز بن علقمة ويقال كرز وفيها أن بغلة أبي حارثة عثرت ، فقال كوز: تعس الأبعد :يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست ! فقال : ولم ياأخي؟ قال : والله إنه للنبي الذي كنا ننتظر ، فقال له كوز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال : ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا، وقد أبو إلا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى..."(١)

وإذا كان موقف هؤلاء الملوك يرجع إلى الكبر الذي سببه علو اليد ونفوذ الأمر(٢) وعدم الرغبة في الخضوع لإحد خوفا من فقد الزعامة السياسية والدينية ، فإن بعض الرهبان قد احتل مكانة عظيمة في نفوس العامة _ قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٣)، وفي حديث عدّى بن حاتم أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الآية السابقة فقال: " أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه"(٤)_ الأمر الذي أخاف الأباطرة أنفسهم فلم يظهروا خلافهم ، بل وافقوهم فامتنعوا تبعا لذلك وغيره من الدخول في الإسلام ، وأظهروا الحقد والعداء للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا كما وقع لهرقل إمبراطور الروم الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام فكان من جملة الأسباب المانعة له من قبول الحق والتمرد عليه خوفه على نفسه من قومه .(٥)

والجدير بالملاحظة أن الرهبان لما وجهوا العامة إلى عبادة معبودات شتى مع الله وأحلوا لهم ما حرم الله أحدثوا بذلك ما يعد من أسباب عدائهم للإسلام وأهله

---

(١) سيرة ابن هشام ق ١ ج ١-٢ ص ٥٧٣ ، ٥٧٤ .

(٢) الماوردي : أدب الدنيا والدين تحقيق مصطفى السقا الطبعة الثالثة : دار الكتب العلمية ١٣٧٥-١٩٥٥م) ص ٢٣٣

(٣) سورة التوبة : آية ٣١

(٤) الحديث سبق تخريجه ص ٢٧ هامش (٤)

(٥) انظر الفصل الثاني ص : ٢٠١ _ ٢٠٧

ويتمثل في:

٦ -عبادتهم للصليب(١) حيث ارتبط صلب المسيح وقتله ـ على زعمهم ـ بسر الفداء الذي هو التكفير عن خطايا بني آدم وإرضاء أبيه(٢) وهذه العقيدة هي نقطة الدائرة من الدين النصراني المحرف (٣) فمنذ علق الفادي - يعني المسيح على زعمهم- فوق خشبة الجلجثة (٤) أصبح الصليب رمزا لأسمى معاني الحب والبذل والوفاء(٥)، ولهذا تعبدوا به وأصبح الواحد منهم يستفتح الصلاة بالتصليب بين عينيه(٦) وجعلوا هناك عيداً للصليب(٧)، ومما زاد تعظيمهم له أنهم توهموا لما اتخذه بعض الأباطرة شعارا للحرب فانتصروا(٨)، أنه هو سر انتصارهم وبالتالي أصبح شعارا لهم يحملونه في قتالهم لغيرهم، ويقاتلون من أجله . فلما جاء الإسلام ونفى صلب المسيح وقتله ، وأظهر فساد معتقدهم في ذلك ، عادوه لأجل ذلك ، ومن مظاهر عدائهم في هذا أنهم يحاولون فتنة المسلمين به بوضع علامته على صناعاتهم المعدة للتجارة كما سيأتي بيانه لاحقاً .

---

(١) يذكر أن هيلانة الحرانية أم قسطنطين (٣٠٦- ٣٣٧م) أول أباطرة الروم الذين اعترفوا بالنصرانية لما زارت بيت المقدس وذلك بعد المسيح بأكثر من ٣٠٠ سنة، اختارت ثلاثة من اليهود وسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب فامتنعوا فعاقبتهم بالحبس والجوع فدلوها على موضعه في مزبلة، فاستخرجوه ، وجعلته في غلات من ذهب، وحملته ، وبنت كنيسة القمامة في موضعه ومن ذلك الوقت أظهروا الصليب انظر: ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٢ ص ٧١ ، ج٤ ص ٢٦٠ ، ٢٦١

(٢) انظر : ابن القيم : هداية الحيارى ص ٢٦٠ ، ٢٦١

(٣) الجلجثة معناها : الجمجمة : وهو الجبل الذى تزعم النصارى أنه صلب عليه المسيح ويقع بأورشليم بفلسطين ، انظر : بطرس البستانى : دائرة المعارف ج ٦ ص ٤٩٧

(٤) محمد مجدي مرجان :المسيح إنسان أم إله (القاهرة :دار النهضة العربية) ص ١٤٤- ١٤٧

(٥) فؤاد بولس : علامة الصليب (القاهرة : دار الثقافة)، ص ١١.

(٦) ابن القيم: هداية الحيارى ص ٢٦٣

(٧) يوافق اليوم الرابع عشر من سبتمبر من كل عام لأنه بزعمهم اليوم الذي عثرت فيه هيلانة الحرانية أم قسطنطين على الصليب ويقام سبعة أيام في كنيسة القيامة التي هي القمامة.

(٨) انظر ماسبق ص : ٥٦ هامش (٢)

٧ - أكلهم الخنزير:

لاشك أن العدل هو أصل الدين الذي بعث الله الرسل بإقامته فما أورث الآكل بغيا وظلما حرّمه كما حرم كل ذي ناب من السباع ؛ لأنها باغية عادية، والغاذي شبيه بالمتغذي فإذا تولد اللحم فيه صار في الإنسان خلق البغي والفساد.(١)

والطيبات التي أحلها الله لعباده هي كل ما كان نافعا لآكله في دينه وبدنه، والخبائث التي حرمها عليهم هي كل ما كان ضارا لآكله في دينه وبدنه(٢)، ومنها الخنزير قال ابن عباس: "الخبائث هي لحم الخنزير والربا وغيره"(٣) ، وقد حُرّم الخنزير في التوراة(٤) ، وحرمه المسيح عليه السلام أيضا ولعن آكله وبالغ في ذمه ولقي الله ولم يطعم من لحمه بوزن شعيرة(٥).

ولما حدث التحريف في النصرانية وانتصر لذلك الإمبراطور قسطنطين، وأجبر اليهود على التنصر قيل له: إن اليهود يتنصرون من خوف القتل وهم على دينهم فقال كيف لنا أن نعلم ذلك منهم؟ فقال بولس البترك (٦) : إن الخنزير في التوراة حرام واليهود لايأكلون لحم الخنزير ، فأمر أن تذبح الخنازير ، وتطبخ لحومها ، ويطعم منها اليهود فمن لم يأكل منه علم أنه مقيم على دين اليهودية ، فقال الملك إذا كان الخنزير في التوراة حراما فكيف يحل لنا أن نأكله ونطعمه الناس؟ فزعم بولس : أن المسيح عليه السلام قد أبطل كل ما في التوراة(٧) ، وبنى زعمه على أنه رأى مرآة صور له فيها صور الحيوان ، وقيل له كُل كلّ ماطابت نفسك ودع ما

---

(١) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١٧ ص ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) انظر : ابن تيمية : المصدر نفسه ج ١٩ ص ٢٤ .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج٧ ص ٣٠٠

(٤) ابن القيم : المصدر السابق ص ٢٦٦

(٥) ابن القيم : المصدر السابق ص ٢٦٤

(٦) بطرق القسطنطينية في الفترة من ٣٣٧ - ٣٣٩ م ، الباز العريني : الدولة البيزنطية ، ملحق (٢) ص ٩٠٠ ، ويذكره المنبجي في كتابه العنوان ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، باسم بولس السميساطي الذي كان معاضداً لاثناسيوس في آراءه ضد آريوس .

(٧) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ج٣ ص ٢٨ ، ٢٩ نقلا عن سعيد بن البطريق في تاريخه المسمى نظم الجوهر ، وكذا : ابن القيم : هداية الحيارى ص ٣٢٧

ودع ما تكره ، وأنه أبيح لهم جميع الحيوان(١).

وهكذا استحل الرهبان لحم الخنزير مكايدة لليهود، وأباحوه لعامتهم وزعموا أنه من أطهر الدواب وأجملها(٢). والواقع ينفي ذلك فهو أقبح الحيوانات وأعظمها في أكل كلّ شيء وبخاصة القاذورات والنجاسات التي هي أشهى غذاء إليه . ولهذا فهو يحمل بعض الأمراض الخبيثة كما ثبت ذلك طبيا(٣) ويورث أكله عامة الأخلاق الخبيثة ومنها انعدام الغيرة وزوال العفة (٤) كما هو مشاهد في عدم المبالاة في العدول عن الباطل فضلا عن اتباع الحق، ولانستبعد أن الرهبان قد أدركوا شيئا من ذلك فحرصوا على استمرار العامة على أكله ، الامر الذى أدى إلى شدة تمسكهم وتعلقهم بأكله ، والصعوبة فى تركه ، ويدل على ذلك أن عيسى عليه السلام _ إذا نزل فى آخر الزمان _ لايملك أمام ذلك إلا أن يقتله ويبيده من الأرض (٥) سدًا للذريعة المؤدية إلى أكله ، وعلى هذا فلا غرابة وقد جاء الإسلام بتحريمه، وفضح الرهبان على إباحته أن يكون سببا فى عدائهم للإسلام وأهله

وقد تابع رهبان النصارى أحبار اليهود فى محاولة صيانة ديانتهم - التى يعلمون فسادها _ على أنها الحق قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾(٧)

(١) وذكر ابن تيمية في الجواب الصحيح ج١ ص ٢٩٥ ، أن الزعم المذكور لبعض أكابرهم ولم يعيّن ، وظاهر القصة السابقة له تدل على أنه لبولس البترك الذي أشرنا إليه آنفاً .

(٢) ابن القيم : هداية الحيارى ص ٢٦٤

(٣) انظر : مجلة الفكر الإسلامى العدد التاسع السنة الثامنة شوال ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م ص ٤٦ - ٥٩ ؛ مجلة المنار مجلد ٦ ص ٣٠٢ ٣٠٤

(٤) انظر : محمد رشيد رضا : تفسير المنار (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢) ج٢ ص ٧٩ ؛ سيد قطب : فى ظلال القرآن ج ١ ص ١٥٦

(٥) سبق تخريج الحديث الوارد فى ذلك ص : ٢٢ هامش (٢)

(٦) سورة البقرة : آية ١٣٥

(٧) سورة البقرة : آية ١١١

أما مظاهر عدائهم للإسلام وأهله في ذلك فمنها مايلى :

١ـ افتعالهم بعض العهود التى تؤيد ديانتهم ونسبتها ظلما وزورا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك نسخة العهد المعطاة - عل زعمهم - من نبى الله محمد لطوئف النصارى القبط والسريان واليعاقبة بمصر وأقاليمها وفى كل مكان من أقطار الأرض عهد منى إلى سكان جميع النواحى من السريان والقبط حفظا لميثاقهم ورعاية لأجل الله عز وجل ؛ لأنهم وديعة الله فى أرضه ومحافظون لما أنزل عليهم فى الإنجيل والزبور والتوراة ، لايكون لهم الحجة عليهم من قبل الله تعالى وصية منه وحفظا عليهم بأمر العزيز الحكيم إذا أمر معاوية بقوله : « اكتب لهم هذا العهد منى ليطلعوا عليه سائر المسلمين والمتولين من الأمراء والوزراء والسلاطين والعلماء والفقهاء من الملة الإسلامية العاملين بوصيتى »(١)، ونسخة مطولة جدا لعهد معطى لنصارى نجران أو من كان على شىء من نحل النصارى(٢)، ونسخة لعهد معطى لاهل أذرح وأهل قعناء، ونسخة لعهد معطى لأهل ملة النصارى، ولمن تنحل دين النصرانية في كل مكان ويعرف بالعهدة النبوية(٣)

٢ـ محاولتهم ـ بالتعاون مع ملوكهم ـ هدم كيان الحق الذى أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بعد هجرته إلى المدينة بالتآمر مع أتباعهم الذين يقيمون بين أظهر المسلمين وكان أبو عامر الراهب(٤) رأسهم فقد ورد أنه لما قدم النبى

---

(١) انظر: محمدحميد الله: مجموعة الوثائق السياسية ص٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ومابعدها وقد بين حقيقة الوضع فيها

(٢) انظر : محمد حميد الله : المرجع السابق ص ١٨٠ ـ ١٩٠ وقال : «هذا النص لايوجد أدنى شبهة فى أنه من الموضوعات »؛ جاسم صكبان على الربيعى : « نصارى العراق فى العهد الأموى » رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٤م ، ص ٢٥ ـ ٤٢ وقال : « وهذا عهد مصنوع لاشك فى صنعه » ثم أورد تسعة عشر دليلا على ذلك ، وفيما قرأت لا يوجد فى المصادر العربية شىء منها ٠

(٣) انظر ماكتب عنها الدكتور عبد الباقي قصة في مقاله : « تحقيق بعض الوثائق النبوية من العهود التي أعطاها الرسول لليهود والنصارى» . ص ١٢٥-١٣٠

(٤) أبو عامر الراهب : هو عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة ـ والد حنظلة غسيل الملائكة ـ ترهبَ فى الجاهلية ، ولبس المسوح ، فكان يقال له الراهب ، وكان شريفا مطاعا فى قومه فشقى بشرفه ، انظر : سيرة ابن هشام ق ١ ج ٣-٤ ص ٦٧ ؛ ابو نعيم : دلائل النبوة ج ١ ص ١٩ ؛ ابن عبد البر : الدرر ص ١٠٤ ؛ وقد صرح بتنصره ؛ الطبرى : جامع البيان ج ١١ ص ٢٦ ؛ ابن الجوزى : زاد المسير ج ٣ ص ٤٩٩ ؛ القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٣ ؛ ابن كثير : تفسير ج ٤ ص ١٤٨ ؛ الديار بكرى : تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٠ ؛ السمهودى : وفاء الوفاء بأحوال دار المصطفى ج ٣ ص ٨١٥ بقوله : « ثم لحق بالشام فتنصر فمات بها » ؛ واكتفى البلاذرى فى أنساب الاشراف ج ١ ص ٢٨١ بالقول : « وكان يناظر أهل الكتاب ويميل إلى النصرانية » ٠

صلى الله عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر : ماهذا الدين الذى جئت به ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « جئت بالحنيفية دين إبراهيم » قال : فأنت تخلطها بغيرها ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ما فعلت بل جئت بها بيضاء نقية أين ماكان يخبرك الأحبار من اليهود والنصارى من صفتى » ؟ فقال : لست الذى وصفوا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « كذبت » فقال أبو عامر : ماكذبت ، ثم قال _ يُعَرِّض برسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة _: أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا فقال عليه الصلاة والسلام : « نعم أمات الله الكاذب منا كذلك » فكان ذلك هو عدو الله حيث خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومبغضا له (١) ، فلما كان يوم أحد جاء أبو عامر فى خمسين غلاما من الأوس ، وقيل خمسة عشر رجلا وكان يَعد قريشا أن لو قدلقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى يامعشر الأوس : أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق وكان أبو عامر ـ كماذكرنا ـ يسمى الراهب فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم : الفاسق فلما سمع ردَّهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شرٌّ، ثم قاتلهم قتالا شديدا وراضخهم بالحجارة .

ووقع الرسول صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى كان أبو عامر يكيد بها المسلمين ، فأخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واحتضنه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى قائما(٢)

---

(١) انظر : أبو نعيم : المصدر السابق ج ١ ص١٩ ؛ الكلاعى : الاكتفاء ج ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ النويرى نهاية الأرب ج ١٦ ص ٣٥٨ ؛ ابن القيم : هداية الحيارى ص٩٠ ، ٩١ : الصالحى : السيرة الشامية ج ٣ص٦١١ ، ٦١٢ ؛ الدياربكرى : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣٠

(٢) انظر: سيرة ابن إسحاق تحقيق محمد حميد الله ص ٣٠٦ ؛ سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ ص ٦٧ الواقدى : المغازى ج ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ٤٠ ؛ البلاذرى: المصدر السابق ج ١ ص٣١٣ ، ٣٢٠ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص٦٤ ؛ ابن عبد البر: الدرر ص ١٠٤ ، ١٠٥ ؛ ابن الأثير: الكامل ج٢ ص ١٠٤ ؛ الكلاعى: المصدرنفسه ج ٢ ص ٩١ ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ج ٢ ص ٩ ؛ الصالحى : المصدر نفسه ج ٤ص٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، وهذا الأثر مرسل ولكنه مشهور فى كتب المغازى والسير ، ووقع عند ابن سعد فى الطبقات ج ٣ ص٥٤١ ، أن أبا عامر الراهب شهد مع المشركين قتال الرسول صلى الله عليه وسلم ببدر فسماه الرسول الفاسق .

ويذكر أن أبا عامر قال للرسول صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك إلاّ قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين(١) ، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن أبا عامر كان مع رؤساء بنى النضير الذين خرجوا يحرضون قريشا والأحزاب في غزوة الخندق .(٢)

وعلى أية حال فقد روى الطبري بسنده عن ابن عباس أنه قال في تفسير قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٣) "هم أناس من أصحاب أبي عامر ابتنوا مسجدا، فقال لهم أبوعامر: ابنوا مسجدكم، واستعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح، فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه، فلما فرغوا من مسجدهم، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام، فقالوا: قد فرغنا من بناء مسجدنا فنحب أن تصلي فيه وتدعو لنا بالبركة فأنزل الله فيه:﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ إلى قوله ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(٤)

وروى أيضا بسند عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ هو أبو عامر الراهب انطلق إلى

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج٨ ص ٢٥٨ ؛ أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٩٨ ، ٩٩ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ج ٢ ص ١٣٠

(٢) على برهان الدين الحلبي: السيرة الحلبية ج٢ ص ٣٢٨، وقال الطبري في تفسيره ج١١ص ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ " وأبو عامر هو الذي كان حزّب الأحزاب ، لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ؛ وكذا قاله أبو حيان فى تفسيره البحر المحيط ج ٥ ص ٩٨

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠٧.

(٤) الطبري: جامع البيان ج ٧ ص ٢٤ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج٥ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ؛ الواحدي: أسباب النزول ص١٧٥ ؛ القرطبي في المصدر السابق ج ٨ص٢٥٢ ، ٢٥٨ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٥٥٠ ابن كثير تفسير ج ٤ ص ١٤٩ ، وسنده لابأس به ، انظر عبد القادر السندى : الذهب المسبوك في روايات غزوة تبوك (الكويت: مكتبة المعلا ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م) ص ٣١٦ والآية ١٠٨ من سورة التوبة

الشام فقال الذين بنوا مسجد الضرار : إنما بنيناه ليصلي فيه أبو عامر(١).

وروى أنه لما فتح الرسول صلى الله عليه وسلم مكة هرب منها أبو عامر إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف، هرب إلى الشام يريد قيصر يستنصره على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب إلى أهل مسجد الضرار، يأمرهم ببناء المسجد الذي كانوا بنوه فيما ذكر عنه ، ليصلي فيه فيما يزعم إذا رجع إليهم ففعلوا ذلك ، وانتظروا مجيء أبي عامر ليصلي بهم فيه ، وقالوا للرسول صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطرة الشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فنزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(٢)

يقول ابن كثير عن حقيقة ما أراد أبو عامر النصراني :" وذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده ومنّاه، وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق والرِّيَب يعدهم ويمنيهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويردّه عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا معقلا لهم يقدم عليه فيه من يقدم من عنده لأداء كتُبه ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه.... وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج إلى تبوك أن يصلي فيه ليحتجوا بصلاته عليه السلام فيه على تقريره وإثباته ... فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: « إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله » فلما قفل عليه الصلاة والسلام راجعا إلى المدينة من تبوك نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضرار"(٣)

هكذا حاول النصارى بالتعاون مع المنافقين اتخاذ مركز لهم في المدينة يُخّطط

---

(١) الطبري: المصدر السابق ج ٧ص٢٥ ، وإسناده حسن ، انظر: السندي: المرجع السابق ص٣١٩

(٢) أبو نعيم : المصدر السابق ج ١ ص ١٩ ؛ القرطبي : المصدر السابق ج ٨ ص ٢٥٧؛الرازي : التفسير الكبير ج ١٦ ص ١٩٣ - ١٩٤ ؛ الكلاعي : المصدر السابق ج ١ ص ٢٨٣ ؛ ابن القيم : المصدر السابق ج ٣ ص ٥٤٩ ؛ الصالحي : السيرة الشامية ج ٣ ص ٦١١ ، ٦١٢ .

(٣) ابن كثير : التفسير ج ٤ ص١٤٩

فيه لهدم كيان دولة الإسلام التي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم .

أمَّا أبو عامر الفاسق فقد نالته دعــوة الرســول صلى الله عليه وســلم فمات وحيدا طريدا غريبا كافرا قيل بِقِنَّسْرين(١)، وقيـل بالشام عند هرقل سنة عشر للهجرة (٢) وقيل بالحبشة عند النجاشي سنة تسع للهجرة(٣).

٣ - تآمرهم مع ملوكهم وأمرائهم النصارى على صد رعاياهم عن الدخول في الإسلام وذلك بما يأتي:

أ- كتمان دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لهم للدخول في الإسلام وقد بينا ذلك بما لاداعى لتكراره في خبر مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم لملوك وأمراء النصارى(٤)، وفي موقف النصارى من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي(٥)

ب - قتلهم من أسلم منهم فقد قُتل والي الروم عَلَى معان فروة بن عمرو الجذامي لما أسلم بتحريض من إمبراطور الروم هرقل(٦)، وقَتَل رهبان الروم النصارى أسقفهم الكبير صغاطر لما أسلم وأراد دعوتهم إلى الإسلام.(٧) ، وقام قادة النجاشي ملك الحبشة بالثورة عليه لما علموا بإسلامه، وما نجا منهم إلا بكتمان إسلامه. (٨)

ج - قتالهم المسلمين لما قاموا بإبلاغ رعاياهم دعوة الإسلام، فقد أقدم شرحبيل

---

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٢٥٧ ، ٢٥٧ ؛ أبو حيان : البحر المحيط ج ٥ ص ٩٨ ؛ و **قِنَّسْرين** : مدينة بالشام وهي الجابية وبينها وبين حلب اثنا عشر ميلا وقيل عشرين ميلا لها حصن منيع وبها أسواق ، انظر: الحِمْيَري : الروض المعطار ص٤٧٣ ، ٤٧

(٢) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٠٠

(٣) ابن الأثير : الكامل جـ٢ ص ١٩٩

(٤) انظر الفصل الثاني ص : ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٥) انظر الفصل الأول ص : ١٢٩ ـ ١٣١

(٦) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٥٩١ ، ٥٩٢

(٧) الطبري : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ ؛ ابن الأثير : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٤ ابن تيمية : الجواب الصحيح ج١ ص ٩٦ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج٣ ص ٥٠٤ .

(٨) انظر الفصل الأول ص : ١٢٧

ابن عمرو الغساني ـ وهو من العرب النصارى الذين يخضعون لسيادة الروم - على قتل الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملك بصرى بكتابه(١).

قال ابن القيم: " وكانت غسان إذ ذاك - وهم ملوك عرب الشام - حربا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا ينعلون خيولهم لمحاربته ، وكان هذا لما بعث شجاع بن وهب الأسدي إلى ملكهم الحارث بن أبي شمر الغساني يدعوه إلى الإسلام وكتب معه إليه "(٢)

وقد غدر النصارى ببعض دعاة المسلمين في ذات أطلاح (٣) ، وجمعوا الجموع لقتال المسلمين في مؤته وما بعدها مما سيأتي بيانه في المبحث التالي:

---

(١) الواقدي: المغازي ج٢ ص ٧٥٥ ، ٧٥٦ ؛ ابن سعد ، الطبقات ج٢ ص ١٢٧ ، ١٢٨ ؛ ابن حجر: فتح الباري : ج٧ ص ٥٨٣

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ج٣ ص ٥٨١ - ٥٨٢

(٣) **ذات أطلاح** : من أرض الشام وتقع وراء وادي القرى ، انظر: البكري : معجم ما استعجم ج ٣ ص ٨٩٣ .

المعارك والغزوات التي وقعت بين الدولة الإسلامية والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ونتائجها.

اتجهت بعض غزوات (١) وسرايا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مواقع النصارى ففي الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة خمس من الهجرة الموافق ٢٤ أغسطس ٦٢٦م، غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دومة الجندل في ألف من المسلمين (٢). ويرى المسعودي أنها كانت ضد الروم(٣)، ويعتبرها ابن عساكر أول غزوات الشام(٤)، وتُعد كما ذهب بعض الباحثين المحدثين أول حلقة في سلسلة الصراع الحربي بين عالمي الإسلام والنصرانية. (٥) وسببها المباشر هو أن التجار الأنباط الذين يقدمون المدينة بالدقيق والزيت شكوا إلى الرســـول صلى الله عليه ما

---

(١) ثبت في الصحيح ما يدل على أن الصحابة لم يكونوا يفرقون بين مسمى الغزوة والسرية فعن سلمة بن الأكوَع رضى الله عنه أنه قال: « **غزوتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم سبعَ غَزواتٍ وخرجتُ فيما يبعثُ منَ البعوثِ تسعَ غزواتٍ** » أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة ح(٤٢٧٠) فتح الباري ج ٧ ص ٥٩٠ ؛ مسلم في كتاب الجهاد والسير باب عدد غزوات النبي صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي ج١٢ ص ١٩٧ ، وأطلق أهل المغازي والسير مسمّى سرية على الطائفة من الجيش - قيل يبلغ أقصاها أربعمائة رجل - التي يبعثها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى العدو ويؤمر عليها أحد أصحابه وقيل سميت بذلك ؛ لأن الذين يكونون فيها هم خلاصة العسكر وخيارهم ، انظر : ابن الأثير : النهاية ج ٢ ص ٣٦٣

أما الغزوة فهي التي يحضرها الرسول صلى الله عليه وسلم ويتولى قيادتها

(٢) الواقدي : المغازي ج ١ ص ٤٠٢ ؛ ابن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ ص ٦٢ ؛ البلاذري أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤١ ؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٩٠ ؛ النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٦٣ ، ويرى ابن إسحاق أنها كانت في السنة الرابعة من الهجرة، سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ ص ٢١٣ ؛ جوزيف نسيم " العلاقات الإسلامية البيزنطية في الشام وتخومه في صدر الإسلام " مجلة المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام م ٣ ص ٢٦٣

(٣) المسعودي : التنبيه والإشراف ص ٢١٥

(٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٨٥

(٥) عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٢٨٤

أقدم عليه أكيدر النصراني عامل هرقل على دومة الجندل من تحريش بعض العرب على نهب بضائعهم عند مرورهم بسوق دومة الجندل، كما ذكروا له أيضاً تحريضه لأولئك العرب على مهاجمة المدينة، فاستشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه فأشاروا عليه أن يخرج إليها وقيل له إن ذلك مما يفزع قيصر، فعزم على ذلك(١) فخرج إليها. وتذكر بعض الروايات أنه رجع من الطريق قبل أن يصل إليها(٢) على حين تذكر الروايات الأخرى أنه انتهى إليها فلما أحس به أكيدر صاحب دومة الجندل هرب بعد أن حمل ما يمكنه حمله وأخلى السوق، وفعل أهل دومة الجندل مثلما فعل ، فدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم فلم يجد بها أحداً فأمر بأخذ مواشيهم التي تُركت، ثم أقام عليه الصلاة والسلام بها أياما وبث السرايا حولها، فأصابت إبلا ولم تجد منهم إلا رجلاً واحداً أتى به محمد بن مسلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سأله عنهم قال: هربوا حيث سمعوا بأنك أخذت نعمهم، فعرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام فأسلم، ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بما معه من غنائم وذلك في العشرين من ربيع الآخر من السنة نفسها(٣).

وهكذا سواء انتهى إليها الرسول صلى الله عليه وسلم أو عاد من الطريق فإنه

---

(١) انظر الواقدي : المصدر السابق ج ١ ص ٤٠٣ ؛ ابن سعد : المصدر السابق ج ٢ ص ٦٢ ؛ البلاذري : المصدر السابق ج ١ ص ٣٤١ ، وقال : "وهموا بغزو الحجاز" ويرى أنهم من قضاعة ومن غسان" ؛ المقدسي : البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٤ ؛ ابن حبيب : المحبّر ص ١١٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٢٣ ، ويرى أن الذين هموا بغزو المدينة من العرب المشركين ، والراجح أنهم نصارى، ويدل على ذلك ظاهر الروايات ، وما صرح به المسعودي مما أشرنا إليه سابقا ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ١٧٧

(٢) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ ـ ٤ ص ٢١٣ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٣ ص ٣٩ ؛ ابن حبيب : المصدر نفسه ص ١١٤ ، العامري : بهجة المحافل ج ١ ص ٢٩٦

(٣) انظر: الواقدي: المصدر السابق ج١ ص ٤٠٣ ؛ ابن سعد: المصدر السابق ج٢ص ٦٢ ، ٦٣ ، البلاذري المصدر السابق ج١ ص ٣٤١ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٩٠ ؛ المقدسي: المصدر نفسه ج٤ ص ٢١٤ ؛ البيهقي : المصدر نفسه ج٣ ص ٣٩٠ ، ٣٩١؛ النويري : المصدر السابق ج١٧ ص١٦٢ ، ١٦٣ ؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ج٢ ص ٥٤

لم يلق كيدا ولاغرابة في ذلك وقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر(١).

ولا شك أن هذه الغزوة أشعرت القبائل العربية المتنصرة في شمال الجزيرة العربية بهيبة الدولة الإسلامية ، ولكن لانستطيع القول بأنها أخضعت دومة الجندل وما حولها لحكم الدولة الإسلامية الناشئة ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إليها- وقيل إلى قبيلة كلب التي تقيم بها- في شعبان سنة ست من الهجرة سرية عُدّتها سبعمائة رجل بقيادة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه الذي عمَّمه الرسول صلى الله عليه وسلم بعمامة سوداء، وأمره أن يدعو أهل دومة الجندل إلى الإسلام ، وأوصاه ومن معه بقوله: « اغْزُوا جَميعا في سَبِيل اللّه، فَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللّه وَلاَتَغُلُّوا وَلاَتَمْثلُوا وَلاَتَقْتُلُوا وَلِيداً ، فهذا عهد اللّه وسيرة نبيه فيكم»(٢).

وسار عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى دومة الجندل فلما حل بها مكث ثلاثة أيام يدعو إلى الإسلام، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وكان نصرانيا، وكان رأسهم، وأسلم ناس كثير من قومه، وتزوج عبد الرحمن ابنة الأصبغ " تماضر" وقدم بها المدينة، وهي أم أبي سلمة عبدالرحمن(٣).

وتذكر بعض الروايات أن من أبى الإســـلام ، وأقام على دينه فرضت عليه

---

(١) سبق تخريج حديثه ص : ١٠٨ هامش (١)

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ق٢ج ٣-٤ ص ٦٣٢ ، ٦٣٣ ؛ الواقدي : المغازي ج ٢ ص٥٦٠ -٥٦٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٢ص ٨٩ ؛ الطبري : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٦ ؛ الكلاعي : الاكتفاء ج ٢ص ٤٢٨ ؛ المقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٦٧ ، وثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بِتَقْوى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ المسلمين خيراً ثُمَّ قَالَ : « **اغْزُوا باسْمِ الله في سَبِيلَ الله ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ باللّه ، اغْزَوا ولاَتغلُّوا ولاتَغْدُروا ولاتَمثلُوا ولا تقتلُوا وَلِيداً ....**» انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج١٢ص ٣٧

(٣) انظر الواقدي : المصدر نفسه ج ٢ ص ٥٦٠ - ٥٦٢ ؛ ابن سعد : المصدر نفسه ج٢ ص ٨٩ ، ج ٣ ص ١٢٩ ؛ البلاذري : المصدر السابق ج ١ ص ٣٨٧ ؛ الطبري : المصدرالسابق ج ٢ ص ١٢٦ ؛ النويري : المصدر السابق ج ١٧ ص ٢٠٩ ؛ ابن سيد الناس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٤٠ ؛ المقريزي : المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٧ - ٢٦٨

الجزية،(١) ولايصح هذا ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من أحد من الكفار جزية إلا بعد نزول (سورة براءة) في السنة الثامنة من الهجرة(٢).

ويذكر ابن سيد الناس عن ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح (٣) لدومة الجندل في سرية(٤). ويروي ابن إسحاق أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة رضى الله عنه - بعد سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل - في سرية نحو مَدْيَن(٥)، فأصاب سبيا من أهل ميناء- وهي السواحل وفيها جُمَّاعُ من الناس فبيعوا ففرق بينهم ، فخرج رسول صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال : « مالهم » فقيل يا رسول الله فرق بينهم _ أى بيع الأولاد دون الأمهات ، والأمهات دون الأولاد _ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتبيعوهم إلا جميعا »(٦).

ومن السرايا التى بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم نحو القبائل العربية المتنصرة التى تقيم فى شمال الحجاز ، وعلى حدود الشام سرية زيد بن حارثة إلى لخم وجذام بحسمي (٧) وذلك في جمادى الآخرة سنة ست من الهجرة عند معظم

---

(١) الواقدي : المصدر السابق ج ٢ ص ٥٦٢ ؛ ابن سعد : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٩ ؛ ابن سيد الناس : المصدر السابق ٢ ص ١٠٩ ؛ المقريزي : المصدر السابق ج ١ ص ٢٦٨ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٦١

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ١٥١

(٤) ابن سيد الناس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩

(٥) **مَدْيَن** : بلدة بين تبوك وساحل بحر القلزم (الأحمر حالياً) على (١٣٢) كيلاً غرب تبوك ، وهى فى وادٍ بين الجبال ، وتعرف اليوم باسم (البِدْع) ويقال: بها البئر التي استسقى منها موسى عليه السلام انظر : ياقوت : معجم البلدان ج ٥ ص ٧٧ ؛ البلادى : معجم المعالم الجغرافية فى السيرة ص ٢٨٤

(٦) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٦٣٥ ؛ ورواها عن ابن إسحاق ابن سيدالناس : المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٩ ؛ الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص ٤٣١ .

(٧) البلاذري: أنساب الأشراف ج ١ص ٣٧٧ ، **وحسمي** : موضع وراء وادي القرى _ مجموعة قرى بين خيبر وتيماء _ من أرض جذام ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٥٨

المؤرخين(١) والصحيح هو ما جزم به ابن القيّم من أنها كانت بعد الحديبية (٢) أى في سنة سبع من الهجرة(٣) ويدل على ذلك باعثها الأول هو : أن رفاعة بن زيد الجذامي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية وأسلم وحسن إسلامه فكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه يؤمنهم فيه فيما يظهر من سياق الرواية كما سيأتي - فقدم عليهم فأسلموا(٤) ، فلمّا مر دِحْيَة بن خليفة الكلبي بأرض جذام وهو عائد من عند قيصر وقد أجازه بمال وكسوة ، اعتدى عليه الهنيد بن عوض بن الهُنيد الضليعيان- وهو بطن من جذام ليسوا من قوم رفاعة- فسلبوه ما أهدى إليه قيصر، فبلغ ذلك نفرا من بني الضبيب قوم رفاعة ممن كان أسلم فقاتلوا الهنيد وابنه ومن معهم حتى أجبروهم على ردّ ما سلبوا، فأخذه دحية وقدم به على الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في خمسمائة رجل فأغاروا عليهم- جميعا فيما يظهر من سياق الرواية - فقد ذكر بعض المؤرخين أنهم قتلوا جمعا منهم على رأسهم الهنيد وابنه ، وسبوا مائة من نسائهم وأطفالهم وغنموا كثيراً من مواشيهم، فلما علم رفاعة بن زيد الجذامي بذلك قدم في نفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليه الكتاب الذي كتبه له فقال عليه الصلاة والسلام: "كيف أصنع بالقتلى؟ فقالوا : لنا من كان حيا، ومن قتل فهو تحت أقدامنا : يعنون ترك الطلب له فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، وأرسل معهم على بن أبي طالب رضى الله عنه ليبلغ زيد بن حارثة أمْرَ الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يخلى بينهم

---

(١) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٥٥ ، ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٨٨ ، البلاذري : المصدر السابق ج ١ ص ٣٧٧ ، الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٢٦ ، ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ٢ ص ١٠٦

(٢) ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٢٨٤

(٣) ذكر البلاذري في أنساب الأشراف ج ١ ص ١٧٧ ، أن هناك من قال : إنها سنة سبع من الهجرة ، ابن حبيب : المحبَّر ص ١٢١ ؛ القسطلاني : المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٨ ؛ العامري : بهجة المحافل ج ١ ص ٣٦٣ ، وقال : إنها بعد غزوة خيبر

(٤) سيرة ابن هشام ق ١ ج ٣ - ٤ ص ٦١٢ ؛ الطبري : المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٠١ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٤١

وبين حرمهم وأموالهم فكان ذلك.(١)

ويذكر أبو عبيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما حاصر وادي القُرى في جمادى الآخرة سنة سبع من الهجرة، جاءه رجل فقال له : يا رسول الله من هؤلاء الذين تحاصر ؟ فقال : « هؤلاء المغضوب عليهم » يعني اليَهُود قال : فمن هذه الطائفة الأخرى ؟ قال :« الضالون » يعني النصارى ، قال : مما في الغنائم ؟ قال « لله سهم، ولهؤلاء أربعة » قال : فالغنيمة يصيبها الرجل ؟ قال : « إن رميت بسهم في جنبك فاستخرجه فلست بأحق به من أخيك المسلم ».(٢)

وفي ربيع الأول سنة ثمان من الهجرة (٣) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري في خمسة عشر رجلا إلى قضاعة في ذات أطلاح، ولم يرد سبب لبعث هذه السرية وظاهر سياق خبرها يدل على أن الرســـول صلى الله عليه وسلم بعث أفرادها دعاة إلى الإسلام فقط، فقد ورد أنهم لما انتهوا إلى ذات أطلاح وجدوا بها جمعا كثيرا من قضاعة وكان على رأسهم رجل يقال له سدوس، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا أن يجيبوا ، وقتلوا أصحاب كعب الذي نجا منهم وقدم المدينة ليخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر(٤) ، وفي بعض الروايات فأصيب بها كعب

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام ق ١ ج ٣- ٤ ص ٦١٢ - ٦١٥ ؛ الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٥٥ - ٥٦٠ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٨٨ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٠١؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٤١ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٧

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٣١٦ ، وسنده ضعيف ، انظر: عبد الصمد بن بكر" تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب الأموال لأبي عبيد " ج٢ ص ٩٦٤ ؛ وكذا البلاذري : أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٥٣ ، وقد تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح وادي القرى عنوة ، وغنم أموالاً ، وترك المسلمون الأرض والنخل بيد اليهود ، وعاملهم الرسول صلى الله عليه وسلم عليها مثل خيبر ، انظر ابن القيم : زاد المعاد ج١ ص ٤٠٥

(٣) الواقدي : المصدر نفسه ج٢ ص ٧٥٢ ؛ ابن سعد : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٧ ؛ البلاذري المصدر نفسه ج١ ص ٣٨٠ ؛ الطبري : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٤٥ ، وأرخها ابن حبيب في سنة ست من الهجرة ، المحبَّر ص ١٢٠.

(٤) البلاذري : المصدر نفسه ج١ ص ٣٨١ ؛ الطبري : المصدر نفسه ج١ ص ١٤٥ ؛ ابن الأثير : المصدر نفسه ج٢ ص ١٥٥

وأصحابه، وأفلت رجل جريح من القتلى(١).

وعلى أية حال فقد شق ما حدث في هذه السرية على الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بالبعث إليهم فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم (٢)، ومع هذا يرى بعض الباحثين(٣) أن هذا الحادث يُعد أيضا سببا مباشرا لغزوة (٤) مؤتة التي حددت المصادر سببها المباشر في غضب الرسول صلى الله عليه وسلم على قتل الحارث بن عمير الأزدي الذي أرسله عليه الصلاة والسلام إلى ملك بصرى بكتابه(٥).

والحق كما ذهب بعض الباحثين من أن البحث عن الأسباب المباشرة لغزو القبائل العربية الموالية للروم في أطراف الشام لايؤثر على تفسير الحوادث كثيرا، لأن

---

(١) الواقدي : المغازي ج٢ ص ٧٥٢ ، ٧٥٣ ؛ ابن سعد: الطبقات ج٢ ص ١٢٧، ١٢٨ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج٤ ص ٣٥٧ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق ج١ ص ٣٨٦، ٣٨٧ ؛ النويري : نهاية الأرب ج١٧ ص ٢٧٧ ؛ الكلاعي : الاكتفاء ج٢ ص ٤١٩ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج٣ ص ٤٥٤ القسطلاني : المواهب اللدنية ج ٢ ص ٢٦٧

(٢) الواقدي : المصدر نفسه ج٢ ص ٧٥٣ ؛ ابن سعد : المصدر نفسه ج٢ ص ١٢٨ ؛ ابن عساكر: المصدر نفسه ج١ ص ٣٨٧ ؛ النويري : المصدر نفسه ج ١٧ ص ٢٧٧ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج٢ ص ١٥٢.

(٣) محمد أحمد با شميل : غزوة مؤتة : الطبعة الأولى (القاهرة : دار الفكر ١٣٩٢هـ)ص ٢٤٧، ٢٥٣ سامي العاني:' تجربة مؤتة 'المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام م٣ص ٨١؛ محمود شيت خطاب: الرسول القائد الطبعة الثانية(بيروت: دار مكتبة الحياة١٩٦٠م)ص ٢٠٣

(٤) أطلق عليها المؤرخون مسمى سرية وغزوة وبعث ، والبعث هو الجيش ، وقد بيّنا أن الخلاف في هذا لايؤدي إلى تغيّر في المعنى إذا أخذنا بظاهر ما كان عليه الصحابة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والثابت في الصحيح مسمى غزوة ، انظر: صحيح البخاري كتاب المغازي باب غزوة مؤتة ح (٤٢٦١) فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٣ ، قال ابن عساكر: وهي الغزوة الثانية من غزوات الشام : تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٨٥.

(٥) انظر : الواقدي: المصدر نفسه ج٢ ص ٧٥٥، ٧٥٦؛ ابن سعد: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٨؛ ابن عساكر: المصدر نفسه ج١ ص ٣٩٠، ٣٩١ ؛ النويري : المصدر نفسه ج ١٧ ص ٢٧٧ ؛ ابن سيد الناس :المصدر نفسه ج٢ ص ١٥٣؛ المقريزي : إمتاع الأسماع ج١ ص ٣٤٤، ٣٤٥.

تشريع الجهاد يقتضي الاستمرار في إخضاع القبائل العربية وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية ، ونشر الإسلام بصرف النظر عن الأسباب المباشرة.(١)

وتتفق المصادر العربية والرومية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل في السنة الثامنة للهجرة/٦٢٩م حملة من ثلاثة آلاف مقاتل، إلى بلاد الشام لمحاربة النصارى(٢) ، وقد عين الرسول صلى الله عليه وسلم على جيش المسلمين في هذه الغزوة ثلاثة قادة يتعاقبون قيادته في حالة قتل الأول منهم ، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أمَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤتة زيدَ بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن قُتلَ زيدٌ فجعفرٌ ، وإن قُتلَ جعفرٌ فعبدُ الله بن رَواحَة..» (٣) وفي كتب السير والمغازي زيادة « فإن قتل فليرتض المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم ».(٤)

ويعلل بعض الباحثين هذا الاحتياط الذي فعله الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مرة بأنه تقدير منه عليه الصلاة والسلام لأهمية هذه المعركة وخطورتها، ولبعد وجهتها، واحتمال مجابهتها لقوى كثيرة العدد والعدة، وحرصا على وحدة الجيش الإسلامي، ومنعا لأي فوضى أو اضطراب يقع بينهم وهم يقاتلون عدوا قويا، على أرض خاضعة لنفوذه.(٥)

سار جيش المسلمين بعد أن ودعهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصاهم(٦)

---

(١) أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٦٧ .

(٢) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص٩٤ ؛ ليلى عبد الجواد : المرجع السابق ص ٣٤٥

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ح (٤٢٦١) فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٣ .

(٤) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٧٥٦ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٢٨ ؛ النويري : نهاية الأرب ج ١٧ ص ٢٧٨ ؛ المقريزي : إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

(٥) أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (القاهرة ١٩٨٤م) ج ١ ص ٤٥٩ ؛ أكرم العمري : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٦٧ ؛ سامي العاني " تجربة مؤتة" ص ٨٢ عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ص ٢٩٠٥ .

(٦) انظر: سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ -٤ ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ ؛ الواقدي : المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٥٦ ، ٧٥٧ ؛ ابن سعد: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٨ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق م ١ ص ٣٩١ ؛ المقريزي: المصدر نفسه ج ١ ص ٣٤٨

حتى نزلوا معان، فاستسلم لهم حاكمها، وأعطاهم المدينة دون أية مقاومة من جانبه، وقد دفع ذلك هرقل إلى أن يصدر أوامره بإعدامه عندما تمّ استعادة هذه المدينة(١).

وفي معان علم المسلمون بنزول هرقل بأرض مآب - موضع بالشام من أرض البلقاء في أعداد كبيرة من الروم ونصارى العرب(٢) لخم وجذام وقضاعة (بهراء، وبلي ، وبلقين) يتولى قيادتهم رجل من قبيلة بِلْيٍ يقال له مالك بن زافلة، فأقام المسلمون بمعان ليلتين يتشاورون في أمرهم وقال بعضهم : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نخبره بعدد عدونا، وننتظر أمره، فشجعهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على المضي وقال: "يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولاقوّة ولاكثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطِلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة" (٣) فقال الناس: صدق والله وأجمعوا كلهم على لقاء العدو.(٤)

ولاعجب في تشجيع ابن رواحة للجيش بالمضي لقتال العدو فقد بلغت به قوة إيمانه وطاعته لله ورسوله أن أخذ على نفسه أن يظل حبيسا في سبيــل الله حتى

---

(١) ليلى عبد الجواد : الدولة البيزنطية في عهد هرقل ص ٣٤٧ نقلا عن :
The Ophanis , Chrongraphia , in C:5 . HB, p . 514 ; Stratos , Byzantium , p . 313 .

(٢) وهي عند معظم المؤرخين مائة ألف من الروم ، ومائة ألف من نصارى العرب.انظر على سبيل المثال :
سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ص ٣٧٥ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥٠ ؛ ابن عبد البر : الدرر ص ١٥٤ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٥٩ ؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٣٨١ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٣ .
أما الواقدي في المغازي ج ٢ ص ٧٦٠ ؛ وابن سعد في الطبقات ج ٢ ص ١٢٨ فاقتصرا على ذكر مائة ألف من نصارى العرب .

(٣) قال الهيثمى في مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٨ ، ١٦٠ ، ' رواه الطبراني وفيه على بن زيد وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح إلا أنه مرسل' قال الذهبي في الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة الطبعة الأولى القاهرة : دار الكتب الحديثة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م) ج ٢ ص ٢٨٥ : ' على بن زيد بن جدعان التيمي البصري من علماء التابعين ليس بالثبت قال عنه الدارقطني : لايزال عندي فيه لين مات سنة ١٣١هـ' وفي ميزان الاعتدال ج ٣ ص ١٢٧ وما بعدها قال : ' قال البخاري وأبو حاتم لايحتج به ' .

(٤) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٣٧٥ ، ابن عبد البر: المصدر نفسه ص ١٥٤ .

يموت(١) ، وهو الذي عاتبه الرسول صلى الله عليه وسلم لما تأخر عن المسير مع الجيش ليشهد الصلاة معه عليه الصلاة والسلام وقال له مبينا ما فاته من الأجر العظيم :« والذي نفسي بيده لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم ».(٢)

أمّا كلماته فهي موجهة لبعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا في ذلك الجيش وهم أشد الناس محبة وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم تذكيرا لهم بعقيدتهم التي يؤمنون بها عندما يجاهدون في سبيل الله ويمكن إبرازها فيما يلي:

١ - عدم خوفهم من الموت أو الأذى عند مقارعتهم لأعداء الله لأنهم يعلمون أنه لايصيبهم إلا ما كتب الله لهم ، ولايموت منهم أحد إلا بإذن الله قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٣) ، و قال تعالى : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾(٤)، وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ..... ﴾(٥).

٢ - إدراكهم أن الهزيمة لاتأتي إلا من التخاذل عن نصرة دين الله وانتحال المعاذير للتأخر عن طلب العدو والمضي في طريق الحق، وأن التهلكة هي حب الحياة حين يدعو داعي الحق جل شأنه ليقذف بهم في وجه الباطل فيتخلفوا خوف

---

(١) عبد الله بن المبارك : الجهاد ص ٦١ ، الطبري : جامع البيان ج ٢٨ ص ٨٤ .

(٢) رواه ابن المبارك في كتاب الجهاد ص ٦٦ ولم يصرح بأن ذلك في غزوة مؤتة . ورواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٢٥٦ وصرح فيه بأنه كان في غزوة مؤتة .

وفي الصحيح : « **الغَدْوَةُ في سَبِيلَ اللهِ خَيْرُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا** » أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب فضل رباط يوم في سبيل الله ح (٢٨٩٢) فتح الباري ج ٦ص١٠٠ .

(٣) سورة التوبة : آية ٥١

(٤) سورة آل عمران : آية ١١١

(٥) سورة آل عمران آية ١٤٥ .

الموت قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(٢) وهذه الآية الأخيرة فسرت بمعنى ترك الجهاد والإقامة في الأهل والمال(٣)

٣ - إيمانهم وحبهم للهدف الذي خرجوا من بيوتهم يطلبونه وهو الشهادة في سبيل الله، ونيل الأجر العظيم، أو النصر الذي وعدهم الله به إذا قاتلوا لنصرة الدين الذي ارتضاه ، ولو كان عددهم قليلاً وعدتهم ضعيفة قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ(٤) وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴾ (٥)، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٧) ، وقال تعالى ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾(٨)، وقال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ

---

(١) سورة النساء : آية ١٠٤

(٢) سورة البقرة : آية ١٩٥

(٣) انظر : أبو داود في كتاب الجهاد باب قوله تعالى: ﴿ ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ ح (٢٤٩٥) عون المعبود ج ٧ ص ١٨٨ ، الترمذي في أبواب التفسير باب تفسير سورة البقرة ح (٤٠٥٣) وقال " حديث حسن غريب صحيح " ، تحفة الأحوذي ج ٨ ص ٣١١ ، ٣١٢ ، الطبري : جامع البيان ج ٢ ص ٢٠٤ الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٢٧٥ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي؛ ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص٨٧ ؛ ابن كثير: تفسير ج ١ص ٣٣١

(٤) قال ابن كثير في التفسير ج ٤ ص ١٠٢ : ﴿ إلا إحدى الحسنين ﴾ شهادة أو ظفر بكم قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة وغيرهم

(٥) سورة التوبة : آية ٥٢.

(٦) سورة النساء : آية ٧٤

(٧) سورة الحج : آية ٤٠

(٨) سورة آل عمران : آية ١٢٦

يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١)، وقال تعالى:﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢)

قال ابن العربى:" قال قوم إن هذا ـ يعني الآيتين الأخيرتين ـ كان يوم بدر ونسخ هذا خطأ من قائله ولم ينقل قط أن المشركين صافوا المسلمين عليها. ولكن الباري جل وعز فرض ذلك عليهم أولا وعلّل ذلك بأنكم تفقهون ما تقاتلون عليه وهو الثواب، وهم لايعلمون ما يقاتلون "(٣)، فالأمر الذي في الآية الأولى خفف بما بعده(٤) وقيل نسخ وبقيت البشارة (٥)

ومن هنا فقد كان للجيش الإسلامي في غزوة مؤته الحق في اختيار الرأي الأول الذي أشير به، ولكنهم اختاروا الأفضل منه - طاعة لله تعالى- رأى عبد الله ابن رواحة الذي يمثل الصبر والتجلد واستمداد العون من الله تعالى، والتجرد عن إرادتهم والتسامي إلى إرادته سبحانه وتعالى لرفع كلمته وإعلاء دينه(٦) فساروا

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٩

(٢) سورة الأنفال : الآيتان ٦٥ ، ٦٦

(٣) ابن العربي : أحكام القرآن ج ٢ ص ٨٦٦

(٤) انظر القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٨ ص ٤٥ .

(٥) ابن كثير : تفسير ج ٤ ص ٣١ .

(٦) وبمثل هذه العقيدة والتضحية في سبيل الله انتصر المسلمون على أعدائهم في معاركهم، وفتحوا البلاد شرقا وغربا ، وسيطروا على ملك أعظم إمبراطوريتين وجدتا في عهدهم، وشهد لهم بذلك أعداؤهم يقول ابن كثير في البداية والنهاية ج ٧ص ١٧ : " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لايثبت لهم العدو فوق ناقة عند اللقاء فقال هرقل، وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمة الروم : ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلى. قال : فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا في كل موطن. قال فما بالكم تنهزمون ؟ فقال شيخ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغضب ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد في الأرض فقال : أنت صدقتني ".

لملاقاة عدوهم بذلك حتى إذا كانوا بتُخُوم البَلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارف فلما دنا منهم العدو انحازوا إلى قرية يقال لها مؤتة(١) ، واختاروها لوجودالعوارض الطبيعية التي يستطيعون أن يتحصنوا بها لقلة عددهم بالنسبة لعدد عدوهم(٢).

وقد جعل المسلمون على ميمنتهم رجلا من بني عُذْرَة يقال له: قطبه بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عبادة أو عباية بن مالك(٣) وعند مؤتة وقعت المعركة التي اقتتل فيها المسلمون والنصارى قتالا شديدا(٤)، وسجل فيها القادة الثلاثة بطولات عظيمة انتهت باستشهادهم قال ابن إسحاق: فقاتل

زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شَاطَ في رماح القوم، ثم أخذها جعفر فقاتل بها، حتى إذا ألحمه القتال اقتحم على فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فتردد بعض التردد ثم اندفع فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية ثابت بن أَقْرَم أخو بني العجلان فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد.. " (٥)

---

(١) سيرة ابن هشام ق٢ ج ٣-٤ ص ٣٧٥ ، ٣٧٧ ؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ص ١٥٠ ، ١٥١ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج٤ ص٣٦٠ ، وقال بدل 'مشارف' شراف ؛ ابن عبد البر: الدرر ص٥٤ ؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق م١ ص٣٩٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ١٥٩ .

(٢) محمود شيت خطاب : الرسول القائد ص ٢٠٥

(٣) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٣٧٧ ؛ الطبري : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٠، البيهقي : المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٦٠ ؛ ابن عبد البر: المصدر نفسه ص ١٥٤ ؛ ابن عساكر: المصدر نفسه ج ١ ص ٣٩٠ ؛ ابن الأثير : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٩ .

(٤) ابن الأثير : المصدر نفسه : ج ٢ ص ١٥٩

(٥) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، بدون إسناد سوى عقر جعفر لفرسه ، وخبر تردد عبد الله بن رواحة ثم إقدامه ساقهما بسند حسن فيه جهالة الصحابى ولا تضر ، انظر : أكرم العمرى : المرجع السابق ج ٢ ص ٤٦٨ ، هامش (٢)

وفي حديث آخـــر : "... ثم أخذ اللواء(١) خَالِد بْنُ الوَلِيد ولم يكن من الأمراء هو أمَّر نفسه.... "(٢)

وتختلف الروايات التاريخية اختلافا كبيرا في النتيجة التي آلت إليها المعركة بعد تسلم خالد بن الوليد اللواء، فمنها مايذكر، أنه دافع القوم، وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه، حتى انصرف بالناس (٣) وهذا يشير إلى نجاح خالد في الانسحاب بالجيش الإسلامي سالما ، دون النصر الحقيقي . ومنها ما يذكر أنه أعاد تنظيم جيشه فجعل مقدمته ساقته ، وساقته مقدمتة ، وميمنته ميسرته ، وميسرته

(١) اللواء : هي الرَّايَة ، ولايمسكها إلا صاحب جيش الحرب، ويكون الناس تبعاً له ، ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٤ ص ٢٧٩

قال الرازي: والراية: العَلَم، مختار الصحاح (بيروت : مؤسسة علوم القرآن ١٤٠٦هـ _ ١٩٨٦م) ص ٢٦٥

قال ابن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء : هو ما يعقد في طرف الرمح ويلوى معه والراية هو ثوب يجعل في طرف الرمح ويخلى كهيئتة تصفقه الرياح : انظر : صحيح الترمذي بشرح ابن العربي الطبعة الأولى (المطبعة المصرية بالأزهر ١٣٥٠هـ) ج ٧ص ١٧٧

وقال التوربشتى : الراية هي التي يتولاها صاحب الحرب ويقاتل عليها وتميل المقاتلة إليها ، واللواء : علامة كبكبة- وهي الجماعة المتضامة- الأمير تدور معه حيث دار ، انظر : المباركفوري : تحفة الأحوذي ج ٥ ص ٣٣٦

(٢) مسند الإمام أحمد ج ٥ ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٥٦ : رجاله رجال الصحيح غير خالد بن شمير، وهو ثقة وله شاهد في صحيح البخاري في قوله صلى الله عليه وسـلم : « ... **ثم أَخَذَها - يعني الراية خالد بن الوليد عَنْ غَيْرِ إِمْرَه فَفَتَح اللّه عليه** » ح (٣٠٣٦) كتاب الجهاد والسير ، باب من تأمّر في الحرب من غير إمرة إذا خاف العدو ، فتح الباري ج ٦ ص ٢٠٨

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٣٨٠ ، خليفة بن خياط : تاريخ تحقيق أكرم العمرى الطبعة الثانية (الرياض : دار طيبة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص ٨٦ ، ٨٧ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٨٠ ؛ الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٥١ ؛ ابن عبد البر ، الدرر ص ١٥٥ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ج ١ ص ٣٩٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٦٠ ؛ ورجح ابن القيم فى زاد المعاد ج ٣ ص ٣٨٣ « أنه الصحيح »

ميمنتة ، فتوهم العدو أن ذلك مدد جديد للمسلمين ، فرعبوا فلما حمل عليهم خالد هزمهم بإذن الله ، وقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم ، وأصاب المسلمون منهم غنائم عظيمة(١)، ومن الروايات ما يذكر أن خالداً لما أخذ اللواء، انكشف الناس ، فكانت الهزيمة ، فتبعهم المشركون ، فقتل من قتل من المسلمين (٢)

والثابت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: « أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَر فَأُصِيبَ ، ثُمَّ أَخَذَ ابن رَواحَة فَأُصِيبَ _ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ _ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سيفٌ من سيوفِ اللّه حَتَّى فتَح اللّه عليهم »(٣) ، وقال أيضا لما عاد المسلمون من مؤتة وصاح الناس في وجوههم يافرار فررتم في سبيل الله : « لَيسُوا بِالفُرار ولكِنهُم الكُرَّار إن شَاء اللّه » (٤)

وهذه أدلة قاطعة على نفي الهزيمة عن المسلمين في هذه الغزوة، وبالتالي فالمراد بالفتح في الحديث إما الانسحاب الناجح بدون خسائر تذكر، وإما الظهور والانتصار(٥) وهذا المعنى الأخير يوافق ما وقع في مغازي موسى بن عقبة التي هي أصح المغازي - من قوله : "ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد فهزم الله العدو وأظهر المسلمين"(٦) وقد مال إليه البيهقي(٧)، وأيده ابن كثير، وقال

---

(١) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٣٦٤ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٣٠ ؛ ابن عساكر:المصدر السابق م ١ ص ٣٩٧ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس ج ٢ ص ٧١

(٢) الواقدي : المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ابن سعد : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٩ ، المقريزي إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ح (٤٢٦٢) فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٣٨٢ ، بسند حسن إلى عروة ولكنه مرسل ، انظر: أكرم العمري السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٦٩ هامش (٤)

(٥) أكرم العمري: المرجع نفسه ج ٢ ص ٤٦٩ .

(٦) نقلا عن ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٦ .

(٧) البيهقي : دلائل النبوة ج ٤ ص ٣٧٥ .

وهو الظاهر من معنى الحديث الصحيح: « ففتح الله عليهم »(١) ومما يدل عليه أيضا ما روي أن خالداً رضي الله عنه قال: " لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يَمانية"(٢) وهذا يعني أنهم أثخنوا فيهم قتلا(٣) على حين نجد جيش المسلمين لايفقد من جنده سوى اثني عشر شهيدا يقول ابن كثير عن هذا: " وهذا عظيم جدا، أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهوالفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف ومن نصارى العرب مائة ألف يتبارزون ويتصاولون . ثم مع هذ كله لايُقْتَل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلاً ، وقد قتل من المشركين خلق كثير ! "(٤)

والله تعالى يقول:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(٥) ، وقوله تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ.......................... ﴾(٦)

ويعبر ابن كثير - وهو يرى أن الله نصر المسلمين في غـزوة مؤتة - عن نتائجها بقوله : " وهذه الغزوة كانت إرهاصا لما بعدها من غزو الروم وإرهابا لأعداء رسول الله "(٧)

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن أهم نتائج غزوة مؤتة هـو أن المسلمين

---

(١) ابن كثير: السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٦٨

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ح (٤٢٦٥) فتح الباري ج ٧ ص ٥٨٨ .

(٣) ابن كثير : المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٧٢

(٤) ابن كثير المصدر نفسه ج ٣ ص ٤٨٩ .

(٥) سورة آل عمران : آية ١٣

(٦) سورة البقرة : آية ٢٤٩

(٧) ابن كثير : الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الأولى (بيروت : دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ص ٨٠

أفادوا دروسا وخبرات عظيمة من المعركة حيث تعرّفوا على قوة الروم وعددهم وأساليب قتالهم وخططهم وطبيعة الأرض التي يقاتلون عليها(١).

والواقع أن هذه الغزوة كانت سبباً في نشر الإسلام في جهات بلاد الشام حيث أخذ الناس بعد انتهاء المعركة يفكرون في أمر هذا الدين وبالتالي الإيمان به ولذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار بعد غزوة مؤتة مباشرة (٢) إلى ذات السلاسل(٣) حين بلغه أن جماعة من قضاعة تريد أن تغير على أطراف المدينة ربما للثأر لقتلاها في مؤتة، ويأمره عليه الصلاة والسلام أن يستعين ببعض فروع قضاعة من بلى وعذرة وبلقين(٤) .

وتشير الروايات إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألفهم بعمرو وكان ذا رحم فيهم ، فقد كانت أم العاص بن وائل ــ فيما ذكر - بلوية(٥).

---

(١) محمود شيت خطاب : الرسول القائد ص ٢٠٦ ؛ محمد فرج : العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، الطبعة الثالثة (القاهرة : دار الفكر العربي ١٩٧٧م) ص ٦٢٩ ، ٦٣١ محمد أحمد باشميل : غزوة مؤتة ، الطبعة الأولى (القاهرة : دار الفكر العربي ١٣٩٢) ص ٤٠٠ ؛ أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٤٧٠ .

(٢) وذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان للهجرة ، انظر ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ١٣١ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٧ .

(٣) ذات السلاسل بضم السين وفتحها لغتان ، موقع وراء ذات القرى من المدينة على عشرة أيام قيل على مشارف الشام ، وسمي المكان بذلك ؛ لأنه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة وقيل : لأن بها ماء يقال له السلسل ، وقيل سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفرّوا ، انظر : القسطلاني : المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج٢ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ج ٢ ص ٧٥

(٤) الواقدي: المصدر السابق ج ٢ص ٧٧٠ ، ابن سعد : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣١ ؛ النويري نهاية الأرب ج ١٧ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ؛ ابن سيد الناس: المصدر نفسه ج ٢ص ١٥٧ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع ج١ ص ٣٥٢

(٥) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٦٢٣ ، ٦٢٤ ؛ الواقدي : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٧٠ ابن سعد : المصدر نفسه ج ٢ ص ١٣١ ؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٤٦

فلما تقدم عمرو في ديار قضاعة بلغه أن لهم جموعا كثيرة فتخوف من ذلك، فاستمد الرسول صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه ومعه مائتا مقاتل فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وانضم هذا المدد إلى الجيش(١).

ويذكر عامر الشعبي أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا عبيدة على المهاجرين وعمرو بن العاص على الأعراب وطلب منهما أن يتطاوعا ، وأن الجيش أرسل ضد بني بكر، ولكن عمرو أغار على قضاعة(٢) فهربوا وتفرقوا، وطاردهم عمرو إلى أقصى بلادهم(٣) ، فلقوا العدو، فهزموهم ، فأراد المسلمون أن يتبعوا فلولهم فمنعهم عمرو من ذلك ، ومنعهم أيضا أن يوقدوا نارا، فلما رجعوا إلى المدينة ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وشكوه إليه، وقال عمرو: يا رسول الله إني كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا عليهم، فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره(٤) ولاشك أن هذه السرية قد عملت على تثبيت هيبة الدولة الإسلامية في تلك الجهات.

ويمكن القول :إن نصارى الروم والعرب قد تعرفوا بعد أن بلغتهم دعوة

---

(١) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣- ٤ ص ٦٢٣ ، ٦٢٤ ؛ الواقدي : المصدر السابق ج ٢ ص ٧٧١ ؛ ابن سعد : المصدر السابق : ج٢ ص ١٣١ ؛ الطبري : المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٧ ؛ البيهقي : المصدر السابق ج ٤ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ؛ ابن الأثير : الكامل ج٢ ص ١٥٦ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ١٥٧ .

(٢) مسند الإمام أحمد ج ١ ص ١٩٦ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٠٦ : " رواه أحمد وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح "

(٣) انظر الواقدي : المصدر السابق ج٢ ص ٧٧١ ؛ ابن سعد : المصدر السابق ج ٢ ص ١٣١ ؛ النويري: المصدر السابق ج ١٧ ص ٢٨٤ ؛ ابن سيد الناس: المصدر نفسه ج ٢ ص ١٥٨ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٣ ص ٥١٧ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٣٥٣

(٤) أخرجه ابن حبان في كتاب الجهاد ، باب الرأي في الحرب ح (١٦٦٥) الهيثمي : موارد الظمآن زوائدابن حبان ص ٤٠٠ واللفظ له ، الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٤٣ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي.

الإسلام عن طريق مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم - على الكثير مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به على أثر تلك السرايا التي بعثها إليهم والتي هدفت بالدرجة الأولى إلى الدعوة إلى الإسلام وبيان أصوله ومبادئه، ولكنهم لم يبادروا بالدخول في الإسلام، بل أصر غالبيتهم على الكفر والعداء للإسلام وأهله، ويظهر أنهم رغم ما قاموا به من اعتداءات فقد كانوا يترقبون ماذا سيسفر عنه صراعه عليه الصلاة والسلام مع اليهود والمشركين في جزيرة العرب ، ولهذا فلما رأوا انتصاره عليهم غاظهم ذلك فاستعدوا لحربه، وتذكر بعض الروايات أن نصارى العرب كتبت إلى هرقل أن هذا الرجل الذي خرج ، ينتحل النبوة ، قد هلك وأصابته سنون، فهلكت أموالهم فإن كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له الضناد ، وجهز معه أربعين ألفا فلما بلغ ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم ، كتب في العرب ، وكان يجلس كل يوم على المنبر فيدعو، يقول: « اللَّهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هذهِ الْعِصَابَةُ فلن تُعْبَدَ في الأرْض..»(١)

ومما يزكي صحة الرواية السابقة ما قد ثبت من حقيقة تهديد النصارى للإسلام وأهله في المدينة نفسها قصة الإيلاء التي وقعت سنة ثمان من الهجرة وذلك في قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :" كَانَ لِي صَاحب مِن الأنصَار إذَا غِبْتُ أَتَانِي بالْخَبَر ، وَإذَا غَابَ كُنْتُ أَنَا آتِيهِ بِالْخَبَرِ ، وَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ مَلِكاً مِنْ مُـــلُوك غَسَّانَ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسِيرَ إِلَيْنَا فَقَدِ امْتَلأَتْ صُدُورُنَا مِنْه.."(٢) ومن هنا فلا مجال للشك في أن هرقل أمر في السنة التاسعة من الهجرة بحشد الجموع الكثيرة من الروم والقبائل الموالية لهم للقضاء على القوة الإسلامية الناشئة في المدينة، وأن مقدماتهم وصلت إلى أرض البلقاء وعسكرت بها ، وهرقل ما زال مقيما

---

(١) الهيثمي : مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٩١ وقال : « إسناده ضعيف ».

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب تفسير القرآن الكريم ، باب تفسير سورة التحريم ح (٤٩١٣) فتح البارى ج ٨ ص ٥٢٦ ؛ مسلم في كتاب الطلاق ، باب بيان أن تخيير امرأة لايكون طلاقا ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٠ ص ٨٦ .

..

بحمص(١)، وفي الوقت نفسه أبحر جماعة من نصارى الحبشة - فيما يبدو- لمساعدتهم ونرجح أن هرقل طلب منهم ذلك ؛ لأن نصارى الروم نظروا إلى الحرب مع غيرهم بعد انتصارهم على الفرس وخاصة مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كذبهم وأظهر فساد ما يعتقدون، نظرة دينية ينبغي أن يشاركهم فيها كل من ينتمي إلى ديانتهم، وإن اختلفت المذاهب، هذا فضلا عن إدراكهم أن مصالحهم التجارية باتت مهددة بعد قيام دولة الإسلام ويشاركهم الأحباش في هذا وفي محاولة التمكن من قلب الجزيرة العربية (مكة والمدينة) .

وسواء كان قدوم نصارى الحبشة لحرب المسلمين بطلب من هرقل أم أنهم اتخذوا المبادرة من تلقاء أنفسهم لما سمعوا باستعدادات هرقل فقد وصلوا إلى ساحل جدة(٢) في شهر ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة(٣) ولم تكن قد قدمت بعد جموع نصارى الشام، ومن المحتمل أن تعجلهم كان بهدف صرف انتباه المسلمين عن تحشدات هرقل وحلفائه، ولعل اختيارهم النزول بجدة كان محاولة منهم لإقامة رأس جسر للقوى النصرانية تحت خاصرة الدولة الاسلامية الناشئة.

وعلى أية حال فقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبر نصارى الحبشة فبعث إليهم علقمة بن مُجزِّزٍ(٤) في ثلاثمائة رجل ، فانتهى إلى جزيرة في البحر فخاض

---

(١) انظر : الواقدي: المغازي ج ٣ ص ٩٨٩ ، ٩٩٠ ؛ ابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ١٦٥ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق م ١ ص ٤١٣ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ١٨٩ ؛ النويري: نهاية الأرب جـ ١٧ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ ؛ المقريزي : إمتاع الأسماع جـ ١ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ ؛ القسطلاني: المواهب اللدنية ج٣ ص٦٤

(٢) جُدَّة بضم الجيم وتشديد الدال، بلد قديم معروف على ساحل البحر الأحمر وتعد الآن الميناء الرئيسي للحجاز وتبعد عن مكة ٧٣كم من جهة الغرب ، ٤٢٠كم جنوب المدينة انظر: ياقوت ، معجم البلدان ج٢ ص ١١٤ ، ١١٥ ؛ البلادي معجم معالم الحجاز الطبعة الأولى (دار مكة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ج ٢ ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) الواقدي: المصدر نفسه جـ٣ ص ٩٨٣ ، ابن سعد : المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٦٣ ، البلاذري أنساب الأشراف جـ ١ ص ٣٨٢ .

(٤) علقمة بن مجزز بن الأعور بن جعدة الكناني المدلجي، صحابي جعله الرسول صلى الله عليه وسلم أمير السرية التي أشرنا إليها في المتن، وشهد اليرموك ، وكان عاملا لعمر بن الخطاب على حرب فلسطين ، روى أنه بعثه عمر رضى الله عنه سنة عشرين على رأس جيش إلى الحبشة فأصيبوا ، انظر: ابن حجر: الإصابة ج ٤ ص ٢٦٧ .

إليهم فهربوا منه(١) .

والجدير بالذكر أن الله تعالى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم الأمر بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية في السنة التاسعة من الهجرة قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾(٢).

ولاشك أن من لا يؤمن بالله واليوم الآخر ، لايحرم ما حرم الله ورسوله ولا يدين دين الحق وإنما كرر للغضب على المأمور بقتالهم والتسجيل عليهم بالذم ورجمهم بالعظائم، ليكون ذلك أدعى لوجوب قتالهم وحربهم(٣) وبخاصة النصارى ؛ لأن المسيح عليه السلام لم يحل كل ما حرمه الله في التوراة، وإنما أحل بعض ما حرم عليهم ، ولهذا كان من الأوصاف المؤثرة في قتالهم. (٣)

يقول ابن كثير: " وهذه الآية الكريمة نزلت أول الأمر بقتال أهل الكتاب، بعد ما تمهدت أمور المشركين ، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلما استقامت جزيرة العرب أمر الله رسوله بقتال أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة" (٤)، وقال في موضع آخر: " فعزم الرسول صلى الله عليه

---

(١) الواقدي : المصدر السابق ج ٣ ص ٩٨٣ ؛ ابن سعد : المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٣ ؛ البلاذري : أنساب الأشراف جـ ١ص ٣٨٢ ؛ النويري: نهاية الأرب جـ ٧ ص ٣٥١ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر جـ ٢ ص٢٠٧ ؛ الديار بكري : تاريخ الخميس جـ٢ ص ١٢٠

وقال البخاري في كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي وذكر به قصة لعبد الله بن حذافة ،ويحتمل أنها السرية التي أشرنا إليها ،والله أعلم

(٢) سورة التوبة : آية ٢٩ .

(٣) انظر ضياء الدين ابن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة الطبعة الثانية (الرياض : دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) ٣ ص ١٥ .

(٣) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ٣ ص ١٢٤ .

(٤) ابن كثير: تفسير جـ ٤ ص ٧٤ ، ٧٥ .

وسلم على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله" وقد قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾(١)(٢)

ولم يرد بالمصادر التى _ اطّلعت عليها _ ما يشير إلى أن خبر ما قام به هرقل - مما أشرنا إليه- لحرب الإسلام وأهله ، قد بلغ(٣) الرسول صلى الله عليه وسلم قبل نزول آية قتال أهل الكتاب أم بعدها.

وعلى أية حال فقد عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على غزو الروم في مكان تجمعهم(٤) فاستنفر(٥) المهاجرين والأنصار، وبعث أحد عشر رجلا إلى مختلف

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٣ .

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٣ .

(٣) يذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم علم بما أجمع عليه الروم من الأنباط الذين كانوا يأتون المدينة بالدرمك (الدقيق الجيد) والزيت من دمشق ، انظر : الواقدي : المغازي جـ ٣ ص ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ١٦٥

(٤) وورد أن خروج النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة كان عن مشورة يهود له بسكنى الشام ؛ لأنها أرض المحشر ، وأرض الأنبياء ، وذلك بقصد إخراجه وأصحابه من المدينة وتربصهم لخطر مجابهة الروم ، وقد ذكر أن قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا...... ﴾ نزلت في ذلك وإسناد الخبر مرسل ضعيف والآية مكية ، انظر ابن عساكر : تاريخ دمشق م ا ص ١٦٧ ، ١٦٨ ؛ ابن كثير : تفسير جـ ٥ ص ٩٧ ، ٩٨ ؛ القسطلاني: المواهب اللدنية جـ ٣ ص ٧٩ ؛ ابن حجر: فتح الباري جـ ٧ ص ٧١٤ ، ٧١٥ ؛ أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة جـ ٢ ص٥٢٢ ، والآية ٧٦ من سورة الإسراء .

(٥) شاهده قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ سورة التوبة آية ٣٨ ، حيث ذكر مجاهد أنها نزلت في غزوة تبوك حيث أمروا بالنفير حين جنى الثمر وطيب الثمار ، واشتهاء الظلال ، فشق عليهم المخرج ، انظر : الطبري : جامع البيان جـ ١٠ ص ١٣٣ ، وإسناده مرسل وفيه عنعنة ، قاله أكرم العمري في السيرة النبوية الصحيحة جـ ٢ ص ٥٢٨ هامش (٣)

القبائل يستنفرهم للخروج معه(١)، وأخبرهم بوجهته، لبعد الطريق وشدة (٢) الحر وقوة العدو، فاجتمع لذلك من المؤمنين الصادقين حوالي ثلاثين ألف رجل، معهم عشرة آلاف من الخيل، واثنا عشر ألف بعير(٣)، ويعد هذا أكبر جيش قاده الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، وفي آخر غزوة غزاها، ومع هذا تخلف بعض الناس من الأعراب ومن أهل المدينة من المنافقين وغيرهم(٤)، فعاتب الله من تخلف بغير عذر من المنافقين والمقصرين ، ولامهم ووبخهم ، وقَرَّعهم أشد التقريع ، وفضحهم أشد الفضيحة، وأنزل فيهم قرآنا يتلى، وبين أمرهم في سورة التوبة.

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن هذا الجيش الذي أعده الرسول صلى الله عليه وسلم لقتال الروم قد واجه ضائقة اقتصادية في تجهيزه لأن توقيت الحملة جاء قبل جني التمر وبيعه، ولذا حث الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين على الانفاق في سبيل الله ووعد المنفقين بعظيم الأجر من الله تعالى فاستجابوا لذلك، وسارعوا إلى تقديم الأموال ، فقدم أبو بكر الصديق رضى الله عنه ماله كله ، وتصدق عمر رضى

---

(١) الواقدي: المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٩٠ ؛ ابن سعد: المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥١٦ ، الطبري: تاريخ الأمم والملوك . ج ٢ ص ١٨١ ؛ ابن عبد البر : الدرر ص ١٧٨ ؛ ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ١٨٩

(٣) الواقدي : المصدر السابق جـ٢ ص ٩٩٦، ١٠٠٢ ؛ ابن سعد : المصدر السابق جـ٢ ص ١٦٦ ؛ المقريزي: إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٤٥٠ ، وقال : " قال أبو زرعة: كانوا سبعين ألف، وفي رواية أربعين ألفا " والمشهور ما أشرنا إليه.

(٤) قال ابن كثير في السيرة النبوية جـ ٤ ص ٥٠ : " قلت : كان المتخلفون عن غزوة تبوك أربعة أقسام: مأمورون مأجورون، كعلي بن أبي طالب، ومحمد بن مسلمة ، وابن أم مكتوم، ومعذورون ، وهم الضعفاء والمرضى، والمقلّون وهم البكاءون ، وعصاة مذنبون وهم الثلاثة ـ وقصتهم في صحيح البخاري كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ ـ، وأبو لبابة وأصحابه المذكورون ، وآخرون ملومون مذمومون وهم المنافقون" ، انظر مزيدا من التفاصيل عما ذكره رحمه الله عن ذلك في كتابه التفسير جـ ٤ ص ١٠١ ، ١٢٩- ١٣١ .

الله عنه بنصف ماله، (١) وأنفق عثمان بن عفان رضى الله عنه نفقة عظيمة في ذلك (٢) ، وروى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أنفق ألفي درهم(٣) وقدم بقية المسلمين الصادقين ما أمكنهم تقديمه من المال والعدة(٤) لتجهيز هذا الجيش الذي عرف بجيش العسرة.(٥)

ولما أكمل النبي صلى الله عليه وسلم الاستعداد لهذه الغزوة خرج بنفسه على رأس هذا الجيش في يوم الخميس لخمس خلون من شهر رجب سنة تسع من الهجرة (٦) ، وتشير بعض الروايات إلى أن هذا الجيش قد وجد في أثناء سيره

---

(١) انظر سنن الترمذي : كتاب المناقب، باب الصديق ينفق كل ماله ح (٣٧٥٧) تحفة الأحوذي جـ ١٠ ص ١٦١ ، سنن أبي داود ، كتاب الزكاة، باب الرجل يخرج من ماله ح(١٦٦٢) عون المعبود جـ ٥ ص ٩٤، ٩٥.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب الوصايا ، باب إذا وقف أرضا أو بئرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين ح (٢٧٧٨) فتح الباري جـ ٥ ص ٤٧٧ ؛ مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٥٣، سنن الترمذي: كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه ح (٣٧٨٣، ٣٧٨٤ ، ٣٧٨٥) تحفة الأحوذي جـ ١٠ ص ١٨٩ ـ ١٩٣ ؛ وقال ابن عبد البر في كتابه الدرر في اختصار المغازي والسير ص ١٧٨: وروي أنه حمل في تلك الغزاة على تسعمائة بعير ومائة فرس وجهزهم حتى لم يفقدوا عقالا ولا شكالا ، وروي أنه انفق فيها ألف دينار . ا. هـ وروي غير ذلك انظر الروايات الواردة في ذلك ومدى صحتها ، عبد القادر السندي : الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ص ١٩٩-٢١٢

(٣) الطبري: جامع البيان جـ ١٠ ص ١٩١- ١٩٦، وانظر تخريج الأثر : أكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة جـ ٢ ص ٥٢٥ هامش (٤).

(٤) انظر : صحيح البخاري كتاب التفسير، باب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ح (٤٦٦٨) فتح الباري جـ ٨ ص ١٨١، ١٨٢، الطبري : المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٩٧، ابن كثير : تفسير جـ ٤ ص ١٢٥، ١٢٨.

(٥) ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ سورة التوبة آية ١١٧ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « **من جهز جيش العسرة فله الجنة** » الحديث فى صحيح البخارى وسبق تخريجه آنفا هامش (٢) ، وسمي جيش تبوك بذلك لأنه ندب الناس إلى الغزو في شدة الغيظ وكان وقت ابتياع الثمر وطيب الظلال. فعسر ذلك عليهم ، انظر : ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث جـ ٣ ص ٢٣٥.

(٦) ابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ١٦٥، ١٦٧ ؛ العامري: بهجة المحافل جـ ٢ ص ٣٠

صعوبات جمة(١)، والمتأمل في كل ما تقدم من خبر هذه الغزوة يجد أنها تمحيص للمؤمنين قال تعالى ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(٢)، ودرس عملي للأمة الإسلامية في مستقبل علاقتها الحربية مع النصارى، لقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم أن يواجه الروم في عقر دارهم واختار أصعب وقت للخروج رغم أنه كان بإمكانه الانتظار حتى جنى الثمار وبيعها، وترك الروم يبدءون بالهجوم فيتعرضون لحر الصحراء ولظى الطريق مما يسهل تدمير قواتهم وإلحاق الهزيمة الساحقة بهم .(٣)

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك ويدرك الصعوبات الضخمة التي رافقت هذه الحملة، ولكنه كان ينظر- بعلم الله- إلى المستقبل ويعلم أن أشرس قتال وأطول جهاد ستواجهه أمته هو جهاد عالم النصرانية، وأن المسلمين سواجهون ظروفا جغرافية مختلفة بالغة الصعوبة، وأن عليهم أن يتغلبوا ويتحملوا كل المشاق

---

(١) أصابهم العطش، وجهد الظهر جهدا شديدا، فدعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بخير فاستجاب الله دعاءه.انظر : مسند الإمام أحمد جـ ٦ ص ٢٠ ؛ البيهقي : دلائل النبوة جـ ٥ ص ٢٣١ ؛ الهيثمي : مجمع الزوائد جـ ٦ ص ١٩٤- ١٩٥ ؛ السيوطي : الدرّ المنثور جـ ٣ ص ١٨٦.

(٢) سورة آل عمران : آية ١٤١.

(٣) ذكر بعض الباحثين الأهمية الاستراتيجية في قيام الرسول صلى الله عليه وسلم بمهاجمة الروم في عقر دارهم ما ملخصه :

١- أن الهجوم على بلاد العدو يمنح المهاجم ورجاله روحاً قتالية عالية وشجاعة في القتال، وفي المقابل يضعف الروح المعنوية لقوى العدو.

٢ - أن القتال على أرض العدو يكسب المسلمين عمقا استراتيجيا ، يستغل لصالحهم في حالة تفوق العدو، من حيث الارتداد إلى الخلف وتنسيق القوات وإعادة الهجوم.

٣ - أن تحرك الجيش الإسلامي من المدينة إلى تبوك يعد تدريبا عمليا على تحمل الصعاب التي سوف يلاقيها فيما بعد أثناء جهاده لإعلاء كلمة الله ودك عروش الباطل .

٤ - أن خروج المسلمين لقتال أعدائهم هو في حد ذاته إظهار لدين الله وسيأتي بيان أثر ذلك في نتائج الغزوة. انظر : محمد فرج : العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم الطبعة الثالثة (القاهرة : دار الفكر العربي: ١٩٧٧م) ص ٦٣٨ - ٦٤٠.

ويستنفروا كافة قواهم المادية والمعنوية في جهاد النصارى على مر العصور، وقد ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « فارس نطحة أو نطحتان ثم لافارس بعد هذا أبدا، والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلفه قرن أهل صبر، وأهل لآخر الدهر......... »(١) والواقع يصدق هذا الحديث .

والجدير بالذكر أن توقيت الحملة يدل بشكل قاطع على أنه لاينبغي للمسلمين أن ينتحلوا المعاذير للتأخر وعدم المبادرة في قتال أعدائهم، وقد وعدهم الله بالنصر إذا أخلصوا نفوسهم له. ولم يكلفهم إلا ما يستطيعون من العدة والعتاد، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ....﴾ (٢).

وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وهم في طريقهم لقتال الروم بغنيمة فارس والروم(٣)، وهي بشارة لأمته في قتالها للروم في كل زمان ومكان والله أعلم.

ومهما يكن من أمر فقد مضى الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه حتى وصل تبوك(٤) فلم يلق كيدا(٥)؛ لأن الروم لما بلغهم خروجه عليه الصلاة والسلام أرهبهم

---

(١) علاء الدين الهندي : كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال الطبعة الأولى (حلب : مكتبة التراث الاسلامي (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) جـ ١٢ ص ٣٠٣

(٢) سورة الأنفال : آية : ٦٠ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٢٧٢ ، وإسناده ضعيف ، قاله البنا في الفتح الرباني جـ ٢١ ص ١٩٤ .

(٤) ثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قرب من تبوك قال: « **إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ** » أخرجه مسلم فى كتاب الفضائل ، باب فى معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ٤١

(٥) ابن سعد: المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٧؛ البلاذري : المصدر السابق جـ ١ ص ٣٦٨؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ص ١٩٢ ؛ النويري: المصدر السابق جـ ١٧ص ٣٥٧ ؛ القسطلاني : المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ج ٣ ص٦٣ .

ذلك ففروا إلى الشام، ولاعجب فى ذلك فهو المنصور بالرعب مسيرة شهر، ويُذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه في التقدم إلى بلاد الشام، فأشار عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله:" إن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم حيث ترى، وقد أفزعهم دنوك فلو رجعت هذه السنة حتى نرى أويحدث الله عز وجل في ذلك أمرا"(١) فأقام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين ليلة، صالح فيها صاحب أيلة، وأكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل وأهل جَرْبَاء(٢) وأَذْرُح وغيرهم على الجزية (٣) وقدم إليه مالك بن أحمر ـ من نصارى الشام ـ وأسلم وكتب له الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا في رقعة.(٤) ثم عاد عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فقدمها في رمضان من السنة نفسها(٥)

والمتأمل في غزوة تبوك يجدها من أعظم مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم سواء في الإعداد لها مع صعوبة الظروف التي وقعت فيها ، أو في النتائج التي أسفرت عنها وأهمها :

أولا: إسقاط هيبة الروم ، وإلقاء الرعب في قلوبهم(٦) فلا نجد منهم بعد هذه الغزوة ما يشير إلى مجرد التفكير في غزو المسلمين في عقر دارهم، وهذا بلاشك أضعف هيبتهم في نفوس حلفائهم من نصارى العرب في شمال الجزيرة العربية(٧)

---

(١) الواقدي : المصدر السابق جـ ٣ ص ١٠١٩ ، و يذكر بعض المؤرخين أنه من المحتمل أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم بلغه نزول الطاعون فى الجهة التى يقصدها. فكان ذلك من أسباب رجوعه من غير قتال ، انظر: القسطلاني: المواهب اللدنية جـ ٣ص٨٠ ؛ الصالحى: سبل الهدى والرشاد ج ٥ص ٦٦٤

(٢) **جَرْبَاء** : موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال السراة من الحجاز بينها وبين أَذْرُح ميل واحد ، انظر : ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ١١٨

(٣) انظر الفصل الثاني ص : ٢٣٥ ـ ٢٣٨

(٤) ابن حجر : الإصابة جـ ٦ ص ١٧

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ ص ١٨٦ .

(٦) محمد باشميل : غزوة تبوك ص ٢٥٩ .

(٧) يرى محمد أبو زهرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الغزوة - ألقى روح العزة في نفوس القبائل العربية التي تتاخم بلاد الشام حتى لايكونوا تبعا للرومان في حربهم المسلمين ، وليستهينوا بالروم، ويحاولوا القضاء على نفوذهم ، انظر: خاتم النبيين جـ ٢ ص ١٠٨٢ .

والذين أدركوا بعد أن رأوا انتشار الاسلام وقوة دولته التي أصبحت جيوشها تحل بين ظهرانيهم، أن المستقبل للإسلام وأهله، ولذا قدمت وفودهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في تبوك لتعلن خضوعها، واعترافها بسلطة الدولة الإسلامية وذلك بمصالحة المسلمين على أداء الجزية ، مما أدى إلى تقوية نفوذ المسلمين في تلك الجهات، وإمدادهم بالمعلومات الكافية عن أطراف دولة الروم وحلفائها، مما سهل مهمة الفتح الإسلامي لبلاد الشام بعد عصر النبوة .

ثانياً :أزالت الفتنة عمن يريد الدخول فى الإسلام من تلك القبائل التي كانت تعيش في كنف الروم وفي ظل حمايتهم ، وتخشى بأسهم، وأتاحت الفرصة لهم للتعرف على مبادىء الإسلام وأهدافه وتشريعاته ، مما كان له الأثر الواضح في اعتناق الكثير منهم للإسلام عن رغبة واختيار ويدل على هذا قدوم وفودهم إلى المدينة بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من تبوك إليها معلنة إسلامها. فقد ذكر ابن سعد قدوم وفد بلى وبهراء(١) في العام التاسع بعد قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر قدوم وفد غسان في العام العاشر(٢)، والجدير بالذكر أن أثر غزوة تبوك امتد إلى النصارى العرب في شرق الجزيرة العربية فقد ذكر ابن إسحاق في قدوم وفود العرب على الرسول صلى الله عليه وسلم قدوم الجارود بن عمرو- وكان نصرانيا- في وفد عبد القيس ومبايعته هو وقومه الرسول صلى الله عليه وسلم على الإسلام والطاعة(٣)

ثالثاً : رفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم من العرب المتنصرة(٤) فقد

---

(١) انظر: ابن سعد : الطبقات جـ١ ص ٣٣٠ - ٣٣٢

(٢) انظر ابن سعد : المصدر نفسه ص ٣٣٨ ، وحدد الوفد بثلاثة نفر وأنهم أسلموا فلما قدموا على قومهم لم يستجيبوا لهم فكتموا إسلامهم ، ومع هذا فقد ورد مايدل على تحسن العلاقات مع بعض ملوكهم ، حيث ذكر الكلاعى فى الأكتفاء جـ١ ص ١٨١ بسند فيه الواقدى: أن ملكاً من ملوك غسان أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم - قبل وفاته بقليل - لطيمة - وهى العير التى تحمل الطيب والمسك .

(٣) سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٧٥ - ٥٧٦ ،

وروى ابن إسحاق خبر قدوم عدي بن حاتم الطائي - وكان نصرانيا - على الرسول صلى الله عليه وسلم وإسلامه ولم يحدد متى كان ذلك . انظر سيرة ابن هشام ق ٢ جـ ٣ - ٤ ص ٥٧٨- ٥٨١ .

(٤) محمود شيت خطاب : الرسول القائد ص ١٨٤ .

كان المسلمون في المدينة قبل هذه الغزوة إذا حزبهم أمر، أو دهمهم خطر ابتدرت أذهانهم إلى هجوم النصارى(١)، أما بعد الغزوة فقد أصبح المسلمون على استعداد لمحاربة النصارى والقضاء على جيوشهم في بلادهم نفسها. ويؤكد هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم جهز جيشا بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة(٢)- قبيل وفاته (٣) - للتوجه إلى بلاد الشام، وأمره أن يوطى الخيل تخوم البلقاء والداروم(٤) من أرض فلسطين(٥)، وأن يغير على أهل ابنى(٦) صباحا، ويحرق عليهم(٧)، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد بذلك تأكيد الهزيمة المعنوية للروم قبل خوض المعارك الحربية

---

(١) انظر ما سبق ص : ٢٨٩

(٢) أسند إليه الرسول صلى الله عليه وسلم قيادة الجيش رغم حداثة سنه إذ كان أنذاك ابن ثمان عشرة سنة ، فاشتكى بعض المسلمين ذلك على أسامة وطعنوا في إمارته وقالوا: أمر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار ، فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا خرج إلى الناس فقال: « إن تَطعنوا في إمارتهِ فقد كنتم تَطعنونَ في إمارةِ أبيهِ من قبل. وأيم الله إنْ كان لخليقاً للإمارة وإن كان لمن أحبِّ النَّاس إليَّ، وإن هذا لمن أحبِّ النَّاس إليَّ بعدَه » انظر : صحيح البخاري ، المغازي باب (٨٦) ح (٤٤٦٩) فتح الباري جـ ٧ ص ٧٥٨

قال الواقدي : وكان عدة ذلك الجيش ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة من قريش ، انظر فتح الباري جـ ٧ ص ٧٥٩

(٣) وحددت بعض المصادر ذلك بيوم الاثنين لأربع بقين من صفر سنة إحدى عشرة ، الواقدي : المصدر السابق جـ ٣ ص ١١١٧ ؛ ابن سعد: الطبقات جـ ٢ ص ١٩٠؛ المقريزي : إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٥٣٦ ؛ القسطلاني : المواهب مع شرح الزرقاني جـ ٣ ص ١٠٧ .

(٤) **الداروم** : قلعة بعد غزة على الطريق الذي يربط بلاد الشام بمصر ويقال لها الدارون أيضا انظر: ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ص ٤٢٤ ؛ على عودة: بلاد الشام قبيل الغزو المغولي الطبعة الأولى (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ص ٤٠ هامش (٢)

(٥) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣-٤ ص ٦٤١ ، ٦٤٢ ؛ الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٢٤ ؛ الكلاعى : الاكتفاء ج ٢ ص ٤٣٧ .

(٦) **ابنى**: موضع بالشام من جهة البلقاء، ويقال إنها قرية بمؤتة، انظر: ياقوت: المصدر السابق جـ١ ص ٩٢ .

(٧) الواقدي: المصدر السابق جـ ٣ ص ١١١٧ ؛ ابن سعد المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٠؛ ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ١ ص ٤٢٥ ؛ السهيلي : الروض الأنف جـ ٤ ص ٢٤٨ ؛ المقريزي : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٣٥ .

الفاصلة معهم فخرج أسامة وعسكر بالجرف(١) ليستكمل استعداداته، فبينما هو على ذلك ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي قبضه الله فيه، وعلى الرغم من هذا فقد كان حريصا عليه الصلاة والسلام على إرسال جيش أسامة فكان يقول للمسلمين الذين جاءوا يودعونه قبل خروجهم للقتال مع أسامة : « انفذوا بعث أسامة » (٢) ومع هذا فلم يتهيأ شخوصه من معسكره بالجرف حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) ، وانفذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فور توليه الخلافة، تحقيقا لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جهز بعد أن استتبت أمور الدولة الإسلامية جيوش الفتح إلى بلاد الشام والعراق تحقيقا لأهداف الدعوة الإسلامية .

وهكذا أدت العلاقات الحربية مع النصارى إلى إظهار دين الإسلام، وإسلام أقرب الناس مودة للمؤمنين من الذين يقولون إنا نصارى (٤) أما بقية النصارى

---

(١) **الجرف** : هو اسم موضع قريب من المدينة ، وأصله ما تجرفة السيول من الأودية ، الجرف أخذك الشيء عن وجه الأرض بالمجرفة ، انظر: ابن الأثير النهاية في غريب الحديث جـ ١ ص ٣٢٧ .

(٢) الواقدي : المصدر السابق جـ ٣ ص ١١١٩ ؛ ابن سعد: المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٠ ؛ ابن حجر: فتح الباري جـ ٧ ص ٧٥٩ .

(٣) توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ربيع الأول سنة ١١هـ الموافق ٦٣٢م، ابن عبد البر: الدرر ص ٢٠٥ ؛ المقريزي : المصدر السابق جـ ١ ص ٥٣٩ ؛ محمد مختار باشا: التوفيقات الالهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ص٤٣

(٤) **قال تعالى:** ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۞** ﴾ سورة المائدة : الآيتان ٨٢ ، ٨٣ ، وروى أنها نزلت في النجاشي وأصحابه الذين لما تلا عليهم جعفر بالحبشة بكوا حتى أخضلوا لحاهم، قال ابن كثير : وهذا القول فيه نظر لأن هذه الآية مدنية ، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة .

وقيل نزلت في وفد بعث بهم النجاشي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليسمعوا كلامه ويروا صفته ، فلما قرأ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم القرآن أسلموا وبكوا وخشعوا ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه.. ويرى ابن تيمية أن المقصود بها جنس النصارى المتصف بترك الاستكبار والايمان عند سماع ما أنزل من الحق انظر: الواحدي : أسباب النزول ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ القرطبي : الجامع لأحكام القرآن جـ ٦ ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ؛ ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٢ ص٥٦ ، ٥٧ ؛ ابن كثير : تفسير جـ٣ص ١٥٧ .

فالتاريخ شاهد على أنه ما سنحت لهم فرصة من الفرص إلا انتهزوها لاستئصال الإسلام وأهله، وحسبنا من ذلك _ إلى جانب ما سبق بيانه_ أنه لما ارتد الأسود العنسي وادعى النبوة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، واتبع على ذلك، وسمعت به بنو الحارث بن كعب من أهل نجران- وفيهم نصارى(٢)أرسلو إليه يدعونه أن يأتيهم في بلادهم فجاءهم فاتبعوه فأقام الأسود بنجران يسيرا، ثم رأى أن صنعاء خير له من نجران فسار إليها في ستمائة راكب من بني الحارث بن كعب(٣)

والظاهر أن الذين نقضوا العهد من نصارى نجران زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا قلة أو حالات فردية يقول ابن تيمية :" وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله_صلوات الله عليه وسلم ورحمته ورضوانه"(٤)

وما فعله نصارى نجران في تأييد الأَسْوَدِ العَنْسِيَّ ، فعل مثله نصارى تغلب (٥) ومسيلمة الكذاب حين ادعى _ هو الآخر _ أنه نبي على عهد النبي

---

(١) انظر : ابن القيم : زاد المعاد جـ٣ص ٦٤٥ ؛ الغزالي : فقه السيرة ص٤٦٣ ؛ وقال الطبرى فى تاريخه ج ٢ ص ٢٢٥ ، « فكاتبته مذحج وواعدته نجران ، وأخرجوا عمرو بن حزم ، وخالد بن سعيد ، وانزلوه منزلهما »

(٢) انظر : الكلاعى : الاكتفاء ج ٢ص٢١٣ ، وقد تمكن الصحابى فيروز الديلمى اليمانى ـ المتوفى فى زمن عثمان ، وقيل بل فى زمن معاوية بعد الخمسين ـ من قتل الأسود العنسى ، ثم حمل رأسه إلى النبى صلى الله عليه وسلم انظر الهيثمى: مجمع الزوائد ج٥ ص٣٣٠ ، وقال: « رواه الطبرانى فى الاوسط ورجاله ثقات »

(٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ٥٦

(٥) انظر الطبري : تاريخ الأمم والملوك جـ ٢ ص ٢٧٠ ، الغزالي: فقه السيرة ص ٤٦٤

صلى الله عليه وسلم .(١)

ونخلص من هذا إلى أن غريزة الكره والعداء وشهوة الانتقام وحب السيطرة على المسلمين ، لاتزال قائمة في صدورهم حتى يتمكنوا من إخراج المسلمين من دينهم قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾.(٦) وسيأتي بعضا مما يوضح هذا في الفصل التالي

---

(١) ثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **بَينا أنا نائم أريتُ أنهُ وضع في يديَّ سِواران من ذهب ، فُفظعْتهما وكرهتهما ، فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخَرُجانِ** » فقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : احداهما العنسيَّ الذي قتله فيروزُ باليمن ، والآخر مسيلمة ، أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب وفد بني حنفية وباب قصة الأسود العنسي ح (٤٣٧٩) فتح الباري جـ ٧ ص ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٣ .

وقد قتل مسليمة الكذاب زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انظر التفاصيل : الطبري المصدر السابق جـ ٢ ص ٢٧٥- ٢٨٥ ؛ ابن الأثير : الكامل جـ ٢ ص ٢٤٣- ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢١٧ :

الفصل الرابع

الآثار المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم

- آثار دينية .
- آثار سياسية .
- آثار اقتصادية .
- آثار اجتماعية .

الآثار الدينية :

إذا كان بعض النصارى قد استدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم بما جاء به من أمر عيسى عليه السلام فدخل في الإسلام تبعا لذلك ، فإن الغالبية ظل متعصبا لما يعتقده من الباطل، ومحاولا التأثير به على غيره، ولهذا جمعت الآيات القرآنية ـ التي تكشف نواياهم السيئة، ومواقفهم المذمومة، وتحذر المسلمين منهم- بينهم وبين اليهود الذين هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

ولاشك أن أهل الكتاب لايحرصون على شيء في عدائهم للمسلمين حرصهم على إضلالهم عن عقيدتهم ، لأنهم يعرفون أن تمسكهم بعقيدة الإسلام هو صخرة النجاة وخط الدفاع، ولهذا فهم يبذلون في سبيل تحويل أمة الإسلام عن عقيدتها، كل ما في وسعهم من مكر وحيلة وقوة، وحين يعييهم أن يحاربوها بأنفسهم، يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، أو ممن ينتسبون إلى الإسلام جنودا مجندة لتنخر لهم في جسم هذه العقيدة من الداخل(١) قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ... ... ﴾(٢)

ولقد تبين للرسول صلى الله عليه وسلم ذلك لما احتك بهم فأمر بإخراجهم من جزيرة العرب التي بزغ منها نور الإسلام، وقامت بها دولته، وأصبحت مصدر الهداية والإيمان، ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدُهُ المصَلُّونَ في جَزِيرَةَ الْعَرَبِ وَلَكِنْ التَّحْرِيش بَيْنَهُمْ »(٣)

وجاء أمره صلى الله عليه وسلم بإخراج المشركين واليهود والنصارى من جزيرة العرب صريحا في عدة أحاديث منها قوله :« أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِن جَزِيرَةِ العَرَبِ »(٤)

---

(١) سيد قطب : في ظلال القرآن ج ١ ص ٤٤٨

(٢) سورة البقرة : آية ١٢٠

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ص ١٥٦ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب جوائز الوفد ح(٣٠٥٣) فتح الباري ج ٦ص ١٩٦ ؛ ١٩٧ ؛ ومسلم في كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يواصي فيه، صحيح مسلم بشرح النووي ج١١ص٩٣

وقولـــه :« لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لا أَدَعَ إِلاَّ مُسْلِماً » (١)، وقولـــه: « لَئِنْ عِشْتُ إِنْ شَاءَ اللّه لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » .(٢)

وروى أن آخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام قوله: « أَخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنَ الحجاز، وَأَخْرِجُوا أَهْلَ نَجران مَنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »(٣)

وروى أن آخر ما عهد به صلى الله عليه وسلم هو قوله: « لايُتْرَكْ في جزيرة العرب دِينَانِ »(٤)

ومن هنا أجمع العلماء على أنه لايجوز لغير المسلم أن يستوطن ويقيم إقامة دائمة في جزيرة العرب(٥) ، وأنه يمنع من دخول الحرم مطلقا لقوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾(٦)

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد ، باب قتال من نقض العهد ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٩٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ٣٢ واللفظ له ؛ وأخرجه الترمذي في كتاب السير ، باب ما جاء في إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ح (١٦٥٦) وقال : " هذا حديث حسن صحيح " ، تحفة الأحوذي ج ٥ ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج١ ص ١٩٦ ؛ أبو عبيد : الأموال ص ١٠٨ ، وإسناده حسن أو صحيح . قاله الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١١٣٢) .

(٤) سيرة ابن هشام ق٢ ج٣ -٤ ص ٦٦٥ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ٢ ص ٢٥٤ ؛ الامام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٧٥ وسنده جيد(الهيثمي : مجمع الزوائد ج٥ ص ٣٢٥) وذُكر أن هذا الحديث لما ثبت لدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلى يهود الحجاز ونصارى نجران ، انظر: الطبري تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص ١٤١ ؛ السمهودي: وفاء الوفاء ج ١ص٣٢١

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج ٢ ص ٥٩٥ : " ولم ينفذه - يعني اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب أبو بكر رضي الله عنه لاشتغاله بقتال أهل الردة وشروعه في قتال فارس والروم ، وكذلك عمر رضي الله عنه في أول الأمر لاشتغاله بقتال فارس والروم ، فلما تمكن من ذلك فعل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم " .

(٥) انظر ابن قدامة : المغني ج ١٠ ص ٦١٣ وما بعدها .

(٦) سورة التوبة : آية ٢٨ .

هكذا اختصت الجزيرة العربية ؛ لأن فيها مهد الإسلام أولاً وآخرا ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إلى المدِينَة كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا »(١) .

وعلى هذا فهي المكان الذي يمكن أن يخلص للدعوة ، ويظل منطلقا لها، بعيدا عن المؤامرات التي تهدده من الداخل، يقول أحد الباحثين " وإذا كانت العلَّةُ الشرعيَّة في إخراج المشركين من هذه الجزيرة ، وعدم الرَّضا بأيِّ كيان لهم فيها ، هى : لتبقى هذه الدِّيار ديار إسلام ، وأهلها مسلمين ، فتسلم قاعدة المسلمين ، ويسلم قادتهم ؛ من أيِّ تهويد أو تنصير ... فإنَّ الحكم يدور مع علَّته ولذا ؛ فيشمل هذا الحكم إخراج نفوذهم ، وتوجيههم ، وحضارتهم ، وتيَّاراتهم المعادية للإسلام ، وعن كل ما يهدِّد أخلاقيَّات هذه البلاد وينال من كرامتها " (٢)

ولمس الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال العلاقات بين المسلمين والنصارى في العهدين المكي والمدني ما يمكن أن يؤثر به النصارى على المسلمين في جانب التوحيد، أو يتأثر به بعض المسلمين مما يعتقد النصارى فشدّد على ما يأتي:

أولا : التحذير من بدعهم الشركية التي أحدثوها في دينهم وخص منها بالذكر ما يأتي:

أ- تعظيمه والمبالغة في مدحه كما فعلت النصارى في تعظيم عيسى عليه السلام حتى جعلته إلها من دون الله ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لاتُطْروني كما أَطرَت النصارى ابنَ مريمَ، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله»(٣)

ب - اتخاذ قبور الأنبياء والأولياء والصالحين مساجد .

روي أن بعض المسلمين لما هاجروا إلى الحبشة _ في العهد المكي- ورأوا

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الايمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) بكر أبو زيد : خصائص جزيرة العرب ص ٨٣ ، ٨٤

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ....﴾ ح (٣٤٤٥) فتح الباري ج ٦ ص ٥٥١ .

بعض ما ابتدع النصارى في دينهم من تعظيم القبور والصور ذكروا ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفسار ففي الحديث أن أُمَّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان، وأُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنهم - وكانتا ممن هاجر إلى الحبشة - ذَكَرَتَا للنَّبي صلى اللّه عليه وسلَّم كَنيسَةً رَأَيْنَهَا بالْحَبَشَة فِيهَا تَصَاوِيرُ فقال صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ أُولئك إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحِ فَمَاتَ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِيكَ الصُّوَرَ أُولَئكَ شِرَارُ النَّاسِ عِنْدَ اللّه يَوْمَ الْقِيَامَة »(١)

وفي مرضه عليه الصلاة والسلام الذي لم يقم منه حذر أيضا من ذلك فقال: « لَعَنَ اللّه الْيَهُودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُور أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » قالت عائشة رضي الله عنها: " لَوْلاَ ذَلكَ لأُبْرِز قَبْرُهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً "(٢)

يقول ابن تيمية :" وعائشة لم تقصد مجرد بناء المسجد، لأن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجدا، وإنما قصدت أنهم خشوا أن الناس يصلون عند قبره.."(٣) ويؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "اللهم لاتجعل قبري وثنا"(٤).

(ج) الخوض في القدر

أفضى التفكير في كيف يجري الله قدره خيره وشره - بالنصارى إلى زيادة إشراكهم بالله تعالى ؛ لأنهم لما غلوا في عيسى عليه السلام وجعلوه مساويا لله تعالى أخرجوا أفعاله عن قدر الله خيره وشره ولهذا جاء في الحديث أن الرسول صلى الله

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة الحبشة ح (٣٨٧٣) فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٧ ؛ مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المسجد على القبور واتخاذ الصور فيها صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ١١، ١٢.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ح (٤٤٤١، ٤٤٤٣) فتح الباري ج ٧ ص ٧٤٦، ٧٤٧ ؛ مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهى عن بناء المسجد على القبور .. صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ص ١١، ١٢.

(٣) انظر: ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم جـ ٢ ص ٦٧٧

وقال في موضع آخر ص ٦٨٠ ' ومن قصد الصلاة عند قبره، أو عند قبور بعض الأنبياء والصالحين - متبركا بالصلاة عندها- فقد حادّ الله ورسوله، وابتدع دينا لم يأذن به الله'.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٤٦.

عليه وسلم قـال: « اتقوا القدر فإنه شعبة من النصرانية » .(١)

يقول برهان الدين الحلبي :" وإنما كان القدر شعبة من النصرانية، لأن أكثر القدرية على أنه ليس من أفعال العبد من خير أوشر ناشئاً عن أقدار الله تعالى له على ذلك ، بل هو ناشىء عن قدرة العبد واختياره ، فقد أثبتوا لله تعالى شريكاً ، كما أن النصارى أثبتوا الشريك لله تعالى ، فهذه الفرقة من القدرية أشبهت النصارى فكان القدر شعبة من النصرانية بهذا الإعتبار " . (٢)

(د) الرهبانية :

تعد الرهبانية في الديانة النصرانية من ابتداع النصارى أنفسهم - كما سبق بيانه(٣) - ولما لها من تأثير سيء على الحياة السوية التي خلقها الله لتعمل لا لتكبت وتحجز عن الحركة والنشاط كما قـال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٤) فقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم منها لما ظهرت صورة مشابهة لها من بعض أصحابه فقد ثبت أن ثلاثة رهط من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم- جاءوا إلى بيوت أزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبروا عنها ، كأنهم تَقالُّوها. فقال أحدهم : أما أنا فأصلِّي الليل أبدا، وقال الثاني : وأما أنا فأصومُ الدهرَ أبدا، وقال الثالث: وأما أنا فأعتزلُ النِّساء فلا أتزوَّجُ أبدا.

فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : « أنتُم الذين قلتمَ كَذَا وكَذَا، أما والله إني لأخشاكم للّه، وأتقاكم له، ولكني أصُومُ وأُفْطِرُ، وأُصَلِّي، وأرقدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّساءَ، فَمَن رَغِب عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ مِنِّي »(٥).

---

(١) رواه ابن أبى عاصم فى كتاب السنة، باب فى قوله : أتقوا القدر ح (٣٣٢) وإسناده ضعيف جداً قاله محقق الكتاب محمد ناصر الألبانى، الطبعة الأولى (المكتب الإسلامى١٤٠٠هـ -١٩٨٠م) ج١ ص١٦٤

(٢) برهان الدين الحلبى : السيرة الحلبية ج ١ ص ١٩٨ ، ١٩٩

(٣) انظر التمهيد ص : ٥٢ ، هامش (١)

(٤) سورة هود: آية ٦١ ، وانظر:ماكتبه محمد قطب عن ذلك فى كتابه المذاهب الفكرية المعاصرة ص ٦٠ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ح (٥٠٦٣) فتح الباري جـ ٩ ص ٥ ، ٦؛ مسلم في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٩ ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

وفي حديث آخر نهى عن الرهبانية بقوله: « لاتُشَدِّدُوا عَلى أَنْفُسِكُم ، فَيُشَدِّدَ الله عَلَيْكُم، فَإِنَّ قَوْماً شَدَّدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ، فَشَدَّدَ اللّهُ عَلَيْهِمْ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ في الصَّوَامِعِ والدِّيَارِ، رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ »(١) ، وقال عليه الصلاة والسلام لعثمان بن مظعون (٢) «: ياعُثْمَان إنَّ الرَّهْبَانيَّة لم تُكتَب عَلَينَا » (٣).

ولا شك أن انتشار البدع في الدين وبخاصة الرهبانية لها أثر في ذهاب عزة المسلمين وتغلبهم على أعدائهم ، ولهذا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم رهبانية أمته الجهاد في سبيل الله. (٤)

ثانيا : مخالفتهم وعدم التشبه بهم(٥).

صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة النصارى وعدم التشبه بهم في أمور كثيرة منها:

(أ) : ما يتعلق بالمظاهر العامة للعبادات ونذكر من ذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اهتم بكيفية جمع الناس للصلاة وذكر له أصحابه رضوان الله عليهم الناقوس قال: « هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى » (٦) ، يشير بذلك إلى النهي عن موافقتهم في ذلك، وما جاء في خبر الوفود من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في الحسد ح (٤٨٨٣) عون المعبود ج ١٣ ص ٢٤٦- ٢٤٩ .

(٢) **عثمان بن مظعون** بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي ، من أوائل من دخل في الإسلام هاجر إلى الحبشة ، وشهد بدرا ، وتوفي بعدها ، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين ، وأول من دفن بالبقيع منهم ، انظر: ابن حجر : الإصابة ج ٤ ص ٢٢٥ .

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٢٢٦ .

(٤) سبق تخريج الحديث الوارد في ذلك ص : ٢٤٩ هامش (٥)

(٥) انظر ما بينا سابقا من مخالفة الكفار عامة وعدم التشبه بهم ، الفصل الثانى ص : ١٧٣

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة ، باب بدء الأذان ح (٤٩٤) عون المعبود ج ٢ ص ١٦٥- ١٦٧ ؛ وله شاهد في صحيح البخاري كتاب الأذان، باب بدء الأذان ح (٦٠٣، ٦٠٤) فتح الباري ج ٢ ص ٩٢ ، ٩٣ ؛ صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب بدء الأذان صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص٧٥ ، ٧٦ .

أهـل اليمامة أن يتخـذوا المسجـد مكان بيعة للنصارى كانت عندهم(١)، وما ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام لما اشْتكى وصلَّى بأصحابهِ وهو قَاعِد، ثم رآهم قِيَاماً، وَأشَارَ إِلَيْهِمْ بالقُعُود قَالَ ـ لما سلم ـ: « إنْ كِدتُمْ آنِفاً تَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومَ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِم وَهُمْ قُعُودٌ فَلاَ تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأئمتَّكُمْ »(٢).

وما روى من قـوله صلى الله عليه وسلم عن وقت صلاة المغرب والفجر: « لن تزال - يعني أمته- في مسكة مالم يعملوا بثلاث مالم يؤخروا المغرب بانتظار الإظلام ومالم يؤخروا الفجر محاق(٣) النجوم مضاهاة النصرانية، ومالم يكلوا الجنائز إلى أهلها» (٤)

وعن ليلى امرأة بشيرْ(٥) قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فمنعني بشير وقال: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه وقال يفعل ذلك النصارى »(٦) ، وكثيرا ما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم يوم الأحد وهو يوم عيد النصارى مع يوم السبت وهو يوم عيد اليهود ويقول: « إنهما عيدا المشركين فأنا أحب أن أخالفهم »(٧).

وقال عن تعجيل الفطر للصائم مخالفة لليهود والنصارى « لاَيَزَالُ الدِّينُ

---

(١) ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٣١٧ ؛ ابن تيمية : المصدر السابق ج ١ ص ٢٣٧ ، وأصل الحديث أخرجه النسائي فى سننه ج٢ ص ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ائتمام المأموم بالإمام ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٤ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) **محاق النجوم** : يعني اختفاؤها وذهاب نورها بسبب تزايد نور الشمس عند طلوعها ، انظر : الفيروزآبادي : القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٥١ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٤٩ .

(٥) هو **بشير** بن معبد بن ضباب بن سبع بن سدوس ، قيل كان اسمه زحما فسماه الرسول صلى الله عليه وسلم بشيرا ، ويعرف ببشير بن الخصاصية إحدى جداته ، انظر : ابن حجر : تهذيب التهذيب ج ١ ص ٤٦٧ ، ٤٦٨ .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ٢٢٥ ، وانظر ماذكر ابن حجر في كتابه فتح الباري ج ٤ ص ٢١٢ ، عن الوصال في الصيام .

(٧) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٢٤ ؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه ج ١ ص ١٠٩ وقال : ' صحيح الإسناد ' .

ظَاهِراً مَا عَجَّلَ النَّاسُ الْفِطْرَ، لأَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى يُؤَخِّرُونَ »(١) ، وثبت أنه قال: « فَصْلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السَّحَرِ»(٢)، وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن الذبح بالظفر وعلل ذلك بأنه مدى الحبشة(٣) وهم نصارى ، ومما وجه به عليه الصلاة والسلام أمته عند وضع الميت في القبر قوله: « اللَّحدُ لنا والشَق لأَهْلِ الْكِتَاب »(٤)

(ب) : ما يتعلق بالآداب ومن ذلك أمره عليه الصلاة والسلام بتغيير الشيب وقص الشوارب وإعفاء اللحى ، والانتعال للصلاة. حيث قال : « غَيِّرُوا الشَّيب ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى » (٥) وقال في حديث آخر: « إنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لاَيَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ »(٦).

وروي أن أبا أمامة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال يا معشر الأنصار حمروا وصفروا وخالفوا أهل الكتاب . قال قلنا يا رسول الله : إن أهل الكتاب يتسرولون ولايأتزرون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب ، فقلنا يا رسول الله : إن أهل الكتاب لايتحففون ولا ينتعلون قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فتحففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب » قال : فقلنا يا رسول الله : إن أهل الكتاب

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصيام ، باب ما يستحب من تعجيل الفطر ح (٢٣٣٦) عون المعبود ج ٦ ص ٤٨٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب فضل السحور واستحباب تأخيره وتعجيل الفطر ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ٧ ص ٢٠٧ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الشركة ، باب من عدل عشرة من الغنم بجزور في القسم ح (٢٥٠٧) فتح الباري ج ٥ ص ١٦٤ ؛ ومسلم في كتاب الأضاحي ، باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ١٢٢ ، ١٢٤ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ج ٤ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ج ١ ص٢٠٧ : "وهو مروي من طرق فيها لين لكن يصدق بعضها بعضا ".

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٢ ص ٢٦١ .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل ح (٣٤٦٢) فتح الباري ج ٦ ص ٥٧٢ ؛ ومسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب استحباب خضاب الشيب ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص٨٠ قال ابن حجر في فتح الباري ج ٦ ص ٥٧٦ :"والمراد بالصبغ - صبغ الشيب واللحية والرأس ، والمأذون فيه مقيدبغير السواد ، وقال : قال مالك : " الحناء والكتم واسع .. "

يقصون عثانينهم ويوفرون سُبَالَهم(١) ، قال : فقال صلى الله عليه وسلم : « قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم ، وخالفوا أهل الكتاب » (٢)

ونهى صلى الله عليه وسلم عن التسليم بالإشارة مخالفة لهم فقال : « لَيْسَ مِنَّا مِنْ تَشَبَّه بِغَيْرِنَا، لاتَشَبَّهُوا باليَهُودِ ولاَ بالنَّصارَى ، فَإِنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ الإِشَارَةُ بالأَصَابعِ وتَسْلِيمَ النَّصارَى الإِشَارَةُ بِالأَكُفِ »(٣).

ولايعارض ما شرع الله من مخالفة الكفار عامة وعدم التشبه بهم ما ثبت في الصحيح من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لم يُؤْمَرْ فِيْهِ ، وأنه أَسَدَلَ شَعْرَه موافقة لهم، ثُمَّ فَرَقَ بَعْدُ (٤) فهذا كان في صدر الهجرة، رغبة في إسلامهم ، فلما أصروا على الكفر نسخه الله وشرع مخالفتهم (٥) ويؤكده قوله في الحديث : « ثم فرق بعد » مخالفة لهم(٦). ومثله استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس في الصلاة في أول الأمر موافقة لأهل الكتاب، ثم نسخ الله تعالى ذلك بالأمر باستقبال الكعبة قال تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ .... ﴾(٧).

وايَّاً كان الأمر فهي موافقة في بعض الأحكام العارضة وليس في الهدى الدائم

---

(١) عثانينهم جمع عثنون وهي اللحية ، السبلة: بضم السين وفتح الباء واللام ما على الشارب من الشعر.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ج٥ ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، السيد الجميلي : فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ص ٢٠٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام ح(٢٨٣٦) وقال هذا حديث إسناده ضعيف، تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

(٤) أصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب اللباس ، باب الفرق ح (٥٩١٧) فتح الباري ج ١٠ ص ٣٧٤ ؛ ومسلم في كتاب الفضائل، باب صفة شعره صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ص٩٠.

(٥) انظر سنن النسائي بشرح السيوطي ج ٨ ص ١٨٤ .

(٦) انظر : ابن تيمية : المصدر السابق ج ١ ص ٤١٦- ٤٢١ .

(٧) سورة البقرة : آية ١٤٤ .

ثالثا : عدم سؤالهم عن شيء من أمور الدين .

كان من الطبعي أن يتحدث المسلمون واليهود والنصارى في حالة قيام العلاقات معهم عن كثير من الأمور الدينية؛ لأنهم أهل كتاب، غير أنه سدًا للذرائع المؤدية إلى الشرك الذي طرأ على ما يدينون به، وحفاظا على عقيدة الإسلام صافية من أي شائبة، ولأن غالبيتهم لاتؤمن خيانتهم، مع جهل النصارى خاصة بالحق الذي أنزل إليهم وبالباطل الذي هم عليه ومحاولتهم التأثير به على غيرهم نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن سؤالهم عن شيء من أمور الدين فقال: « لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني ».(١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "يا كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أُنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحَدثُ تقرَءونه محضا، لم يُشب (٢)، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيّروه وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا لاينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم" (٣) ، ولما حدَّث معاوية رضي الله عنه ذات مرة رهطاً من قريش وذكر كعب الأحبار قال :" إن كان من أصدق هؤلاء الـمُحَدِّثِينَ الذين يُحدِّثون من أهل الكتاب ، وإن كنا _ مع ذلك _ لنبلو عليه الكذب "(٤)

وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ما ينبغي على المسلمين عمله إذا سمعوا أهل الكتاب يحدثون عن شيء لايعرفون صدقه من كذبه بقوله:« لا تصدّقوا أهل الكتاب

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج ٣ ص ٣٣٨ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٧٤: "في إسناده مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحي بن معين وغيرهما" .

(٢) محضا لم يشب : أي خالصا لم يخالطه شيء .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء . ح (٧٣٦٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٤٥ .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء . ح (٧٣٦١) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٤٥ .

ولا تكذبوهم وقولوا ﴿ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ .. ....﴾ الآية.(١)

وقد بين الله تعالى نصره لعباده المؤمنين في الآخرة على أهل الكتاب الذين اعرضوا عن سماع الحق وسؤالهم عنه، إلى جانب عدائهم لأهله وقيام علاقتهم معهم على ذلك ، ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « **إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ إلى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِياً أو نَصْرَانِيّاً فَيَقُولُ هذا فَكَاكُكَ مِنَ النَّارِ** » وفي رواية « **لاَيَمُوتُ رَجُلٌ مُسْلِم إلاَّ أَدْخَلَ اللّٰه مَكَانَهُ النَّارَ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْرَانِيّاً** »، وفي رواية:« **يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ فَيَغْفِرُهَا اللّٰه لَهُمْ وَيَضَعَهُا على اليَهُودِ وَالنَّصَارَى.** »(٢)

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لاتسألوا أهل الكتاب عن شيء ح (٧٣٦٢) فتح الباري ج ١٣ ص ٣٤٥ .

ومشروع للمسلمين أن يحدثوا عن بني إسرائيل بالقصص والآيات التي فيها عبرة وعظة مما يجوزه العقل لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :« **بلِّغوا عنيّ ولو آيةً وحدّثوا عن بني اسرائيل ولا حَرَج ومن كذَبَ عليّ مُتعمّداً فليتَبَّوأ مقعدهُ من النار** » ، أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ح (٣٤٦١) فتح الباري ج ٧ ص ٥٧٢ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين، وفداء كل مسلم بكافر من النار، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ٨٥، ٨٦ قال النووي : " ودخولهم النار بأعمالهم لابذنوب المسلمين" .

الآثار السياسية :

مر بنا أن الإسلام حدد علاقة المسلمين بغيرهم في شتى جوانب الحياة البشرية، ولذا فإن الآثار السياسيية المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى في عصر النبوة، لاتنفك عن الآثار الدينية ويتمثل ذلك فيما نحن بصدده في جانبين:

الجانب الأول: تمكّن الدولة الإسلامية من بسط نفوذها وسيطرتها على كثير من مواطن النصارى وغيرهم، فقد وعد الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض الذين بهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، إذا أخلصوا العبادة له، واستقاموا على شرعه قال تعالى:﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(١)

وعلى هذا ورد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لايبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز،أوذل ذليل أما يعزهم الله عز وجل، فيجعلهم من أهلها، أو يذلهم فيدينون لها(٢).

وأثر أيضا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال حين دعا إلى الله وفي حال وحدته وضعفه أن الله أرسلني ووعدني أن يظهر ديني على الأديان كلها، فيكون سلطاني أقهر من سلطان كسرى وقيصر فأغلب الملوك ويعلو ملكي وملك أنصاري وأتباعي كل ملك في الأرض ، ثم ما رضي بهذا القول حتى جعله الله كتابا يقرأ وقرآنا مخلدا يعرفه العدو والولي قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾.(٣)

وقد تحقق شيء من ذلك في زمنه صلى الله عليه وسلم حيث طبق الإسلام اليمن إلى شَحْرِ عُمان ، وأقصى نجد العراق بعد مكة بالحجاز وبسط رواقه وجرانه

---

(١) سورة النور: آية ٥٥

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده جـ ٦ ص ٤ .

(٣) القاضي عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة تحقيق عبد الكريم عثمان (بيروت : دار العربية للطباعة والنشر) جـ ٢ ص ٣١٤ ، والآية ٣٣ من سورة التوبة.

بالغور فجرى حكم الله تعالى وحكمه صلى الله عليه وسلم على أهل مكة والطائف وعمان والبحرين واليمن وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها (١).

وقد أدى إسلام بعض القبائل العربية الموالية للروم في المناطق الشمالية للجزيرة العربية إلى تزايد قوة المسلمين العسكرية، وإضعاف نفوذ الروم وخاصة بعد إقرار من بقي على النصرانية بتلك الجهات بسيادة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلطته(٢) ومع أن هذا مما يشجع على جهادهم إلا أن الرغبة فيما أعده الله للمجاهدين من الأجر العظيم، مع إيمان الصحابة رضوان الله عليهم بما بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم من ظهور الإسلام وتوسع دولته وتمكنها في الأرض وتغلبها على الروم هو الدافع الحقيقي لخروج المسلمين لقتالهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، فقد بشرهم عليه الصلاة والسلام بفتح الشام مهد النصرانية لما أخذ المعول وضرب الصخرة التي عجز الصحابة عن كسرها أثناء حفر الخندق حيث قال على أثر الضربة الأولى : « الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا »(٣) ، وثبت أنه قال :« قَدْ مَاتَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وإذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، والذّي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا في سَبِيلِ اللّه » (٤)

---

(١) الأصبهاني : دلائل النبوة جـ ٣ ص ٢٢٥ ، ابن كثير : تفسير ج ٦ ص ٨٤ .

(٢) انظر الفصل الثاني ص : ٢٣٤ ، ٢٣٨

(٣) الحديث سبق تخريجه ص : ١٩٤ هامش (١)

(٤) الحديث سبق تخريجه عند ذكر جزء منه ص : ٢٠٥ هامش (١)

وما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديثين المذكورين أثبتت الحوادث التاريخية ـ فيما بعد ـ وقوعه كما قال فصار هذا من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم فقد تم استيلاء المسلمين على كل الأماكن التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى مفاتيحها ولم يبق لكسرى ولا لقيصر ملك بها . وجرت بين المسلمين وبينهم عدة غزوات، ومات أبو بكر وهم محاصرون في دمشق ، ثم ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ففتح عامة الشام ومصر والعراق وبعض خراسان في خلافته وقدم إلى الشام في خلافته، وسلم إليه النصارى بيت المقدس لما رأوا من صفته عندهم، وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بفتحه لما ذكر ما يقع بين يدي الساعة حيث قال: « **مَوتي ، ثم فَتح بيت المقدس . .**» الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب ، ما يحذر من الغدر ح (٣١٧٦) فتح الباري ج ٦ ص ٣٢٠ ، وانظر: ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ ١ ص ١٠٢ .

قال ابن كثير :" قلت وفي هذا بشارة عظيمة بأن ملك الروم لايعود أبدا إلى أرض الشام ، وكانت العرب تسمي قيصر لمن ملك الشام مع الجزيرة من الروم"(١)

ويظهر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يستعجل أتباعه للقيام بفتح الشام فأقطع بعضهم قطائع بها(٢)، ولعل ذلك يعود إلى أهميتها في حماية بيضة(٣) المسلمين ففى الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :« ستفتح على أمتي من بعدي الشام، وشيكا(٤)، فإذا فتحها فاحتلها ، فأهل الشام مرابطون إلى منتهى الجزيرة ، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم، فمن احتل ساحلا من تلك السواحل، فهو في جهاد، ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط »(٥) ، وفى حديث آخر أنه قال :: « لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لايضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة »(٦) وفى رواية أنه قال : « إذا هلك أهل الشام فلا خير في أمتي ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين لايبالون خلاف من خالفهم، أو خذلان من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهو يشير إلى الشام »(٧).

والجدير بالملاحظة أن ظاهر الأحاديث السابقة يبين استمرار نصارى الروم على عداء الإسلام وأهله طالما بقي لهم قوة، ومما يدل عليه ما روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « إن أشد الناس عليكم الروم إنما هلكتهم مع الساعة »(٨) . ولهذا

---

(١) ابن كثير: السيرة النبوية جـ ٣ ص ٥١٣

(٢) انظر مايلي ص : ٣٣٠ ، ٣٣١

(٣) البيضه في هذا المقام العز والمنعة والملك ، انظر: صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ١٤.

(٤) وشيكا : يعني قريبا

(٥) ابن عساكر : تاريخ دمشق جـ ١ ص ٢٧٠ وقال إسناده غريب

(٦) ابن عساكر : المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٤٠ - ٢٤٣.

(٧) ابن عساكر: المصدر نفسه جـ ١ ص ٢٥٦

(٨) رواية الإمام أحمد في مسنده جـ ٤ ص٢٣٠ ، وقال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ص ٢١٢: " فيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن ، وبقية رجاله رجال الصحيح" ويروى أن عمرو بن العاص كان ينهي عن التحديث به لئلا يحجم المسلمون عن قتال الروم، انظر: البيهقي: دلائل النبوة جـ ٦ ص٣٣٥.

وجه الرسول صلى الله عليه وسلم أنظار أمته إلى إضعافهم فأخبرهم بفتح مصر الولاية البيزنطية التى كانت تمد الروم بالميرة والخير ، فـــقال :« إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهْيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيْهَا الْقِيرَاطُ، فَاذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحسِنُوا إِلى أَهْلِهَا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً »(١)، وجاء في حديث آخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى عند وفاته في قبط مصر فقال :« الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم فيكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله » (٢). وقد ذكرنا ما جاء في كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للمقوقس حاكم مصر من قوله عليه الصلاة والسلام له : « فإن توليت فإن عليك إثم القبط » .(٣)

وكل هذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أدرك كراهية نصارى مصر لحكم الروم ، وأنهم سيرحبون بحكم الإسلام إذا رأو عدالته ومحاسنه. (٤)

وأخبر عليه الصلاة والسلام أصحابه بفتح القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومية، وحامية الديانة النصرانية، وذات الموقع الإستراتيجي والتحصين الطبيعي ولهذا قال صلى الله عليه وسلم عن فتحها: « أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ » (٥) ، وفي حديث آخر : « لتفتحن القسطنطينية ، ونعم الأمير أميرها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل مصر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٥ ص ٩٧، والقيراط جزء من أجزاء الدينار ، الذمة: الحرمة والحق ، والرحم في الحديث ؛ لأن هاجر أم اسماعيل منهم

(٢) السيوطي : الخصائص الكبرى جـ ٢ ص ٤٠٧، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٦٣ : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح " .

(٣) انظر الفصل الثاني ص : ٢٠٨

(٤) وقد تحقق ذلك فعلا لما فتح المسلمون مصر سنة ٢١هـ ، حيث رحب بهم القبط وصاروا لهم أعوانا على الروم ، انظر : ابن عبد الحكم: فتوح مصر ص ٨٦ ، ١٠٥، ١٠٦؛ النويري: نهاية الأرب جـ ١٩ ص ٢٨٨ ، ٣٠٠، ٣٠١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم ح (٢٩٢٤) فتح الباري ج ٦ ص ١٢٠، وقال ابن حجر "مدينة قيصر" هي القسطنطينية.

ونعم الجيش جيشها » (١)

وروى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سئل أى المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية ؟ - معقل النصرانية- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مدينة هرقل أولاً »(٢) يعني القسطنطينية.

وفي حديث آخر روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبي طالب : « اعلم أنكم ستقاتلون بني الأصفر ، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين ، ثم يخرج إليه رزقه المسلمين أهل الشام الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم حتى يفتح الله عليهم قسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير ، فيهدوا حصنهما ، ويصيبوا مالا عظيما لم يصيبوا مثله قط» (٣)

ومما تقدم يمكن القول أن الجهاد في سبيل الله هو القاعدة العامة لفتح البلاد النصرانية بعد عصر النبوة، وهو أصل العلاقات للتعامل مع أهلها واخضاعهم لحكم الإسلام صلحاً أو عنوة ، فيما سوى الحبشة التي استثناها الرسول صلى الله عليه وسلم من ذلك بقوله :« دَعُوا الْحَبَشَةَ مَا ودَعُوكُم وَاتْرُكُوا التُّرْكَ مَا تَرَكُوكُم »(٤) وفي رواية : « اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُم فإِنَّهُ لايَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إلاَّ ذُو

(١) رواه الامام أحمد جـ ٤ ص ٣٣٤ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢١٨ ، ٢١٩ : " رواه البزار والطبراني ورجاله ثقات "

(٢) رواه الامام أحمد جـ ٤ ص ٣٣٤ قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢١٩ : " رجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة ".

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٢٢٠ ، : " رواه ابن ماجه باختصار ، والطبراني وفيه كثير ابن عبد الله وقد ضعفه الجمهور ، وحسن الترمذي حديثه ".

وقد تحقق للمسلمين فتح القسطنطينية في عهد بني عثمان سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣ م ، ولكن ظاهر الحديث المذكور يحتمل أن القسطنطينية ستعود للروم ثم يفتحها المسلمون مع رومية في آخر الزمان.

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب في ذكر الحبشة ح (٤٢٨٠) عون المعبود ج ١١ ص ٤٠٩ ؛ الحاكم في المستدرك ج ٤ ص ٤٥٣ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وقال الألباني عنه في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح رقم ٧٧٢ : " إسناده لابأس به "

السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ » .(١)

وهذا الاستثناء علله بعض العلماء بالقول : " لأن بلاد الحبشة بين المسلمين وبينهم مهامة وقفار فلم يكلف المسلمون دخول ديارهم لكثرة التعب وعظمة المشقة، وأما الترك فبأسهم شديد، وبلادهم باردة والعرب وهم جند الإسلام كانوا من البلاد الحارة فلم يكلفهم دخول البلاد " .(٢)

ولانستبعد أن يكون لحسن معاملة النجاشي وأتباعه لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا إلى الحبشة - أثر في ذلك، ولا يعارض هذا ما ورد في الحديث من أن ذي السويقتين من الحبشة سيقدم على تخريب الكعبة واستخراج كنزها، لأن معظم نصارى الحبشة شأنهم في عداء الإسلام وأهله شأن نصارى الروم وغيرهم، وقد بينا موقفهم من إسلام النجاشي وأتباعه .(٣)

الجانب الثاني: التحذير من أثر النصارى في ضعف الدولة الإسلامية:

إذا كان للبدع والشبه الضالة والمضلة التي يحملها النصارى والتي أشرنا إليها في الآثار الدينية (٤) تأثير على عقيدة المسلمين ، فإن لكيدهم وتآمرهم على الإسلام وأهله أثرا أيضا فى كسر شوكة المسلمين وإضعاف دولتهم، وهذا مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يصدر حكمه بإخراجهم من جزيرة العرب ويطلب من خلفائه أن يَجِدُّوا في تنفيذ ذلك .

وإذا كنا لانجد للنصارى أثرا يذكر في زمنه صلى الله عليه وسلم ، فإن ذلك يرجع

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٣٧١ ، وقال الهيثمي عنه في مجمع الزوائد جـ ٥ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ "رجاله رجال الصحيح غير موسى بن جبير وهو ثقة" . ؛ وأخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب ذكر الحبشة ح (٤٢٨٧) عون المعبود ج ١١ ص ٤٢٣ ؛ الحاكم في المستدرك جـ ٤ ص ٤٥٣ وقال. "صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي" ، وآخر الحديث له شاهد في الصحيح بلفظ : « ذُو السُّوَيْقَتَينِ مِنَ الحبشة يُخَرِّبُ بَيْتَ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ » أخرجه مسلم في كتاب الفتن ، صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ٣٦ .

(٢) عون المعبود ج ١١ ص ٤١٠.

(٣) انظر الفصل الأول ص : ١٢٧

(٤) انظر ماسبق ص : ٣٠٦ ـ ٣٠٩

لقوة الإسلام وأهله من جانب ، وإبعادهم عن أمور المسلمين الدينية والدنيوية من جانب آخر (١)

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بتأثيرهم وتأثر المسلمين بهم في مستقبل العلاقات معهم فقال : «لَتَتَّبِعُن سَنَنَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لاتَّبَعْتُموهُمْ » قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللّٰه ، اَلْيَهُودَ وَالْنَّصَارَى . قَالَ : فَمَنْ ؟ "(٢)أي من غيرهم ؟ ، وفي رواية : « لاتقومُ الساعة حتى تأخذ أُمَّتِي بِأَخْذ القرون قبلها شبراً بشبر وذِراعاً بذراع » فقيل يارسولَ اللّٰه كفارسَ والروم فقال : « ومنِ النَّاسُ إلاَّ أُولئك ؟ »(٣)

ولاشك أن هذا يؤدي إلى الاختلاف والتفرق ، الذي يؤدي إلى العداوة والبغضاء والهلاك، والذي نهى الله عنه بقوله:﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٤)، وحذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله : « إِنَّما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِاخْتِلاَفِهِمْ في الْكِتَابِ »(٥)

وكما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع أمته لسنن اليهود والنصارى

---

(١) وما ورد من الاستعانة بغير المسلمين في بعض الأمور الدنيوية ، فهو حالات فردية ، وفي أمور لاخطر على الإسلام منهم في توليها ، هذا إلى جانب عدم قدرتهم على التأثير لقوة دولة الإسلام. ومع هذا فلم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعان بأحد من النصارى في أمور المسلمين . انظر للتوسع عن أحكام الاستعانة بغير المسلمين . د. عبد الله الطريقي في رسالته : الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي ، دكتوراه مطبوعة. (الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٧هـ)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالسنة ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ح (٧٣٢٠) فتح الباري جـ ١٣ ص ٣١٣ ، ومسلم في كتاب العلم ، باب اتباع سنن اليهود والنصارى صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢١٩ ، ٢٢٠

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من كان قبلكم ح (٧٣١٩) فتح الباري ج ١٣ ص ٣١٢

(٤) سورة آل عمران : آية ١٠٥.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن . صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ٢١٨.

أخبر عن أثر ذلك بقوله : « افْتَرَقَتِ اليَهُودُ عَلى إِحْدَى أَوْثِنْتَيْنِ وَسَبْعِين فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلى إِحْدَى أَوْثِنْتَيْنِ وَسَبْعِيْنَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلى ثَلاثٍ وَسَبْعِيْنَ فِرْقَةً » وزاد في رواية : «ثِنْتَانِ وَسَبْعُون في النَّارِ وَوَاحِدَة في الْجَنَّةِ وَهِيَ الْجَماعَةُ » (١) وفي رواية : «إلاّ مَنَ عَلى مثل مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابي »(٢) وهذه الفرقة الناجية هي التي قال عنها في حديث آخر: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة »(٣)

ومع أنه سيتحقق كما أخبر عليه الصلاة والسلام فإن تحذيره لأمته من اتباع سبيل اليهود والنصارى يهدف إلى أن ينجو منه من شاء الله له السلامة فيكون من تلك الفرقة الناجية.

وإذا كانت الأحاديث السابقة تدل على تأثير النصارى على المسلمين فيما بعد عصر النبوة فإن الواقع التاريخي شاهد على ذلك يقول سيد قطب رحمه الله : " وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعد عصر النبوة- التي لها ملابساتها الموقوتة- أن عداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عداء اليهود، وإذا نحن استثنينا موقف نصارى العرب ، ونصارى مصر في حسن استقبال الإسلام ، فإننا نجد الرقعة النصرانية في الغرب ، قد حملت للإسلام في تاريخها كله منذ أن احتكت به من العداوة والضغن وشنت عليه من الحرب والكيد ، مالا يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أى زمان حتى أن الحبشة التي أحسن عاهلها استقبال المهاجرين المسلمين واستقبال الإسلام عادت فإذا هي أشد حربا على الإسلام والمسلمين من كل أحد لايجاريها في ذلك إلا اليهود". (٤)

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة ح (٤٥٧٢ ، ٤٥٧٣) عون المعبود ج ١٢ ص ٣٤٠، الترمذي في كتاب الايمان باب في افتراق الأمم ح (٢٧٧٨) وقال : ' هذا حديث حسن صحيح' ، تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ٣٩٧.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق الأمم ح (٢٧٧٩) وقال هذا حديث غريب مفسر لانعرفه إلا من هذا الوجه ، تحفة الأحوذي ج ٧ ص ٤٠٠ ؛ الحاكم في المستدرك جـ ١ ص ١٢٩ . واللفظ له

(٣) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٥٤ هامش(٢)

(٤) سيد قطب : في ظلال القرآن مجلد ٢ ص ٩١٤

وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بغدرهم في آخر علاقة للمسلمين معهم ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « تُصَالِحُون الرُّومَ صُلْحاً آمِناً فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوّاً مِنْ وَرَائِهِم فَتَسْلَمُونَ ، وَتَغْنَمُونَ ، ثُمَّ تَنْزِلُـوْنَ بِمَـرْجٍ ذِي تُلولٍ (١) فَيَقُومُ رَجُلٌ مِنَ الرُّوم، فَيَرْفَعُ الصَّلِيبُ وَيقول الأَغْلَبَ الصَّلِيب (٢) فَيقوم إليه رَجُل مِنَ المسلِمينَ فيقتله فعند ذلك تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَكُون المَلاَحِمَ فيجتمعون إليكم فَيَأْتُونَكُم في ثَمَانِينَ غَايَة مع كل غَايَة عَشَرَة آلاف»(٣)، وفي حديث عوف بن مالك(٤): « ثم هدنة تكون

(١) مرج ذي تلول : أي الموضع الذي ترعى فيه الدواب ، قال ابن الأثير في النهاية ج ٤ ص ٣١٥ : " المرج الأرض الواسعة ذات نبات كثير تمرج فيه الدواب ، أي تسرح مختلطة كيف شاءت "
ذي تلول : هو موضع مرتفع قاله القاري ، وقال السندي : كل ما اجتمع على الأرض من تراب أو رمل انظر: عون المعبود ج ١١ ص ٣٩٩.

(٢) أي دين الصليب قصدا لإبطال الصلح . ويتساءل أحد الباحثين عن هذا فيقول: " فما دخل الصليب في مثل هذه المسائل؟ قد يقاتل النصاري تحت شعار الصليب في ديار قسطنطين وهذا حقهم . أما أن يقحمونه في معركة الإسلام يقف معهم فيها على أرضية مشتركة فإن هذا يعني إما سوء تقدير للموقف وإما أن هناك يد ما تعمل لجهة ما من أجل هدف ما ومن مصلحتها إشعال فتيل أعظم معارك التاريخ . وفي تقديري الرأي الأخير هو الأرجح" ، سعيد أيوب : المسيح الدجال ص ١٧٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٤ ص ٩١ وقال الألباني في مشكاة المصابيح ـ للتبريزى ـ (دمشق : المكتب الإسلامى ١٣٨٢هـ ـ١٩٦٢م) ح (٥٤٢٨) ج ٣ ص ١٨ : " إسناده صحيح " ؛ وأخرجه أبو داود فى كتاب الملاحم ، باب ما يذكر من ملاحم الروم ح (٤٢٧١) وأكتفى فى آخر الحديث بالقول " تغدر الروم وتجمع للملحمة " عون المعبود ج ١١ ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ومعنى غاية : راية

(٤) عوف بن مالك بن أبى عوف الأشجعى الغطفانى صحابى ، أسلم قبل حنين ، وشهدها ، وشهد خيبر و الفتح قبلها ، وكانت معه راية قومه ، شارك فى فتوح الشام ، ونزل حمص وتوفى رضى الله عنه سنة ٧٣هـ ، انظر : ابن الأثير : أسد الغابة ج ٤ ص ١٥٦

بينكم وَبَيْنَ بَني الأصْفَر ، فَيغدِرُون فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِيَن غَايَة ً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثنَا عَشَرَ أَلْفاً »(١)

وبيين ما يحدث بعد هذا ـ فيما يظهر ـ قولـه صلى الله عليه وسلم :
« لاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأعْمَاقِ أَوْ بِدَابَقَ (٢) فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ المدِينَة مِنْ خيَار أَهْلِ الأرْضِ يَومَئِذٍ فَإِذَا تَصافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الذَّينَ سُبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ فَيَقُولُ المسْلِمُونَ لاَ واللَّهِ لانُخَلِّي بَيْنَكُمْ ، وَبَيْنَ إخْوَانِنَا فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لايَتُوبُ اللَّه عَلَيْهِمْ أَبَداً ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّه ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لايُفْتَنُون أبَدًا ، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينيَّة فَبَيْنَمَاهُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ أنَّ المسِيحَ - الدَّجال - قَدْ خَلَفَكُمْ في أَهْلِيكُمْ فَيَخْرُجُونَ وذلكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأمَ خَرَجَ فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَال يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إذْ أُقِيمت الصَّلاَةُ ، فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صلى الله عليه وسلم فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّه ذَابَ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ في المَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّه بِيدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ في حَرْبَتِهِ » (٣) .

وثبت في الصحيح ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من نزول عيسى وما يكون من أمره حيث قال : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُم ابْنُ مَرْيَمَ عَدْلاً، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلَ الْخنْزِيرَ ، وَيَضَعَ الْحَرب وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لايَقْبَلَهُ أحَدٌ، حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْراً مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » ، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه واقْـرَءُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾(٤).

---

(١) أخرجه البخارى فى كتاب الجزية والموادعة ، باب ما يحذر من الغدر ح (٣١٧٦) فتح البارى ج ٦ ص ٣٢٠

(٢) الأعماق ودابق : موضعان بالشام بقرب حلب ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٢١

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الفتن ، صحيح مسلم بشرح النووى ج ١٨ ص ٢١ ـ ٢٢

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ح(٣٤٤٨) فتح الباري جـ ٦ ص ٥٦٦ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان نزول عيسى حاكما ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ص ١٩١ .

وفي رواية : «.. وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ » (١) قال النووي عن معناه: والصواب أن عيسى لايقبل إلا الاسلام (٢) ، ويدل عليه ما روي من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاس » (٣) قال ابن كثير : " وهذا يدل على الروم يسلمون في آخر الزمان (٤) والله أعلم .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص : ٢٢ هامش (٢)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ١٩٠

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) ابن كثير في الملاحم والفتن (مكتبة السلام العالمية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م) ص ٥٣

الآثار الاقتصادية :

الواقع أن العلاقات الاقتصادية المتمثلة في التبادل التجاري بين المسلمين والنصارى في العهد المكي والنصف الأول من العهد المدني لاتكاد تذكر ويرجع ذلك أولا إلى تأثر العلاقات التجارية العالمية بالحرب بين الفرس والروم وثانيا إلى عداء قريش للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقد فرضت في العهد المكي على المسلمين حصارا اقتصاديا استمر ثلاث سنوات، واستخدمت نفوذها الديني والتجاري في منع قبائل العرب الوثنية والنصرانية من المتاجرة مع المسلمين ، ولم يتح للمسلمين في هذه الفترة الخروج من مكة للتجارة مع غيرهم إلا في حالات فردية نادرة نذكر منها ما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزُّبَيرَ ـ اثناء هجرته إلى المدينة (١) ـ في ركب من المسلمين كانوا تِجاراً قافِلينَ من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَياباً بِيضاً (٢) ، وقد بينا أثر ذلك في غياب حقيقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم عن النصارى في بلاد الشام . (٣)

أما في النصف الأول من العهد المدني فقد استمر ضعف خروج المسلمين للتجارة مع غيرهم بسبب الحرب الدائرة بينهم وبين قريش .

وقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بتلك السرايا التي وجهها للجهات الشمالية التي تقطن بها القبائل النصرانية أن يضعف التحالف التجاري بينها وبين قريش التي فشلت هي ومن حالفها في النيل من المسلمين في غزوة الأحزاب مما جعلها بعد ذلك تقبل بمصالحة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتحسنت تبعا لذلك حركة التبادل التجاري بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة فقد روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث طائفة من سبي بني قريظة إلى الشام مع سعد بن عبادة

---

(١) البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٤٩٦

(٢) أصل الحديث في صحيح البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة (٣٩٠٦) فتح الباري ج ٧ ص ٢٨١ ، ٢٨٢

(٣) انظر الفصل الأول ص : ١١٢

رضى الله عنه(١) ليبيعهم ويشتري بهم سلاحا وخيلا(٢).

وورد في أخبار السنة السادسة أن زيد بن حارثة خرج في تجارة إلى الشام ومعه بضائع لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) ، ويذكر الواقدي خبر تردد الأنباط النصارى للتجارة في جزيرة العرب بقوله: "وكانت الساقطة - وهم الأنباط- يقدمون المدينة بالدرمك والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام، فإنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط "(٤)

وإذا كانت المصلحة المادية للعلاقات التجارية بين المسلمين والنصارى مشتركة فإن التجار المسلمين جعلوا من علاقتهم التجارية مع النصارى، وسيلة للدعوة إلى الإسلام ، مما كان له أثره في إسلام بعضهم ومنهم سيماوه البلقاوي تاجر القمح إلى المدينة(٥)

وفي المقابل فقد استخدم النصارى التجارة للدعاية لديانتهم فصوروا الصور التي تعبر عن بعض معتقداتهم على منتوجاتهم وبخاصة الأقمشة ومن ذلك علامة الصليب فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يكن يَترُك في بَيتهِ شيئاً فيه تَصاليبُ إلا نَقضَه "(٦).

---

(١) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصارى الخزرجى ، شهد بيعة العقبة وكان أحد النقباء ، وأحد الأجواد ، وقع فى صحيح مسلم أنه شهد بدراً ، والمعروف عند أهل المغازى أنه تهيأ للخروج فنهش فأقام ، مات بالشام سنة خمس عشرة ، وقيل غير ذلك ، انظر : ابن حجر : تقريب التهذيب ج ١ ص ٢٨٨

(٢) الواقدي : المغازي ج ٢ ص ٥٢٣

(٣) الواقدي : المصدر نفسه جـ ٢ ص ٥٦٤ ، ابن سعد : الطبقات جـ ٢ ص ٩٠

(٤) الواقدي : المصدر نفسه جـ ٣ ص ٩٨٩ ، ٩٩٠. ويظهر أنهم أيضا كانوا يقدمون بالخمر لبيعها على المسلمين الذين عرفوا قبل أن تُحرّم عليهم- بشدة تعلقهم بشربها . فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ شفرة - بعد نزول تحريم الخمر- وخرج إلى السوق وبها زقاق خمر جلبت من الشام فشق بها ما كان من تلك الزقاق. ابن حجر: فتح الباري جـ ٥ ص ١٤٥.

(٥) ابن حجر : الإصابة ج ٣ ص ١٥٧.

(٦) أخرجه البخاري في كتاب اللباس، باب نقض الصور ح (٥٩٥٢) فتح الباري جـ ١٠ ص ٣٩٨ ، وانظر عن حكم التصوير وآراء العلماء في ذلك ، ابن حجر: فتح الباري ج١٠ ص ٤٠١- ٤٠٤.

ولما كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء النصارى يدعوهم إلى الإسلام ، امتنع ـ كما ذكرنا سابقاً ـ غالبيتهم من الاستجابة له، بل اندفع بعضهم إلى محاربته، فتأثرت العلاقات التجارية معهم تبعا لذلك، واشتد تأثرها لما أمر الله تعالى أن يُمْنَعَ المشركون ـ ويلحق بهم أهل الكتاب أيضا لأنهم أشركوا بالله (١) ـ من قربان المسجد الحرام في الحج وغيره، بعد فتح مكة فقالت قريش - وقد أسلمت آنذاك - لينقطعن عنا المتاجر والأسواق أيام الحج وليذهبن ما كنا نصيب منهم، فعوضهم الله عن ذلك بقتال أهل الكتاب حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون(٢)، وقد بينا سابقا مصالحته عليه الصلاة والسلام لنصارى نجران وشمال الجزيرة على الجزية(٣).

وعقد الذمة لايقصد منه الحصول على المال، كما أن الجزية لاتمثل دخلا ثابتا للدولة الإسلامية؛ لأنها تسقط بالإسلام وبعجز أهل الذمة عن دفعها، وبعجز المسلمين عن حمايتهم ، يقول الإمام السرخسي " المقصود من الجزية ليس المال، بل الدعاء إلى الدين بأحسن الوجوه ؛ لأنه بعقد الذمة يترك القتال أصلا، ولا يُقاتَل من لايُقاتِل، ثم يسكن بين المسلمين فيرى محاسن الدين ويعظه واعظ فربما أسلم"(٤)

وتصرف حصيلة الجزية في مصالح المسلمين باتفاق الفقهاء (٥)

أما تعشير أهل الذمة فقد ورد في بعض نصوص معاهدة نصارى نجران أنهم لايعشرون(٦) ، والراجح أن المراد من هذا أنهم لايعشرون على أراضيهم وغلاتهم إلا إذا صولحوا على ذلك ، يقــول ابن حزم : " ويحرم تعشير أموال الذمي ، لأن الله

---

(١) انظر: ابن القيم : أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢) انظر: ابن أبي حاتم 'تفسير سورة الأنفال والتوبة ' تحقيق عبادة أيوب الكبيسي (رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ) ج ٢ ص ٧١٥؛ ابن كثير : السيرة النبوية جـ ٤ ص ٣ ؛ السيوطي في الدّر المنثور جـ ٣ ص ٢٢٨ .

(٣) انظر الفصل الثاني ص : ٢٤١ ـ ٢٤٣

(٤) السرخسي : المبسوط جـ ١٠ ص ٧٧ .

(٥) ابن رشد : بداية المجتهد ، الطبعة الأولى (المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩) جـ١ ص ٤٠٧ .

(٦) انظر الفصل الثاني ص : ٢٣٢

تعالى لم يوجب عليه إلا الجزية فقط فإذا قاموا بدفعها حموا أنفسهم وأموالهم مالم ينقضوا العهد وتعشير أموالهم والاعتداء عليها يناقض عقد الذمة، إلا أن يكون ذلك في أصل العقد ومما صالحوا عليه"(١).

أما ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه نصب العشار بمحضر من الصحابة ولم ينقل أنه أنكر عليه أحد منهم، حيث أمر بأخذ العشر من الكافر الحربي، ونصف العشر من الذمي، وربع العشر من المسلم(٢) فالمقصود به ما أجمع عليه الفقهاء من وجوب تعشير أهل الذمة على الأموال التجارية التي ينتقلون بها من بلد إلى آخر فقط.(٣)

وبينا فيما سبق(٤) أن الرسول صلى الله عليه وسلم أجرى على نصارى نجران من أحكام الإسلام في المعاملات المالية والتجارية تحريم الربا حتى لايستخدموا قوتهم الاقتصادية في تحقيق أى مكسب سياسي يتيح لهم كسب الأنصار(٥)

وإذا كانت العلاقات الحربية بين المسلمين والنصارى في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أدت إلى إضعاف العلاقات التجارية بينهما ، فإنها لم تؤد إلى توقفها فقد روى الواقدي في خبر الأنباط الذين يقدمون للتجارة في المدينة أنهم هم الذين أخبروا الرسول صلى الله عليه وسلم بتجمع الروم والعرب المتنصرة لحربه صلى الله عليه وسلم في العام التاسع الهجري(٦)، وهذا يدل على استمرار قدومهم للتجارة في

---

(١) ابن حزم : المحلي جـ ٦ ص ١٤ ، ونقل المباركفوري في تحفة الأحوذي جـ ٣ ص ٢٧٨ عن بعض العلماء مثله.

(٢) انظر : محمد بن الحسن الشيباني: كتاب السير الكبير تحقيق عبد العزيز أحمد ص ٢١٣٣ ، ٢١٣٤ الكاساني : بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع جـ ٢ ص ٣٥.

(٣) انظر : الشافعي : الأم جـ ٤ ص ١٩٢ ؛ السرخسي في المبسوط جـ ٢ ص ١٩٩ ؛ ابن قدامة : المغني جـ ٨ ص ٥٢٢.

(٤) انظر الفصل الثاني ص : ٢٣٢

(٥) نزار عبد اللطيف الحديثي : "نجران ، أهميتها وعلاقتها بالاسلام"(المؤرخ العربي العدد ٢٩ السنة الثانية عشرة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)ص ٩٩.

(٦) الواقدي : المصدر السابق جـ ٣ ص ٩٩٠.

المدينة رغم ما حدث بين المسلمين والروم في غزوة مؤتة سنة ثمان للهجرة .

وذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه خرج ومعه بعض الصحابة في تجارة إلى بصرى(١) قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بعام (٢)

والمهم أن الدولة الإسلامية في تلك الفترة لم تعتمد في اقتصادها على التجارة الخارجية، حتى تتأثر في قوتها وضعفها الاقتصادي بحالة السلم والحرب مع أعدائها.

ولما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن مستقبل العلاقات مع النصارى بفتح بلاد الشام، أكد وقوع ذلك بإقطاع بعض الصحابة قطائع(٣) بها، لاستغلالها وإحيائها بالزرع والغراس ، مما سيكون له أثر في تقوية اقتصاد المسلمين ومن ذلك:

- إقطاعه صلى الله عليه وسلم أرضا لأبي ثعلبه الخشني(٤) وهي بأيدي الروم يومئذ(٥).

---

(١) ذكر ابن كثير في السيرة النبوية جـ ١ ص ٣٢٢ أن مدينة بصرى كانت أول مدينة فتحت من أرض الشام وكان فتحها صلحا في خلافة الصديق رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٦ ص ٣١٦ ، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٤ ص ٦٢ مثله.

وتجارة أبو بكر ومن معه حالات فردية لاتعطي للدولة الإسلامية الحق في التعاون والتبادل الاقتصادي مع الدول الكافرة المحاربة. وذكر أبو يوسف في كتاب الخراج ص ١٩ قيود التعامل التجاري مع غير المسلمين بمنع بيعهم السلاح ، وشراء ما فيه ضرر على المسلمين.

(٣) الإقطاع مصدر أقطع وأصل المادة المأخوذة منها كلمة اقطاع هي قطع: والقطع إبانة بعض أجزاء الجِرْم من بعض فصلا ، والقطيعة من الشيء الطائفة منه ، تقول: أقطعني إياها ، وأقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج ، انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة قطع .

(٤) أبو ثعلبة الخشني: صحابي مشهور معروف بكنيته ، واختلف في اسمه واسم أبيه كثيرا ، كان ممن بايع تحت الشجرة ، وأسهم له الرسول صلى الله عليه وسلم في خيبر ، وأرسله إلى قومه فأسلموا ، مات في أول خلافة معاوية : ابن حجر : الإصابة جـ ٧ ص ٢٨- ٢٩

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده جـ ٤ ص ١٩٤ ، وأبو عبيد : الأموال ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، وهو مرسل ورجاله ثقات قاله عبد الصمد بكر: في تحقيق الكتاب جـ ٢ ص ٨٧٦

ـ وإقطاعه عليه الصلاة والسلام لتميم بن أوس وأخيه (١) نعيم حبرى أو حبرون(٢) ، وبيت عنيون وموضع يقال مسجد إبراهيم أو بقربه وكتب له بذلك كتابا(٣)، وإقطاعه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف أرضا بالشام يقال لها السليل(٤) ولم يكتب له بها كتابا(٥)

وأقر الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ الخراج لخلفائه من بعده على البلاد التي سيفتحها الله عليهم، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنَعَتْ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا (٦) ، وَمَنَعَتْ الشَّأْمُ مُدْيَهَا (٧) وَدِينَارَهَا ، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إرْدَبَّهَا(٨) ، وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ،

(١) تميم ونعيم بن أوس من بني الداريين هاني بن لخم من اليمن، قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدة من بني الدار يقال كانوا عشرة سنة تسع فأسلموا ، انظر :: ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩١ .

(٢) حبرى ، أو حبرون اسم القرية التي يقال فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقد غلب على اسمها الخليل انظر: الحموي : معجم البلدان جـ١ ص ٢١٢ ، وهي وما بعدها من قرى في فلسطين ، يقول أحد الباحثين : "وما زال التميميون في منطقة الخليل شاهد على صدق فعل الرسول صلى الله عليه وسلم" صالح درادكة : "مقدمات فتح بلادالشام" المؤتمر الرابع لتاريخ بلاد الشام ص ١١٧

(٣) البلاذري: فتوح البلدان : جـ١ ص ١٧٦ ؛ أبو عبيد: الأموال ص ٢٩٢ ؛ ابن زنجويه : الأموال جـ٢ص ٦١٧ ؛ الطبراني: المعجم الكبير ح(١٢٧٩) ج٢ص٤٧ ؛ السيوطي: الخصائص جـ٢ص١٧٧ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ٦ ص ٨ رجاله ثقات .

(٤) السليل، والسّلاّن قيل معناه الأودية، وتعريف موضعه في بعض كتب البلدان لايوافق أنه أرض بالشام ، انظر البكري: معجم ما استعجم جـ ٣ ص ٧٥٢ .

(٥) ابن سعد : الطبقات جـ ٣ ص ١٢٧ .

(٦) القفيز : مكيال معروف لأهل العراق وهو ثمانية مكاييل والمكوك صاع ونصف

(٧) المد : مكيال معروف لأهل الشام وهو خمسة عشر

(٨) الإردب : مكيال معروف لأهل مصر ويسع أربعة وعشرين صاعا . ، انظر عن تعريف ماسبق : عون المعبود جـ ٨ ص ٢٨٢ .

وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ » شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ "(١)

وفي تفسير المنع الوارد في الحديث قولان: الأول: أن هذه البلاد تفتح للمسلمين ويوضع عليها الخراج مُقدّراً بالمكاييل والأوزان، وأنها ستمنع في آخر الزمان(٢).
والثاني : أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أنهم سيسلمون وسيسقط عنهم ما وظف عليهم (٣)

ويرى النووي أن الأشهر في معنى المنع أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان فيمنعون حصول الجزية والخراج للمسلمين ، واستدل على هذا (٤) بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لاَ يُجْبَىء إِلَيْهِمْ قَفِيزٌ وَلادِرْهَمٌ، قُلْنَا مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ؟ قَالَ مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ يَمْنَعُونَ ذَلِك"، وذكر في منع الروم ذلك بالشام مثله(٥) قال النووي: وهذا قد وجد في زماننا في العراق(٦)

ومما يدل على قوة هذا الرأي أيضا ما روى من أن أبا هريرة رضى الله عنه كان يقول : "كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولادرهماً ؟ فقيل له : وهل ترى ذلك كائناً ياأبا هريرة فقال: والذى نفس أبي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا : وعم ذاك ؟ قال تنتهك ذمة الله ، وذمة رسوله فيشدّ الله قلوب أهل الذمة فيمنعون مأبايديهم ، والذى نفس أبي هريرة بيده ليكونن مرتين "(٧)، وما ذكره المقريزي عند حديثه عن حديث المنع الذي أشرنا إليه من قول أبي عمرو بن يوسف الكندي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٢٠ ؛ وأبو داود في كتاب الخراج باب ايقاف السواد ح(٣٠١٩) عون المعبود جـ ٨ ص ٢٨٠- ٢٨٢.

(٢) عون المعبود جـ ٨ ص ٢٨٣.

(٣) البيهقي : دلائل النبوة جـ ٦ ص ٣٣٠ ، ويرى أن تفسير المنع به هو الأحسن ؛ وكذا البغوي فى شرح السنة ١١ ص ١٧٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٢٠

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الفتن واشراط الساعة ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٣٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٢٠

(٧) رواه الإمام أحمد فى مسنده ج ٢ ص ٣٣٢

في كتابه أمراء مصر أنه في إمرة الحر بن يوسف أمير مصر كتب عبد الله بن الحبحاب صاحب خراجها إلى هشام بن عبد الملك بأن أرض مصر تحتمل الزيادة ، فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كور عدة _ ذكرها _ فبعث إليهم الحر بأهل الديون فحاربوهم فقتل منهم بشر كثير، وذلك أول انتقاض القبط بمصر، ثم ذكر أيضا ما وقع في بعض الأزمنة بعد ذلك من انتقاضهم ومنعهم الجزية وكيدهم للاسلام وأهله(١) ، وبهذا يكون ما جاء في الحديث دليلا على نبوته حيث أخبر عن أمر وقع قبل وقوعه، فخرج الأمر في ذلك على ماقاله (٢).

ومهما يكن من شيء فإن الحديث يشير إلى أن الخراج يعد عاملا مهما في قوة وضعف اقتصاد المسلمين ، ويؤكد هذا تنبؤ الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مع الجزية والغنائم سيحدث ثراء للمسلمين يؤثر في حياتهم. فعن عبد الله بن حواله(٣) قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه الفقر والعرى وقلة الشيء فقال: «أبشروا، فوالله لأنا لكثرة الشيء أخوف عليكم من قلته، والله لايزال هذا الأمر فيكم، حتى يفتح لكم جند بالشام، وجند بالعراق، وجند باليمن (٤) حتى يُعطى الرجل المائة فيسخطها» قال عبد الله بن حواله : ومتى نستطيع الشام مع الروم ذات القرون؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليفتحها الله لكم وليستخلفكم فيها »... إلخ الحديث (٥)

أما الأثر الذي تخوف منه الرسول صلى الله عليه وسلم على حياة المسلمين

---

(١) انظر خطط المقريزي جـ١ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) البغوي : شرح السنة جـ ١١ ص ١٧٨

(٣) عبد الله بن حواله الأزدي، صحابي نزل بالشام ومات بها سنة ثمان وخمسين وله اثنتان وسبعون سنة ويقال مات سنة ثمانين، ابن حجر: التقريب جـ ١ ص ٤١١ .

(٤) وورد في حديث آخر: « **إنكم ستجندون أجنادا ويكون لكم ذمة وخراج** » ، انظر : ابن رجب : الاستخراج ، الطبعة الأولى (المكتبة الإسلامية بالأزهر ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م) ص ٦٠٥

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد جـ٦ ص ٢١١ ، ٢١٢ وقال:« رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير نصر بن علقمة وهو ثقة» وبعض أطرافه رواه الإمام أحمد في مسنده جـ٤ ص ١١٠ ، ج ٥ ص ٣٣ .

عندما يملكون الأقاليم التي أشار إليها الحديث، ويضعون الجزية والخراج على أهلها فقد جاء التصريح به في قوله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِس وَالرُّومُ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ قَالَ عَبْدَ الرَّحمن بْنُ عَوْفٍ نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّه قَالَ رسولُ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم :« أَوْغَيْرَ ذلِكَ ؟ تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ ، أو نحو ذلك ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فى مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ على رِقَابِ بَعْضٍ »(١).

وقد جرت سنة الله تعالى على أن هذا لايحدث إلا إذا خرج المسلمون عما أمرهم الله به قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢)

وفي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « وإنّي أُعطيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائنِ الأرض ، أو مَفَاتِيحَ الأرض ، وإنّي واللَّه مَا أخافُ عليكم أن تُشرِكُوا بَعْدِي وَلكِنّي أَخافَ عَلَيْكُمْ أن تَنَافَسُوا فِيْهَا »(٣).

وأرشد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى طريق النجاة من الوقوع في ذلك بقوله: « إنَّ هذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المسْلِم لمنْ أَخَذَهُ بِحقّه فَجَعَلَهُ في سَبِيل اللَّه وَالْيَتَامَى والمسَاكِينِ، وَمَنْ لم يَأْخُذْها بِحَقّه فَهُوَ كَالآكِلِ الَّذِي لاَيَشْبَعُ وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (٤).

ومر بنا أن بعض السلف فسر التهلكة في قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ٩٦ قال النووي في معنى فتجعلون بعضهم على رقاب بعض، أى تجعلون بعضهم أمراء على بعض .

(٢) سورة الأنعام : الآيتان ٤٤ ، ٤٥

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهيد ح(١٣٤٤) فتح الباري جـ ٣ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ ؛ مسلم في كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٥ ص ٥٩.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل النفقة في سبيل الله ح (٢٨٤٢) فتح الباري جـ ٦ ص ٥٧ ، ٥٨ واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة باب التحذير من الاعتزاز بزينة الدنيا ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٧ ص ١٤٢- ١٤٤.

﴿بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد (١)، وفي الحديث ما يصدقه فعن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعي الآكلة إلى قصعتها ، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يارسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت » (٢)

هكذا عند ترك ما أمر الله به من الجهاد ونصرة الدين تجتمع فرق الكفر وأمم الضلال لقتال المسلمين وكسر شوكتهم وسلب ما ملكوه من الديار والأموال ومع هذا فقد جرت سنة الله تعالى أن لا يهلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم على يد غيرهم ففي الصحيح عن ثوبان (٣) رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« إن اللّٰه زَوىَ لِي الأرْضَ، فَرَأيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُها مَا زُوِيَ لِيَ مِنْهَا، وَأُعطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأحْمَرَ وَالأَبْيَضَ (٤) ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي: أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ، وأنْ لايُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوىَ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وأَنَّ رَبِّي قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيتُ قَضَاءً فَإِنَّه لايُرَدُّ وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوىَ أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَلَو اجْتَمَعَ عَليهِمْ مِنْ بِأَقْطَارِهَا أوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكَ بَعْضاً ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ».(٥)

---

(١) انظر تخريج الأثر ص : ٢٨١

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام ح(٤٢٧٦) عون المعبود جـ ١١ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(٣) ثوبان بن ويقال بن جحدر من اليمن أصابه سبي في الجاهلية فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعتقه وخيره بين قومه والبقاء عنده فأقام على ولاء الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يفارقه أبدا حضرا ولا سفرا ، وشهد فتح مصر بعد ذلك ثم نزل حمص فأقام بها حتى مات، وقيل انه مات بمصر سنة ٥٤هـ انظر : ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٥ ص ٣١٤ ، ابن حجر : تقريب التهذيب جـ ١ ص ٥٢ .

(٤) الكنزان الأحمر والأبيض : الذهب والفضة .

(٥) الحديث سبق تخريجه عند ذكر جزء منه ص : ١٦٥

الآثار الاجتماعية :

انقلبت الديانة النصرانية بعد التحريف إلى رسوم وتقاليد يهيمن بها رجال الدين على العامة ، وأصبحت نظمها تعمل على الفرقة والانهيار فبلغ الانحلال الاجتماعي غايته في المجتمعات النصرانية ، وبخاصة الخاضعة لحكم الإمبراطورية الرومية ، (١) ومن هنا فإن دعوة الإسلام التي تهدف إلى تحرير الإنسان وتعزيز شأنه ورفع مكانته كانت بحق هي المنقذ لهم ، ولكن حجبها عنهم ملوكهم الذين لم يستجيبوا لها حفاظا على مصالحهم ، وظل كثير منهم ممن كان خارج الجزيرة العربية يعيش واقعه المرير حتى شاء الله أن ينقذهم منه بعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما نصارى الجزيرة العربية فقد أجهد الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه في تبيين الحق لمن احتك به منهم، ولما أصر بعضهم على النصرانية لم يهادنهم عليه الصلاة والسلام في ذلك وهم ضالون ، ولم يتزلف لهم ابتغاء مغنم، بل صحح ما طرأ على ديانتهم من تحريف وبين فساد معتقدهم، وشهد بكفرهم، ولم يعترف بما هم عليه من دين، وإن لم يكرههم على ترك دينهم والدخول في الإسلام لأن الله أمره بذلك في قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(٢) بل امتثل أمر الله وصالحهم على دفع الجزية والخضوع لحكم الإسلام ، ثم عاملهم عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه بما شرع الله من التسامح معهم في المعاملات الشخصية - لافي التصور الاعتقادي أو النظام الاجتماعي - من المشاركة الاجتماعية في الاختلاط بهم والتزاور معهم وصلة الرحم وغير ذلك مما سبق بيانه (٣) _ مما يهدف إلى دعوتهم وتأليفهم على الإسلام ، ولايمنع هذا من إظهار قوة الإسلام وعدم ضعفه أمام أعدائه ممن بقي على الكفر مما قد يؤدي إلى تأثرهم بالإسلام وخضوعهم لحكمه فقد روي أنه لما قدم وفد نصارى نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم ، ولبسوا حللا لهم يجرونها

---

(١) انظر للتوسع: الندوي : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٩- ٤٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥٦ .

(٣) انظر الفصل الثاني ص : ١٧٥ ومابعدها .

من حبرة(١) وخواتيم الذهب ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا فلم يكلمهم وعليهم الحلل والخواتيم الذهب، فانطلقوا إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموهم عن ذلك فقال على رضي الله عنه : أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يعودون إليه ففعل وفد نجران ذلك ووضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم السلام ..."(٢)

وقد روى ابن اسحاق أنه لما دخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، وعليهم ثياب الحبرات، جبب وأردية ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعوهم »، فصلوا إلى المشرق ". (٣)

ولا ينبغي للمسلم أن يذل نفسه ليعز الكافر، ذميا أو مستأمنا ، ففي الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: « لاتبدأوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » (٤).

فالابتداء بالسلام عليهم ، يعني إعزازهم ، وهذا لايجوز ، وإفساح الطريق لهم ، ولجوء المسلم إلى أضيقه هو موقف ذلة، ولاينبغي أن يفعله من يمثل الحق في هذه الدنيا. ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل المسلم بالكافر، قال بعض العلماء عن الحديث (٥) الوارد في ذلك ما نصه: " وفيه بيان واضح أن المسلم

---

(١) حبرة : جمعها حبرات ، وهي برود من برود اليمن

(٢) انظر: البيهقي: دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ابن كثير : السيرة النبوية ج ٤ ص ١٠٢ ، ١٠٣
قال ابن القيم في زاد المعاد ج ٣ ص ٦٣٨ عن فقه القصة : ومنها تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضا إذا كان ذلك عارضا ، ولايمكنون من اعتياد ذلك"

(٣) سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٥٧٤

(٤) الحديث سبق تخريجه ص : ١٧٦ هامش (٧)

(٥) أصل الحديث أخرجه البخاري في كتاب الديات باب لايقتل المسلم بالكافر ح (٦٩١٥) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٧٢ .

لايقتل بأحد من الكفار سواء أكان المقتول منهم ذميا أم مستأمنا أو غير ذلك وهذا مذهب الجمهور"(١) ، وكل هذا فضلا عن بغضهم وتحريم موالاتهم- كما بينا سابقا- وما يؤدي إليها قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢) فهذه الآية نزلت فيمن كان لهم ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)، ودلالتها قاطعة في عدم اتخاذ الأرقاء من غير المسلمين أو تقليدهم أمور المسلمين وأسرارهم ، لأنه لاتؤمن خيانة كثير منهم .

وروى في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : « أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ ، قالُوا : يَا رَسُولَ اللّٰه لِمَ ؟ قَالَ لَاتَتَرَايَا (٤) نَارَاهُما » (٥)، وفي حديث آخر : « مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ» (٦)

فالمخالطة المباحة تكون بدون سكن ومعاشرة وصداقة وغير ذلك مما يورث المودة والموالاة ، ويؤدي إلى ذوبان الشخصية المسلمة، ولقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم ذلك ، وسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن كثير من أمور أهل الكتاب

---

(١) انظر : عون المعبود ج ١٢ ص ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٢) سورة آل عمران : آية ١١٨

(٣) الطبري : جامع البيان ج ٣ ص ٦٣ - ٦٤

(٤) الترائي : التفاؤل من الرؤية ، تراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضا ، وتراءى لي الشيىء أي ظهر حتى رأيته ، والحديث يدل على أنه يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ابن الأثير : النهاية ج ٢ ص ١٧٧

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب من اعتصم بالسجود ح (٢٦٢٨) عون المعبود ج ٧ ص ٣٠٣، ٣٠٤ ، الترمذي في السير باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين ح (١٦٥٤) تحفة الأحوذي جـ ٥ ص ٢٩٩ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٥ ص ٢٥٣ رواه الطبراني ورجاله ثقات

(٦) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب الإقامة بأرض الشرك ح (٢٧٧٠) عون المعبود ج ٧ ص ٤٧٧ ، قال المنذري : " إسناده حسن " .

مما قد يؤثر عليهم في ذلك وقد بينا سابقا كثيرا منها : وحسبنا هنا حديث أبي ثعلبة الخشني الذي قال فيه : " أَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللّٰه إِنّا بأَرْضِ أَهْلِ الْكِتَاب ، فنَأْكُلُ في آنِيَتهِمْ وبأَرْضِ صَيْدٍ....... فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما ما ذكرت انك بأرض أهل كتاب فلا تأكلوا في آنيتهم إلا أن لا تجدوا بدا ، فإن لم تجدوا بدا فاغسلوها وكلوا فيها ...... »(١).

وورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال عن أثر استخدام المسلمين للنصارى : « إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ (٢) وَخَدَمَتهُمْ فَارِس وَالرُّوم تُسُلِّطَ بَعْضَهُم عَلَى بَعْض » (٣) .

ولم تثبت رواية أن الذي صنع منبر الرسول صلى الله عليه وسلم كان نصرانيا،(٤)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد ، باب آنية المجوسي والميتة ح (٥٤٩٦) فتح الباري ج ٩ ص ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، مسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب الصيد بالكلاب المعلمة صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٢) المطيطاء : هي مشية تبختر ومد اليدين .

(٣) أخرجه الترمذي في أبواب الفتنة ح (٢٣٦٣) وقال هذا حديث غريب ، تحفة الأحوذي جـ ٦ ص ٥٤٠ ؛ أبو نعيم : دلائل النبوة ص ١٩٦ ؛ الذهبي : السيرة النبوية ص ١٨٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد جـ ١٠ ص ٢٣٧ 'رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن ' واللفظ له .

(٤) انظر : ما ورد من اختلاف في اسمه وكونه نصرانيا أم غير ذلك ، ابن سعد : الطبقات جـ ١ ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ ؛ أبو داود ، كتاب الصلاة باب اتخاذ المنبر ح (١٠٦٧ ، ١٠٦٨) ؛ سنن الدارمي (بيروت : دار الفكر) ج١ ص ١٧ - ١٩ ؛ القلقشندي : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٢١ ، السمهودي : وفاء الوفاء جـ ٢ ص ٣٩٦ .

وقد استعرض ابن حجر في فتح الباري جـ ٢ ص ٣٩٨- ٣٩٩ ما ورد في ذلك ثم قال : 'وليس في الروايات التي سمى فيها النجار قوي السند إلا حديث ابن عمر عند أبي داود ..... ، وأشبه الأقوال بالصواب أن الذي عمله نجار كان بالمدينة اسمه ميمون لكون الإسناد من طريق سهل بن أصبغ ، ولا اعتداد بالأقوال الأخرى لوهائها ، ويبعد جدا أن يجمع بينها ؛ لأن النجار كانت له أسماء متعددة ، وأما احتمال كون الجميع اشتركوا في عمله ، فيمنع منه قوله في كثير من الروايات : ' ولم يكن بالمدينة إلا نجار واحد' .

والراجح أن النجار لم يكن نصرانيا لأن منبر الرسول صلى الله عليه وسلم يختلف تماما في شكله وتركيبه عن منابر الكنائس النصرانية والله أعلم.

والذي ثبت هو استفادته عليه الصلاة والسلام منهم في بعض الأمور الدنيوية التي تعود بالنفع على المسلمين ، ففي الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال : « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ(١) ، حَتَّى ذَكَرْتُ أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ فَلاَ يَضُرُّ أَوْلاَدَهُمْ » (٢)

والجدير بالذكر أن النصارى الذين خضعوا لحكمه صلى الله عليه وسلم قد التزموا بالواجبات المفروضة عليهم والتي تهدف إلى احترام المجتمع الإسلامي . ومما يدل عليه أنه لم يرد في كتب السير والتاريخ - حسب إطلاعى - ما يشير إلى محاولتهم إظهار دينهم فضلا عن الدعوة إليه ، ولا ما يشير إلى قيامهم بنشر الرذيلة و بث الفتنة .

والحق أن ذلك يرجع إلى قوة الاسلام وأهله من جانب ، وللتسامح والإحسان والعدل الذي عاشوا في كنفه من جانب آخر، فقد ترك لهم مع البقاء على دينهم - وما يستحلون في تعاملهم فيما بينهم ما عدا الربا كما بينا ذلك سابقاً ، بل ويبدو أن فكرة النصارى عن الإسلام في تلك الفترة لم تكن سيئة إلى الدرجة التي ظهرت فيما بعد وخاصة في زمن الحروب الصليبية والذي يهمنا هو أثر هذه العلاقات الاجتماعية في تحول كثير من نصارى شمال الجزيرة العربية إلى اعتناق الاسلام عن رضا واقتناع وقد ذكر ابن تيمية أن كثيرا من اليهود والنصارى آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما تبين لهم أنه رسول الله إليهم قبل قصة نصارى نجران (٤).

وإذا تأملنا الواقع وجدنا أن المقصودين في كلام ابن تيمية الذين أسلموا من نصارى الحبشة ومن نصارى عرب شمال الجزيرة العربية الذين ازداد دخولهم في

---

(١) الغيلة ، بكسر الغين وفتحها من الغيل وهو : أن يجامع الرجل زوجته وهي مرضع . ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث جـ ٣ ص ٤٠٢ .

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب النكاح ، صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٠ . ١٥ ، ١٦

(٣) انظر: التمهيد من هذه الرسالة ص : ٧٥ ـ ٨٠

(٤) انظر: ابن تيمية : الجواب الصحيح ج ١ ص ٧٨ وما بعدها .

..

في الإسلام بعد غزوة تبوك يقول أحد الباحثين : " وكان موقفهم - يعني نصارى شمال الجزيرة العربية - منسجما في الغالب مع موقف القبائل العربية وفدوا معهم إذ وفدوا ، وأسلموا إذ أسلموا ومن لم يسلم منهم وهم قليل جدا اعتقد لنفسه الذمة ودخل في صلح مع الرسول صلى الله عليه وسلم واستظل بـراية الإسـلام، وما كانـوا عقبة في طـريق انتشار الإسلام وامتداد فتوحاته" (١).

والواقع أن اعتناقهم للإسلام يختلف عن إسلام العرب الوثنيين وموقفهم بعد دخولهم في الإسلام يختلف عن موقف القبائل العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فالغالبية الكبرى من القبائل العربية التي أعلنت إسلامها قد فعلت ذلك حقنا للدماء وخوف السباء والقتل (٢)؛ لأنه لابديل لهم عن الإسلام إلا ذلك أما الذين أسلموا من النصارى فقد فعلوا ذلك رغبة في اختيار الهدى على الضلال ؛ لأنهم كانوا مخيرين بين ذلك وبين البقاء على دينهم ودفع الجزية والتي لم يرد ما يشير إلى وجود أي تأثير لها في عصر النبوة في الذين اعتنقوا الاسلام من النصارى.

ولهذا الظاهر أن ردة قبائل شمال الجزيرة العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تشمل الذين أسلموا من نصارى العرب ومما يدل على ذلك موقف عدي بن حاتم الطائي وكان من رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام - وقصته في ذلك مشهورة (٣) فلما ارتدت العرب ثبت على الإسلام، بل كان له تأثير قوي في ثبات قومه وقد ذكر ابن اسحاق ذلك بقوله : " كان من حديث عدي بن حاتم أنه

---

(١) محمد ضيف الله البطاينة " العلاقة بين نصارى العرب وحركة الفتح الاسلامي في الجزيرة العربية والشام والعراق" المؤرخ العربي العدد ٢٠ - ١٩٨١م ص ٧١ ، ٧٢ .

(٢) انظر للتوسع سعيد عبد الفتاح عاشور : دراسات في تاريخ الاسلام وحضارته " أضواء جديدة على حركة الردة في صدر الاسلام" ص ٤٩ - ١١٠ .

(٣) انظر : سيرة ابن هشام ق ٢ ج ٣ - ٤ ص ٥٧٨- ٥٨١ ، مسند الإمام أحمد ح (٤٠٢٩) تحفة الأحوذي جـ ٨ ص ٢٨٦- ٢٨٩ ، البيهقي : دلائل النبوة جـ ٥ ص ٣٣٨ وما بعدها ، الحاكم في المستدرك جـ ٤ ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

لما أسلم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اجتمعت عنده إبل عظيمة من صدقاتهم، فلما ارتد من ارتد من النّاس ويلغهم أنهم قد ارتجعوا صدقاتهم ، وارتدت بنو أسد- وهم جيرانهم- اجتمعت طيىء إلى عدي بن حاتم فقالوا : إن هذا الرجل قد مات ، وقد انتقض الناس بعده وقبض كل قوم ما كان فيهم من صدقاتهم ، فنحن أحق بأموالنا من شذان (١) الناس، فقال: ألم تعطوا من أنفسكم العهد والميثاق على الوفاء طائعين غير مكرهين ؟ قالوا : بلى ، ولكن قد حدث ما ترى وقد ترى ما صنع الناس ، فقال ، كلا ، والذي نفسي بيده لا أخيس (٢) بها أبدا ولو كنت جعلتها لرجل من الزنج لوفيت له بها، وأن أبيتم لأقالنكم يعني على ما في يديه وما في أيديهم - فليكونن أول قتيل يقتل على وفاء ذمته عدي بن حاتم أو يسلمها ، فلا تطمعوا أن يسب حاتما في قبره عدي ابنه من بعده ، فلا يدعونكم غدر غادر الى أن تغدروا، فإن للشيطان قادة عند موت كل نبي يستخف لها أهل الجهل حتى يحملهم على قلائص الفتنة صعابا مركبا ، فإنما هي عجاجة لاثبات لها ، ولا ثبات فيها، وأن لرسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة من بعده، وأن لدين الله أقواما سينهضون ويقومون به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قاموا بعهده ، وذو بيته في السماء لئن فعلت ليقارعنكم عن أموالكم ونسائكم بعد قتل عدي وغدركم فأي قوم أنتم عند ذلك، فلما رأوا منه الجد كفوا عنه وسلموا له ". (٣)

وقد أشرنا إلى خبر إسلام الجارود بن عمرو العبدي زعيم قبيلة عبد القيس وكان نصرانيا، (٤) فلما ارتدت العرب بعد وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم ثبت الجارود على الإسلام، وكان له أثر في ثبات قومه فقد قام فيهم فقال :يا قوم ألستم

---

(١) شذان الناس : ما تفرق منهم انظر ابن منظور : لسان العرب مادة شذر

(٢) أخيس : أي لاأغدر ولا أخلف انظر: ابن منظور المصدر نفسه مادة خيس

(٣) ابن حبيش : الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة والحافلة الكائنة في أيام الخلفاء الأئمة الثلاثة أبي بكر الصديق ، وأبي حفص الفاروق ، وأبي عمرو ذو النورين ، تحقيق طلال بن سعود الدعجاني (رسالة ماجستير : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١ م) ص ٢٧ ، ٢٨

(٤) انظر الفصل الثالث ص : ٢٩٨

تعلمون ما كنت عليه من النصرانية وأني لم آتكم قط إلا بخير ، وأن الله تعالى بعث نبيه فنعى له نفسه وأنفسكم ، فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّٰكِرِينَ ﴾(٢) وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأتحملها عمن أبى . فلم يرتد من عبد القيس أحد.(٣)

وعلى هذا فإن ما رود في بعض المصادر من عبارة وارتدت العرب قاطبة لايعني عدم ثبات أحد على الإسلام ، ولو حملنا وقوع ذلك في القبائل المرتدة فإن من المحتمل أن تكره الغالبية القلة على ذلك، فالنصارى العرب في شمال الجزيرة العربية ، رغم ما أشرنا إليه من كثرة من دخل منهم في الإسلام إلا أنهم لايمثلون الا قلة بالنسبة للعرب الوثنيين في تلك الجهات يقول أحد الباحثين : " ويجب أن لايفهم من عبارات المصادر العربية حول تنصر بعض القبائل العربية ، أن التنصر كان فيها شاملا، إذ تفيد هذه المصادر نفسها أن المتنصرين لم يكونوا جل أفراد هذه القبائل .." (٤) .

أما نصارى نجران فمنعت رؤساءهم وعلماءهم الرياسة والمأكلة من اختيار الهدي وآثروا دين قومهم، ولم يسلم من أتباعهم إلا القليل وظل الغالبية على الجهل بمنزلة الدواب السائمة معرضون عن طلب الهدى فضلا عن تبيينه لهم، وهم مقلدون لرؤسائهم وكبرائهم وعلمائهم وليس بمستنكر أن تمنع المناصب والمآكل للرؤساء من اتباع الحق ، ويمنع الاتباع تقليدهم بل هذا هو الواقع والعقل لا يستشكله (٥)

---

(١) سورة الزمر : آية ٣٠

(٢) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٣) ابن حبيش : المصدر السابق ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٤) صالح درادكة : "مقدمات في فتح بلاد الشام" المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام مجلد ٢ ، عمان ١٩٨٧) ص ١٠٨

(٥) انظر ابن القيم : هداية الحيارى ص ٥٢ ، ٦٢ .

ونخلص من هذا إلى أن قيام النصارى بدعوة الناس إلى ديانتهم المحرفة الباطلة ، ومحاولتهم التأثير بها على الإسلام وأهله ، مع قيام الامة الإسلامية بما أوجب الله عليها من نشر دينه الذي ارتضاه لنفسه هو من قبيل الصراع بين الحق والباطل ، وقد يتحقق للنصارى به بعض اهدافهم عندما تكون القوة لهم ، مع ضعف المسلمين ولكن الغلبة في النهاية للإسلام وأهله وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون .

الخَاتِمَة

الحمد لله على توفيقه وتيسيره على اتمام هذا البحث الذي قمت فيه بدراسة علمية لموضوع العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي أختمه بذكر أهم النتائج التي انتهيت إليها وهي ::

— : إن القول الحق في حقيقة عيسى عليه السلام ودعوته ، ومالنتهى إليه لايمكن الوقوف عليه إلا بالقرآن الكريم الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . لأن التحريف الذي أصاب الديانة النصرانية شمل أصولها وفروعها وقد برهنت الدراسة على أنها أصبحت بعد التحريف خليطاً من الفلسفة اليونانية ، والعقائد الوثنية القديمة ، وبالتالى لايمكن تصورها لجمعها بين المتناقضات ، وقد أبرز البحث أن بولس اليهودي هو أول من بدأ التحريف لما جاء به عيسى عليه السلام ، ثم أعقبته المجامع الدينية التي ترأسها أباطرة الروم ، ورضي عنها الرهبان بدافع من الرغبة. في الحظوة لديهم ، فأستغل ذلك الأباطرة فاتخذوا منهم ذريعة لما يريدون تقريره في الديانة النصرانية مما يحقق مصالحهم السياسية .

— بينت الدراسة أن المذهب الأريوسي من مذاهب النصرانية الذي كان يعترف بعبودية المسيح لله عز وجل ، ويؤمن بنبوته ، ولايقول شيئا مما تقول المذاهب الأخرى في ربوبيته قد شوهت حقيقته على أيدي خصومه ، نظراً لان كتب الأريوسيين قد أحرقت ، ولم يبق شيء مما كتبوه عن مذهبهم .

—: من الحقائق التي أثبتتها الدراسة أن الديانة النصرانية لم تقم لها دولة من ذاتها تحفظها من التحريف والتبديل ، وظلت النصرانية ديانة مضطهدة داخل حدود إمبراطورية الروم أكثر من ثلاثة قرون فتأثرت بسبب ضعفها بعقائد الروم وفلسفاتهم ، إذ عمد أباطرة الروم بعد الاعتراف بها على تطويعها بما يخدم وحدة امبراطوريتهم ، وبما يوافق اهواءهم ويبقي لهم امتيازاتهم ، وتتضح هذه الحقيقة بالمقارنة مع ما هيأه الله عز وجل لدين الإسلام الذي بعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، وتكفل بحفظ دستوره القرآن الكريم من التحريف والتبديل ، من الوسائل التى

تساهم في حفظه من التحريف والتبديل ، ومن ذلك :

(أ) قيام دولة له من ذاته زمن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تخضع لدولة أخرى ، وأُصبحت مستقلة عن هيمنة القوى الأخرى ، وعملت على حفظه ونشره وتحقيق العزة لأُتباعه .

(ب) عدم تسرب النصرانية إلى وسط الجزيرة العربية مهد الإسلام رغم محاولة النصارى ذلك ، وبالتالي بقاء أمة العرب القاطنة بها على الفطرة السليمة التي لم تتأثر بالفلسفات الإغريقية والرومانية ، فاختارها الله عز وجل وهي أمة أمية على الفطرة السليمة لا تعرف الفلسفة والجدل ليبعث منها رسوله محمد صلى الله عليه وسلم للعالمين الأمر الذي سهل فهمها للمعنى العميق للتوحيد الخالص ودخولها في الإسلام، وحفظها وحملها لرسالته الخالدة ، وقد أدرك الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الميزة لعرب الجزيرة وأن أرضهم هي المكان الذي يمكن أن يبقى منطلقاً لدعوة الإسلام صافية من أي شائبة ، ولذا أمر بإخراج اليهود والنصارى والمشركين منها

- أوضحت الدراسة أن ماورد في الرواية المزعومة من خبر اللقاء بين الرسول صلى الله عليه وسلم والراهب بحيرى قبل البعثة لايمكن قبوله لانه لم يعد أحد من علماء أهل الكتاب قبيل البعثة مظهراً لما بعث الله به أنبيائهم . ولأنَّ ماجاء في القرآن الكريم ينفي ذكرهم للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة مايتعلق بنبوته مما أوردته الرواية نفياً قاطعاً. هذا إلى جانب النكارات والغرائب التي علَّ بها متن الرواية والتي تدلل على بطلانها .

- كشفت الدراسة عن حقيقة هامة في سبب اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم أرض الحبشة ليهاجر إليها بعض أتباعه فى العهد المكي وهي وجود بعض اتباع المذهب الأريوسي ـ الذين هم أقل فرق النصارى ضلالاً وأُقربها إلى الحق ـ بها ومنهم ملكها النجاشي أصحمة إضافة إلى بُعد الحبشة عن ميادين الصراع الرومي الفارسي الذي كان محتداً حينذاك .

- بينت الدراسة أن نصارى الروم لم يهتموا بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوته في العهد المكي لانشغالهم بحرب الفرس ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يباشر دعوته في مناطق تمركزهم في العهد المكي؛ لانشغاله بدعوة قومه من قريش والعرب ، وبالتالي لم يتحدد موقفهم الا في العهد المدني حيث بلغت ملوكهم دعوة الإسلام عن طريق مكاتباته عليه الصلاة والسلام إليهم ، فلم يستجيبوا لها ، وصدوا الناس عن سماعها ، ثم أعلنوا الحرب السافرة على الإسلام وأهله .
- برهنت الدراسة على أنه لاعلاقة بين موقف نصارى الروم من دعوة الإسلام في العهد المكي وبين فرح المسلمين الذي ورد ذكره في أوائل سورة الروم ، فالصراع بين الفرس والروم هو من قبيل صراع أهل الباطل بعضهم مع بعض ، وفرح المسلمين هو بتحقق وعد الله وصدق نبيه فيما أخبر به من أمره ، وتوافقه أيضاً مع انتصارهم على المشركين في بدر والحديبية .
- ومن الحقائق التي انتهت إليها في دراسة أثر الحرب الفارسية الرومية على المسلمين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أن نصارى الروم توهموا أن سر انتصارهم الأخير على الفرس في تلك الحرب هو بسبب ارتباط هدفهم من حرب الفرس بنصرة المدينة المقدسة المسلوبة (القدس) وإعادة الصليب إليها بتحول الحرب إلى حرب مقدسة لنصرة الصليب المسلوب ، وقد ترسخ هذا الوهم في نفوسهم كعقيدة مسلمة بها في حروبهم مع المسلمين فيما بعد ومن هنا بدأت فكرة الحروب الصليبية .
- أوضحت الدراسة أن الشكوك والمزاعم التي يرددها بعض المستشرقين لإنكار خبر مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء هي محض افتراء لادليل عليه ، فخبر المكاتبات ثابت الصحة في أمهات كتب الحديث الصحيحة ، وكتب السيرة ، و بعض المصادر الرومية ، إلى جانب العثور مؤخراً على رقوق بعض نصوص تلك المكاتبات ، ومازعموا من أن بعض تفاصيلها يتناقض مع أصل الخبر فقد بينت الدراسة بالأدلة

الواضحة الصريحة أن ذلك مجرد وهم وقصور فهم .

- من الحقائق التي أثبتتها الدراسة أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم أصعب وقت من الناحيتين الجغرافية والمادية لمواجهة الروم في عقر دارهم هو درس عملي لأمته لتدرك أن جهادها ضد النصارى سيكون طويلا وشاقاً ، وأن عليها أن تتغلب على كل المصاعب ، وتتحمل كل المشاق ، وتستنفر كافة قواها المادية والمعنوية في جهادها للنصارى على مر العصور وبهذا يتحقق لها النصر والتمكين عليهم بمثل ذلك النصر الذي توضحه نتيجة غزوة تبوك والذي يتمثل في إسقاط هيبة الروم ، وإلقاء الرعب في قلوبهم من جانب ورفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم من العرب المتنصرة من جانب آخر ، وصرف أنظار النصارى وغيرهم عن التفكير في محاولة غزو المسلمين في عقر دارهم ، كما حققت هدفها السامي في إزالة الفتنة عمن يريد الدخول في الإسلام من الخاضعين لحكم الروم ، مع اتاحة الفرصة لهم للتعرف على مبادىء الإسلام وأهدافه وتشريعاته ، مما كان له الأثر الواضح في اعتناق الكثير منهم للإسلام عن رغبة واقتناع من جانب ، وضرب الصغار على من أبى الدخول في الإسلام من حلفاء الروم بالخضوع لحكم الإسلام من جانب آخر . وهكذا ظهر دين الله ونالت الأمة الإسلامية خيريتها وشهادتها على سائر الامم .

- وقد أثبت البحث حقيقة مهمة وهي أن اصطدام المسلمين بالروم بعد هذه الحرب ـ أي الحرب التي وقعت بين الفرس والروم وسبق بيانها ـ مباشرة في مؤتة وتبوك جاء في ذروة انتصار الروم وقوتهم المادية وكثرتهم العددية، مع الروح المعنوية المرتفعة، والخبرات الميدانية العالية ومع ذلك حقق المسلمون النصر على دولة الروم وهي في ذروة قوتها ومجدها .

- بينت الدراسة أن الأساس الذي بدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم واستمر عليه في علاقته مع الناس بعد البعثة ووجب على أتباعه العمل به هو الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإتاحة الفرصة للناس

للتعرف على محاسنه وأسسه التى ترغبهم فيه وذلك بقتال من اعترض طريقه وقد بينت الدراسة أن تحقق هذا الهدف الذي تقوم عليه علاقة المسلمين بغيرهم يقترن بقيام الدولة الإسلامية والتزامها بما شرع الله تعالى في تعاملها مع غيرها .

- أوضحت الدراسة أن إنكار عالمية الرسالة المحمدية هو دعوى قديمة قالت بها بعض طوائف النصارى منذ القرون الأولى لتأريخ الإسلام . ولذا فإن إنكار بعض المستشرقين لمكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك وأمراء العالم بهدف إنكار عالمية الرسالة المحمدية ماهو إلا ترديدلإدعاءات أسلافهم ، ومحاولة خبيثة لتقوية تفسيرهم الباطل لحركة الفتوحات الإسلامية بالدوافع الاقتصادية ، ونفي مايعارضه ، وقد بينت الدراسة الحقيقة الثابتة في أن الذي دفع الخلفاء والقادة للقيام بالفتوحات الإسلامية هو الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله وإعلاء كلمته ونشر دينه، ويقينهم العميق بأن الله سيحقق وعده باظهار دينه على سائر الأديان والرغبة في هداية الناس وتحريرهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام .

- برهنت الدراسة على أن هرقل ملك الروم لم يسلم وظل على النصرانية المحرفة ، رغم أنه عرف أن الإسلام هو الدين الحق وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الذي بشرت به الكتب السماوية السابقة ، وقد عرض الإسلام على عظماء الروم وهو يدرك أنه من المستبعد إقناعهم بتغيير عقيدتهم بين عشية وضحاها ، لأنه فشل على مدى سنوات طويلة في محاولته التوفيق بين المذاهب النصرانية المتناحرة؛ولهذا لما أبوا ذلك خاف منهم على نفسه فوافقهم على موقفهم ، ولأنه نظر معهم إلى الإسلام من خلال مصالحهم الدنيوية ، فقد توهم هرقل أن قبوله للإسلام يعني — من وجهة نظره — التخلى عن المكانة التي حققها كأعظم امبراطور بعد انتصاره على امبراطور الفرس انذاك . هكذا زين له سوء عمله فرآه حسنا

فآثر الحكم والحياة الدنيا على الحق فأعرض عن قبول الإسلام وأعلن العداء له .

- تبين من البحث أن النجاشى أصحمة ملك الحبشة الذي هاجر إليه بعض أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي أسلم وكتم اسلامه مخافة أهل بلده، وأن النجاشي الذي كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام لم يسلم، ومن أجل ذلك تاخر انتشار الإسلام في الحبشة إلى مابعد زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
- من النتائج التي اثبتتها الدراسة عدم استجابة ملوك االنصارى الذين كتب إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الإسلام ، ووقوفهم عوائق أمام انتشار الإسلام بين شعوبهم مما أوجب قتالهم .
- برهنت الدراسة على أن الجزية لم تكن سببا رئسيا في صرف النصارى عن دينهم أواكراههم على الدخول في الإسلام ، ومن أهم مايوضح ذلك أن مقدار الجزية مبلغ ضئيل في مقابل الزكاة الشرعية التي يجب على من يعتنق الإسلام أن يدفعها عن نفسه وماله في كل عام .
- بينت الدراسة أن ترك أهل الذمة على دينهم ليس تقريراً لصحة دينهم وإنما هو يسر الإسلام وسماحته ، واتاحته الفرصة لهم رجاء أن يعرفو الحق فيثوبوا إليه بأن يؤمنوا ويصدقوا إذا رأوا محاسن الإسلام وقوة حججه .
- من النتائج التي توصل إليها البحث أن منع الرسول صلى الله عليه وسلم نصارى نجران من التعامل بالربا كان بسبب وقوف الربا حائلا أمام تحقيق الهدف من عقد الذمة الذي هو إتاحة الفرصة لغير المسلمين للتعرف على حقيقة الإسلام والدخول فيه .
- أوضحت الدراسة أن معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم للنصارى أدت إلى إزالة مايقف في سبيل دعوة الإسلام من معوقات تمنع وصولها إلى الناس ؛ وأنها حققت اهدافها في تقوية نفوذ المسلمين والمحافظة على

هيبتهم وتأمين طرق الخارجين منهم لنشر الإسلام ، مع إتاحتها الفرصة للنصارى المعاهدين للتعرف على حقيقة الإسلام بعد إزالة هيبة الكفر عنهم وتأمينهم على حياتهم وأموالهم .

- برهنت الدراسة على أن قيام نظام كهنوتي في النصرانية مكون من رجال الدين بمختلف رواتبهم أدى إلى حصولهم على امتيازات ومصالح كثيرة ، فلما جاء الإسلام نظروا إليه من خلال منظور مصالحهم وامتيازاتهم ، فرأوا فيه تهديداً لتلك المصالح والامتيازات فحال بينهم وبين اعتناق الإسلام ، بل جعلهم ذلك يبذلون كل ما في وسعهم ليحولوا بين عامة النصارى وبين اعتناق الإسلام .
- من النتائج التي توصل إليها البحث أن النصرانية بعد التحريف أورثت أتباعها تعصباً لها وعداء لمن خالفها وقد كان هذا سببا رئيساً في عدائهم للإسلام لما أظهر بطلان ديانتهم .
- أوضحت الدراسة أن أكل الخنزير له أثر على عدم اتباع النصارى للدين للحق ، وعلى عدائهم للإسلام .
- بينت الدراسة أن أبا عامر الراهب الذي اعتنق النصرانية قبل البعثة حاول هدم كيان دولة الإسلام التي أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتآمر مع بعض المنافقين عندما بنوا مسجد الضرار لهذا الغرض .
- أدت العلاقات الحربية مع النصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى إظهار دين الإسلام ، وإسلام أقربهم مودة للمؤمنين .
- برهنت الدراسة على أن حركة الفتوح التي انطلقت زمن الخلفاء الراشدين لم تكن عفوية ومرتجلة كما زعم بعض المستشرقين ، وانما كانت حركة منظمة حيث بنى الخلفاء الراشدون على الأساس الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم حين شرع في غزو بلاد الروم ن فلم تكن فتوح الشام بعد ذلك سوى مواصلة لهدف النبي صلى الله عليه وسلم .
- برهنت الدراسة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أحرز نصراً معنوياً

على الروم بغزوة مؤتة ، ومراسلة هرقل ، وسراياه نحو الشمال ، ثم بغزوة تبوك ، الأمر الذي مهد الأرض الخصبة لجيوش المسلمين لتحقيق الانتصارات الحاسمة زمن الخلفاء الراشدين .

— تبين الدراسة أن أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في الوقت الذي أشتد به مرضه الذي مات فيه انفاذ جيش أسامة بن زيد الذي كان قد جهزه صلى الله عليه وسلم إلى الشام لغزو الروم يدل على أن الأمة المسلمة لن تموت بموت نبيها صلى الله عليه وسلم، وأن عليها أن تعلم أن قوتها وعزها وحياتها يتمثل في قيامها بالدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله

— تبين من دراسة الأثار المترتبة على العلاقات بين المسلمين والنصارى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم أن الروم هم العدو الأبدي اللدود للإسلام وأهله وأن غريزة الكره والعداء وشهوة الانتقام وحب السيطرة على المسلمين ومحاولة صدهم عن دينهم وتحريفه هي عقيدة راسخة في صدورهم، وان الجهاد في سبيل الله هو القاعدة العامة لفتح بلادهم واخضاعهم لحكم الإسلام صلحًا أوعنوة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الملاحق

ملحق (١)

نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة (١) .

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك فإني أحمد اليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطاهرة الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله ، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين فاذا جاءك فأقرهم ودع التجبر ، فاني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى » .

وكتب النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم « بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر . سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لااله الا هو ، الذي هداني إلى الاسلام أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأرض ان عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقا ، انه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا ، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين ، وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبحر فاني لاأملك إلا نفسي وان شئت ان آتيك فعلت يارسول الله فاني اشهد أن ما تقول حق والسلام عليك يا رسول الله » .

قال ابن اسحاق : وذكر لي ان النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة فاذا كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم ، فهلكوا.

---

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ١٣١، ١٣٢ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ ص ٣٠٩ -٣١٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج ٢ ص ٢٦٤، ٢٦٥ ولم يذكر " وقد بعثت اليك ابن عمي جعفر .. إلى ودع التجبر " وكذا ابن القيم : زاد المعاد ج ٣ ص ٦٨٨ ، ٦٨٩ ؛ ابن كثير : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٢، ٤٣ .

ملحق (٢)

نص عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران _ مطولاً _ كما ورد في أقدم مصدر(١) ومقارناً بما ورد في بعض المصادر الأولية الأخرى (٢)

« بسم الله الرحمن الرحيم [هذا كتاب](٣) من محمد [النبي](٤) لأهل نجران [إذ كان له عليهم حكمه](٥)[في كل ثمرة وصفراء أو بيضاء أو رقيق](٥)

---

(١) أبو يوسف : الخراج ص ١٥٨ _ ١٦٠

(٢) أبو عبيد : الأموال ص ٢٠١ _ ٢٠٣ ؛ ابن سعد : الطبقات ج ١ ص ٢٨٧ _ ٢٨٨ ؛ ابن زنجويه : الأموال ج ٢ ص ٤٤٩ _ ٤٢٥ ؛ البلاذري : فتوح البلدان (مكتبة النهضة المصرية) البيهقي : دلائل النبوة ج ٥ ص ٣٨٩ .

(٣) هذا ما كتب " هكذا عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه ؛ البلاذري ؛ البيهقي

(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم " هكذا عند أبي عبيد؛ ابن سعد؛ ابن زنجويه البلاذري البيهقي .

(٥) " إذا كان له حكمه عليه ". هكذا عند ابن سعد .

" إنه كان له عليهم حكم " هكذا عند ابن زنجويه .

" إذا كان عليه حكم " هكذا عند البيهقي .

والمعنى : أن له أن يحكم عليهم بأخذ ما أذن الله له به من أموالهم .

نقل هذا المعنى وما سيأتي من شرح الحديث من كتاب عبد العزيز الرحبي البغدادي : المسمى بالرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج تحقيق أحمد عبيد الكبيسي (بغداد: مطبعة الارشاد ١٩٧٣ م) ج ١ ص ٤٧٦ - ٤٨٢ .

(٦) " إن في كل سوداء بيضاء حمراء صفراء ثمرة رقيق" هكذا عند أبي عبيد ؛ ابن سعد ؛ ابن زنجويه بدون حمراء وكذا البيهقي .

الثمرة :ما ينتجه الشجر وأنواع المال .

صفراء للذهب ؛ بيضاء: للفضة .

رقيق : للعبد المملوك واحدا كان أو جمعا .

[فأفضل عليهم](١) [وترك ذلك كله لهم على] (٢) أَلفي حُلَّة (٣) [من حلل الأواقي] (٤)، وفي كل رجب ألف حلة [وفي كل صفر ألف حلة] (٥) [كل حلة أوقية](٦) [فما زادت حلل الخراج أو نقصت عن الأواقي فبالحساب] (٦)

---

(١) وأفضل عليهم " هكذا عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه ؛ البيهقي ، والمعنى: بين لهم أولا ما أوجب الله في أموال عباده من الزكاة لعلهم يرغبون في الإسلام .

(٢) "ترك ذلك كله لهم على " حذفت كله عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه ؛ البلاذري وحذفت" لهم "عند البلاذري ؛ البيهقي ؛ وحذفت" على" عند أبي عبيد؛ البلاذري

والمعنى لاتأخذ منهم زكاة بما فيها من معنى العبادة ، وليسوا من أهلها ؛ لأن شرطها الإسلام على أن تأخذ منهم خراجاً معيناً " المذكور في النص " يؤدوه كل سنة بما فيه من معنى الإهانة إذ هي الأليق بهم .

(٣) الحلة : واحدة الحلل وهي برود اليمن ، ولا تسمى حلة إلا أن تكون ثوبين من جنس واحد ولاتكون حلة إلا وهي جديدة تحل من طيها فتلبس .

(٤) من حلل الأواقي حذفت عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه .

الأواقي :جميع أوقية قيمتها أربعون درهما وقيل تختلف باختلاف اصطلاح البلاد

وإنما أضاف الحلل إلى الأواقي لأن قيمة كل منها كان أوقية من الفضة ، وكانت الحلل يومئذ ثلاثة أنواع حلل دق : للدقيق من الثياب ؛ وحلل جل : للغليظ منها ؛ وحلل أواقي : للوسط ، ولفظ الحلل مضاف في الأنواع الثلاثة

(٥) حذفت عند أبي عبيد .

(٦) " ومع كل حلة أوقية من فضة " هكذا عند البيهقي . والمعنى على هذا يختلف عن معنى ما ورد بالمتن من أن كل حلة أوقية أى قيمة كل حلة أوقية وهي أربعون درهما .

(٦) " ما زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب " هكذا عن أبي عبيد ؛ ابن زنجويه . والمعنى فما زادت حلل الخراج أي قيمتها فإن أدوا ما تساوي الواحدة منها خمسة وأربعون درهما مثلا أو نقصت عن قيمة حلل الأواقي بأن أدوا ما تساوي الواحدة منها خمسة وثلاثين درهما فبالحساب أي فتحسب لهم الزيادة أو يؤخذ منهم النقصان .

[فما قضوا] (١) [من دروع أو خيل أو ركاب] (٢) [أو عرض] (٣) أخذ منهم [فبالحساب] (٤) ، [وعلى نجران مؤونة رسلي عشرين يوما فما دون ذلك](٥) [ولا تحبس رسلي فوق شهر] (٦)، [وعليهم عارية ثلاثون درعا، وثلاثون فرسا، وثلاثون بعيرا] (٧) [إذا كان كيد باليمن ومعَّره] (٨)،

---

(١) " وما قضوا " هكذا عند أبي عبيد ؛ البلاذري ؛ البيهقي .
" وما قبضوا " هكذا عند ابن سعد . والمعنى أي ما أدوا إلى العامل .

(٢) تقديم وتأخير في اللفظ عن أبي عبيد . والركاب : الإبل التي تركب .
" أو درع " هكذا عند البلاذري ؛ البيهقي .

(٣) حذفت عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه .
" أو عروض " هكذا عند البيهقي أو عَرْض لما سوى النقدين من المتاع أخذ منهم لحاجة دعت إليه .

(٤) "بحساب " هكذا عند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه .
" بالحساب " هكذا عند البلاذري ؛ البيهقي .

(٥) وعلى أهل نجران مقرى رسلي ليلة فما دونها" هكذا عند أبي عبيد؛ ابن زنجويه وعنده بدل " مقري " مثوى ؛ وعند ابن سعد ".. مثواة رسلي عشرين يوما فما دون ذلك وعند البيهقي " وعلى نجران مؤنة رسلي ومنعتهم ما بين يوما فدونه "

(٦) حذفت عند أبي عبيد ، ابن زنجويه . والمعنى : لاتحبس رسلي أى لايؤخرون عندهم عن مسيرهم إلى مقاصدهم فوق شهر .

(٧) تقديم وتأخير في اللفظ عند أبي عبيد ، ابن زنجويه.
العارية : منسوبة إلى العار وهو اسم من الإعارة تقول أعرته الشيء أعيره إعارة وعاره، ويقال استعرت منه عارية فأعارنيها. ابن منظور لسان العرب مادة أعار
وعليهم العارية بالمذكورة لعساكر المسلمين .

(٨) " إذا كان كيد في اليمن ذو مغدرة " هكذا عند أبي عبيد والبلاذري .
" إذا كان كيد باليمن دون معذرة " هكذا عند ابن زنجويه
" إذا كان باليمن كيد " هكذا عند ابن سعد
" إذا كان كيد ومعرة " هكذا عند البيهقي
ومعنى كيد حرب ، ابن الأثير : النهاية جـ ٤ ص ٢١٦، والمعرة : الأذى والفساد : ابن الأثير ، المصدر نفسه جـ ٤ ص ٣٤٢ ، وما هلك : أي ما تلف .

وما هلك [مما يعار] (١) رسلي [من درع أو خيل أو ركاب] (٢) [فهو ضُمِنٌ] (٣) على رسلي حتى يؤدوه إليهم . [ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد] (٤) [وعلى أموالهم وأنفسهم وأرضيهم وثلَّتهم، وغائبهم وشاهدهم ، وعبادتهم وبيعهم وملتهم] (٥) ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ،

---

(١) " مما أعاروا " هكذا عند أبي عبيد ، ابن سعد ، ابن زنجويه ، البلاذري ، البيهقي

(٢) حذفت عند أبي عبيد ، ابن زنجويه ، وحذفت درع " فقط عند البلاذري ، وأثبتت عند ابن سعد والبيهقي بلفظ " دروع " .

(٣) " فهو ضامن " هكذا عند أبي عبيد ، ابن زنجويه.

" فهو ضمن حتى يردوه إليهم " هكذا عند البلاذري

" فهو ضمان " هكذا عند البيهقي وضمن الشيء بمعنى تضمَّنه ضمان غرامة ابن الأثير المصدر السابق جـ ٣ ص ١٠٢.

والمعنى أنه مضمون واجب أداؤه لاتبرأ ذمة رسلي منه حتى يؤدوه إليه

(٤) " ولنجران حاشيتها ذمة الله وذمة رسوله " هكذا عند أبي عبيد وابن زنجويه، ولنجران حاشيتها جوار الله و ذمة محمد النبي رسول الله هكذا عند البلاذري ، البيهقي مع حذف رسول الله ، والمعنى ولأهل نجران وأتباعهم أمان الله وعهد وأمان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حاشية كل شيء جانبه وطرفه ، ابن الأثير المصدر السابق جـ ١ ص ٣٩٢

(٥) على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم وشاهدهم غائبهم " هكذا عند أبي عبيد وابن زنجويه ، ابن سعد بزيادة " أرضهم وصلواتهم " ، البلاذري بزيادة " وبعثهم وأمثلتهم" ، البيهقي بزيادة " وعشيرتهم " وحذف ثلَّتهم" .

والثلة : بالضم الجماعة من الناس ابن الأثير المصدر السابق جـ ١ ص ٢٢٠

شاهدهم الحاضر منهم .

بيعهم : جمع بيعة بالكسر لمعبد النصارى .

ملتهم : دينهم .

لايغير أسقف من سقيفهاه ، ولا راهب من رهبانيته] (١) [ولا واقه من وقيهاه)](٢) ، [وليس عليهم رُبِّيَّة ولادم جاهلية](٣) ، [ولا يحشرون ولا

(١) " وعلى أن يغيروا " هكذا عند أبي عبيد .
" ولا يغيروا " هكذا عند ابن سعد .
" لايغير ماكانوا عليه ولايغير حق من حقوقهم وأمثلتهم ولا يفتن أسقف من أسقفيته " هكذا عند البلاذري .
" وألا يغيروا مما كانوا عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولاملتهم ولا يغيروا أسقف عن أسقفيته " هكذا عند البيهقي .
يغير : أي يحول ويبدل انظر ابن منظور لسان العرب مادة غير .
أسقف : اسم سرياني للرئيس من علماء النصارى فوق القسيس ودون المطران .
والمعنى لايمنع أسقف من تسقفه وما يعانيه من أمر دينه ، ولا يمنع راهب من رهبانيته التي هي التخلي عن أُشغال الدنيا وترك ملاذها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها كلبس المسوح وترك اللحم ووضع السلسلة في العنق والاختصاء وغير ذلك .
(٢) واقها من وقيهاه " هكذا عند أبي عبيد والبيهقي .
ولا واقفا من وقيفانيته هكذا عند ابن سعد .
ولا واقفا من وقيفاه هكذا عند ابن زنجويه .
ولا واقه من وقاهيته هكذا عند البلاذري .
والوافه قيم الكنيسة ، والواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها، والواقه ، قيم البيعة أو البيت الذي فيه صليب النصارى بلغة أهل الجزية . انظر : ابن الأثير النهاية جـ ٢ ص ٢١٦ ، ٢١٧ ، النويري ، نهاية الأرب جـ ١٨ ص ١٣٦ .
(٣) حذفت عند أبي عبيد ، ابن زنجويه .
" ليس ربا ولا دم جاهلية " هكذا عند ابن سعد .
" وليس عليهم رهق ولا دم جاهلية " هكذا عند البلاذري .
" وليس عليهم دنية ولا دم جاهلية " هكذا عند البيهقي .
ربية : قيل إنما هي ربية من الربا ، والربية : مخففة لغة من الربا ، والقياس ربوة والمسموع من العرب ربية والذي جاء في الحديث رُبِّيَّة بالتشديد .
والمعنى أنه أسقط عنهم كل ربا كان عليهم بسبب ما استسلفوه في الجاهلية إلا رؤوس الأموال فإنهم يردونها ، وكذلك يسقط عنهم كل جناية جنوها في الجاهلية ، انظر ابن الأثير المصدر السابق جـ ٢ ص ١٩٢.

يعشرون، ولا يطأ أرضهم جيش] (١)، من سأل منهم حقا [فبينهم النصف] (٢) [غير ظالمين ولا مظلومين بنجران] (٣) [ومن أكل ربا من ذي] (٤) قبل فذمتي منه بريئة، [ولايؤخذ رجل بظلم آخر](٥) [وعلى ما في هذا الكتاب جوار الله ذمة محمد أبدا ، وحتى يأتي الله بأمره ، فانصحـوا وأصلحـوا ما

---

(١) " وعلى ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يطأ ..." هكذا عند أبي عبيد ، ابن زنجويه ، وحذفت عند ابن سعد .

والحشر هو الجلاء والجمع والسوق ، ومعنى لايحشرون في هذا المقام : أي لا يندبون إلى المغازي ولا تضرب عليهم البعوث ، ويحتمل معنى أن لا يحشروا إلى عامل الخراج ليأخذ الجزية منهم بل يأخذها من أماكنهم.

ولا يعشرون : العشور جمع عشر والمعنى أن لا يؤخذ من أموالهم التي للقنية ، ومواشيهم التي للدر والنسل شيء إذا مروا بها على العاشر وإذا كانت للتجارة أخذ منها نصف العشر كما يؤخذ من سائر أهل الذمة.

انظر : ابن منظور : لسان العرب جـ ٤ ص ١٩٠ ، ١٩٣، ٥٧٠ وما بعدها،

(٢) " فالنصف بينهم بنجران " هكذا عـند أبي عبيد ؛ ابن زنجويه ؛ وعـند البلاذري زيـادة " منهم" .

والمعنى " من سأل منهم حقا " أي من كان منهم فقراء عاجزون عن الكسب للجزية يستطعمون الناس " فبينهم النصف " أي يؤخذ منهم نصف الجزية .

(٣) حذفت من هذا الموضع عند أبي عبيد، ابن زنجويه ووردت في موضع آخر لاحق .

ومعنى غير ظالمين بعدم إعطاء الجزية ولامظلومين بتكليفهم مالا يطيقون.

(٤) " وعلى أ لا يأكلوا الربا فمن ذي .. " هكذا عند أبي عبيد، ابن زنجويه.

والمعنى : أن من أكل منهم ربا من وقت مستقبل بعد الصلح فعهدي وأماني لهم منتقض ونفعل بهم ما نرى .

(٥) حذفت عند ابن سعد.

" ولا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر" هكذا عند البلاذري ، البيهقي .

والمعنى لايلزم رجل منهم بجناية رجل آخر.

عليه ، غير منقلبين بظلم](١) [شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر ، والأقرع بن حابس الحنظلي ، والمغيرة بن شعبة](٢) وكتب (٣) » .

---

(١) " وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم " هكذا عند ابي عبيد وابن زنجويه .

" وعلى ما في هذه الصحيفة جوار الله (عز وجل) وذمة النبي (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أبدا حتى يأتي الله بأمره إن نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم " هكذا عند ابن سعد والبلاذري والبيهقي.

والمعنى أنه لايغير ما وقع عليه الصلح ، وانصحوا وأصلحوا ولم ينقضوا من شروطه شيء .

(٢) شهد أبو سفيان بن حرب .. الخ " هكذا أيضا عند أبي عبيد، ابن زنجويه من رواية ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير .

" شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقيب وكتب " هكذا عند أبي عبيد ، ابن زنجويه من رواية عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح الهذلي .

ويحتمل أن ما ذكر من الرواية الأخيرة خلط من أحد الرواة مع ما ورد في كتاب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لنصارى نجران وقت إجلائه لهم فقد جاء في آخره " شهد عثمان بن عفان ومعيقيب وكتّب " انظر أبو يوسف : الخراج ص ١٦٢.

وعند ابن سعد زيادة في أسماء الشهود حيث أورد " المستورد بن عمرو أخو بلي وعامر مولى أبي بكر. "

ـ غيلان بن سلمة بن معبب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن بكر بن هوازن أسلم بعد فتح الطائف كان أحد أشراف ثقيف ومقدميه توفي في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انظر النووي : تهذيب الأسماء واللغات (بيروت : دار الكتب العلمية جـ ٢ ق ١ ص ٤٩ ، ابن حجر : الإصابة جـ ٥ ص ١٩٥ .

ـ مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن بكر بن هوازن أبو علي النصري كان رئيس المشركين في غزوة حنين ثم أسلم وصحب ، واستعمله الرسول صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، شهد القادسية وفتح دمشق انظر ابن حجر الإصابة جـ ٦ ص ٣١

ـ الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي التميمي من سادات العرب في الجاهلية أسلم وشهد فتح مكة وحنينا والطائف ، وكان مع خالد بن الوليد في أكثر وقائعه ومنها اليمامة استشهد بالجوزجان سنة ٣١ هـ .

(٣) حذفت عند أبي عبيد ، ابن زنجويه وابن سعد .

ملحق (٣)

نص عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لنصارى نجران _ مختصراً _ كما ورد في بعض كتب الحديث (١)

عن ابن عَبَّاسٍ قالَ : « صَالَحَ رَسُولُ اللّٰهِ صلى اللّٰهُ عليه وسلم أَهْلَ نَجْرَانَ على أَلْفَيْ حُلَّةٍ . النِّصْفُ في صَفَرٍ ، وَالنِّصْفُ في رَجَبٍ يُؤَدُّونَهَا إلى المُسْلِمِينَ وعارِيَةِ ثَلاَثينَ دِرْعاً وَثَلاثينَ فَرَساً وَثَلاَثينَ بَعِيراً وَثَلاَثينَ مِنْ كلِّ صِنْفٍ مِنْ أصْنَافِ السِّلاَحِ يَغْزُونَ بِها وَالمُسْلِمُونَ ضَامِنُونَ لَهَا حَتَّى يَرُدُّوها عَلَيهِمْ إنْ كَانَ باليَمَنِ كَيْدٌ ذَاتُ غَدْرٍ ﴿ أَوْ غَدْرَةٍ ﴾ على أنْ لاتُهْدَمَ لَهُمْ بَيْعَةٌ ، ولاَيُخْرَجَ لَهمْ قَسٌّ ، ولاَ يُفْتَنُوا عن دِينهِم ، مالَمْ يُحْدِثوا حَدَثاً ، أَوْ يَأْكُلُوا الرِّبَاَ » .

قال إسماعيل _ السدي _ : فَقَدْ أَكَلُوا الرِّبَاَ .

قال أبو داود : إذَا أَنْقَضُوا بَعْضَ ما اشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ أَحْدَثُوا .

---

(١) أخرجه ابو داود في كتاب الخراج والفيء والإمارة ، باب في أخذ الجزية ح (٣٠٢٥) ، عون المعبود في شرح سنن أبي داود ج ٨ ص ٢٩١ _ ٢٩٢ .

المصادر والمراجع

اولاً : المصادر العربية

- القرآن الكريم
- العهد القديم : دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٨٣م
- العهد الجديد : دار الكتاب المقدس، القاهرة ١٩٨٣ م
- إنجيل برنابا : ترجمة خليل سعادة، مطبعة المنار ١٩٥٨م
- ابن الأثير: ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم بن الأثير(ت٦٣٧هـ)
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع . الرياض الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- ابن الأثير: عز الدين بن أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت٦٣٠هـ)
١- الكامل في التاريخ . عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م .
٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة . طبعة الشعب القاهرة ١٩٧٠م
- ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)
١- النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي . دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
٢- منال الطالب في شرح الرغائب . تحقيق محمود محمد الطناحي دار المأمون للتراث ، دمشق ، بدون تاريخ .
- الأزدي : محمد بن عبد الله الأزدي (ت ١٦٥هـ)
تاريخ فتوح الشام . تحقيق عبد المنعم عامر، الناشر مؤسسة سجل العرب ١٩٧٠م .

..

- الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي (ت ٢٢٢هـ)
أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار . تحقيق رشدي الصالح ملحس . دار الثقافة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
- ابن اسحاق : محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ)
١- السير والمغازي . تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢- سيرة ابن إسحاق . تحقيق محمد حميد الله . معهد الدراسات والأبحاث للتعريب ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦م.
- الأصفهاني : أبو عبد الله حمزة بن الحسين (ت ٣٦٠هـ)
تاريخ سني الأرض والأنبياء عليهم السلام . مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .
- بحشل : أسلم بن سهل الرزاز الواسطي المعروف ببحشل (ت ٢٩٢هـ)
تاريخ واسط. تحقيق كركيس عواد ، عالم الكتب ، بدون تاريخ
- البخاري : محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦هـ)
١- صحيح البخاري مع فتح الباري
٢- الأدب المفرد . صححه محمد هاشم البرهاني ، المطبعة العصرية أبو ظبي ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
٣- التأريخ الكبير . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ - ١٣٦٢هـ .
- البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت ٥١٦هـ)
شرح السنة . تحقيق شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
- البكري : أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)
معجم ما استعجم . تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ- ١٩٤٧م.

- البلاذري : أحمد بن يحيى المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩هـ)
١- أنساب الأشراف . تحقيق محمد حميد الله . دار المعارف بمصر ١٩٥٩م .
٢- فتوح البلدان . نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد مكتبة النهضة المصرية ، بدون تاريخ .
- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة . وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلعجي . دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- التبريزي : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (توفي بعد ٧٣٧هـ)
مشكاة المصابيح . تحقيق محمد ناصر الألباني . المكتب الإسلامي دمشق ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م .
- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)
سنن الترمذي مع تحفة الأحوذي . لمحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكفوري(ت ١٣٥٣هـ)، مطبعة المعرفة ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م
- التفتازاني : مسعود بن عمر (ت ٧٣٩هـ)
مقاصد الطالبين في علم أصول الدين وشرحه . مطبعة الحاج محرم أفندي أستانبول ١٣١٥هـ .
- ابن تيمية : أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)
١- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، مطبعة المدني ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٢- اقتضاء الصراط المستقيم تحقيق ناصر عبد الكريم العقل ، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع ، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
٣- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية:. تحقيق بشير محمد عون ، مكتبة دار البيان ، دمشق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٤- مجموع الفتاوى جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، مصورة

عن الطبعة الأولى .

- الجصاص : أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي (ت ٣٧٠هـ)
أحكام القرآن . دار الكتاب العربي ، بيروت ، بدون تاريخ .

- ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ)
١- زاد المسير في علم التفسير . المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م .
٢- تلقيح فهوم أهل الأثر . مكتبة الآداب بالجماميز ، بدون تاريخ

- ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد ابن ادريس (ت ٣٢٧هـ)
١- تفسير سورة آل عمران والنساء . تحقيق حكمت بشير ياسين :"رسالة دكتوراة من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ "
٢- تفسير سورة الأنفال والتوبة . تحقيق عبادة أيوب الكبيسي "رسالة دكتوراة جامعة أم القرى ١٤٠٦هـ - ١٤٠٧هـ "

- حاجي خليفة :مصطفى بن عبد الله الرومي المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٨هـ)
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون . دار الفكر ١٤٠٢هـ .

- الحاكم : أبو عبد الله الحاكم النسابوري (ت ٤٠٥هـ)
المستدرك على الصحيحين . وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، مكتبة ومطابع النهضة الحديثة . الرياض بدون تاريخ

- ابن حبان : أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت ٣٥٤هـ)
الثقات ، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ

- ابن حبيب : أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي البغدادي (ت ٢٤٥هـ)
المحبَّر . برواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السَّكري . تصحيح الدكتورة ايلزه شينتر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٣٦١هـ

- ابن حبيش : أبو القاسم عبد الحمن بن محمد بن حبيش (ت ٥٨٤هـ)
الغزوات الضامنة الكافلة والفتوح الجامعة الجافلة الكائنة في أيام

الخلفاء والأئمة الثلاثة أبي بكر الصديق، وأبي حفص الفاروق، وأبي عمرو ذي النورين . تحقيق طلال بن سعود الدعجاني "رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية ١٤١٢هـ " .

- ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني المعروف بابن حجر(ت٨٥٢هـ)

١- الإصابة في معرفة الصحابة . دار الكتب العلمية، بيروت بدون تاريخ ، وهي طبق النسخة المطبوعة في كلكتا ١٨٥٣م.

٢- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري . قرأ أصله تصحيحا وتحقيقا سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز، ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المطبعة السلفية ، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ

٣- هدى الساري . طبعة الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ

٤- تقريب التهذيب تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف دار المعرفة، بيروت ، بدون تاريخ

٥- تهذيب التهذيب ، دار صادر، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ

- ابن حديدة : أبو عبد الله محمد بن علي الأنصاري ابن حديدة (ت ٧٨٣هـ)

المصباح المضيء في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورسله إلى ملوك الرض من عربي وعجمي . صححه وعلق عليه الشيخ محمد عظيم الدين. عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ

جمهرة أنساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م

٢ - الفصل في الملل والنحل وبهامشه الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم علي الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) . مكتبة المثنى ببغداد بدون تاريخ .

- الحلبي : علي برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤هـ)

انسان العيون في سيرة الأمين المأمون صلى الله عليه وسلم والمشهور بالسيرة الحلبية ، مكتبة مصطفى أحمد بمصر ، بدون تاريخ .

- ابن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)
المسند، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م وكذلك المسند بتحقيق أحمد محمد شاكر . طبعة دار المعارف بمصر ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- أبو حيان : أبي عبد الله محمد بن علي بن حيان الاندلسي (ت ٧٥٤هـ)
البحر المحيط . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الخازن : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ)
لباب التأويل عن معاني التنزيل وبهامشه تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، بدون تاريخ .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)
١- المقدمة . دار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الرابعة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ويعرف بتاريخ ابن خلدون . دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ١٩٥٦م .
- خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)
تأريخ خليفة بن خياط . تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري . دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- الدارمي : أبومحمد عبدالله بن عبدالرحمن الفضل بن بهرام الدارمي(ت٢٥٥هـ)
سنن الدارمي . دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .
- أبو داود : سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٥٧هـ)
سنن أبي داود مع عون المعبود لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، طبعة دار الفكر .
- الديار بكري: حسين بن محمدبن الحسن الديار بكري (ت ٩٨٢هـ)
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس . مؤسسة شعبان، بيروت ،

بدون تاريخ .

- ابن الديبع : وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشافعي (ت ٩٤٤هـ)
حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله المصطفين الأخيار . تحقيق عبدالرحمن بن ابراهيم الأنصاري. مطابع قطر الوطنية ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

- الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٨٠٨هـ)
الأخبار الطوال . تحقيق عبدالمنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٦٠م .

- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري . تحقيق وليد عرفات . دار صادر ، بيروت ١٩٧١م

- الذهبي : محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)
١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة . دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ
٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال . تحقيق محمد البجاوي ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ .
٣- السيرة النبوية . تحقيق حسام الدين القدسي ، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

- الرازي : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادرالرازي (ت ٦٦٦هـ)
مختار الصحاح . مؤسسة علوم القرآن، بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

- الرازي : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ)
١- التفسير الكبير . دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
٢- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين . تقديم طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .

- ابن رجب : أبو الفرج عبد الحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)
الأستخراج لإحكام الخراج . المكتبة الإسلامية بالأزهر ، الطبعة الأولى ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م .

- ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (توفي بعد٢٩٠هـ)
الأعلاق النفسية . طبعة ليدن ١٨٩١م.
- ابن رشد : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (ت ٥٩٥هـ)
بداية المجتهد ونهاية المقتصد: المطبعة الجمالية بمصر، الطبعة الأولى ١٣٢٩هـ .
- الزبير بن بكار: أبو عبدالله بن أبي بكر بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير العوام (ت ٢٥٦هـ)
جمهرة نسب قريس وأخبارها . تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٣٨١هـ .
- ابن الزبير : عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤هـ)
مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية أبي الأسود عنه جمع وتحقيق محمد مصطفى الأعظمي . مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- الزركشي : أبو عبدالله محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ)
البرهان في علوم القرآن . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر الطبعة الثانية ١٣٩١هـ - ١٩٧١م .
- ابن زنجويه : حميد بن مخلد الأزدي (ت ٢٥١هـ)
الأموال . تحقيق شاكر ذيب فياض. نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- الزيلعي : فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي (ت ٧٤٢هـ)
تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق . دار المعرفة ، بيروت الطبعة الأولى بدون تاريخ .
- السرخسي : أبو بكر محمد السرخسي (ت ٤٩٠هـ)
المبسوط . دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية بدون تاريخ.
- ابن سعد : محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) .
الطبقات الكبرى . تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان - بدون تاريخ .

- أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى أبو السعود العماري (ت ٩٨٢هـ)
إرشاد العقول السليم إلى مزايا الكتاب العزيز، المشهور بتفسير أبي السعود. تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م
- السفاريني : أبو عون محمد بن أحمد بن سالم الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)
شرح ثلاثيات المسند . المكتب الاسلامي ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- السمهودي علي بن عبدالله بن أحمد الحسيني الشافعي السمهودي (ت ٩١١هـ)
وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان - الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- السهيلي : أبو القاسم عبدالرحمن عبد لله بن أحمد السهيلي (ت٥٩١هـ)
الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام . تحقيق عبد الرحمن الوكيل . مكتبة الكليات الأزهرية ، بدون تاريخ .
- ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد العمري (ت ٧٣٤هـ)
عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . دار الفكر ، بدون تاريخ .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)
١- الأتقان في علوم القرآن . مكتبة مصطفى البابي الحلبي وشركاه ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .
٢- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ
٣- الخصائص الكبرى تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ .
٤- اللباب المنقول في أسباب النزول . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الثانية ، بدون تاريخ .
- الشافعي : أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)
الأم . أشرف على طبعه وتصحيحه محمد زهري النجار، دار المعرفة

للطباعة والنشر، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الشبابشتي : أبو الحسن علي بن محمد الشبابشتي (ت ٣٨٨هـ)
الديارات . تحقيق كركيس عواد، دار المعارف، بغداد، الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م
- الشوكاني : محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)
١- فتح القدير . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٣هـ
٢- نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار صلى الله عليه وسلم . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
- الشيباني: محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٩هـ) .
شرح السير الكبير . املاء محمد بن أحمد السرخسي ، تحقيق صلاح الدين المنجد، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧١م.
- ابن أبي شيبة: أبو بكر بن أبي شيبة عبدالله بن محمد العبسي (ت ٢٣٥هـ)
المصنف في الأحاديث والآثار تحقيق مختار أحمد الندوي ، الدار السلفية ، بومباي - الهند - الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- الصالحي: محمد بن يوسف الصالحي الشافعي (ت ٩٤٢هـ)
سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد المعروف بالسيرة الشامية تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي . لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
- الصنعاني : أبو بكر عبد الرزاق بن همَّام الصنعاني الحميري (ت ٢١١هـ)
المصنف . تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م
- الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)
المعجم الكبير . تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي . مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)
١- تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان -

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن . شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
٣- اختلاف الفقهاء . نشر يوسف شخت ، طبعة ليدن ١٩٣٣م .

- ابن طولون : محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ)
إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين . مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ .

- ابن أبي عاصم : أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)
السنة . تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- العامري : يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري الحرضي (ت ٨٩٢هـ) .
بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات و السير والشمائل شرح العلامة محمد الأشخر اليمني ، المطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر ١٣٣١هـ .

- عبد الله الترجمان : أبو محمد عبد الله بن عبد الله ، وكان يسمى قبل إسلامه (انسلم تورميدا) ت ٨٣٢هـ .
تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب تحقيق محمود علي حماية ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

- ابن عبد البر: يوسف بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ).
١- الدرر في اختصار المغازي والسير . دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .
٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب . مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ
٣- التمهيد . تحقيق مصطفى أحمد العلوي وآخر، مطبعة فضالة المحمدية بالمغرب ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

- عبد الجبار القاضي عبد الجبار أحمد الفاسي المعتزلي (ت٤١٥هـ)
تثبيت دلائل النبوة . تحقيق عبد الكريم عثمان ، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ .

- ابن عبد الحكم: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري (ت ٢٥٧هـ)
فتوح مصر والمغرب . تحقيق عبد المنعم عامر ، نشر لجنة البيان العربي ، بدون تاريخ.
- ابن العبري : غريغوريوس بن هارون بن الملطي المعروف بابن العبري (ت٦٨٥هـ)
تاريخ مختصرالدول . المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى١٩٥٨م
- أبو عبيد : القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)
الأموال . تحقيق محمد خليل هراس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن العربي : أبو بكر أحمد بن علي الرازي المعروف بابن العربي (ت ٥٤٢هـ)
١- شرح صحيح الترمذي .:المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى١٣٥٠هـ
٢- أحكام القرآن الكريم . تحقيق محمد علي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .
- ابن عساكر :أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)
تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل ، أو أجتاز بنواحيها من ورديها وأهلها . المجلة الأولى (السيرة النبوية) تحقيق صلاح الدين المنجد . مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٣٧٣هـ - ١٩٧٣م ، وكذلك طبعة دار الفكر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، تحقيق نشاط غزاوي. (وقد أشرت إلى موضع الاستفادة منها)
- ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبد الحق الغرناطي (ت٥٤١هـ)
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . تحقيق الرحالي الفاروق وآخرون ، الدوحة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م .
- علاء الدين الهندي :علي المتقي الهندى (ت ٩٧٥هـ)
كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال . مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- العيني : محمود بن أحمد (ت ٨٠٥ هـ)
عمدة القاريء في شرح صحيح البخاري. دار الفكر١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م .

- الغرناطي : محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ)
التسهيل لعلوم التنزيل . تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي وآخرون دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، بدون تاريخ
- الفاكهي : أبو عبد الله محمد بن إسحق " القرن الثالث الهجري " .
أخبار مكة . تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، نشر مكتبة النهضة الحديثة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- فتاوى رسول الله صلى الله عليه وسلم . تحقيق وشرح السيد الجميلي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ -١٩٨٥م .
- أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل (ت ٧٣٢هـ)
تقويم البلدان ، باريس ، دار الطباعة السلطانية ١٨٤٠م
- الفزاري : أبو اسحاق الفزاري (ت ١٨٦هـ) .
السيَّر . تحقيق فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
- الفيروز أبادي :أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٩٦٢هـ)
١- القاموس المحيط ، دار الفكر ، بدون تاريخ
٢- تنوير المقباس من تفسيرابن عباس، الطبعة الثانية١٣٧٠هـ-١٩٥١م
- الفيومي : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)
المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . صححه مصطفى السقا علي النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق ١٢٨٩هـ.
- ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ)
١- المعارف . تحقيق ثروت عكاشة، دار احياء التراث العربي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
٢- الشعر والشعراء . طبعة ليدن ١٩٠٢م
- ابن قدامة : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ)
١- المغني . طبع مكتبة الرياض الحديثة
٢- المغني مع الشرح الكبير . طبع دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م .
- القرشي : محي الدين أبي محمد عبد القادر بن أبي الوفاء الحنفي القرشي (ت٧٧٥هـ)
الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية. دائرة المعارف النظامية حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٣٢هـ .

آباد الدكن - الهند - ١٣٣٢هـ .

- القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)
الجامع لأحكام القرآن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م .

- القزويني : زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)
آثار البلاد والعباد . دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م

- القسطلاني : أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية وبهامشه شرح العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

- القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ)
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصر ، بدون تاريخ .

- ابن قيم الجوزية : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)
١- أحكام أهل الذمة . تحقيق صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .
٢- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان . تحقيق محمد حامد فقي دار المعرفة - بيروت ، بدون تاريخ .
٣- زاد المعاد في هدى خير العباد . تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط . مؤسسة الرسالة . بيروت - لبنان - الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
٤- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى . مكتبة السوادي للتوزيع، جدة ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

- الكاساني : علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب بملك العلماء (ت ٥٨٧هـ)
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع . تحقيق أحمد مختار مطبعة التقدم ، القاهرة ، بدون تاريخ .

- ابن كثير: أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ)
١- السيرة النبوية . دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، بدون تاريخ .
٢- البداية والنهاية . دار الفكر العربي ، الطبعة الثانية ١٩٧٨م
٣- الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨١م
٤- تفسير القرآن العظيم . طبعة الشعب ، القاهرة بدون تاريخ
٥- الكلاعي : أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي (ت ٦٣٤هـ)
الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٣٧٨هـ - ١٩٦٨م .
الكلبي : هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)
الأصنام . تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٥م .
- الماوردي : أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)
١- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
٢- أدب الدنيا والدين . تحقيق مصطفى السقا، دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م
- ابن المبارك: عبد الله بن المبارك (ت ١٨١هـ)
الجهاد. تحقيق نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة بجدة، بدون تاريخ
- المزي : جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي المزي (ت ٧٤٢هـ)
تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف مع النكت الظراف لابن حجر العسقلاني تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
- المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٢٤٦هـ)
١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد

٢ - التنبيه والاشراف تصحيح عبد الله الصاوي ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .

- مسلم : أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) .
صحيح مسلم مع شرح النووي .

- المقدسي : المطهر بن طاهر المقدسي (ت ٣٨٧هـ)
البدء والتاريخ . المنسوب بتأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، عني بنشره كلمان هوار، طبعة ١٩٠٣م .

- المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ)
١- إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، صححه وشرحه محمود محمد شاكر . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤١م .
٢- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار. طبعة بولاق، القاهرة١٢٧٠هـ

- المنبجي : لاغابيوس بن قسطنطين المنبجي (توفي في القرن الرابع الهجري)
العنوان المكلل بفضائل الحكمة المتوج بأنواع الفلسفة الممدوح بحقائق المعرفة .: مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٧ م

- ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منصور (ت٧١١هـ)
لسان العرب المحيط قدم له عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف يوسف خياط. دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

- النجم ابن فهد : نجم الدين أبو القاسم عمر بن محمد بن فهد الهاشمي (ت ٨٨٥هـ)
اتحاف الورى باخبار أم القرى ، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى

- النسائي: أحمد بن علي النسائي (ت ٣٠٣هـ)
١- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية الامام السندي . المطبعة المصرية ، الطبعة الأولى ١٣٤٨هـ
٢ - سنن النسائي . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م .

- النسفي : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ت ٧٠١هـ
تفسير النسفي . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة بدون تاريخ

- أبو نعيم الأصبهاني: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)

دلائل النبوة . عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .
- النووي : أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)
١- تهذيب الأسماء واللغات . دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون تاريخ
٢- شرح صحيح مسلم . المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ-١٩٢٩م .
- النويري : شهاب الدين أحمدبن عبد الوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)
نهاية الأرب في فنون الأدب . مطابع كوستاتتوماس وشركاه بالقاهرة وهي نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م
- ابن هشام : أبو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت ٢١٣هـ)
سيرة ابن هشام . « وهي جمع وتهذيب للسيرة النبوية لابن إسحاق » حققها وضبطها وشرحها مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي . مطبعة مصطفى البابي الحلبى واولاده بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م .
- ابن الهمام: محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام (ت ٨٦١هـ)
فتح القدير مع تكملته نتائج الأفكار في كشف الرموز والأسرار لأحمد المعروف بقاضي زاده ت ٩٨٨هـ على الهداية شرح بداية المبتدىء للشيخ علي بن أبي بكر المرغيناني ت ٥٩٣هـ ، وبهامشه شرح العناية على الهداية لمحمد بن محمود البابرتي ت ٧٨٦هـ . المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٥٦هـ
- الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ)
صفة جزيرة العرب . تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٧ ـ)
١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . دار الكتاب . بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٦٧م .
٢- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان . تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية، القاهرة ، بدون تاريخ .

- الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٨هـ)
أسباب النزول . دار الفكر . بيروت ١٤٠٩هـ
- الواقدي : محمد عمر واقد المشهور بالواقدي (ت ٢٠٧ هـ)
المغازي تحقيق . د. مارسون جونس ، عالم الكتب الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م
- وهب بن منبه الأنباري (ت ١١٤هـ)
التيجان في ملوك حمير . نشر مركز الأبحاث والدراسات اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الثانية .
- ياقوت : ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي· (ت ٦٢٦هـ)
معجم البلدان . دار صادر ، بيروت ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .
- اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)
تاريخ اليعقوبي . دار صادر ، بيروت ١٣٧٩هـ -١٩٦٠م .
- أبو يوسف : القاضي أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ)
الخراج. تحقيق محمد ابراهيم البنا، دار الاصلاح للطبع والنشر والتوزيع . بدون تاريخ .

ثانيا: المراجع العربية والمعربة

- إبراهيم سيف الدين
مصر في العصور القديمة . المطبعة الأميرية ببولاق ١٩٤١م
- إبرهيم نصحي
مصر في عهد البطالمة . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م
إبراهيم هلال : حديث هرقل وكتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إليه . دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- إجناس جولد تسيهر
العقيدة والشريعة في الاسلام . نقله إلى العربية محمد يوسف مرسي وآخرون ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٨هـ- ١٩٥٩م
- أحمد إبراهيم الشريف
١- دولة الرسول في المدينة . دار البيان، الكويت١٣٩٢هـ-١٩٧٢م

٢- دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني . دار الفكر العربي . بدون تاريخ .

٣ـ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي .

- أحمد شلبي

موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الاسلامية . القاهرة ١٩٨٤م

- أحمد بن عبد الرحمن البنا

الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل . دار الشهاب ، القاهرة .

- أحمد عبد الغفور عطار

الديانات والعقائد . مكة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- أحمد عبد الوهاب

المسيح في مصادر العقائد المسيحية . مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٩م

ـ أحمد عزت باشا

الدين والعلم . تصحيح حمزة طاهر .

- أحمد فخري

دراسات في تاريخ الشرق القديم . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الرابعة ١٩٨٤م .

- إدوارد بروي

تاريخ الحضارات العام . تعريب يوسف داغر . منشورات عويدات ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

- إدوارد جيبون

اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها . ترجمة لويس اسكندر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر .

- ارنولد توينبي

١- تاريخ الحضارة الهلينية . ترجمة رمزي عبده جرجس مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٣م .

٢- تاريخ البشرية . ترجمة نقولا زيادة . الدار الأهلية للنشر

والتوزيع ، بيروت

- إسرائيل ولفنسون

تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام . لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مطبعة الاعتماد ١٩١٤م

- أكرم ضياء العمري

السيرة النبوية الصحيحة، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة١٤١٢هـ- ١٩٩٢م

- أنور الرفاعي

النظم الاسلامية . دار الفكر ، دمشق ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

- كتاب إنه الحق ، اصدار هيئة الاعجاز العلمي للقرآن الكريم والسنة الشريفة برابطة العالم الإسلامي _ مكة المكرمة_ الحلقة العاشرة (أخبار كونية وجغرافية)

- أومان

الإمبراطورية البيزنطية . تعريب مصطفى بدر، دار الفكر العربي ١٩٥٣م

- بتلر

فتح العرب لمصر، ترجمة فريد أبو حديد ، مطبعة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

- بدلي

الرسول محمد ، ترجمة عبد الحميد السحار ومحمد محمد فرج دار الكتاب العربي .

- برنارد لويس استانبول وحضارة الخلافة الإسلامية ، تعريب سيد رضوان على ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

- بطرس البستاني

دائرة المعارف الإسلامية . مؤسسة مطبوعاتي اسماعليان تهران.

- بكر أبو زيد

خصائص جزيرة العرب . دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

- توفيق برو

تاريخ العرب القديم . دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

- توماس ، ارنولد

الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون ، مكتبة النهضة

المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠م .

- توماس كارليل

محمد رسول الهدى والرحمة . تعريب محمد السباعي ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، بدون تاريخ .

- جاسم صكبان علي الربيعي

نصارى العراق في العهد الأموي . رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٤م .

- جواد علي

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام . مكتبة النهضة ببغداد الطبعة الثانية ١٩٧٨م .

- جورجي زيدان

تاريخ العرب قبل الإسلام . دار الهلال

- حسن إبراهيم حسن

تاريخ الإسلام السياسي . مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٩٦٤م .

- أبو الحسن علي الحسني الندوي

١- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية عشر ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

٢- السيرة النبوية . دار الشروق، جدة، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

- حسنين محمد ربيع

دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية . دار النهضة العربية القاهرة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

- حسني يوسف الأطير

عقائد النصارى الموحدين بين الإسلام والمسيحية . مطبعة دار البيان مصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- حسين علي الأحمدي

مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم . دار المهاجر ، بيروت .

- حسين مؤنس

١- الاسلام الفاتح . رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ١٤٠١هـ

٢- أطلس تاريخ الإسلام . الزهراء للاعلام العربي ، مدينة نصر ، القاهرة - مصر - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

- دانيل دانيت

الجزية والإسلام . ترجمة فوزي فهيم جاد الله ، مراجعة إحسان عباس دار مكتبة الحياة . بيروت ١٩٥٢م

- در منغم

حياة محمد . نقله إلى العربية محمد عادل زعيتر . دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي وشركاه.

رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي

إظهار الحق . مطابع الدوحة الحديثة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

- رؤوف شلبي

١- الدعوة الإسلامية في عهدها المدني مناهجها وغاياتها . دار القلم الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٢- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء . دار الأعتصام ، القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- زاهر عواض الألمعي

مناهج الجدل في القرآن الكريم . الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ

- ستيفن رينسيمان

تاريخ الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العريني ، دار الثقافة بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م .

- سعيد أيوب

المسيح الدجال . دار الاعتصام ، القاهرة ، الطبعة الأولى١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

- سعيد عبد الفتاح عاشور

١- أوربا في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٧٢م

٢- بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته . عالم الكتب ، بيروت ١٩٨٧م
٣- الحركة الصليبية . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٢م .

- سليم حسن
مصر القديمة . مطبعة كوثر الفجالة ١٩٤٠ م

- السيد أحمد أبو الفضل عوض الله
مكة في عصر ما قبل الإسلام ، طبع دارة الملك عبد العزيز ، الرياض الطبعة الثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- سيد أحمد الناصري
تاريخ الرومان من القرية إلى الإمبراطورية . دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦م .

- السيد الباز العريني
١- مصر البيزنطية . القاهرة ١٩٦١م
٢- الدولة البيزنطية(٣٢٣-١٠٨١م) . دار النهضة العربية للنشر والطباعة ، بيروت ١٩٨٢م .

- سيد قطب
في ظلال القرآن . دار الشروق ، بيروت، الطبعة الحادية عشر١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- شارل جنيبر
المسيحية نشأتها وتطورها . ترجمة عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت ، بدون تاريخ .

- صبحي الصالح
النظم الإسلامية نشأتها وتطورها . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

- صفي الرحمن المباركفوري
الرحيق المختوم . رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م

- طاهر أحمد الزاوي
ترتيب القاموس المحيط . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، الطبعة الثانية بدون تاريخ .

- عاتق بن غيث البلادي
١- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية . دار مكة ، الطبعة

الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

٢- معجم معالم الحجاز . دار مكة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

- عادل نويهض

معجم المفسرين . مؤسسة نويهض للثقافة ، الطبعة الأولى١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

- عباس العقاد

الإسلام دعوة عالمية . المكتبة العصرية صيدا

- عبد الله الطريقي

الأستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي . الطبعة الأولى١٤٠٩هـ

- عبد الحميد دياب وأحمد قرقوز

مع الطب في القرآن الكريم . مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

- عبد الحي الكتاني

نظام الحكومة النبوية المسمَّى بالتراتيب الادارية . المطبعة الأهلية الرباط ١٣٣٦هـ .

- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد . تحقيق محمد حامد فقي ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة السابعة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م .

- عبد السميع الصائغ

المعاهدات النبوية . رسالة ماجستير ، حامعة أم القرى ١٣٩٩هـ

- عبد العزيز سالم

دراسات في تاريخ العرب . مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ .

- عبد القادر حبيب الله السندي

الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك . مكتبة المعلا الكويت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

- عبد الكريم الخطيب

النبي محمد صلى الله عليه وسلم . دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٩٧٦م .

- عبد الكريم زيدان

١- الذميين والمستأمنين في دار الإسلام . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٢- مجموعة بحوث فقهية . مكتبة القدس ، بغداد ١٩٧٦م

- عبد اللطيف الطيباوي

محاضرات في تاريخ الإسلام . بيروت ١٩٦٦م .

- عبد المتعال الصعيدي

السياسة الإسلامية في عهد النبوة . دار الفكر العربي الطبعة الثانية

عبد المجيد عابدين

بين الحبشة والعرب . دار الفكر العربي .

- عبد الوهاب كلزيه

الشرع الدولي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم . دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٤ .

- عثمان عبد المنعم

عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية . مكتبة الأزهر .

- علي صادق أبو هيف

القانون الدولي العام . منشأة المعارف، الاسكندرية، الطبعة الأولى ١٩٧٥م

- علي محمد عودة الغامدي

١- بلاد الشام قبيل الغزو المغولي . مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٢- الحرب بين الروم والفرس في ضوء سورة الروم. بحث تحت الطبع

- علي بن نفيع العلياني

أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية . دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

- عماد الدين خليل

دراسة في السيرة النبوية . دار النفائس بيروت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

- عمر سليمان الأشقر

الربا وأثره على المجتمع الإنساني . دار الدعوة ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م .

- عمر فروخ

تاريخ الجاهلية . بيروت ١٩٨٤م .

عمر كمال توفيق

تاريخ الدولة البيزنطية . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٧م .

- عمر وفيق الداعوق

الأسس العقدية لظاهرة الرهبنة وموقف الإسلام منها . رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

- عون الشريف

نشأة الدولة الإسلامية. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثانية١٤٠١هـ

- فتحي عثمان

الحدود الإسلامية البيزنطية ، الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة.

- فتحي غيث

الإسلام والحبشة عبر التاريخ . مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

- فلهاوزن يوليوس

الدولة العربية وسقوطها . ترجمة يوسف العش ، مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٦م .

- فلوتن فان

السيادة العربية الشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية . ترجمة حسن ابراهيم ، ومحمد زكي ابراهيم ، مطبعة السعادة ، القاهرة الطبعة الأولى ١٩٣٤م

- فؤاد بولس

علامة الصليب . دار الثقافة ، القاهرة

- كي لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ، تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م

- ليلى عبد الجواد

الدولة البيزنطية في عهد هرقل . دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٥م

- محمد أحمد باشميل

١- غزوة مؤتة . دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ

٢- غزوة تبوك . دار الفكر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ

- محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . عالم الكتب ، بيروت .

- محمد البهي

الجانب الإلهي في الفلسفة الإسلامية . دار الكتاب العربي ١٩٦٧م

- محمد بيومي مهران

١- دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم " اسرائيل " . مطبعة الأمانة بمصر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م

٢- دراسات تاريخية من القرآن الكريم في بلاد العرب . مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣- دراسات في تاريخ العرب القديم . لجنة البحوث والترجمة بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

- محمد حسنين هيكل

حياة محمد . دار المعارف ، القاهرة الطبعة الثالثة عشر .

- محمد الحكمي

مرويات غزوة الحديبية . دار ابن القيم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .

- محمد حميد الله

مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . دار النفائس ، بيروت - لبنان - الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

- محمد خدوري

الحرب والسلم في شريعة الإسلام . الدار المتحدة للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٧٣م .

- محمد رأفت عثمان

رياسة الدولة في الفقه الإسلامي . دار الكتاب الجامعي ، مطبعة

السعادة ، القاهرة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

- محمد الراوي

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية . الدار القومية للطباعة والنشر

- محمد رشيد رضا

١- تفسير القرآن الكريم " الشهير بتفسير المنار" الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م

٢- الوحي المحمدي . المكتب الإسلامي ، الطبعة الثامنة .

- محمد أبو زهرة

١- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم . دار الفكر ، بدون تاريخ

٢- محاضرات في النصرانية . دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ .

٣- المعجزة الكبرى (القرآن الكريم). دار الفكر العربي ، القاهرة

محمد سلام مدكور

معالم الدولة الإسلامية . مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

_ محمد شفيق غربال

الموسوعة العربية الميسرة . دار الشعب القاهرة ١٩٦٥م

_ محمد طاهر التنير

العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .، مكتبة ابن تيمية ، الكويت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

- محمد ضياء الرحمن الأعظمي

اليهودية والمسيحية . مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

_محمد ضياء الريس

الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية . مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦١م.

- محمد عبد الله دراز

مدخل إلى القرآن الكريم . دار العلم ، الكويت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

ـ محمد بن عبد المنعم الحميري

الروض المعطار في خبر الأقطار . تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٤م .

ـ محمد عزة دروزة

١- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم . مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

٢ـ عصر النبي وبيئته. داراليقظة العربية، الطبعة الأولى١٣٨٤هـ-١٩٦٤

٣ـ تاريخ الجنس العربي قبل الإسلام في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق المكتبة العصرية ، بيروت .

ـ محمد الغزالي

١- فقه السيرة . دار إحياء التراث العربي الطبعة السابعة ١٩٧٦م

٢- التسامح والتعصب . دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٣- دفاع عن العقيدة والشريعة . دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٩٥هـ

ـ محمد فرج

العبقرية العسكرية في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . دار الفكر العربي ، القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٧م .

ـ محمد فريد وجدي

دائرة معارف القرن العشرين . طبع بدائرة معارف القرن العشرين ١٣٣٧هـ- ١٩١٩م .

ـ محمد قطب

المذاهب الفكرية المعاصرة . دار الشروق

ـ محمد مجدي مرجان

١- المسيح إنسان أم إله . دار النهضة العربيد القاهرة .

٢- الله واحد أم ثالوث . دار النهضة العربية القاهرة .

- محمد بن محمد أبو شهبة

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة . دار القلم ، دمشق ،

الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

- محمد مرتضى الزبيدي

تاج العروس من جواهر القاموس . دار مكتبة الحياة ، بيروت . الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ .

- محمد مختار باشا

التوفيقات الالهية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية . دراسة وتحقيق وتكملة محمد عمارة . نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الآولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

- محمد ناصر الألباني

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة . المكتب الإسلامي .

٢- دفاع عن الحديث الشريف . مكتبة الخافقين ، دمشق .

- محمود سعيد عمران

معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٨١م.

- محمود شكري الألوسى

١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ .

٢- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب . عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان -

- محمود شيت خطاب

الرسول القائد صلى الله عليه وسلم. مكتبة الحياة، بيروت الطبعة الثانية ١٩٦٠م

- منير حميد البياتي

الدولة القانونية والنظام السياسي الإسلامي . الدار العربية للطباعة ببغداد ، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

- منير الخوري

صيدا عبر حقب التاريخ . من ٢٨٠٠ق . م إلى ١٩٦٦م . طبعة

بيروت ١٩٦٦م .

- المودودي : أبو الأعلى

حقوق أهل الذمة في الدولة الاسلامية . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ١٤٠٨هـ

- موريس بوكاي

(القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم)دراسة في الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة. دار المعارف ، لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٧٧م

- نبيه عاقل

تاريخ العرب القديم وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٩٤هـ -١٩٧٥م

- نور الدين حاطوم ونبيه عاقل، وأحمد طربين، وصلاح مدني

موجز تاريخ الحضارة . مطبعة الكمال ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م

- هـ . أ . ل. فشر

تاريخ أوربا في العصور الوسطى . ترجمة محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العريني ، دار المعارف، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .

- هـ .ج. ولز

معالم تاريخ الإنسانية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد المجلد الثالث المسيحية في العصور الوسطى وعصر النهضة القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٧٢م

- هـ . سانت

ميلاد العصور الوسطى . ترجمة عبد العزيز جاويد، عالم الكتب ١٩٦٧م

- وسام عبد العزيز فرج

دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية . القاهرة ١٩٨٢م

- ول . ديورانت

قصة الحضارة . (المجلد الثالث) ترجمة محمد بدران ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٦٤م .

- يوسف القرضاوي

غير المسلمين في المجتمع الإسلامي . مكتبة وهبة بمصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

- يوسف كرم

تاريخ الفلسفة اليونانية . الطبعة الخامسة ١٣٨٩م.

- يوسف الياس الدبس

تاريخ سورية . المطبعة العمومية ، بيروت ١٩٠٠م .

ثالثا: الدوريات

- مجلة البعث الإسلامي « نبوءة تتحدى ومعجزة تتحقق » مقالة أبي الحسن الندوي . العدد الرابع ، المجلد الخامس عشر ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م ، الهند

- مجلة الدارة «كلمة الاريسيين في كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل » مقالة للدكتور أحمد الحوفي . العدد الرابع ، السنة السادسة شعبان ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الرياض ؛« تحقيق بعض الوثائق النبوية من العهود التي أعطاها الرسول لليهود والنصارى » مقالة للدكتور عبد الباقي قصة .العدد الثالث، السنة الخامسة، ربيع ثان١٤٠٠هـ-١٩٨٠م

- مجلة الفيصل «الرسائل التي بعث بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك » مقالة عبد الجبار السامرائي . العدد ٥٥ محرم ١٤٠٢هـ ، الرياض .

- مجلة المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام « تجربة مؤتة » مقالة سامي العاني ؛ « العلاقات الإسلامية البيزنطية في الشام وتخومه في صدر الإسلام » مقالة جوزيف نسيم ؛ « مدينة حمص عند الفتح الإسلامي » مقالة سهيلة الريماوي . المجلد الثالث، الجامعة الأردنية ١٩٨٧م. عمان ؛ « المراسلات النبوية مع بعض القبائل العربية في جنوبي الجزيرة العربية » مقالة جاسر أبو صفية « مقدمات فتح بلاد الشام » مقالة صالح درادكة . المجلد الثاني ، الجامعة الأردنية ، عمان

- مجلة المؤرخ العربي « نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام » مقالة نزار عبد

اللطيف الحديثي . العدد التاسع والعشرون ، السنة الثالثة عشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ؛ « الدراسات المتعلقة برسائل النبي صلى الله عليه وسلم » مقالة عز الدين إبراهيم . العدد الثالث والعشرين ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بغداد .

- مجلة الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام « فكرة التوحيد عند الحميريين » مقالة أ . ف . ل بيسيون . جامعة الملك سعود ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م ، الرياض .

- مجلة هذه سبيلي « التثليث والنصرانية » مقالة محمد فتحي عثمان ، جامعة الإمام محمد بن سعود العدد الأول ، السنة الأولى ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م ، الرياض .

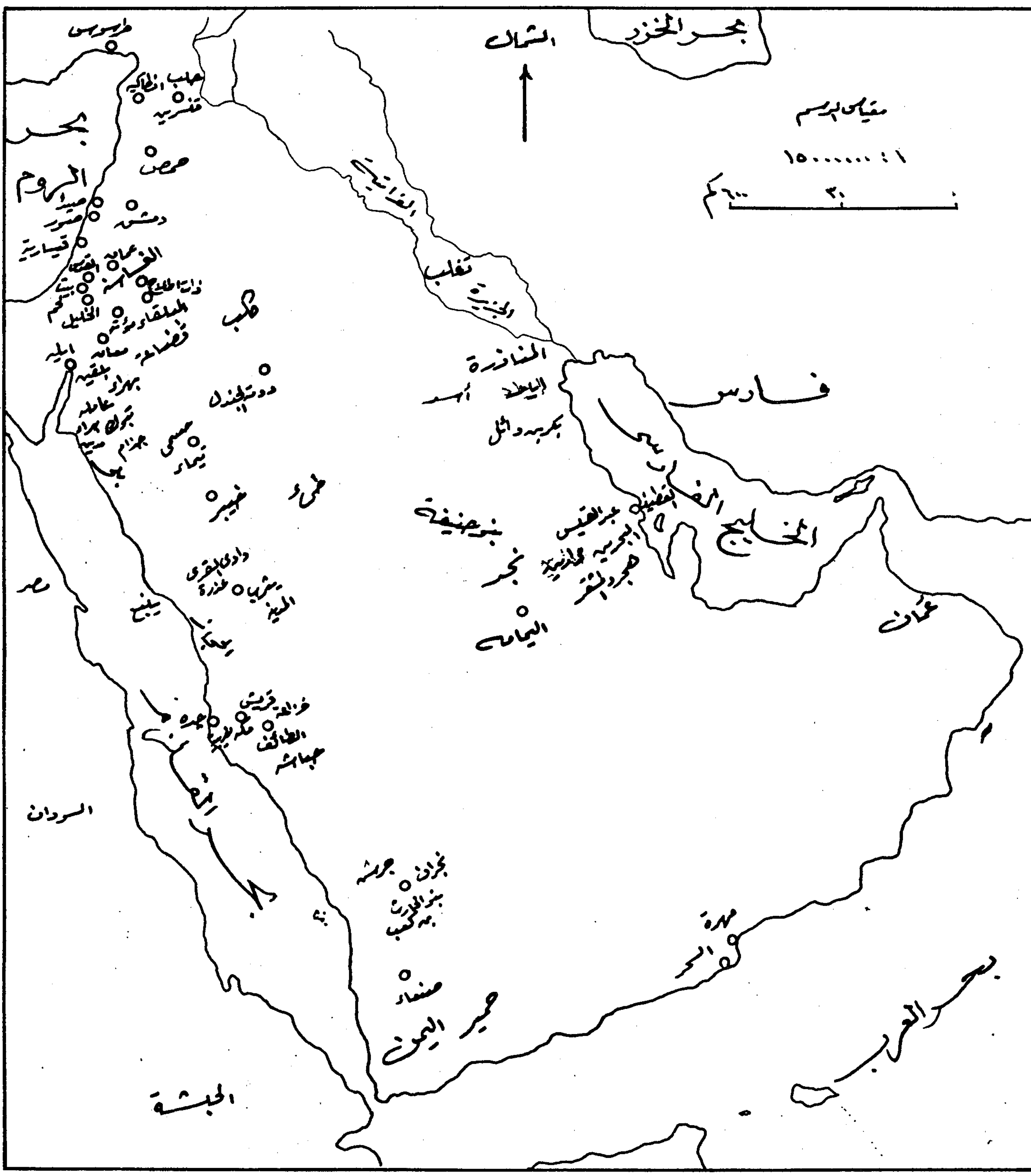
- مجلة الوثائق العربية « رسالة النبي الكريم إلى هرقل ملك الروم » مقالة سهيلة الجبوري . العدد السابع ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، بغداد .

- مجلة الوثيقة « رسائل النبي صلى الله عليه وسلم للاباطرة والملوك والامراء » مقالة عبد اللطيف كانو . العدد الأول ، السنة الأولى ١٤٠٢هـ ، البحرين

- مجلة المنار ، المجلد السادس .

- مجلة الفكر الإسلامي العدد التاسع، السنة الثامنة شوال ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

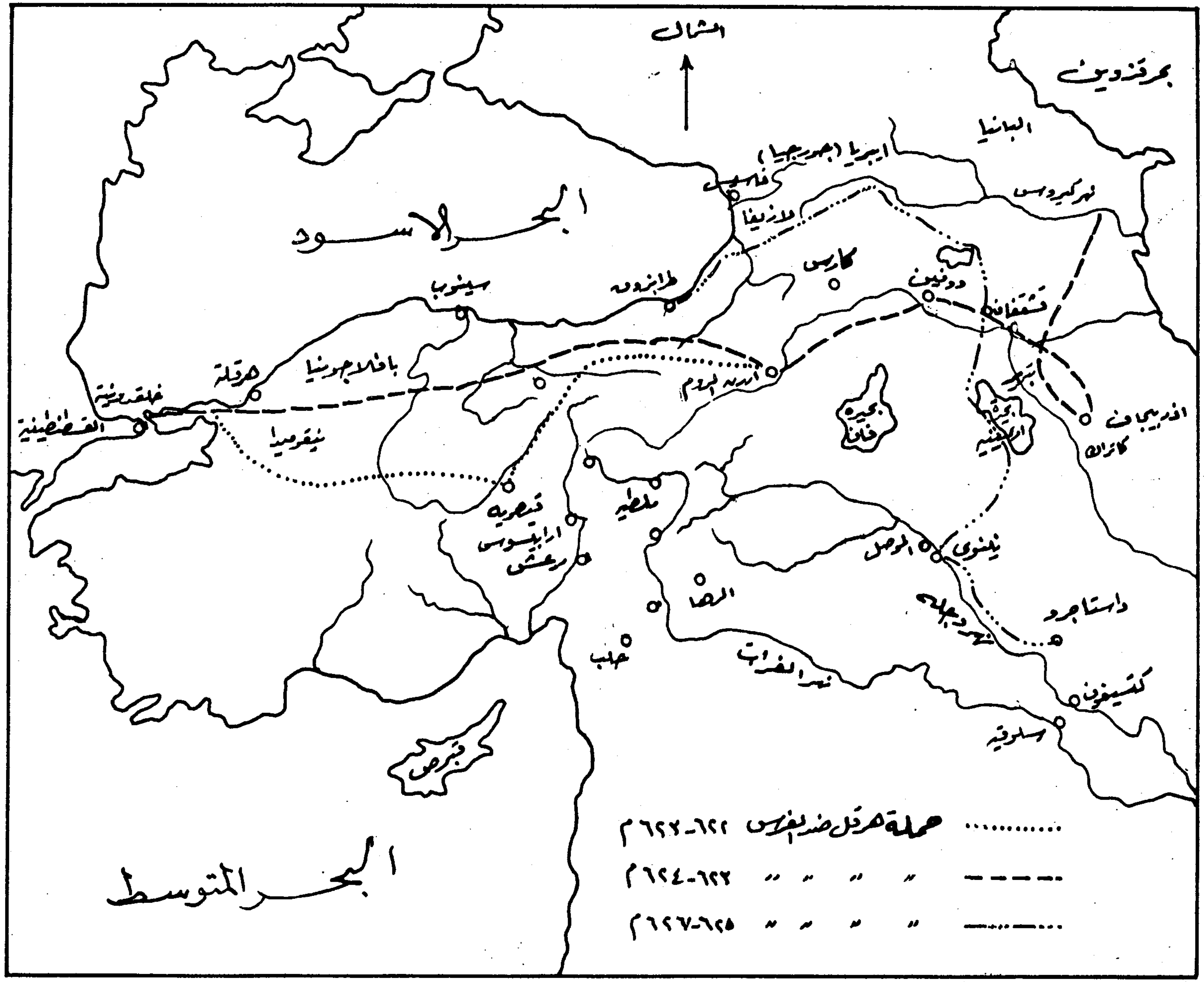
الخرائط



المواقع والقبائل ذات الأهمية لموضوع البحث

شكل رقم (١)

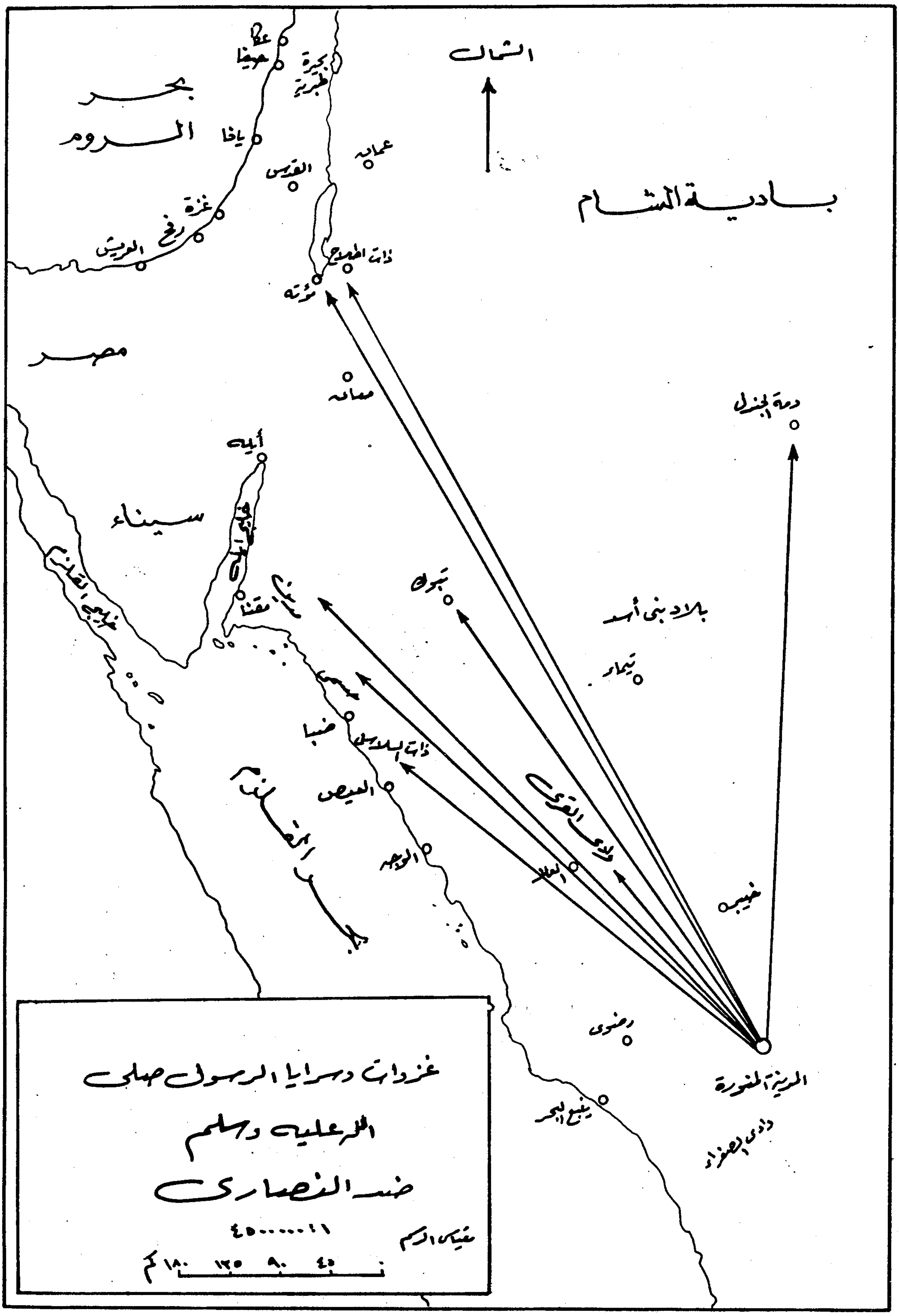
المرجع :
١- د. حسين مؤنس وآخرون
أطلس تاريخ الإسلام
٢- الباحث



حملات هرقل ضد الفرس

شكل رقم (٢)

المرجع: ليلى عبد الجواد
الامبراطورية البيزنطية في عهد هرقل



شكل رقم (٣)

المرجع : بتصرف من
د. حسين مؤنس وآخرون
أطلس تاريخ الإسلام

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

مرتباً حسب السور

فهرس الأحاديث النبوية والآثار
مرتبة أطرافها حسب حروف الهجاء

	الصفحة

الصفحة

..

...

فهرس* الاعلام

مرتبة حسب حروف الهجاء

(حرف الألف)

* ملاحظات : ١- الفهارس تخص المتن دون الهوامش
٢- حذفت « ابن ، أم ، أب ، أل التعريف » معنىً من فهرسة الاعلام والقبائل والجماعات والملل ....
٣-لم أذكر في الفهرسة لفظ الجلالة ، ولا اسم محمد رسول الله ، ولا كلمة الاسلام والمسلمين لكثرة ورودها

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الياء)

فهرس القبائل والأنساب والجماعات والملل والمذاهب والفرق

مرتبة حسب حروف الهجاء

فهرس الغزوات والسرايا والمعارك والأيام

فهرس البلدان والمدن والأماكن والبقاع

مرتبة حسب حروف الهجاء

فهرس موضوعات الرسالة